

شَوْحُ

# الْجَمِيلَةُ الْخَطَّائِيَّةُ

تَأليف

الإمام الفاضل شيخ الإسلام ابن القيم

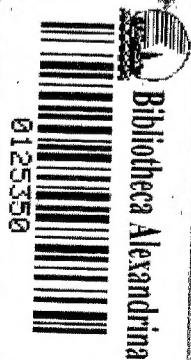
المتوفى سنة ٧٥١هـ

محققه رفاقه جليله شيخ الإسلام ابن القيم

الشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر  
شعيب الأزهري

الجزء الثاني

مطبعة دار الكتب











شرح العقيدة الطحاوية

بجميع الحقوق محفوظة للناس

الطبعة التاسعة

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

طبعة جديدة مصححة ومنقحة

طبع عن أربع نسخ خطية

مؤسسة الرسالة - بيروت - وطني المصطفية - مبنى عبد الله سليم  
تلفاكس : ٨١٥١١٢ - ٣١٩.٣٩ - ٦٠٢٤٣ - ص.ب. ٧٤٦٠ - بوقيا: بوشران



**Al-Resalah**  
PUBLISHING HOUSE

BEIRUT / LEBANON - TELEFAX : 815112 - 319039 - 603243 - P. O. BOX : 117460

# شرح العقيدة الطحاوية

تأليف

الإمام القاضي علي بن عيسى بن محمد بن أبي العزالدمشقي  
المتوفى سنة ٧١٢ هـ

حققه وعلق عليه وخرج إجابته وقدم له  
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي  
شعيب الأرنؤوط

الجزء الثاني

مؤسسة الرسالة

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِاللُّوحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُفِعَ».

الإيمان باللوح  
المحفوظ والقلم

ش: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ \* فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢] رَوَى الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَّحْفُوظًا مِنْ ذَرَّةٍ بَيْضَاءَ، صَفَحَاتُهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابَتُهُ نُورٌ، لِلَّهِ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سِتُونَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ لِحَظَةٍ، يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

اللُّوحُ الْمَذْكُورُ: هُوَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ فِيهِ، وَالْقَلَمُ الْمَذْكُورُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ، وَكَتَبَ بِهِ فِي اللُّوحِ الْمَذْكُورِ الْمَقَادِيرَ، كَمَا فِي «سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِرَقْمٍ (١٢٥١١) مِنْ طَرِيقِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَاثِيِّ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ - وَكِلَاهُمَا ضَعِيفٌ - عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ (١٠٦٠٥) مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَفْظُهُ: لَوَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْقَدْرِ فُوجَاتِ رَأْسِهِ، قَالُوا: وَلَمْ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَحْفُوظًا مِنْ ذَرَّةٍ بَيْضَاءَ، دَفَنَاهُ يَاقُوتَةً حُمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابَتُهُ نُورٌ، وَعَرْضُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَنْظُرُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سِتِينَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ نَظْرَةً، يَخْلُقُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ وَيَحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. وَسَنَدُهُ حَسَنٌ. وَانْظُرْ «مَجْمَعَ الزَّوَائِدِ» ١٩١/٧.

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٠٠) فِي السَّنَةِ: بَابُ فِي الْقَدْرِ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٥٥) فِي الْقَدْرِ، وَ(٣٣١٩) فِي التَّفْسِيرِ، وَاحِدٌ ٣١٧/٥، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ (٥٧٧)، وَالْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» ص ١٧٧، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» ص ٣٨٧، وَأَبُو نَعِيمٍ ٢٤٨/٥، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ ١١/٢٩، وَأَبِي يَعْلَى ق ١/١٢٦، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» ص ٣٧٨ بِلَفْظٍ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَأَمَرَهُ، فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ» وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني<sup>(١)</sup>، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في «الصحيح» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدَرُ اللَّهِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>. فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث<sup>(٣)</sup> عبادة هذا، ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم»... إلخ، إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة - وهو الصحيح - كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: «اكتب»، كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب» بنصب «أول» و«القلم»، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع «أول» و«القلم»، فيتعين حملُهُ على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب».

فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى:

(١) هو الحافظ العلامة المقرئ، شيخ الإسلام، الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل العطار، شيخ همدان المتوفى سنة (٥٦٩هـ). وصفه السمعاني بقوله: حافظ متقن، ومقرئ فاضل، حسن السيرة، مرضي الطريقة، عزيز النفس، سخي بما يملكه، مكرم للغرباء، يعرف القراءات، والحديث، والأدب معرفة حسنة سمعت منه. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٢١ / رقم الترجمة (٢).

(٢) تقدم ترجمته ص ١١٣.

(٣) في (ب): الحديث.

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> [القلم: ١، ٢].

والقلم الثاني: قَلَمُ الوحي: وهو الذي يُكْتَبُ به وحي الله إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحُكَّام على العالم. والأقلام كلها خَدَمٌ لأقلامهم، وقد رُفِعَ النبي ﷺ ليلة أُسْرِيَ به إلى مستوى يَسْمَعُ فيه<sup>(٢)</sup> صَرِيْفَ الأقلام، فهذه الأقلام هي التي تَكْتُبُ ما يُوحِيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبّر بها أَمْرُ الْعَالَمِ الْعُلُوي والسُّفْلِي.

قوله: «فَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَائِنٌ، لَيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَيَجْعَلُوهُ كَائِنًا، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ش: تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشَمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَ الْعَمَلِ الْيَوْمَ؟ أَيْمًا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ؟ أَمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»<sup>(٣)</sup>.  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ

جف القلم  
بما هو كائن إلى يوم  
القيامة

(١) واستظهر ابن كثير في تفسيره ٢/٨: أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله: «وَأَقْرَأَ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمَ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» فهو قسم منه تعالى، وتنبيهه لخلقهم على ما أنعم به عليهم من تعاليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: «وَمَا يَسْطُرُونَ»، وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني وما يكتبون، وقال أبو الضحى عن ابن عباس: «وَمَا يَسْطُرُونَ» أي: وما يعملون.

(٢) في (ب): فيه يسمع، والنص قطعة من حديث أنس المطول في الإسراء. أخرجه البخاري (٣٤٩) و(١٦٣٦) و(٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣). وصريف الأقلام: تصويتها حالة الكتابة.

(٣) رواه مسلم، وقد تقدم تخريجه ص ٣١٨ تعليق (٣).

يوماً، فقال: «يا غلامُ ألا أعلمُكَ كَلِمَاتٍ: «احفظِ اللهَ يحفظُكَ، احفظِ اللهَ تجذهُ تُجاهِلكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ لَمْ يَنفَعوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجتمعوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ، وَجُفِتِ الصُّحُفُ». رواه الترمذي<sup>(١)</sup>، وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: «احفظِ اللهَ تجذهُ أمامَكَ، تعرَّفْ إلى الله في الرخاءِ يعرفَكَ في الشَّلَّةِ، واعلمْ أنَّ ما أخطأكَ لَمْ يَكُنْ ليُصِيبَكَ، وما أصابَكَ لَمْ يَكُنْ ليُخطِئَكَ، واعلمْ أنَّ النصرَ مع الصَّبرِ، وأنَّ الفرجَ مع الكربِ، وأنَّ مع العسرِ يسراً»<sup>(٢)</sup>.

(١) هو في «سنن الترمذي» (٢٥١٦) في صفة القيامة من طريق عبدالله بن المبارك، عن الليث بن سعد وابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، عن حنشل الصنعاني، عن عبدالله بن عباس، وهذا سند قوي، وأخرجه أحمد ٢٩٣/١ من طريق ليث، عن قيس بن الحجاج به، وأخرجه أيضاً ٣٠٣/١ من طريق يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة، عن نافع بن يزيد، أن قيس بن الحجاج حدثه أن حنشاً حدثه أن ابن عباس حدثه. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٨) و(١٢٩٨٩) من طريقين عن قيس بن الحجاج، وله طرق أخرى عند الطبراني (١١٢٤٣) و(١١٤١٦) و(١١٥٦٠). وأبي نعيم في «الحلية» ٣١٤/١، و«أخبار أصبهان» ٢٠٤/٢.

(٢) هذا اللفظ أورده النووي في «الأربعين» بإثر الرواية الأولى، وقال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص ١٧٤: رواه عبد بن حميد في «مسنده» بإسناد ضعيف، عن عطاء، عن ابن عباس، وأخرجه بلفظ أتم أحمد في «المسند» ٣٠٧/١ من ثلاث طرق اثنان منها فيها انقطاع، والثالث متصل صحيح، ولفظه: «يا غلامُ أوريا غُليمُ ألا أعلمُك كَلِمَاتٍ ينفَعُكَ اللهُ بهن؟ فقلت: بلى، فقال: احفظِ اللهَ يحفظُكَ، احفظِ اللهَ تجذهُ أمامَكَ، تعرَّفْ إليه في الرخاءِ يعرفَكَ في الشَّلَّةِ، وإذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ، فاستعن باللهِ. قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفَعوكَ بشيءٍ لم يكتبه اللهُ عليك لم يقدرُوا عليه، وإن أرادوا أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم يكتبه اللهُ =

وقد جاءت «الأقلام» في هذه الأحاديث وغيرها مجموعة، فدل ذلك على أن للمقادير أقلاماً غير القلم الأول، الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ.

الأقلام أربعة

والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة، وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره:

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح.

القلم الثاني: حين خلق آدم عليه السلام، وهو قلم عام أيضاً، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد<sup>(١)</sup>، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعل بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

= عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٢٠ تعليق (١).

(٢) أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ وأما السنة، فقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يحتلم» وهو حديث صحيح، ورد من حديث عائشة وأبي قتادة الأنصاري، وعلي بن أبي طالب.



وإذا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ، فالواجب إفراده سبحانه الواجب إفراد الله بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَلِإِنِّي فَارَهِمُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿وَأِئْنِي فَاتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٤١]. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ الَّذِي وَتَقَهُ<sup>(١)</sup> فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢]. ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، ونظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة. ولا بُدَّ لكل عبد أن يتقي أشياء، فإنه لا يعيش وحده، ولو كان مَلِكاً مطاعاً، فلا بد أن يتقي أشياء يُراعي بها رعيته، فحيث لا بد لكل إنسان أن يتقي، فإن لم يتق الله، اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حُبهم كُلُّهم وبغضهم، بل الذي يريده هذا يُبغضه هذا، فلا يُمكن إرضائهم كُلُّهم، كما<sup>(٢)</sup> قال الشافعي رضي الله عنه: رَضِيَ النَّاسَ غَايَةً لَا تُدْرِكُ، فعليك بالأمر الذي يُصلِحُكَ فالزمه، ودَعْ ما سواه، فلا تُعَانِه، فإرضاء الخلق لا مقدور ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور<sup>(٣)</sup> ومأمور.

وأيضاً فالمخلوق لا يُغني عنه مِنَ اللَّهِ شيئاً، فإذا اتقى العبد ربّه،

(١) قرأ نافع في رواية الحلواني: ﴿وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ﴾ بالاختلاس، وهو الاختيار عند أهل النحو، لأن في الفعل قبل الجزم أن تقول: «يتقيه» وبالاختلاس، فلما سقطت الياء للجزم بقيت الحركة مختلصة كأول وهلة. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر: ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ ساكنة الهاء، كما في الأصل، وقالوا: إن الهاء لما اختلطت بالفعل، ثقلت الكلمة، فخففت بالإسكان، وقرأ حفص: ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ بإسكان القاف وكسر الهاء، وله حجتان، إحداهما: أنه كره الكسرة في القاف، فأسكنها تخفيفاً، والعرب تقول: هذا فيخذ وفخذ، وكبد وكبد، ويجوز أن يكون أسكن القاف والهاء، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين، وقرأ الباقر: ﴿وَيَتَّقِيهِ﴾ بكسر الهاء لمجاورة القاف المكسورة، يتبعون الهاء ياء التقوية. انظر: «حجة القراءات» ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) في (ب): فمقدور.

(٣) ليست في (ب).

كفاه مؤونة الناس، كما كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنهما، روي مرفوعاً، ورُوي موقوفاً عليها: «مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسُخْطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ، عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ دَاماً»<sup>(١)</sup>، فَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ، كفاه مؤونة الناس. وَرَضِيَ عَنْهُ، ثم فيما بعد يَرْضَوْنَ، إِذِ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى، وَيُجِبُهُ اللَّهُ، فَيُجِبُهُ النَّاسُ، كما في «الصحيحين» عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ، نَادَى: يَا جَبْرِيلُ، إِنِّي أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَاجِبْهُ، فَيَجِبُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) في آخر كتاب الزهد، وابن المبارك في «الزهد» (١٩٩) والبخاري (٤٢١٣)، من طريق عبد الوهاب بن الورد، عن رجل من أهل المدينة، قال: كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن اكتبني إلي كتاباً توصيني فيه، ولا تكثري عليّ، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك؛ أما بعد، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ التمس رضى الله بسخط الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» والسلام عليك. وهذا سند ضعيف لجهالة الرجل الذي لم يسم، لكن رواه ابن حبان (٢٧٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٤٩٩) و(٥٠٠)، وابن عساكر ١٥/٢٧٨ من طريق عثمان بن واقد، عن أبيه، عن محمد بن المنكدر، عن عروة بن الزبير مرفوعاً بلفظ: «مَنْ التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس» وسنده حسن. عثمان بن واقد: صدوق ربما وهم، وباقي رجاله ثقات، ورواه الحميدي في «مسنده» (٢٦٦) ومن طريق البيهقي في «الزهد الكبير» (٨٨١) عن سفيان، عن زكريا بن أبي زائدة، عن عباس بن فريخ، عن الشعبي قال: كتب معاوية بن أبي سفيان إلى عائشة أن اكتبني إلى بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فكتبت إليه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ يَعُودَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ دَاماً» وهذا سند رجاله ثقات.

وصححه ابن حبان (٢٧٧) أيضاً من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، عن عثمان بن عمر، عن شعبة، عن واقد بن محمد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة مرفوعاً. وهو في مسند الشهاب (٥٠١) و«الزهد الكبير» (٨٨٥) فيتقوى الحديث، ويصح، وأخرجه الترمذي (٢٤١٤) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة موقوفاً، وسنده صحيح، ورواه ابن المبارك (٢٠٠) من طريق آخر موقوفاً عليها أيضاً.

جبريل في السماء: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبُوهُ، فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>، وقال في البغض مثل ذلك.

فقد بين أنه لا بُدَّ لِكُلِّ مخلوقٍ من أن يَتَّقِيَ إما المَخْلُوقَ، وإما الخَالِقَ، وتقوى المخلوق ضررها راجع على نفعها من وجوه كثيرة، وتقوى الله هي التي يَحْصُلُ بها سعادة الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهلٌ للتقوى، وهو أيضاً أهلٌ للمغفرة، فإنه هو الذي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، لا يَقْدِرُ مخلوقٌ على أن يَغْفِرَ الذُّنُوبَ ويُجِيرَ من عذابها غَيْرُهُ، وهو الذي يُجِيرُ ولا يُجَارُ عليه. قال بَعْضُ السَّلَفِ: ما احتاجَ تَقِيٌّ قَطُّ، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فقد ضَمِنَ اللَّهُ للمتقين أن يجعلَ لهم مخرجاً مما يَضِيقُ على الناس، وأن يَرْزُقَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، فإذا لم يَحْصُلْ ذلك، دُلَّ على أن في التقوى خَلْلاً، فليستغفر الله، وَلْيَتُبْ إليه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أي: ١٤٧ فهو كافيه، لا يُحَوِّجُهُ إلى غيره.

وقد ظنَّ بَعْضُ الناس أن التوكل يُنَافِي الاكتسابَ، وتعاطي الأسباب، وأن الأمورَ إذا كانت مُقَدَّرَةً، فلا حاجةَ إلى الأسباب! وهذا فاسد<sup>(٢)</sup>، فإن الاكتسابَ: منه فَرَضٌ، ومنه مُسْتَحَبٌّ، ومنه مباح، ومنه

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) و(٦٠٤٠) و(٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) في البر والصلة: باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، ومالك ٩٥٣/٢، وأحمد ٢٦٧/٢ و٣٤١ و٤١٣ و٥٩٠ و٥١٤، والترمذي (٣١٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٤١/٧، والطبرسي (٢٤٣٦)، والبغوي (٣٤٧٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر بسط الكلام على هذه المسألة في «الفتاوى» ٥٢٦/٨ - ٥٣٩ و٦٨/٨ - ٧٣ و١٣٨ - ١٣٩ و١٧٥ - ١٧٨ و٢٧٧، و«مدارج السالكين» ٤٩٥/٣ - ٥٠١.

مكروه، ومنه حرام، كما قد عُرِفَ في موضعه. وقد كان النبي ﷺ أَفْضَلَ المتوكلين، يَلْبَسُ لَأَمَّةَ الْحَرْبِ، ويمشي في الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]. ولهذا تجد كثيراً ممن يرى أن الاكتساب يُنافي التَّوَكُّلَ يَرْزُقُونَ عَلَى يَدِ مَنْ يُعْطِيهِمْ، إما صدقةً، وإما هَدِيَّةً، وقد يكون ذلك من مَكَّاسٍ<sup>(١)</sup>، أو والي شُرْطَةٍ، أو نحو ذلك، وهذا مبسوط في موضعه، لا يَسَعُهُ هذا المختصر. وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأقوال التي في تفسير<sup>(٢)</sup> قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال البغوي: قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يَوْمَ السَّبْتِ شيئاً<sup>(٣)</sup>! قال المفسرون: من شأنه أنه يُحْيِي ويميت، ويرزق، ويُعِزُّ قوماً، ويذلُّ آخرين، ويشفي مريضاً، ويُفْكَ عانيّاً، ويُفْرِجُ مكروباً<sup>(٤)</sup>، ويُجيب داعياً، ويعطي سائلاً، وَيَغْفِرُ ذَنْباً، إلى ما لا يُحْصَى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء<sup>(٥)</sup>.

قوله: ﴿وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصَيِّهِ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ﴾. ش: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل:

(١) في «المصباح المنير» المكس: الجباية، وهو من باب ضرب، وفاعله: مكَّاس، ثم سمي المأخوذ مكساً تسميةً بالمصدر، وجمع على مكوس مثل قُلُسٍ وقُلُوسٍ، وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوانُ السلطان ظلماً عند البيع والشراء.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) تفسير البغوي ٢٧٠/٤، ونقله أيضاً عن مقاتل ابن الجوزي في «زاد المسير» ١١٤/٨.

(٤) في (ب): كريباً.

(٥) انظر ابن كثير ٤٦٩/٧ - ٤٧٠.

مَا قَضَى اللَّهُ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ وَالشُّقِيُّ الْجَهُولُ مَنْ لَامَ حَالَهُ<sup>(١)</sup>  
والقائل الآخر:  
اَقْنَعْ بِمَا تُرَزِّقُ يَا ذَا الْفَتَى فَلَيْسَ يَنْسَى رَبُّنَا نَمْلَةً  
إِنْ أَقْبَلَ الدُّهْرُ فَقُمْ قَائِمًا وَإِنْ تَوَلَّى مُذْبِرًا نَمَ لَهُ  
قوله: «وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ  
خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِصٌ، وَلَا مُعَقَّبٌ  
وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ وَلَا نَاقِصٌ، وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي  
سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ»

ش: هذا بناء على ما تقدم، من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات،  
وأنه قدّر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: «قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ  
أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(٢)</sup>  
فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته  
حكيمته البالغة، فكانت كما علم<sup>(٣)</sup>، فإن حصول المخلوقات على ما فيها  
من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها،  
قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].  
وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزلي، وقالوا: إن الله  
تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا<sup>(٤)</sup>! تعالى الله عما يقولون علواً

١٤٨

سبق علم الله  
بالكائنات قبل  
خلقها

(١) في هذا البيت من علم البديع الجناس التام بين: «لا محاله» و«لام حاله» وقد عرفوه بأنه  
ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف وعددها، وهياتها الحاصلة من الحركات والسكنات  
والترتيب مع اختلاف المعنى، وكذلك في البيتين التاليين بين: «نمله» و«نم له».  
(٢) تقدم تخريجه ص ١١٣، تعليق رقم (١).  
(٣) جملة: «فكانت كما علم» سقطت من (ب).  
(٤) «حتى يفعلوا» ساقطة من (ب).

كبيراً، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ناظروا القَدْرِيَّةَ بالعلم، فإن أقرُّوا به، خَصِّمُوا، وإن أنكروا، كفروا، فاللَّهُ تعالى يَعْلَمُ أن هذا مُسْتَطِيعٌ يَفْعَلُ ما استطاعه، فَيُثَبِّتُهُ، وهذا مُسْتَطِيعٌ لا يَفْعَلُ ما استطاعه، فَيُعَذِّبُهُ، فإنما يُعَذِّبُهُ، لأنه لا يفعل مَعَ القُدرة، وقد عَلِمَ الله ذلك منه، ومن لا يَسْتَطِيعُ لا يأمره ولا يُعَذِّبُهُ على ما لم يستطعه.

وإذا قيل: فَيَلْزَمُ أن يَكُونَ العَبْدُ قادراً على تغيير علم الله، لأن الله عَلِمَ أنه لا يفعل، فإذا قَدَرَ على الفعل، قَدَرَ على تغيير عِلْمِ الله.

قيل: هذه مَخْلَطَةٌ، وذلك أن مجرد قُدْرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يَظُنُّ مَنْ يَظُنُّ تغيير العلم إذا وَقَعَ الفِعْلُ، ولو وقع الفعل، لكان المعلوم وقوعه لا عَدَمَ وقوعه، فَيَمْتَنِعُ أن يَحْصُلَ وُقُوعُ الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع، كان الله قد عَلِمَ أنه يقع، وإن لم يقع، كان الله قد عَلِمَ أنه لا يقع، ونحن لا نعلم عِلْمُ الله إلا بما يظهر، وعِلْمُ الله مطابقٌ للواقع، فَيَمْتَنِعُ أن يقع شيء يستلزم تَغْيِيرَ العلم، بل أي شيء وقع كان هو المَعْلُومَ، والعَبْدُ الذي لم يفعل لم يأت بما يُغَيِّرُ العِلْمَ، بل هو قادر على فِعْلٍ لم يقع، ولو وقع، لكان اللُّهُ قد عَلِمَ أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمع عَدَمِ وقوعه يعلم اللُّهُ أنه لا يقع، فلو قَدَرَ العَبْدُ على وقوعه، قَدَرَ على تغيير العلم؟ قيل: ليس الأمرُ كذلك، بل العَبْدُ يقدر على وقوعه وهو لم يُوقِعْهُ، ولو أوقعه، لم يَكُنِ المَعْلُومُ إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع، لم يَكُنِ المَعْلُومُ إلا وقوعه، وهؤلاء فرضوا وُقُوعَهُ مع العلم بعدم وقوعه! وهو فرضٌ محال، وذلك بمنزلة مَنْ يقول: افرض وقوعه مع عَدَمِ وقوعه! وهو جَمْعٌ بين النقيضين.

فإن قيل: فإذا كان وقوعه مع علم الرب بعدم وقوعه محالاً لم يكن مقدوراً؟ قيل: لفظ المحال مجمل، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له، ولا لعجزه عنه، ولا لامتناعه في نفسه، بل هو ممكن مقدور مستطاع، ولكن إذا وقع، كان الله عالماً بأنه سيقع، وإذا لم يقع، كان عالماً بأنه لا يقع، فإذا فرض وقوعه مع انتفاء لازم الوقوع، صار محالاً من جهة إثبات الملزوم بدون لازمه. وكل الأشياء بهذا الاعتبار هي محال!

ومما يلزم هؤلاء: أن لا يبقى أحد قادراً على شيء، لا الرب، ١٤٩ ولا الخلق، فإن الرب إذا علم من نفسه أنه سيفعل كذا لا يلزم من علمه ذلك انتفاء قدرته على تركه، وكذلك إذا علم من نفسه أنه لا يفعله لا يلزم منه انتفاء قدرته على فعله، فكذا ما قدره من أفعال عباده. والله تعالى أعلم.

قوله: «وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].»

ش: الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر، وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها، قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ<sup>(١)</sup> وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». وقال ﷺ في آخر الحديث: «يا عمر، أتدري من السائل؟ قال: الله

(١) سقطت من (ب).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ، أَنَا كُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ». رواه مسلم<sup>(١)</sup>.  
 وقوله: «والاعتراف»<sup>(٢)</sup> بتوحيد الله وربوبيته أي: لا يَتِمُّ التوحيد  
 والاعتراف بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقاً غيرَ  
 الله، فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كُلَّ أَحَدٍ يَخْلُقُ فعله؟! ولهذا كانت  
 القَدْرِيَّةُ مُجُوسَ هذه الأمة، وأحاديثهم في «السنن».

روى أبو داود عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «القَدْرِيَّةُ مُجُوسٌ  
 هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرَضُوا، فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا، فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

أحاديث في ذم  
 القدرية

(١) برقم (٨) في الإيمان، وأخرجه أبو داود (٤٦٩٥)، وابن ماجه (٦٣)، والنسائي  
 ٩٧/٨، ١٠١، والطيالسي ص ٥، وأبو يعلى (٢٤٢)، وأحمد ٢٨/١ و ٥١ و ٥٢،  
 وابن حبان (١٦٨)، والترمذي (٢٦١٠)، والبخاري (٢)، والأجري في «الشرعة»  
 ص ١٨٨ - ١٨٩، وابن منده في «الإيمان» (١) و (٢) و (٤) و (٥) و (٦) و (٧) و (٨)  
 و (٩) و (١٠) و (١١) و (١٢) و (١٣) و (١٤) من حديث عمر رضي الله عنه،  
 وأخرج نحوه البخاري (٥٠) و (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وابن ماجه (٦٤)، والنسائي  
 ١٠١/٨ - ١٠٣، وابن أبي شيبة ٥/١١، وابن حبان (١٥٩)، وأحمد ٤٢٦/٢،  
 وابن منده (١٥) و (١٦). ورواه من حديث جرير بن عبد الله: الأجري ص ١٨٩ -  
 ١٩٠، ورواه من حديث ابن عباس، أحمد ٣١٩/١، والبزار (٢٤).

(٢) في (ب): الإقرار.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) في السنة: باب القدر، والحاكم ٨٥/١ من طريق أبي حازم  
 سلمة بن دينار، عن ابن عمر، وهو منقطع، لأن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر، ورواه  
 اللالكائي في «شرح السنة» (١١٥٠)، والأجري في «الشرعة» ص ١٩٠ من طريق  
 زكريا بن منظور، عن أبي حازم، عن نافع، عن ابن عمر... وزكريا بن منظور  
 ضعيف، وقال الدارقطني: متروك، وفي الباب عن سهل بن سعد عند اللالكائي  
 (١١٥٢)، وفي شتده يحيى بن سابق المدني، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن  
 الثقات، وقوله: «مجوس هذه الأمة»، قال ابن الأثير: قيل إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة  
 مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، ويزعمون أن الخير  
 من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، وكذا القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى  
 الإنسان والشيطان، والله تعالى خالقهما معاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان  
 إليه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما عملاً واكتساباً.



وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدُّجَالِ، وَحَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُم بِالْدُّجَالِ»<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود أيضاً عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدْرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وأحمد ٤٠٧/٥، واللالكائي (١١٥٥)، من طريق الثوري، عن عمر ابن محمد، عن عمر مولى غفرة، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة، وعمر مولى غفرة على ضعفه قد اضطرب فيه، وشيخه مجهول، فأخرجه أحمد ٨٦/٢ من طريق عمر مولى غفرة، عن ابن عمر، وعمر على ضعفه لم يلق ابن عمر، وأخرجه أحمد ١٢٥/٢ وابن أبي عاصم (٣٢٩) من طريق عمر مولى غفرة، عن نافع، عن ابن عمر، وأخرجه اللالكائي (١١٥٣) من طريق عمر مولى غفرة، عن عمر بن محمد بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر، ورواه الأجرى ص ١٩٠ من طريق أبي مصعب، عن الحكم بن سعيد السعدي، عن الجعيد بن عبد الرحمن، عن نافع، عن ابن عمر. والحكم بن سعيد، قال البخاري: منكر الحديث، وقال الأزدي: ضعيف. وأخرجه ابن ماجه (٩٢) من حديث جابر بن عبد الله، وفي سننه ثلاثة مدلسون، وقد عنعنوا.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧١٠) و (٤٧٢٠) وأحمد ٣٠/١، واللالكائي (١١٢٤)، والحاكم ٨٥/١، وفي سننه حكيم بن شريك الهذلي، وهو مجهول.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٤٩) في القدر: باب ما جاء في القدرية، وابن ماجه (٦٢) و (٧٣) في المقدمة: باب في الإيمان، وفي سننه نزار بن حيان مولى بني هاشم، وهو ضعيف، ورواه الطبراني في «الكبير» (١١٦٨٢) وفي سننه سلام بن أبي عمرة، وهو ضعيف.

لكن كلُّ أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصحُّ الموقوف منها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: القدرُ نظامُ التوحيد، فمنَّ وحد الله، وكذبَ بالقدر، نقضَ تكذيبه توحيدَه<sup>(١)</sup> وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهر من علمه بخطابه وكتابه ١٥٠ مقادير الخلائق، وقد ضلَّ في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة<sup>(٢)</sup> وغيرهم، ممن يُنكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإنَّ ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر.

وأما قدرة الله على كلِّ شيء، فهو الذي يُكذب به القدرية جملة، حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقه.

والقدر الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذي جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع: هو ما قدره الله من مقادير العباد، وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف<sup>(٣)</sup>: أخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء.

والقدر الذي هو التقدير المطابق للعلم: يتضمن أصولاً عظيمة:

تضمن القدر  
لأصول عظيمة

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح السنة» (١١١٢)، وأحمد في «السنة» (٧٦١) ص ١٤١، والأجري في «الشريعة» ص ٢١٥، وابن بطة في «الإبانة» ٢٣٤/٢ - ٢٣٥، وفيه من لم يسم، ورواه الطبراني في «الأوسط» مرفوعاً، كما في «المجمع» ١٩٧/٧، وفي سننه هانئ بن المتوكل، وهو ضعيف. قال ابن حبان في «المجروحين» ٩٧/٣: كان يدخل عليه لما تكبر، فيجيب، فكثير المناكير في روايته، فلا يجوز الاحتجاج به بحال.

(٢) في الأصول: «الفلاسفة» بلا واو.

(٣) أي: مستأنف، لم يتقدم فيه قدر ولا مشيئة، يقال: روضته أنف: إذا لم ترع، وأنف الشيء: أوله.

أَحَدَهَا: أنه عالمٌ بالأمور المقدَّرة قَبْلَ كونها، فثبتَ عِلْمُهُ القَدِيمُ، وفي ذلك الرُّدُّ على مَنْ يُنْكِرُ عِلْمَهُ الْقَدِيمَ.

الثاني: أن التقديرَ يتضمَّنُ مقاديرَ المخلوقات، ومقاديرُها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإنَّ الله قد جعل لكلِّ شيءٍ قَدْرًا، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. فالخلق يتضمَّنُ التقديرَ: تقديرَ الشيء في نفسه، بأن يُجعل له قَدْرٌ، وتقديره قَبْلَ وجوده، فإذا كان قد كتب لكلِّ مخلوق قَدْرَه الذي يَخُصُّه في كَمِّيَّتِهِ وكيفيته، كان ذلك أبلغَ في العلم بالأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقال: إنه يَعْلَمُ الكُلِّيَّاتِ دُونَ الجزئياتِ! فالقَدْرُ يتضمَّنُ العلمَ القديم، والعِلْمُ بالجزئيات.

الثالث: أنه يتضمَّنُ أنه أخبر بذلك وأظهره قَبْلَ وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً، فيقتضي أنه يُمكنُ أن يعلم العبادُ الأمور قبل وجودها علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريقِ التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه إذا كان يعلم عبادَه بذلك<sup>(١)</sup>، فكيف لا يعلمه هو؟!.

الرابع: أنه يتضمَّنُ أنه مختارٌ لما يفعلُه، مُحدِّثٌ له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته.

الخامس: أنه يَدُلُّ على حدوث<sup>(٢)</sup> هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يُقدَّرُه، ثم يَخْلُقُه.

(١) سقطت من (ب).

(٢) سقطت من (ب).

قوله: «فَوَيْلٌ لِلْمَنِ ضَاعَ لَهُ فِي الْقَدْرِ قَلْبًا سَقِيمًا - وفي نسخة: فَوَيْلٌ لِلْمَنِ صَارَ قَلْبُهُ فِي الْقَدْرِ قَلْبًا سَقِيمًا - لَقَدْ التَّمَسَّ بِوَهْمِهِ فِي فَخْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفْكَأُ إِيْمًا».

حيلة القلب  
ومرضه وشفائه

ش: القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، قال تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» [الأنعام: ١٢٢]. أي: كان ميتاً بالكفر، فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحي إذا عُرِضَ عليه الباطل والقبايح، نَفَرَ منها بطبعه، وأبغضها، ولم يَلْتَفِتْ إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يُفَرِّقُ بين الحسن والقبيح، كما قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: هَلَكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ يَعْرِفُ بِهِ الْمَعْرُوفَ وَالْمَنْكَرَ<sup>(١)</sup>.

١٥١

وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لِيُضَعِفَ يَجِيلُ إِلَى مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَرَضِ وَضَعْفِهِ.

وَمَرَضُ الْقَلْبِ نَوْعَانِ، كَمَا تَقْدَمُ: مَرَضُ شَهْوَةٍ، وَمَرَضُ شَبْهَةٍ، وَأَرَدَوُهُمَا مَرَضُ الشَّبْهَةِ، وَأَرَادُوا الشَّبْهَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْقَدْرِ. وَقَدْ يَمْرَضُ الْقَلْبُ، وَيُسْتَدُّ مَرَضُهُ، وَلَا يَعْرِفُ بِهِ صَاحِبُهُ، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة صحته وأسبابها، بل قد يَمُوتُ وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لَا تُؤْلَمُ جِرَاحَاتُ الْقَبَاحِ، وَلَا يُوجَعُ جَهْلُهُ بِالْحَقِّ وَعَقَائِدُهُ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٥٦٤) من طريق سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء عتريس بن عرقوب الشيباني إلى عبدالله، فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال: بل هلك من لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر. وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٧٥/٧: ورجاله رجال الصحيح.

الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة، تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته و:

..... ما لجرح يميت لإسلام<sup>(١)</sup>

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب شيء على النفس، وليس له أنفع منه.

وتارة يوطن نفسه على الصبر، ثم يتفسيخ عزمه، ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صبر عليه، انقضى الخوف، وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر، وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعفت صبره و يقينه، رجع من الطريق، ولم يتحمل مشقتها، ولا سيما إن عديم الرفيق، واستوحش من الوحدة، وجعل يقول: أين ذهب الناس، فلي أسوة بهم! وهذه حال أكثر الخلق، وهي التي أهلكتهم. فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقدته، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(١) عجز بيت للمتنبى، وصدره:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد المري الخراساني، مطلعها:

لا افتخار إلا لمن لا يضام      مُذْرِكٌ أو مُحَارِبٌ لا ينام

وقبل البيت المستشهد به:

ذَلْ مَنْ يَغِيظُ الذَّلِيلَ بِعَيْشٍ      رَبُّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْجَمَامُ

كُلُّ جَلَمٍ أَنَّى بَغِيرِ اقْتِدَارٍ      حُجَّةٌ لَأَحْيَءِ إِلَيْهَا اللُّنَامُ

انظر «الديوان» بشرح العكبري ٩٢/٤ - ١٠١.

وما أَحْسَنَ ما قال أبو محمد عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ المعروف بابي شامة<sup>(١)</sup> في كتاب «الحوادث والبدع»: «حيث جاء الأمرُ بلزوم الجماعة، فالمرادُ لزومُ الحقِّ واتباعه، وإن كان المُتَمَسِّكُ به قليلاً، والمُخَالَفُ له كثيراً، لأن الحقَّ هو الذي كانت عليه الجَماعَةُ الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظير<sup>(٢)</sup> إلى كثرة أهل الباطل بعدهم» وعن الحسن البصري<sup>(٣)</sup> رحمه الله أنه قال: «السُّنة — والذي لا إله إلا هو — بينَ الغالي والجافي، فاصبروا عليها رَجِمَكُمُ الله، فإن أهل السنة كانوا أَقْلُ الناسِ فيما مَضَى، وَهُمْ أَقْلُ الناسِ فيما بَقِيَ، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف<sup>(٤)</sup> في إترافهم، ولا مَعَ أهل البدع في بَدْعِهِمْ، وَصَبَرُوا على سُنَّتِهِمْ حتى لَقُورِيتِهِمْ، فكَذلِكَ، فَكُونُوا». ١٥٢

وعلامَةُ مرضِ القلبِ عُذُولُهُ عن الأَغْذيةِ النافعةِ المُوَافَقَةِ له إلى الأَغْذيةِ الضارةِ، وَعُدُولُهُ عن دوائِهِ النافعِ إلى دَوَائِهِ الضارِ.

فهاهنا أربعة أشياء: غذاءٌ نافع، ودواءٌ شافٍ، وغذاءٌ ضار، ودواءٌ مُهلك.

- 
- (١) هو الحافظ العلامة المجتهد المتقن، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي صاحب كتاب «الروضتين» و«البدع والحوادث»، كان مع براعته في العلوم متواضعاً، تاركاً للتكلف، كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة: دخل عليه اثنان في صورة مستنئين، فضرباه، فمات منها، وذلك سنة (٦٦٥) هـ. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٤٦٠.
- (٢) في (د): ننظر، وهي كذلك في مطبوعة مكة، وفي «إغاثة اللهفان» ٦٩/١: ولانظر.
- (٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولاهم، وصفه محمد بن سعد في «الطبقات» بقوله: كان الحسن رحمه الله جامعاً، عالماً، وفيماً، فقيهاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً، وما أرسله فليس بحجة، توفي سنة ١١٠ هـ. له ترجمة حافلة في «السير» ٤/ رقم الترجمة (٢٢٣).
- (٤) في (ب): الإسراف، وهو خطأ.

فَالْقَلْبُ الصَّحِيحُ يُوَثِّرُ النَّافِعَ الشَّافِيَ عَلَى الضَّارِّ الْمُؤْذِي، وَالْقَلْبُ  
المريض بضد ذلك.

انفع الأغذية  
الإيمان، وانفع  
الأدوية القرآن

وَأَنْفَعُ الْأَغذية غِذاءُ الْإِيمَانِ، وَأَنْفَعُ الْأَدوية دواءُ الْقُرْآنِ، وَكُلُّ  
منهما فيه الغِذاء والدواء<sup>(١)</sup>، فَمَنْ طَلَبَ الشُّفَاءَ فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسَّنةِ،  
فَهُوَ مِنْ أَجْهَلِ الْجَاهِلِينَ، وَأَضَلُّ الضَّالِّينَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ  
هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ  
عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. وَقَالَ تَعَالَى:  
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا  
خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]. وَ«مِنْ» فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ الْقُرْآنِ﴾ لِبَيَانِ الْجِنْسِ،  
لَا لِلتَّبْعِيضِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُنَاقِهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

فَالْقُرْآنُ هُوَ الشُّفَاءُ التَّامُّ مِنْ جَمِيعِ الْأَدْوَاءِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، وَأَدْوَاءُ  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يُؤْهِلُ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِهِ. وَإِذَا أَحْسَنَ الْعَلِيلُ  
التَّدَاوِيَّ بِهِ، وَوَضَعَهُ عَلَى دَائِهِ بِصِدْقٍ وَإِيمَانٍ، وَقَبُولٍ تَامٍّ، وَاعْتِقَادٍ  
جَازِمٍ، وَاسْتِيفَاءٍ شَرْوِطِهِ، لَمْ يَقَاوِمِ الدَّاءُ أَبَدًا، وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءَ كَلَامَ  
رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَوْ عَلَى  
الْأَرْضِ لَقَطَّعَهَا! فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إِلَّا وَفِي  
الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدَّلَالَةِ عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ وَالْجَمِيَّةِ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمًّا فِي  
كِتَابِهِ.

وقوله: «لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًّا كتيماً» أي: طلب  
بوهمه في البحث عن الغيب سرًّا مكتوماً، إذ القدر سرُّ الله في خلقه،

(١) انظر «إغاثة اللهفان» ٦٨/١ - ٧٠.

فهو يرومُ بيحْثه الاطلاعُ على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ  
فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، إلى آخر السورة.  
وقوله: «وعاد بما قال فيه» أي: في القدر: «أفأكأ»: كذاباً. «أثيماً»  
أي: ماثوماً.

قوله: «والعرشُ والكُرسيُّ حقٌّ».

العرش والكُرسي

ش: كما بينَ تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾  
[البروج: ١٥]. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] ﴿الرحمن  
على العرش استوى﴾ [طه: ٥]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾  
[الأعراف: ٥٤]، في غير ما آيةٍ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾  
[النمل: ٢٦]. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ  
وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾  
[الحاقة: ١٧]. ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ  
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

١٥٣

وفي دعاء الكَرْبِ المروي في «الصحيح»: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ  
الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ  
وَرَبُّ (١) الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» (٢).

(١) سقطت من (ب).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٥) و (٦٣٤٦) و (٧٤٢٦) و (٧٤٣١)، ومسلم (٢٧٣٠)  
والترمذي (٣٤٥٣)، وأحمد ٢٢٨/١ و ٢٤٥ و ٢٥٩ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٣٣٩  
و ٣٥٦، وابن أبي شيبة ١٩٦/١٠، وابن ماجه (٣٨٨٣)، والبخاري  
في «الأدب المفرد» (٧٠٠) و (٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٥٠) و (١٠٧٧٢) من  
حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي الباب عن علي رضي الله عنه في «عمل اليوم  
والليلة» لابن السني رقم (٣٤٣).



وروى الإمام أحمد في حديث الأَوْعَالِ عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَلْ تَذَرُونَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ<sup>(١)</sup> خَمْسَ مِثَّةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسَ مِثَّةِ سَنَةٍ، وَكَثُفَ<sup>(٢)</sup> كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسَ مِثَّةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرَيْنِ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ فَوْقَ ذَلِكَ، لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ»<sup>(٣)</sup>. ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

وروى أبو داود وغيره بسنده إلى رسول الله ﷺ، من حديث الأُطَيْطِ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ كَهَذَا»<sup>(٤)</sup> وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ، مِثْلَ الْقَبَّةِ الْحَدِيثِ<sup>(٥)</sup>.

(١) سقطت من (ب).

(٢) بكسر الكاف وفتح الاء المثناة، بوزن غَلَطَ، ومعناه.

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٦/١، ٢٠٧، وأبو داود (٤٧٢٣) في السنة: باب في الجهمية، والترمذي (٣٣٢٠) في التفسير: باب ومن سورة الحاقة، وابن ماجه (١٩٣) في المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، وعثمان الدارمي ص ٩٠، ٩١، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٣٩٩، والحاكم في «المستدرک» ٥٠٠/٢ - ٥٠١ من حديث عبدالله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن المطلب. وعبدالله بن عميرة، مجهول لم يوثقه غير ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل، وقال البخاري: لا يعلم له سماع من الأحنف، وقال ابن العربي في «عارضته»: إن خبر الأوعال متلف من الإسرائيليات.

(٤) كذا الأصل، وفي «سنن أبي داود»: لهكذا.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٠٣ - ١٠٤، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢٤، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤١٧ - ٤١٨، والطبراني (١٥٤٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٢)، وابن أبي عاصم (٥٧٥) و(٥٧٦)، والأجري في «الشریعة» ص ٢٩٣ من طريق ابن إسحاق، عن يعقوب بن =

وفي «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup> فسلوه الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ<sup>(٣)</sup>. يروى: «وَفَوْقَهُ» بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء، أي: وسقفه.

وذهب طائفةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ الْعَرْشَ فَلَكٌ<sup>(٤)</sup> مُسْتَدِيرٌ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَرَبَّمَا سَمَوُهُ: الْفَلَكَ الْأَطْلَسَ، وَالْفَلَكَ الْتَاسِعَ. وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الشَّرْعِ أَنَّ لَهُ قَوَائِمَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، كَمَا قَالَ ﷺ: «فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقُ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ»<sup>(٥)</sup>.

والعرش في اللغة: عِبَارَةٌ عَنِ السَّرِيرِ الَّذِي لِلْمَلِكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ بَلْقِيسَ: «وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» [النمل: ٢٣]. وَلَيْسَ هُوَ فَلَكَاً، وَلَا تَفْهَمُ مِنْهُ الْعَرَبُ ذَلِكَ، وَالْقُرْآنُ، إِنَّمَا نَزَلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، فَهُوَ سَرِيرٌ ذُو قَوَائِمٍ<sup>(٦)</sup> تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُوَ كَالْقُبَّةِ عَلَى الْعَالَمِ، وَهُوَ سَقْفُ

---

= عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده، وهذا سند ضعيف لعنعة ابن إسحاق، ولجهالة جبير بن محمد، فإنه لم يوثقه غير ابن حبان، وللحافظ ابن عساكر جزء سماه: «بيان وجوه التخليط في حديث الأبيط».

- (١) لم ترد هذه اللفظة عند البخاري.
- (٢) كذا في الأصول، ولفظ البخاري: «فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة».
- (٣) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٧٤٢٣)، وأحمد ٣٣٥/٢ من حديث أبي هريرة.
- (٤) سقطت من (ب).
- (٥) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في الصفحة ١٥٩.
- (٦) في (ب): قائم.

المخلوقات، فَمِنْ شِعْرِ أُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ<sup>(١)</sup>:

مَجْدُوا اللَّهَ فَهَوَ لِلْمَجْدِ أَهْلُ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا  
بِالْبَنَاءِ الْعَالِي الَّذِي بَهَرَ النَّاسَ سَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا ١٥٤  
شَرَجَعًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ مِنْ تَرَى حَوْلَهُ الْمَلَائِكُ صُورًا<sup>(٢)</sup>

الصُّور هنا: جمع أَصَوْر: وهو المائلُ العُتْقِي لِنظره إلى العلو.  
والشَّرَجْعُ: هو العالي المنيف، والسَرِيرُ: هو العرش في اللغة.

وَمِنْ شِعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي عَرَّضَ بِهِ عَنْ  
القراءة لامراته حين اتهمته بجاريته:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَشْوَى الْكَافِرِينَ  
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ شِدَادٍ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ

(١) هو أُمِّيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ أَبِي رَيْبَعَةَ بْنِ عَوْفِ الثَّقَفِيِّ، شاعر جاهلي، حكيم من أهل الطائف. قال ابن سلام في طبقاته: ومن شعراء الطائف أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ، وهو أشعرهم، وكان كثيرَ العجائب، يذكر في شعره خلق السماوات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب، وقال ابن قتيبة: وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء، ويأتي بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب، يأخذها من الكتب المتقدمة، ويأخذ من أحاديث أهل الكتاب، ثم سرد شيئاً منها، ثم قال: وهذه أشياء منكورة، وعلمائنا لا يرون شعره حجة في اللغة. ولما بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصته، كفر حسداً له، ولما أنشد رسول الله شعره، قال: آمن لسانه، وكفر قلبه. انظر «الشعر والشعراء» ص ٤٥٩، طبع دار المعارف، تحقيق أحمد محمد شاكر و«الأغاني» ١٢٠/٤ - ١٣٣، و«طبقات فحول الشعراء» ٢٦٢/١ - ٢٦٧، وصحيح مسلم (٢٢٥٥)، و«تهذيب ابن عساكر» ١١٨/٣ - ١٣١، و«خزانة الأدب» ١١٩/١ - ١٢٢.

(٢) ديوان أُمِّيَّةُ ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش: إن ما بين أذنيه<sup>(٢)</sup> إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام»<sup>(٣)</sup>. ورواه ابن أبي حاتم، ولفظه: «مخفق الطير سبع مئة عام».

وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ» [الحاقة: ١٧]. وقوله: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» [هود: ٧]. أيقول: وَيَحْمِلُ مُلْكُهُ يومئذ ثمانية ١٩ وكان مُلْكُهُ على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم الملك ١٩ هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول ١٩

وأما الكرسي، فقال تعالى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» [البقرة: ٢٥٥].

وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، نُقِلَ ذلك عن ابن

(١) قال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة عبدالله بن راحة في «الاستيعاب» ٢/٢٨٧: وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة رويناها من وجوه صحاح، إلا أن الذهبي تعقبه في «العلو» ص ١٠٦ بقوله: روي من وجوه مرسله، ثم ذكرها. والأبيات في «الرد على الجهمية» ص ٢٧، و«أمالى اليزيدي» ١٠٢، و«جمع الجواهر» ص ٣١ للقيرواني، و«سير أعلام النبلاء» ١/٢٣٨، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ص ٣٤٠ و٣٤٢، و«تهذيبه» ٣٩٥/٧.

(٢) كذا في الأصول، ولفظ أبي داود: «ما بين شحمة أذنه».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، والخطيب في «تاريخه» ١٠/١٩٥، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٣٩٨ من حديث جابر بن عبدالله، وإسناده صحيح.

عباس رضي الله عنهما وغيره، روى ابن أبي شيبة<sup>(١)</sup> في كتاب «صفة العرش»، والحاكم في «مستدركه»، وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، عن سعيد بن جبير<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أنه قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ إلا الله تعالى<sup>(٣)</sup>. وقد روي مرفوعاً<sup>(٤)</sup>، والصواب أنه موقف على ابن عباس.

(١) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن القاضي أبي شيبة، إبراهيم بن عثمان بن خُوشْتِي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، العسبي مولا، الكوفي، صاحب «المسند» و«المصنف»، و«التفسير»، توفي سنة (٢٣٥هـ). مترجم في «السير» ١١/ (٤٤).

(٢) هو الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولا، الكوفي، أحد الأعلام، توفي رحمه الله سنة (٩٥هـ). له ترجمة حافلة في «السير» ٤/ رقم الترجمة (١١٦).

(٣) هو في «صفة العرش» ورقة ١١٤، و«المستدرک» ٢٨٢/٢ من طريق أبي عاصم الضحاك بن غلدة، حدثنا سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وأخرجه الطبري (٥٧٩٢)، والطبراني (١٢٤٠٤)، والدارقطني في «أحاديث النزول» ص ٤٩ من طريق عن أبي عاصم به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٢٣/٦ عن الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٤) وهم في رفعه شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوي وهو ثقة من رجال «التهذيب». فقد قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٥٧/١ بعد أن أورده من طريق شجاع بن مخلد: أخبرنا أبو عاصم عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن قول الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ﴾ قال: كرسية موضع قدميه... كذا. أورده هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس فذكره، وهو غلط، وقد رواه وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الكرسي موضع القدمين... وأورده من طريق شجاع بن مخلد ابن منده في «الرد على الجهمية» ص ٤٤ - ٤٥، وقال: هكذا رواه شجاع بن مخلد في التفسير مرفوعاً عن النبي ﷺ، وقال إسحاق بن سيار في حديثه، عن أبي عاصم من =

وقال السدي: السماوات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش<sup>(١)</sup>.

وقال ابن جرير: قال أبوذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أَلْقَيْتَ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>.

= قول ابن عباس، وكذلك رواه أصحاب الثوري عنه، وكذلك روي عن عمار الدهني موقوفاً، ورواه أبو بكر الهذلي وغيره عن سعيد بن جبير من قوله. وقال الدارقطني في «كتاب النزول» ص ٤٩ بعد أن رواه من طريق أحمد بن منصور الرمادي، عن أبي عاصم: رفعه شجاع إلى النبي ﷺ، ولم يرفعه الرمادي.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٧٩٠) عن موسى بن هارون، عن عمرو بن حماد القناد، عن أسباط بن نصر الهمداني — وهو كثير الخطأ — عنه وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١٨/٢، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥٧٩٤) من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أَلْقَيْتَ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»، وهذا سند ضعيف جداً، ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، ضعفه علي بن المديني جداً، وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه، لسوء حفظه، وهو رجل صناعته العبادة والتقشف، ليس من أحلاس الحديث، وأبو زيد لم يسمع من أبي ذر، وقد وهم الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيحته (١٠٩)، فظن ابن زيد عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الثقة.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٠٤ — ٤٠٥ من طريق الحسن بن عرفة العبدي، عن يحيى بن سعيد السعدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير الليثي، عن أبي ذر، ويحيى بن سعيد السعدي قال =

وقيل: كُرْسِيَّةُ عِلْمُهُ، وَيُنْسَبُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، والمَحْفُوظُ عَنْهُ ما رواه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، كما تقدم، وَمَنْ قال غَيْرَ ذَلِكَ، فليس له ذَلِيلٌ إِلَّا مُجَرَّدُ الظنِّ، والظاهر أَنَّهُ مِنْ جِرَابِ الكلامِ المذمومِ، كما قيل في العرش. وإنما هو كما قال غَيْرُ واحدٍ من السلف: بين يدي العرش كالمِرْقاةِ إِلَيْهِ.

---

= العقيلي في «الضعفاء» ٤/٤٠٤: لا يتابع على حديثه، وقال ابن حبان في «المجروحين» ١٢٩/٣: يروي المقلوبات والممزقات لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وابن جريج مدلس وقد عنعن.

ثم أخرجه من طريق الحسن بن سفيان بن عامر، عن إبراهيم بن هشام بن يحيى بن يحيى الغساني، حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر. . وهذا سند تالف، إبراهيم بن هشام بن يحيى، كذبه أبو حاتم، وأبو زرعة، كما في «الميزان» ١/٧٢ - ٧٣.

وأخرجه من طريق آخر عن أبي ذر محمد بن أبي شيبة في كتاب «العرش» ورقة ١/١١٤ وفي سنده ضعيف ومجهول، ورواه ابن مردويه، كما في ابن كثير من طريق آخر أيضاً، وفيه مجهول وضعيفان.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٧٨٧) و(٥٧٨٨) من طريقين، عن مطرف، عن جعفر ابن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: ﴿وسع كرسيه﴾ قال: كرسية علمه، وقد تقدم في الصفحة (٣٦٩) ما روي عن ابن عباس في تفسير الكرسي بأنه موضع القدمين، وهو أصح إسناداً. ويراجع ما تعقب به الأستاذ محمود شاكر على الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه لرواية تفسير الكرسي بالعلم، وذلك في كتاب التفسير ١/٤٠١-٤٠٢.

كما يراجع في ترجيح رواية أن الكرسي موضع القدمين: الأسماء والصفات للبيهقي: ٣٥٤، الرد على الجهمية لابن مندة: ٤٤-٤٦، ميزان الاعتدال للذهبي ١/٤١٧. ففيها من كلام أهل العلم واللغة ما يرجح ويؤيد رواية أن الكرسي موضع القدمين على رواية أنه العلم، والله أعلم.

قوله: «وَهُوَ مُسْتَتَفٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ».

ش: أما قوله: «وَهُوَ مُسْتَتَفٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ» فقال تعالى: اللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿آل عمران: ٩٧﴾. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دُونَ العرش، لِيُبَيِّنَ أن خلقه للعرش واستواءه عليه ليس لحاجته إليه، بَلْ لَهُ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ اقْتَضَتْهُ، وَكَوْنَ الْعَالِيِ فَوْقَ السَّافِلِ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ السَّافِلُ حَاطِئًا لِلْعَالِيِ، مُحِيطًا بِهِ، حَامِلًا لَهُ وَلَا<sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ الْأَعْلَى مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ. فَاَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ، كَيْفَ هِيَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَلَيْسَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَيْهَا؟ فَالرَّبُّ تَعَالَى أَعْظَمُ شَأْنًا، وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَلْزَمَ مِنْ عُلُوِّهِ ذَلِكَ، بَلْ لَوَازِمُ عُلُوِّهِ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَهِيَ حَمْلُهُ بِقُدْرَتِهِ لِلْسَّافِلِ، وَفَقْرُ السَّافِلِ، وَغَنَاهُ هُوَ سُبْحَانَهُ عَنِ السَّافِلِ، وَإِحَاطَتُهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، فَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعَ حَمْلِهِ بِقُدْرَتِهِ<sup>(٢)</sup> لِلْعَرْشِ وَحَمَلَتِهِ، وَغَنَاهُ عَنِ الْعَرْشِ، وَفَقْرُ الْعَرْشِ إِلَيْهِ، وَإِحَاطَتُهُ بِالْعَرْشِ، وَعَدَمُ إِحَاطَةِ الْعَرْشِ بِهِ، وَحَصْرُهُ لِلْعَرْشِ، وَعَدَمُ حَصْرِ الْعَرْشِ لَهُ، وَهَذِهِ اللَّوَاظِمُ مُتَنَفِيَةٌ عَنِ الْمَخْلُوقِ.

وَنَفَاةُ الْعُلُوِّ أَهْلُ التَّعْطِيلِ<sup>(٣)</sup> لَوْ فَصَّلُوا هَذَا التَّفْصِيلَ، لَهُدُّوا إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَعَلِمُوا مِطَابَقَةَ الْعَقْلِ لِلتَّنْزِيلِ، وَلَسَلَكُوا خَلْفَ الدَّلِيلِ، وَلَكِنْ فَارَقُوا الدَّلِيلَ، فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

١٥٥  
الله سبحانه مستغن  
عن العرش محيط  
بكل شيء وفوقه

(١) في (أ) و (ب) ر (د) لا، والمثبت من (ج) ومطبوعة مكة.

(٢) في (ب): وقدرته، وليس بشيء.

(٣) في (ب): العلو، وهو خطأ.



العرش ﴿[الأعراف: ٥٣]: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول. ويروى هذا الجواب عن أم سلمة<sup>(١)</sup> رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله: «محيط بكل شيء وفوقه» وفي بعض النسخ: «محيط بكل شيء فوقه». بغير واوٍ من قوله: «فوقه». والنسخة الأولى هي الصحيحة، ومعناها: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء. ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذا — والله أعلم — إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهواً، ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة، أو أن بعض المحرّفين الضالين أسقطها قصداً للفساد، وإنكاراً لصفة الفوقية، وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات، وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقى لقوله: محيط بكل شيء فوق العرش — والحالة هذه — معنى؛ إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحاط به؛ فتعين ثبوت الواو. ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء.

(١) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن غزوم بن يقظة بن مرة المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجل النساء وأشرفهن نسباً، وأرجحن عقلاً، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين سنة تسع وخمسين هجرية، مترجمة في «سير أعلام النبلاء» ٢٠٢/٢ — ٢١٠.

(٢) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٣٦٥/٥: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. قلت: وأخرجه من قول أم سلمة اللالكائي في «شرح السنة» ٣٩٧/٣، وفي سنده محمد بن أشرس السلمي، وهو متهم في الحديث، تركه غير واحد، وقول مالك أورده اللالكائي ٣٩٨/٣، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٠٨، وابن حجر في «الفتح» ٤٠٦/١٣، وجود ابن حجر أحد أسانيده.

أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠] ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].  
 ١٥٦ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ [النساء: ١٢٦]. وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ إِحَاطَتِهِ بِخَلْقِهِ أَنَّهُ كَالْفَلَكَ، وَأَنَّ المخلوقات داخلُ ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد: إحاطة عظيمة وسعة وعِلْمٌ وقُدرةٌ، وأنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السماوات السبع، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم.

ومن المعلوم — ولله المثل الأعلى — أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مُبَينٌ لها، عالٍ عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يُحِيطُ بعظمته وَصِفُ واصِفٍ، فلو شاء لَقَبَضَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الْيَوْمَ، وفعل بها كما يَقْعُلُ بها يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فإنه لا يتجدد له إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يَسْتَبْعِدُ الْعَقْلُ مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته؟ أو يُدْنِي إليه مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ؟ فمن نفى ذلك، لم يَقْدِرْهُ حَقُّ قدره، وفي حديث أبي رَزِينٍ المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ في رؤية الرب تعالى: فقال له أبو رزين<sup>(١)</sup>: كيف يسعنا — يا رسول الله — وهو واحد

(١) العقيلي: له صحبة من رسول الله ﷺ، وعداده في أهل الطائف، وهو لقيط بن عامر بن صبرة بن عبدالله بن المنتفق، ويقال: لقيط بن صبرة هكذا ذكره البخاري، وابن أبي حاتم وغيرهما، وقيل: هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة، وتناقض فيه الحافظ المزني، فجزم في «تحفة الأشراف» ٣٣١/٨ — ٣٣٢ بأنها اثنان، وفي =

ونحن جميع؟ فقال: «سَأُنَبِّئُكَ بِمَثَلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللَّهِ: هَذَا الْقَمَرُ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، كُلُّكُمْ يَرَاهُ مُخْلِياً بِهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>، وإذ قد تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فهذا يُزِيلُ كُلَّ إِشْكَالٍ، وَيُطِلُّ كُلَّ خِيَالٍ.

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقال ﷺ في حديث الأوعال المتقدم: «والعرشُ فوقَ ذلك، واللَّهُ فوقَ ذلك كُلِّهِ»<sup>(٢)</sup>. وقد أنشد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه شِعْرَهُ المذكورَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وأقره على ما قال، وَضَحِكَ مِنْهُ<sup>(٣)</sup>. وكذا أنشده حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله تعالى عنه قوله:

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا      رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عُلٍّ  
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا      لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ  
وَأَنَّ الَّذِي عَادَى الْيَهُودَ ابْنَ مَرْيَمَ      رَسُولُ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلٌ

= «تهذيب الكمال» ورقة ٥٧٦ بأنها واحد، ورجح الحافظ في «الإصابة» ٣/٣١١ أنها اثنان، ودلل عليه بأن لقيط بن عامر معروف بكنيته، ولقيط بن صَبْرَةَ لم يذكر كنيته إلا ما شذ به ابن شاهين، فقال: أبو رزین العقيلي أيضاً، والرواة عن أبي رزین جماعة، ولقيط بن صبرة لا يعرف له راوٍ إلا ابنه عاصم، وإنما قوى كونها واحداً عند من جزم به، لأنه وقع في صفة كل واحد منهما أنه وافد بني المنتفق، وليس بواضح، لأنه يحتمل أن يكون كل منهما رأساً.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣١) في السنة: باب في الرؤية، وابن ماجه (١٨٠) في المقدمة، وأحمد ١١/٤ و ١٢، والطيالسي (١٠٩٤) وإسناده ضعيف، لجهالة وكيع بن عدس أو حدس أحد رواه.

(٢) ضعيف، وقد تقدم تخريجه ص ٣٦٥.

(٣) تقدم أنها رويت من وجوه مرسله.

وَأَنَّ أَخَا الْأَخْقَافِ إِذْ قَامَ فِيهِمْ يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ<sup>(١)</sup> وَيَعْدِلُ<sup>(٢)</sup>  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أَشْهَدُ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لَمَّا  
قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي  
سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(٤)</sup> وفي رواية: «تَغْلِبُ غَضَبِي» رواه البخاري وغيره.

وروى ابن ماجه عن جابر<sup>(٥)</sup> يرفعه، قال: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي  
نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلُّ جَلَالِهِ  
قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ  
قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ،  
وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ مَا داموا يَنْظُرُونَ  
إِلَيْهِ»<sup>(٦)</sup>.

وروى مسلم عن النبي ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ

(١) في (ج): يقوم بذات الله فيهم... وهي في (ب) نسخة، أما (أ) فقد ذكر  
الروايتين، وقال عن الأولى: صح.

(٢) ديوان حسان ص ٤٠٣.

(٣) أورده مع الأبيات المزي في «تهذيب الكمال» ٢١/٦، والذهبي في «سير أعلام النبلاء»  
٥١٨/٢ - ٥١٩، وأبو الفرج في «الأغانى» ١٥١/٤ - ١٥٢، وهو مرسل كما قال  
الذهبي، وأبو يحيى: هو زكريا عليه السلام، وأخو الأحقاف: هو هود عليه السلام.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٩٤) و(٧٤٠٤) و(٧٤٢٢) و(٧٤٥٣) و(٧٥٥٣) و(٧٥٥٤)، ومسلم  
(٢٧٥١) وابن ماجه (٤٢٩٥)، وأحمد ٢٤٢/٢ و٢٥٨ و٢٦٠ و٢٩٣ و٣٥١ و٣٨١ و٣٩٧  
و٤٣٣ و٤٦٦، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٠١/١٠، وأبو نعيم في «أخبار  
أصبهان» ٣٤٠/٢، والبيهقي في «شرح السنة» (٤١٧٧) و(٤١٧٨).

(٥) عن جابر: ساقط من (ب).

(٦) ضعيف، وقد تقدم تخريجه ص ١٧٧.

وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴿[الحديد: ٣] بقوله: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

والمراد بالظهور هنا: العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا<sup>(٢)</sup> أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، أي يَعْلُوهُ.

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لازلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

وروى أبو داود عن جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، جَهَدَتِ الْأَنْفُسُ، وَنَهَكَتِ الْأَمْوَالُ، أَوْهَلَكْتُ، فَاسْتَشَقُّ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟! وَسَبِّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيُطُّ بِهَ أَطْلِيطُ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ بِالرَّائِبِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) تقدم تخريجه ص ٧٥.

(٢) في (ب) و (د): «استطاعوا» وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها غير الأعمش، فقد جاء في «حجة القراءات» ص ٤٣٥: «قرأ حمزة: (فَمَا اسْطَاعُوا) بتشديد الطاء، أراد: فَمَا اسْتَطَاعُوا، فَادْغَمَ التَّاءَ فِي الطَّاءِ، لِأَنَّهَا اخْتَانَتْ، وَحِجَّتْ قِرَاءَةُ الْأَعْمَشِ: «فَمَا اسْتَطَاعُوا» بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «فَمَا اسْطَاعُوا» بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ، وَالْأَصْلُ: «فَمَا اسْتَطَاعُوا» فَحَذَفُوا التَّاءَ كِرَاهَةً لِلْإِدْغَامِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ حَرْفَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ الْمَخْرَجِ.

(٣) ضعيف، وقد تقدم تخريجه ص ٣٦٥.

وفي قصة سعد بن معاذ يوم بني قريظة، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»<sup>(١)</sup>. وهو حديث صحيح، أخرجه الأُموي<sup>(٢)</sup> في «مغازيه»، وأصله في «الصحيحين».

وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها: «أُنْهِيَ كَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُولُ: زَوَّجَكُنْ أَهَالِيكُنْ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه من حديث سعد بن مالك بن سنان أبي سعيد الخدري دون قوله: «من فوق سبع سماوات»: البخاري (٣٠٤٣) و(٣٨٠٤) و(٤١٢١) و(٦٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨)، وأحمد ٢٢/٣، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣/٣٢٧، والطياشي (٢٢٤٠)، وابن أبي شيبة ٤٢٥/١٤، وأبو نعيم في «الحلية» ١٧١/٣، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٣٢٣)، وأما الزيادة، فقد رواها ابن سعد في «الطبقات» ٤٢٦/٣، وأوردها الذهبي في «العلو» ص ١٠٢، وصححها كالشارح مع أنه تفرد بها محمد بن صالح التمار، ومثله لا يُقبلُ تفردُه كما يتبين من مراجعة ترجمته في «التهذيب» ٢٢٥/٩ - ٢٢٦، وسعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل السيد الكبير الشهيد، أبو عمرو الأنصاري الأشعري البصري، الذي اهتز لموته العرش، صاحب المناقب المشهورة المشورة في الصحاح والسيرة مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٢٧٩/١ - ٢٩٧.

(٢) هو يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الإمام المحدث، الثقة النبيل، أبو أيوب القرشي الأموي الكوفي، المتوفى سنة (١٩٤هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٣٩/٩ - ١٤٠.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢٠)، والترمذي (٣٢١٣)، والنسائي ٨٠/٦، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٩٧/١ من حديث أنس. وزينب: هي زينب بنت جحش بن رثاب ابنة عمة النبي ﷺ، أمها أميمة بنت عبد المطلب، من المهاجرات الأول، كانت عند زيد مولى النبي ﷺ، فزوجها الله تعالى نبيه بنص كتابه بلاولي ولا شاهد، وكانت من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً، وحديثها في الكتب الستة. مترجمة في «السير» ٢١١/٢ - ٢١٨.

وعن عَمَرَ رضي الله عنه: أنه مرَّ بعجوز، فاستوقفته، فَوَقَفَ معها يُحَدِّثُهَا، فقال رجل: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ النَّاسَ بِسَبَبِ هَذِهِ<sup>(١)</sup> العجوز؟ فقال: وِلَيْكَ! أتَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، هَذِهِ خَوْلَةٌ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]. أخرجہ الدارمی<sup>(٢)</sup>.

وروى عِكْرَمَةُ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، قال: ١٥٨ ولم يَسْتَطِعْ أَنْ يَقُولَ: مِنْ فَوْقِهِمْ، لَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ<sup>(٣)</sup>. ومن سَمِعَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ ﷺ وكَلَامَ السَّلَفِ، وَجَدَ مِنْهُ فِي إِبْطَاتِ الْفُوقِيَةِ مَا لَا يَنْحَصِرُ.

(١) في الأصول: «هذا» والمثبت من «الرد على الجهمية» ومطبوعة مكة.

(٢) في «الرد على الجهمية» ص ٢٦ من طريق أبي يزيد المدني، عن عمر، قال الذهبي في «العلو» ص ١١٣: وهذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عُمَرَ. وخولة: هي خولة - وقيل: خولة - بنت ثعلبة بن أصرم، امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، وهي التي نزل فيها، وفي زوجها قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ التِّي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الآيات]. انظر «أسد الغابة» ٩١/٧ - ٩٣، و«الإصابة» ٢٨٢/٤ - ٢٨٣.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤٣٨٢)، وفي سنده حفص بن عمر العدني، وهو ضعيف، وشيخه فيه - وهو الحكم بن أبان - صدوق له أوهام. وهو في «شرح السنة» ٣٩٧/٣ للالكائي من طريق الحكم بن أبان، عن ابن عباس. وأخرج الطبري (١٤٣٧٢) عن قتادة قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية: أتاهم من بين أيديهم، فأخبرهم أنه لا بعث، ولا جنة، ولا نار، ﴿ومن خلفهم﴾ من أمر الدنيا، فزينا لهم، ودعاهم إليها، ﴿وعن أيمانهم﴾ من قبل حسناتهم بطاهم عنها، ﴿وعن شمائلهم﴾ زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها وأمرهم بها، أنك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق الخلق، لم يخلقهم في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأخذ الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته، ولولم يتصف سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، لكان متصفاً بضد ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه، أو من ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده. فإن قيل: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها. قيل: لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية، لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أقررت بأنه ذات قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، وأنه موجود في الخارج، ليس وجوده ذهنياً فقط، بل وجوده خارج الأذهان قطعاً، وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك، فهو إما داخل العالم، وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما<sup>(١)</sup> هو أجل وأظهر الأمور البديهيات الضرورية بلاريب، فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أظهر منه، وأوضح وأبين، وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال، لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، ولا يخالف كتاباً، ولا سنة، ولا إجماعاً، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً. فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله إلا بذلك؟! فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعاً<sup>(٢)</sup>:

(١) في مختصر الصواعق ٢/٢١٥: وإنكار ذلك إنكار لما هو من أجل البديهيات.

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة ٢/٢٠٥ - ٢١٧.



أَحَدُهَا: التَّصْرِيحُ بِالفوقية مقروناً بأداة «مِنْ» المعينة للفوقية  
بِالذاتِ، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].  
النصوص الواردة  
المتنوعة في إثبات  
العلو

الثاني: ذِكْرُهَا مُجَرَّدَةً عَنِ الْأَدَاةِ، كقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾  
[الأنعام: ١٨ و ٦١].

الثالث: التَّصْرِيحُ بِالْعُرُوجِ إِلَيْهِ نَحْوُ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ  
إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وقوله ﷺ: ﴿فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ  
فَيَسْأَلُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

الرابع: التَّصْرِيحُ بِالصُّعُودِ إِلَيْهِ، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ  
الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

الخامس: التَّصْرِيحُ بِرَفْعِهِ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَيْهِ، كقوله تعالى:  
﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾<sup>(٢)</sup> وَرَأْفِعُكَ ١٥٩  
إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٥٥) و (٣٢٢٣) و (٧٤٢٩) و (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢)، والنسائي ٢٤٠/١ و ٢٤١، ومالك ١/١٧٠، وأحمد ٢/٢٥٧ و ٣١٢ و ٤٨٦ من حديث أبي هريرة، ولفظه بتمامه: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

وهو في صحيح ابن خزيمة (٣٢١) و (٣٢٢)، وابن حبان (١٧٢٨) و (١٧٢٩)، والبيهقي في «شرح السنة» (٣٨٠).

(٢) للمفسرين في معنى التوفي في هذه الآية قولان: أحدهما: الرفع إلى السماء، والثاني: أنه الموت، فعلى القول الأول، يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى: «متوفيك»: قابضك من الأرض وفاقياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، من التوفي: وهو أخذ الشيء وفاقياً تاماً، وهذا قول الحسن وابن جريح، وابن قتيبة، واختاره =

السَّادِسُ: التَّضَرُّيْحُ بِالْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الدَّالُّ عَلَى جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْعُلُوِّ، ذَاتاً وَقَدْرًا وَشَرْفًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].  
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سَبَأ: ٢٣] ﴿إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

السَّابِعُ: التَّضَرُّيْحُ بِتَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]. ﴿تَنْزِيلُ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. ﴿حَمَّ \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ \* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ \* أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾<sup>(١)</sup> [الدخان: ١ - ٥].

= الفراء، والطبري، وما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم بدلوا بعد رفعه لا بعد موته. وعلى القول الثاني، يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك. هذا قول الفراء والزجاج في آخرين، فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته. انظر «غريب القرآن» ص ٣٤٦، و«معاني القرآن» ٢١٩/١ للفراء، والطبري ٤٥٥/٦ - ٤٦٢، و«زاد المسير» ٣٩٦/١ - ٣٩٧، وابن كثير ٣٨/٢ - ٣٩، وفي «فوائد في مشكل القرآن» للعز بن عبد السلام ص ١٠٥: والإجماع منعقد على أنه لم يرفع ميتاً، بل أجمعوا على أنه رفع حياً.

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: يقول الله تعالى مخبراً عن القرآن العظيم، أنه أنزله في ليلة مباركة - وهي ليلة القدر - كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبدالله بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، أن رسول الله ﷺ قال: =

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ [الأنبياء: ١٩]. ففرّق بين «من له» عموماً وبين «من عنده» من ممتلكاته وعبيده خصوصاً، وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الربُّ تعالى على نفسه: «أَنَّهُ عِنْدَهُ قَوْقُ الْعَرْشِ»<sup>(١)</sup>.

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنى «على»، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلِفون في ذلك، ولا يجوزُ الحمل على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة «ثم» الدالة على الترتيب والمُهَلَّة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ:

---

= «تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل ليتكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموت» فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص. وقوله: ﴿فِيهَا يَفْرُقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الأجال، والأرزاق، وما يكون إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد من السلف. قلنا: وحديث عثمان بن محمد بن المغيرة رواه الطبري في «جامع البيان» ١٠٩/٢٥، والبخاري في «معالم التنزيل» ١٤٨/٤ - ١٤٩، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٤٠١/٧ إلى البيهقي في «شعب الإيمان». وعثمان بن محمد، قال النسائي: ليس بذاك القوي.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٧٦.

«إِنَّ اللَّهَ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا<sup>(١)</sup> صِفْرًا<sup>(٢)</sup>». والقول بأن العلوَّ قِبْلَةُ الدعاء فقط باطلٌ بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كُلُّ داعٍ، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

الثاني عشر: التَّضَرُّيخُ بنزوله كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، والنزولُ المعقول عند جميع الأمم إنما يكونُ مِنْ علوٍّ إِلَى سفلٍ.

الثالث عشر: الإِشَارَةُ إِلَيْهِ حِسًّا إِلَى العلوِّ، كما أشارَ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ وَبِمَا يَجِبُ لَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ، لَمَّا كَانَ بِالْمَجْمَعِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ، فِي الْيَوْمِ الْأَعْظَمِ، فِي الْمَكَانِ الْأَعْظَمِ<sup>(٣)</sup>، قَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ عَنِّي، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَرَفَعَ أَصْبَعَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَى السَّمَاءِ، رَافِعًا لَهَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهَا وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»<sup>(٤)</sup>. فَكَأَنَّا نَشَاهِدُ تِلْكَ الْأَصْبَعَ الْكَرِيمَةَ وَهِيَ مَرْفُوعَةٌ إِلَى اللَّهِ،

(١) فِي (ب): يَرُدُّهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ، أَحْمَدُ ٤٣٨/٥، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٣٤٠/١٠، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِهِ» ٢٣٥/٣ - ٢٣٦ وَ ٣١٧/٨، وَالبُغْوِيُّ (٣٨٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٤٨٨) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٥١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٨٦٥)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٢٣٩٩) وَ (٢٤٠٠)، وَالْحَاكِمُ ٤٩٧/١، وَحَسَنَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ١٢١/١١، وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ أَنَسٍ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (١٩٦٤٨)، وَالبُغْوِيُّ (١٣٨٦) وَفِي سَنَدِهِ أَبَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَبَاقِي رِجَالُهُ ثِقَاتٌ فَهُوَ حَسَنٌ بِمَا قَبْلَهُ. وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ ٤٩٧/١ - ٤٩٨ مِنْ طَرِيقِ عَامِرِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ، فَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ: عَامِرٌ ذُو مَنَاكِيرٍ. (٣) مِنْ قَوْلِهِ: «الَّذِي لَمْ» إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ب).

(٤) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ الْمَطُولِ فِي حِجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٢١٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٩٠٥)، وَابْنُ مَاجَهَ (٣٠٧٤)، وَالدَّارِمِيُّ ٤٥/٢ - ٤٩، وَابْنُ الْجَارُودِ (٤٦٩)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» ٨/٥، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٨٠٩).

وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: «اللهم اشهد»،  
ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غايةً  
النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه وإيضاحه إلى تنطع  
المتنطعين، وحذلق المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التّصريحُ بلفظ «الآين» كقولِ أعلم الخلق به،  
وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يؤهم  
باطلاً بوجه: «آين الله»<sup>(١)</sup>، في غير موضع.

الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال: إن ربه في السماء بالإيمان.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى  
السماء ليطلع إلى إله موسى، فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق  
السموات، فقال: ﴿يَهَنَّمُنْ ابْنُ لِي صَرَخاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \*  
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِباً﴾  
[غافر: ٣٦-٣٧]، فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبتته،  
فهو موسوي محمدي.

السابع عشر: إخباره ﷺ أنه تردّد بين موسى عليه السلام وبين ربه

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) في المساجد ومواضع الصلاة فيها: باب تحريم الكلام في الصلاة،  
ونسخ ما كان من إباحته، وأبو داود (٩٣٠) في الصلاة: باب تسميت العاطس في  
الصلاة، والنسائي ١٤/٣-١٩ في الصلاة: باب الكلام في الصلاة، وأحمد ٤٤٧/٥  
و٤٤٨، وابن أبي شيبة ١٩/١١-٢٠، والطبراني (١١٠٥)، وابن أبي عاصم  
(٤٨٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٢٢، وفي «سننه» ٣٨٧/٧، والدارمي  
في «الرد على الجهمية» ص ٢١ و٢٢، والطبراني في «الكبير» ١٩/١٩ (٩٣٧) و(٩٣٨) من  
حديث معاوية بن الحكم السلمي، أن النبي ﷺ قال للجارية: «أين الله؟»، قالت: في  
السماء، قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ بِسَبَبِ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ، فَيَصْعَدُ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى  
مُوسَى عِدَّةً مَرَارًا<sup>(١)</sup>.

الثامن عشر: النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى رُؤْيَا أَهْلِ الْجَنَّةِ لَهُ تَعَالَى مِنَ  
الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَإِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ كَرُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ  
الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، وَلَا يَرُونَهُ إِلَّا مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا قَالَ ﷺ: «بَيْنَا  
أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الْجَبَّارُ  
جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلَامٌ  
عَلَيْكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] ثُمَّ  
يَتَوَارَى عَنْهُمْ، وَتَبَقَّى رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ». رواه الإمام  
أحمد في «المسند»، وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

وَلَا يَتِمُّ إنْكَارُ الْفَوْقِيَّةِ إِلَّا بِإنْكَارِ الرُّؤْيَا، وَلِهَذَا طُرِدَ الْجَهْمِيَّةُ  
النَّفْسِيْنَ، وَصَدِّقُ أَهْلِ السَّنَةِ بِالْأَمْرَيْنِ مَعًا، وَأَقْرَأُ بِهِمَا، وَصَارَ مِنْ أَثْبَتِ  
الرُّؤْيَا وَنَفَى الْعُلُوَّ مَذْبُذِبًا بَيْنَ ذَلِكَ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ، وَهَذِهِ  
الْأَنْوَاعُ مِنَ الْأَدْلَةِ لَوْ بُسِطَتْ أَفْرَادُهَا لَبَلَّغَتْ نَحْوَ أَلْفِ دَلِيلٍ، فَعَلَى الْمُتَأَوَّلِ  
أَنْ يُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ! وَهِيَاهُ لَهُ بِجَوَابٍ صَحِيحٍ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ!

وَكَلَامُ السَّلَفِ فِي إثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ كَثِيرٌ جَدًّا: فَمِنْهُ: مَا رَوَى شَيْخُ  
الْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْفَارُوقِ»<sup>(٣)</sup> بِسَنَدِهِ إِلَى

كَلَامُ السَّلَفِ فِي  
إثْبَاتِ صِفَةِ الْعُلُوِّ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ فِي الصَّفْحَةِ ٢٧٥، وَقَدْ وَقَعَ فِي (أ) وَ (ج) وَ (د): عِدَّةُ  
مَرَارًا، وَالمُثَبَّتُ مِنْ (ب).

(٢) سَنَدُهُ ضَعِيفٌ، لَضَعْفِ أَبِي عَاصِمٍ الْعِبَادَانِي، وَشَيْخِهِ الْفَضْلِ بْنِ عَيْسَى بْنِ أَبَانَ  
الرَّقَاشِيِّ، وَلَيْسَ هُوَ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَد» وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص ١٧٧.

(٣) نَقَلَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ فِي «الْعُلُوِّ» ص ١٠٣ كَلَامَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَعَزَاهُ إِلَى «الْفَارُوقِ»،  
وَنَقَلَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ الْقَارِي فِي «شَرْحِ الْفَقْهِ الْكَبِيرِ» ص ١٧١ عَنْ الشَّارِحِ.

أبي مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سماوات، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء، فقد كفر. وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يُدعى من أعلى، لا من أسفل. انتهى.

ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن يتنسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم. وقصة أبي يوسف في استنابته لبشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش مشهورة. رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره.

ومن تأول «فوق»، بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدِّينار فوق الدرهم، فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتسميئز منه القلوب الصحيحة. فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده، وخير من عرشه؛ من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض!! وليس في ذلك تمجيد، ولا تعظيم، ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام، وأسمجه، وأهجه! فكيف يليق بكلام الله، الذي لواجتمع الإنس

والجِنُّ على أن يأتوا بمثله، لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض  
ظهيراً!! بل في ذلك تنقُصُ، كما قيل في المثل السائر:

الم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العَصَا<sup>(١)</sup>

ولو قال قائل: الجوهر فوق قشر البصل وقشر السمك! لضحك منه  
العقلاء، للتفاوت الذي بينهما، فالتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق  
أعظم وأعظم، بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً  
على مُبطل، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: ﴿ءَأَرْبَابُ  
مُتَنَزِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللّٰهُ الْوَحْدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. وقوله تعالى:  
﴿وَاللّٰهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾  
[طه: ٧٣].

وإنما يثبتُ هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوتِ الفوقية المطلقة  
من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فَوْقِيَّةُ القهر، وفَوْقِيَّةُ القدر، وفَوْقِيَّةُ  
الذات، ومن أثبتَ البَعْضَ، ونفى البَعْضَ، فقد تنقُصَ.

وعُلُوُّه تعالى مطلق من كُلِّ الوجوه، فإن قالوا: بل علوُ المكانة  
لا المكان؛ فالمكانة: تأنيثُ المكان، والمنزلة: تأنيثُ المنزل، فلفظ:  
«المكانة والمنزلة» يُستعملُ في المكاناتِ النفسانية والروحانية، كما  
يُستعملُ لفظُ: «المكان والمنزل» في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك  
في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا وفي نفوسنا أعظم من منزلة

١٦٢

(١) أورده الثعالبي في «تتمة البتية» ٢٩٩/٥ مع بيت قبله هو:  
متى ما أقل مولاي أفضل منهم أكن للذي فضلتُه متنقصاً  
ونسبها لأبي درهم البندنجي.



فلان، كما جاء في الأثر<sup>(١)</sup>: «إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ مَنَزَلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنَزَلَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَهُ الْعَبْدُ مِنْ قَلْبِهِ». فقوله: «منزلة الله في قلبه»: هو ما يَكُونُ في قلبه مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فإذا عُرِفَ أَنْ: «المكانة والمنزلة»: تَأْنِيثُ الْمَكَانِ وَالْمَنْزَلِ، وَالْمَوْثُ فَرْعٌ عَلَى الْمَذْكَرِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَتَابِعٌ لَهُ، فَعُلُوُّ الْمَثَلِ الَّذِي يَكُونُ فِي الذَّهْنِ يَتَّبِعُ عُلُوَّ الْحَقِيقَةِ، إِذَا كَانَ مُطَابِقاً كَانَ حَقّاً، وَإِلَّا كَانَ بَاطِلاً.

فإن قيل: الْمَرَادُ عُلُوُّهُ فِي الْقُلُوبِ، وَأَنَّهُ أَعْلَى فِي الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. قيل: وكذلك هو، وهذا الْعُلُوُّ مُطَابِقٌ لِعُلُوِّهِ فِي نَفْسِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِياً بِنَفْسِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ عُلُوُّهُ فِي الْقُلُوبِ غَيْرَ مُطَابِقٍ، كَمَنْ جَعَلَ مَا لَيْسَ بِأَعْلَى أَعْلَى.

وَعُلُوُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا هُوَ ثَابِتٌ بِالسَّمْعِ ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ. ثبوت علو الله سبحانه بالعقل من وجوه

أَحَدُهَا: الْعِلْمُ الْبَدِيهِيُّ الْقَاطِعُ بِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سَارِياً فِي الْآخَرِ، قَائِماً بِهِ كَالصِّفَاتِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِماً بِنَفْسِهِ بَاطِناً فِي الْآخَرِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ الْعَالَمَ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُ فِي ذَاتِهِ، أَوْ خَارِجاً عَنْ ذَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ، أَمَّا أَوَّلاً: فَبِالِاتِّفَاقِ، وَأَمَّا ثَانِياً: فَلِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُحَلَّلاً لِلْخَسَائِصِ وَالْقَاذُورَاتِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

(١) أطلق المؤلف كلمة الأثر، على المأثور من كلام السلف، كما هو اصطلاح الفقهاء، فإن النص الذي أورده ليس بحديث.

والثاني. يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعيّنت المباينة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجة يقتضي نفي وجوده بالكلية، لأنه غير معقول، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجة، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة.

وأما ثبوته بالفطرة، فإنّ الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى، وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدّها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجدّ في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت يمتنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني<sup>(١)</sup> حيرني الهمداني<sup>(٢)</sup>! أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين،

(١) هو الشيخ الإمام الحافظ الزاهد أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبدالله الهمداني، ولد بعد الأربعين وأربع مئة، كان من أئمة أهل الأثر، ومن كبار الصوفية، توفي سنة (٥٣١هـ). مترجم في «السير» ٢٠ / رقم الترجمة (٦١). وانظر الخبر في «العلو» للذهبي ص ١٨٨ - ١٨٩، و«طبقات السبكي» ١٩٠/٥.

(٢) في (أ): حيرني الهمداني، مرة واحدة.

يجدون في قُلُوبِهِمْ طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله، ويطلبه في العلو<sup>(١)</sup>.  
وقد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بدايته، لأنه أنكره جمهورُ  
العقلاء، فلو كان بديهياً، لما كان مُخْتَلَفاً فيه بَيْنَ العقلاء، بل هو قضية  
وهميةٌ خيالية.

والجوابُ عن هذا الاعتراض مبسوطٌ في موضعه، ولكن أُشيرُ إليه  
هنا إشارةً مختصرة، وهو أن يُقال: إِنَّ الْعَقْلَ إِنْ قَبِلَ قَوْلَكُمْ، فهو لِقَوْلنا  
أَقْبَلُ، وَإِنْ رَدَّ الْعَقْلُ قَوْلنا، فهو لِقَوْلِكُمْ أَعْظَمُ رَدًّا، فَإِنْ كَانَ قَوْلنا باطلاً  
في العقل، فقولكم أَبْطَلُ، وَإِنْ كَانَ قَوْلكم حقاً مقبولاً في العقل، فقولنا  
أولى أَنْ يَكُونَ مقبولاً في العقل، فَإِنْ دَعَوَى الضَّرُورَةُ مشتركة.

فإِذَا نقول: نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ بُطْلانَ قولكم، وأنتم تقولون كذلك،  
فإذا قُلْتُمْ: تلك الضَّرُورَةُ التي تحكم بِبُطْلانِ قَوْلنا هي مِنْ حُكْمِ الْوَهْمِ.  
لَا مِنْ حُكْمِ الْعَقْلِ، قابلناكم بنظير قولكم، وَعَامَّةُ فَطَرِ النَّاسِ - ليسوا  
منكم ولا مِنَّا - يُوافِقُونَا على هذا، فَإِنْ كَانَ حُكْمُ فِطْرِ بَنِي آدَمَ مقبولاً،  
ترجَّحنا عليكم، وَإِنْ كَانَ مردوداً غَيْرَ مقبول، بَطَلَّ قولكم بالكلية،  
فإنَّكُمْ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا بَنَيْتُمْ قَوْلَكُمْ على ما تَدْعُونَ أَنَّهُ مَقْدَمَاتُ معلومةٍ بالفطرة  
الآدمية، وبَطَلَتْ عقلياً أيضاً، وكان السَّمْعُ الذي جاءت به الأنبياء معنا  
لا معكم، فَنَحْنُ مُخْتَصِمُونَ بالسمع دُونَكُمْ، والعقلُ مشتركٌ بيننا وبينكم.

فإِنْ قُلْتُمْ: أَكْثَرُ العقلاء يقولون بقولنا، قيل: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ  
الَّذِينَ يُصَرِّحُونَ بِأَنَّ<sup>(٣)</sup> صَانِعَ الْعَالَمِ ليس هو فَوْقَ الْعَالَمِ، وليس فَوْقَ

(١) انظر «الفتاوى» ٤٤/٤ و ٦١.

(٢) تحرفت في (ب) إلى: «فإننا».

(٣) سقطت من (ب).

العالم شيء موجود وأنه لا مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ ولا خَالٌ فِي الْعَالَمِ<sup>(١)</sup>، طائفةٌ مِنَ النَّظَّارِ، وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَتْبَاعُهُ.

واعتَرَضَ عَلَى الدَّلِيلِ الْفَطْرِيِّ: أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِيَكُونَ السَّمَاءُ قِبْلَةً لِلدُّعَاءِ، كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةً لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ هُوَ مَنْقُوضٌ بِوَضْعِ الْجِبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي جِهَةِ الْأَرْضِ، وَأُجِيبَ عَنْ هَذَا الْاعتِرَاضِ مِنْ وَجْهِهِ<sup>(٢)</sup>:

خطا من ظن أن  
السما قبله  
الدعاء

أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَكُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَلَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ، وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْفَى عَلَى جَمِيعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَعِلْمَائِهَا.

١٦٤

الثَّانِي: أَنَّ قِبْلَةَ الدُّعَاءِ هِيَ قِبْلَةُ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلدَّاعِي أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي دُعَائِهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ<sup>(٣)</sup>، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ لِلدُّعَاءِ قِبْلَةً غَيْرَ قِبْلَةِ الصَّلَاةِ، أَوْ إِنَّ لَهُ قِبْلَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا الْكَعْبَةُ، وَالْأُخْرَى السَّمَاءُ، فَقَدْ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ، وَخَالَفَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْقِبْلَةَ: هِيَ مَا يَسْتَقْبِلُهُ الْعَابِدُ بِوَجْهِهِ، كَمَا تُسْتَقْبَلُ

(١) فِي (ب): وَلَا حَالٌ لِلْعَالَمِ.

(٢) فِي (ب): بِوَجْهِهِ.

(٣) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٣٩٦٠)، وَمُسْلِمٌ (١٧٩٤) (١١٠) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْتَ، فَدَعَا عَلَى سِتَّةِ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ عِنْدَ مُسْلِمٍ (١٧٦٣)، وَالتِّرْمِذِيِّ (٣٠٨١) وَ(٣١٧٢)، وَأَحْمَدُ ٣٠/١ وَ٣٢، وَعَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ ١٣٣/٦ وَ١٨٠ وَ٢٥٩. وَعَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو السَّدُوسِيِّ عِنْدَ أَحْمَدَ ٢٤٣/٢.

الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، وكما يُوجَّه المُحتَضِرُ والمدفون، ولذلك سُميت وَجْهَةً، والاستقبالُ خِلافُ الاستدبار، فالاستقبالُ بالوجه، والاستدبارُ بالدُّبُرِ، فأما ما حاذاه الإنسانُ برأسه أو يديه أو جنبه، فهذا لا يُسمَّى قِبْلَةً، لا حقيقةً ولا مجازاً، فلو كانت السماءُ قِبْلَةً الدُّعَاءِ، لكان المشروعُ أن يُوجَّهَ الداعي وَجْهَهُ إليها، وهذا لم يُشرَعْ، والموضعُ الذي تُرْفَعُ اليَدُ إليه لا يُسمَّى قِبْلَةً، لا حقيقةً ولا مجازاً، ولأن القِبْلَةَ في الدعاء أمرٌ شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرُّسُلُ أن الداعي يستقبل السماءَ بوجهه، بل نهوا عن ذلك، ومعلومٌ أن التوجهَ بالقلب، واللباً والطلب الذي يجذبه الدُّعَاءُ مِنْ نَفْسِهِ أمرٌ فِطْرِيٌّ، يَفْعَلُهُ المسلم والكافرُ، والعالمُ والجاهلُ، وأكثرُ ما يَفْعَلُهُ الْمُضْطَرُّ والمستغيثُ باللَّهِ، كما فُطِرَ على أنه إذا مَسَّهُ الضُّرُّ يدعو اللَّهَ، مع أن أمر القبله مما يَقْبَلُ النسخَ والتحويلَ، كما تحوَّلت القبله من الصخرة إلى الكعبة<sup>(١)</sup>.

وأمرُ التوجُّهِ في الدعاء إلى الجهة العلوية مركزاً<sup>(٢)</sup> في الفِطْرِ، والمستقبلُ للكعبة يعلم أن اللَّهَ تعالى ليس هُناك، بخلافِ الداعي، فإنه يتوجَّه إلى رَبِّهِ وخالفه، ويرجو الرُّحْمَةَ أن تَنْزِلَ مِنْ عنده.

وأما النقضُ بوضع الجبهة، فما أَفْسَدَهُ مِنْ نقض، فإن واضعَ الجبهة إنما قَصَدَهُ الخضوعُ لمن فوقه بالذلِّ له، لا بأن يَمِيلَ إليه إذْ هو تَحْتَهُ، هذا لا يَخْطُرُ في قلب ساجد، لكن يُحكى عن بشر المريسي

(١) انظر حديث البراء في البخاري (٤٠) و(٣٩٩) و(٤٤٨٦) و(٤٤٩٢) و(٧٢٥٢)،  
والترمذي (٢٩٦٦)، وحديث ابن عمر في الموطأ ١/١٩٥، والبخاري (٤٠٣) و(٤٤٨٨) و(٤٤٩٠) و(٤٤٩١) و(٤٤٩٣) و(٤٤٩٤) و(٧٢٥١)، ومسلم  
(٥٢٦).

(٢) في (د): مركون.

أنه سُمِعَ وهو يقول في سجوده<sup>(١)</sup>: سبحانَ ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظَّالِمُونَ والجاحِدُونَ علواً كبيراً. وإنَّ من أفضى به النَّفْيُ إلى هذه الحال لَحَرِيٍّ أن يَتَزَنَّدَقَ، إن لم يتداركه اللهُ برحمته، وبعيدٌ من مثله الصَّلاح، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. فمن لم يطلب الاهتداءَ مِنْ مَظَانِّهِ، يُعَاقَبُ بِالْجِرْمَانِ، نَسألُ اللهَ العفو والعافية.

وقوله: «وقد أعجزَ عن الإحاطةِ خلقه» أي: لا يُحِيطُونَ به علماً ولا رُؤْيَةً، ولا غيرَ ذلك من وجوه الإحاطة، بل هو سبحانه مُحِيطٌ بِكُلِّ شيءٍ، ولا يُحِيطُ به شيءٌ.

قوله: «وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، إِيْمَانًا وَتَصْدِيقًا وَتَسْلِيمًا».

١٦٥

ش: قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. الخُلةُ: كَمَالُ المحبة، وأنكرت الجَهْمِيَّةُ حَقِيقَةَ المحبةِ مِنَ الجانبين، زعماً منهم أن المحبةَ لا تكونُ إلا لمناسبةٍ بَيْنَ المحبِّ والمحبوب، وأنه لا مناسبةٌ بَيْنَ القديمِ والمُحَدَّثِ تُوجِبُ المحبةَ! وكذلك أنكروا حَقِيقَةَ التَّكْلِيمِ، كما تَقَدَّمَ، وكان أَوَّلَ مَنْ ابْتَدَعَ هَذَا فِي الْإِسْلَامِ هو الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ<sup>(٢)</sup>، في

اتخذ الله إبراهيم  
خليلًا وكلم موسى  
تكليماً

(١) في سجوده، سقطت من (ب).

(٢) الحمد بن درهم، عداؤه في التابعين، مبتدع ضال، زَعَمَ أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة، وكان من أهل الشام، وهو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي، فنسب =

أوائلِ المئة الثانية، فَصَحَّى به خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ<sup>(١)</sup> أَمِيرُ الْعِرَاقِ والمشرقِ بواسط، خطب الناسَ يَوْمَ الْأَضْحَى فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا، تَقْبَلِ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي<sup>(٢)</sup> مُضِحٌّ بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، ثُمَّ نَزَلَ فذبحه<sup>(٣)</sup>. وكان ذَلِكَ بفتوى أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا.

وأخذَ هَذَا الْمَذْهَبَ عَنِ الْجَعْدِ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ، فَأَظْهَرَهُ، وَنَظَرَ عَلَيْهِ، وَإِلَيْهِ أَضِيفَ قَوْلُ: «الْجَهْمِيَّة». فَقَتَلَهُ سَلْمٌ<sup>(٤)</sup> بْنُ أَحْوَزٍ أَمِيرُ

---

= إليه، وهو شيخ جهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن الله تعالى في كل مكان بذاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. «مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ» ٣٩٩/١، و«الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» ١٩/١٠.

(١) هو الأمير الكبير، أبو الهيثم خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي، أمير العراقيين لهشام، المتوفى سنة ١٢٦هـ. قال الذهبي: كان جواداً عدحاً معظماً، عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكن فيه نصب، وقال ابن معين: رجل سوء يقع في علي. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٤٢٥/٥ - ٤٣٢.

(٢) في (ب): فإنه، وليس بشيء.

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٦٩، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص ١١٣، واللالكائي في «شرح السنة» ٣١٩/٢ من طريق القاسم بن محمد، عن عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده...، وعبدالرحمن وأبوه لا يعرفان. وأخرجه ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» من طريق عيسى بن أبي عمران الرملي، حدثنا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيى، قال: خطبنا خالد القسري فذكره...، وعيسى بن أبي عمران كتب عنه ابن أبي حاتم بالرملة، فنظر أبوه في حديثه، فقال: يدل حديثه أنه غير صدوق، فترك الرواية عنه. «الجرح والتعديل» ٢٨٤/٦، وأيوب بن سويد ضعفه أحمد، والبخاري، وابن معين، والنسائي، وأبو حاتم وغيرهم.

(٤) تحرف في الأصول إلى: «سلم». وكذا في المطبوع من «تاريخ الطبري» ٣٣٠/٧ وما بعدها حوادث سنة ١٢٨هـ.

خراسان بها<sup>(١)</sup>، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عُبيد، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودَعَوْهُمْ إلى الموافقة لهم على ذلك.

وَأَصْلُ هَذَا مَأخُذٌ عَنِ الْمَشْرِكِينَ وَالصَّابِئَةِ، وَهُمْ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلًا وَمُوسَى<sup>(٢)</sup> كَلِيمًا، لِأَنَّ الْخُلَّةَ هِيَ كَمَالُ الْمَحَبَةِ الْمُسْتَفْرِقَةِ لِلْمَحَبِّ، كَمَا قِيلَ:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا<sup>(٣)</sup>

ولكن محبة الله وخلته، كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لما دلت عليه الآية الكريمة ما ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup>، يعني نفسه.

محبة الله وخلته كما يليق به سبحانه

وفي رواية: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِي، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»<sup>(٦)</sup>.

(١) سنة (١٢٨هـ) مع الحارث بن سريج، وترجمة جهم موجودة في «السير» ٢٦/٦.

(٢) في (أ) و(ب): أو.

(٣) انظر «روضة المحبين» ص ٤٧ - ٤٩ لابن القيم.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٦٤ تعليق رقم (٣).

(٥) تقدم تخريجه ص ١٦٥ تعليق (١).

(٦) تقدم تخريجه ص ١٦٤ تعليق (٢).



فَبَيْنَ ﷺ أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ خَلِيلًا، وَأَنَّهُ  
لَوْ أَمَكْنَ ذَلِكَ، لَكَانَ أَحَقَّ النَّاسِ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ  
وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُحِبُّ أَشْخَاصًا، كَقَوْلِهِ لِمَعَاذٍ<sup>(١)</sup>: «وَاللَّهِ إِنِّي  
لَأُحِبُّكَ»<sup>(٢)</sup>. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حِبًّا رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ، وَابْنُهُ أَسَامَةُ حِبُّهُ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَيُّ  
النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قَالَ: فَمِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: ١٦٦  
«أَبُوهَا»<sup>(٣)</sup>.

فَعَلِمَ أَنَّ الْخُلَّةَ أَخْصُ مِنْ مَطْلَقِ الْمَحَبَّةِ، وَالْمَحْبُوبُ بِهَا لِكَمَالِهَا  
يَكُونُ مَحْبُوبًا لِدَاثِهِ، لَا لَشَيْءٍ آخَرَ، إِذِ الْمَحْبُوبُ لَغَيْرِهِ هُوَ مُؤَخَّرٌ فِي  
الْحُبِّ عَنِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، وَمِنْ كَمَالِهَا لَا تَقْبَلُ الشَّرِكَةَ [وَلَا] الْمَزَاحِمَةَ،  
لِتَخْلِيلِهَا الْمَحَبَّ، فَفِيهَا كَمَالُ التَّوْحِيدِ وَكَمَالُ الْحُبِّ، وَلِذَلِكَ لَمَّا اتَّخَذَ  
اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَلَدًا صَالِحًا،  
فَوَهَبَ لَهُ إِسْمَاعِيلَ، فَاتَّخَذَ هَذَا الْوَلَدُ شُعْبَةً مِنْ قَلْبِهِ، فَغَارَ الْخَلِيلُ عَلَى  
قَلْبِ خَلِيلِهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَكَانٌ لَغَيْرِهِ، فَامْتَحَنَهُ بِذَبْحِهِ، لِيُظْهِرَ سِرَّ الْخُلَّةِ

(١) سقطت من (ب).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وأحمد ٢٤٥/٥ و ٢٤٧، والنسائي في «سننه»  
٥٣/٣، وفي «اليوم والليلة» (١٠٩)، وابن السني (١٩٨)، والبخاري  
في «الأدب المفرد» (٦٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٤١/١ و ١٣٠/٥، والطبراني في  
«الكبير» ٢٠/١١٠ من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال:  
«يا معاذ والله إنني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول:  
اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وإسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة  
(٧٥١)، وابن حبان (٢٣٤٥)، والحاكم ٢٧٣/١، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) و (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥)، وأحمد  
في «المسند» ٢٠٣/٤، وفي «الفضائل» (٢١٤) و (١٢١٨)، و (١٦٣٧)، والنسائي في  
«الكبرى» كما في «التحفة» ١٥٤/٨، والحاكم ١٢/٤، والبغوي (٣٨٦٩).

في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربّه، وعزم على فعله، وظَهَرَ<sup>(١)</sup> سلطانُ الحُلة في الإقدام على ذَبْحِ الولد إيثاراً لمحبة<sup>(٢)</sup> خليله على محبته، نَسَخَ اللَّهُ ذلك عنه، وَفَدَاهُ بِالذَّبْحِ العظيم، لأنَّ المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم، وتوطين النفس على ما أمر، فلما حَصَلَتْ هذه المصلحة، عاد الذبحُ نفسه مفسدةً، فَنَسَخَ في حَقِّهِ، وصارت الذبائحُ والقربانُ من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة.

وكما أنَّ منزلة الحُلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبيُّنا ﷺ كما تَقَدَّمَ، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه، قد شاركه فيها نبيُّنا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أَفْضَلُ مِنْ إبراهيم ﷺ، فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المُشَبَّه به أَصْلُهُ أن يَكُونَ فَوْقَ المُشَبَّه؟ وكيف الجمعُ بَيْنَ هذين الأمرين المتنافيين؟

الجواب عما في الصلاة الإبراهيمية من إشكال متوهم

وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، يَضِيقُ هذا المَكَانُ عن بسطها<sup>(٣)</sup>.

وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثْلُهُمْ، فإذا طَلَبَ للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حَصَلَ لآل محمد ما يليقُ بهم، فإنهم لا يبلغون مَرَاتِبَ الأنبياء،

(١) في (ب): فظهر.

(٢) في (ب): المحبة.

(٣) لقد بسطها الشيخ العلامة ابن القيم، وفي الموضوع حقه في كتابه «جلاء الأفهام» ص ٢١٩ و ٢٣٢.

وتبقى الزيادة التي للأنبياء، وفيهم إبراهيم لمحمد صلى الله عليهما وسلم، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره.

وأحسن من هذا: أن النبي محمد ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: «كما صليت على آل<sup>(١)</sup> إبراهيم» متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، بل هو متناول إبراهيم أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]. فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران، وكما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ نُجَيْنَهُمْ بِسَجْرِ﴾ [القمر: ٣٤]. فإن لوطاً داخل في آل لوط، وكما في قوله تعالى: ﴿وإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] وقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فإن فرعون داخل في آل فرعون. ولهذا — والله أعلم — أكثر روايات حديث الصلاة على النبي ﷺ إنما فيها: كما صليت على آل إبراهيم، وفي كثير منها: كما صليت على إبراهيم ولم يرد: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إلا في قليل من الروايات<sup>(٢)</sup> وما ذلك — والله أعلم — إلا لأن في قوله: كما صليت على إبراهيم، يدخل آل تبعاً، وفي قوله: كما صليت على آل إبراهيم، هو داخل في آل إبراهيم.

وكذلك لما جاء أبو أوفى رضي الله عنه بصدقته إلى النبي ﷺ،

(١) سقطت من (ب).

(٢) لقد ورد الجمع بينهما في حديث أبي سعيد الخدري كما في «صحيح البخاري» (٤٧٩٨) و (٦٣٥٨)، وفي حديث كعب بن عجرة عند أحمد ٢٤٤/٤، والبيهقي ١٤٧/٢ و ١٤٨، وفي حديث طلحة بن عبيد الله عند النسائي ٤٨/٣، وفي حديث أبي مسعود الأنصاري عند الدارقطني ٣٥٥/١.

دعا له النَّبِيُّ ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»<sup>(١)</sup> فعلى رواية مَنْ روى: «كما صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» لا يدخل فيهم لإفراده بالذكر<sup>(٢)</sup>.

ولما كان بيتُ إِبْرَاهِيمَ عليه السَّلامُ أَشْرَفَ بيوتِ العَالَمِ عَلَى الإِطْلَاقِ، خَصَّهُمُ اللهُ بِخَصَائِصٍ: ما خصَّ الله به بيت إِبْرَاهِيمَ من الخصائص

منها: أَنَّهُ جَعَلَ فِيهِ<sup>(٣)</sup> النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ، فلم يأت بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيٌّ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ. ١٦٧

ومنها: أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ جَعَلَهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ بَعْدَهُمْ، فَإِنَّمَا دَخَلَ مِنْ طَرِيقِهِمْ وَبَدَعَتْهُمْ. ومنها: أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ اتَّخَذَ مِنْهُمْ الْخَلِيلَيْنِ، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

ومنها: أَنَّهُ جَعَلَ صَاحِبَ هَذَا الْبَيْتِ إِمَاماً لِلنَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> [البقرة: ١٢٤].

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٧) و(٤١٦٦) و(٦٣٣٢) و(٦٣٥٩)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وأخرجه أيضاً أبو داود (١٥٩٠)، والنسائي ٣١/٥، وابن ماجه (١٧٩٦)، والطيالسي (٨١٩)، وابن خزيمة (٢٣٤٥)، وأحمد ٣٥٣/٤ و٣٥٤ و٣٥٥ و٣٨٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٦٢/٤، والبيهقي (١٥٦٦)، والبيهقي في «سننه» ١٥٢/٢، وأبونعيم في «الحلية» ٩٦/٥.

(٢) من قوله: «بل هو متناول لإِبْرَاهِيمَ» إلى هنا سقط من (ج) وفي (أ) ذكر في الهامش قوله: تقرأ الورقة من عند التخریجة، ولكن لم تصور لنا الورقة المذكورة.

(٣) في (ب): فيهم.

(٤) قال ابن كثير في تفسير الآية ٢٤٠/١: لما جعل الله لإِبْرَاهِيمَ إِمَاماً، سأل الله أن تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه =

ومنها: أَنَّهُ أَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ بِنَاءَ بَيْتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ قِيَامًا لِلنَّاسِ، وَمَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَجَعَلَهُ قِيلَةً لَهُمْ<sup>(١)</sup> وَحِجًّا، فَكَانَ ظُهُورُ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الْأَكْرَمِينَ.

ومنها: أَنَّهُ أَمْرٌ عِبَادَهُ أَنْ يُصَلُّوا عَلَى أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْخَصَائِصِ.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ».

وجوب الإيمان  
بالملائكة والكتب  
المنزلة والمرسلين

ش: هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الْآيَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فَجَعَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ هُوَ الْإِيمَانُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ، وَسَمَّى مَنْ آمَنَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مُؤْمِنِينَ، كَمَا جَعَلَ الْكَافِرِينَ مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ، بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَى صَحْتِهِ، حَدِيثِ جَبْرِيلَ وَسُؤَالِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: «أَنْ

= لَا يَنَالُهُمْ عَهْدُ اللَّهِ، وَلَا يَكُونُونَ أَثْمَةً، فَلَا يَقْتَدِي بِهِمْ، وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أَجِيبَ إِلَى طَلِبَتِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ فَكُلُّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، وَكُلُّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ، فَفِي ذُرِّيَّتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

(١) فِي (ب): لِلنَّاسِ.

تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ»<sup>(١)</sup>.  
فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم  
وسلامه، ولم يُؤْمِنْ بها حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ إِلَّا أَتْبَاعُ الرِّسْلِ.

إنكار الفلاسفة  
لحقيقة الإيمان بالله  
وكتبه ورسله

وأما أعداؤهم وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ وَأَهْلِ الْبِدْعِ، فهم  
متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظمُ النَّاسِ لها إنكاراً الفلاسفةُ  
المسمَّونَ عند مَنْ يُعْظَمُهُمُ بِالْحُكَمَاءِ، فإن مَنْ عَلِمَ حَقِيقَةَ قولهم، عَلِمَ  
أنهم لم يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَلَا رُسُلِهِ وَلَا كُتُبِهِ وَلَا مَلَائِكَتِهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فإنَّ  
مذهبهم أن الله سبحانه وجودٌ مُجَرَّدٌ لَا مَاهِيَّةَ لَهُ وَلَا حَقِيقَةَ، فلا يَعْلَمُ  
الجُزْئِيَّاتِ بِأَعْيَانِهَا، وَكُلُّ موجودٍ في الخارجِ، فهو جزئي، ولا يَفْعَلُ  
عندهم بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيتِهِ، وإنما العالَمُ عندهم لازِمٌ له أَزْلاً وَأَبْداً، وإن  
سَمَّوْهُ مَفْعُولاً لَهُ، فَمُضَانَعَةً وَمُصَالَحَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي اللَّفْظِ، وليس عندهم  
بمفعولٍ، ولا مخلوقٍ، ولا مقدورٍ عليه، وَيَتَفَوَّنُ عَنْهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَسَائِرُ  
صِفَاتِهِ! فهذا إيمانهم بالله.

١٦٨

وأما كُتُبُهُ<sup>(٢)</sup>، عندهم، فإنهم لا يَصِفُونَهُ بِالْكَلَامِ، فلا تَكَلَّمَ<sup>(٣)</sup>  
ولا يَتَكَلَّمُ، ولا قال ولا يقول، والقرآنُ عندهم فَيَضُّ فَاضٌ مِنَ الْعَقْلِ  
الْفَعَالِ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ زَاكِي النِّفْسِ طَاهِرٍ، مُمَيِّزٍ عَنِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ  
بثلاثِ خصائص: قُوَّةُ الْإِدْرَاكِ وَسُرْعَتُهُ، لِيَنَالَ الْعِلْمَ أَعْظَمَ مِمَّا يَنَالُهُ غَيْرُهُ!  
وقُوَّةُ النَّفْسِ، لِيُؤَثِّرَ بِهَا فِي هَيُولَى<sup>(٤)</sup> الْعَالَمِ بِقَلْبِ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ،

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥٦ تعليق (١).

(٢) في (ب): كتبهم، وهو خطأ.

(٣) في (ب) و(ج) و(د): ويكلم، بالياء.

(٤) الهيولى: مادة الشيء التي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن  
للملابس القطنية.

وقوة التخيل، ليخيّل بها القوى العقلية في أشكالٍ محسوسةٍ، وهي الملائكة عندهم! وليس في الخارج ذاتٌ منفصلة تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، وترى وتُخاطبُ الرسول، وإنما ذلك عندهم أمورٌ ذهنية لا وجودَ لها في الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشدّ الناس تكذيباً به وإنكاراً له، وعندهم أن هذا العالم لا يخرّب، ولا تنشقّ السماوات ولا تنفطر، ولا تنكسر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم، ويبعثون إلى جنةٍ ونار! كلُّ هذا عندهم أمثالٌ مضروبةٌ لفهم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل. فهذا إيمان هذه الطائفة — الدليّة الحقيرة — بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة.

وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هدّموها بها كثيراً من الدين، فإنهم بنّوا أصلَ دينهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجّوا بالصفات التي هي الأغراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلّموا في التوحيد على هذا الأصل، فنّفوا عن الله كلّ صفة، تشبّهاً بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلّموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسَمّوا ذلك «العَدَل»، ثم تكلّموا في النبوة والشرائع، والأمر والنهي، والوعيد والوعيد، وهي مسائلُ الأسماء والأحكام، التي هي المَنزلةُ بين المنزلتين، ومسألةُ إنفاذ الوعيد، ثم تكلّموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وضَمَّنوه جَوَازَ الخروجِ على الأئمة بالقتال. فهذه أصولُهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصولِ الدين الخمسة التي بُعِثَ بها الرسول.

والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد والعدل والنبوة، والإمامة.

أصول أهل السنة  
تابعة لما جاء به  
الرسول.

وأصول أهل السنة تابعة لما جاء به الرسول.  
وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك،  
ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل - لهما  
شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي «الصحيحين» عن أبي مسعود عقبة بن  
عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي  
لَيْلَةٍ (١) كَفَّاهُ» (٢).

١٦٩

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:  
«بَيْنَا (٣) جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ،

(١) في ليلة سقطت من (ب).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٨) و (٥٠٠٨) و (٥٠٠٩) و (٥٠٤٠) و (٥٠٥١)، ومسلم  
(٨٠٨)، وأبو داود (١٣٩٧)، والترمذي (٢٨٨١)، وابن ماجه (١٣٦٩)، وعبد الرزاق  
(٦٠٢٠)، والدارمي ٤٥٠/٢، والحميدي (٤٥٢)، والطيالسي (٦١٤)، وأحمد  
١١٨/٤ و ١٢١ و ١٢٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٣٦/٧، والبغوي  
(١١٩٩)، وأبونعيم في «تاريخ أصبهان» ٣٢٠/٢، والخطيب في «تاريخه» ٢٤١/٤،  
والطبراني في «الكبير» ١٧/ (٥٤١) و (٥٤٢) و (٥٥٤) و (٥٩٩). وقوله: كفتاه، أي:  
أجزأتا عنه من قيام الليل، أو عن قراءة القرآن مطلقاً، أو من الشيطان وشره، أو دفعنا  
عنه شر الإنس والجن، وروى أحمد ١١٨/٤ من طريق يحيى بن آدم، عن شريك، عن  
عاصم، عن المسيب بن رافع، عن علقمة، عن أبي مسعود البديري رفعه: «مَنْ قَرَأَ  
الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، أَجْزَأَتْ عَنْهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، وفي الترمذي (٢٨٨٢)، و«المستدرک»  
٢٦٠/٢ وصححه عن النعمان بن بشير رفعه: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً وَأَنْزَلَ فِيهِ آيَتَيْنِ خَتَمَ  
بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ لَا تَقْرَأُ فِي دَارٍ يَقْرِبُهَا الشَّيْطَانُ ثَلَاثَ لَيَالٍ». قال الحافظ في «الفتح»  
٥٦/٩: وكأنها اختصنا بذلك لما تضمنته من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى  
الله، وابتهاهم، ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم.

(٣) في (ب): بينا، وهي في صحيح مسلم كذلك.



فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَتَزَلْ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلِمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا، لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتَحَةَ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا <sup>(١)</sup> إِلَّا أُوتِيَتْهُ <sup>(٢)</sup>.

وقال أبوطالب المكي <sup>(٣)</sup>: أَرْكَانُ الْإِيمَانِ سَبْعَةٌ، يَعْنِي هَذِهِ الْخَمْسَةُ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، وَالْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَهَذَا حَقٌّ، وَالْأَدَلَّةُ عَلَيْهِ ثَابِتَةٌ مُحْكَمَةٌ قَطْعِيَّةٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَى دَلِيلِ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ.

أصناف الملائكة  
وتنوع أعمالهم  
التي كلفوا بها

وأما الملائكة، فهم الموكَّلون بالسموات والأرض، فكلُّ حركة في العالم، فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]. ﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤]. وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَتْبَاعِ الرِّسْلِ، وَأَمَّا الْمُكَذِّبُونَ بِالرِّسْلِ الْمُنْكَرُونَ لِلصَّانِعِ، فَيَقُولُونَ: هِيَ النُّجُومُ.

وقد دُلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهَا مُوَكَّلَةٌ

(١) في الأصول: منها، والمثبت من صحيح مسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٦) في صلاة المسافرين: باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والنسائي ١٣٨/٢ في افتتاح الصلاة: باب فضل فاتحة الكتاب، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٢٢/٤، والبغوي (١٢٠٠)، والطبراني في «الكبرى» (١٢٢٥٥).

(٣) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبوطالب المكي الزاهد الواعظ صاحب «قوت القلوب» في التصوف والرفائق، وقد اعتمد الإمام الغزالي في «الإحياء»، من أهل الجبل نشأ واشتهر بمكة، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فانتفى إلى مقالته، وقدم بغداد، فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدعه الناس وهجروه، وامتنع عن الوعظ، وتوفي ببغداد سنة (٣٨٦ هـ). «تاريخ بغداد» ٨٩/٣، و«الميزان» ٦٥٥/٣، و«وفيات الأعيان» ٣٠٣/٤، و«لسان الميزان» ٣٠٠/٥.

بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبـال ملائكة، ووكـل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكـل بالرّجـم ملائكة تُدبّر أمر النطفة حتى يَتِمَّ خلقُها، ثم وكل بالعبيد ملائكة لحفظ ما يَعْمَلُهُ وإحصائه وكتابته، ووكـل بالموت ملائكة، ووكـل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكـل بالأفلاك ملائكة يُحرّكونها، ووكـل بالشمس والقمر ملائكة، ووكـل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتهـا ملائكة، ووكـل بالجنة وعمارتهـا وغراسها وعمل آلاتها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفاً، والناشرات نشرًا، والفارقات فرقاً والملقيات ذكراً<sup>(١)</sup>.

(١) في تفسير ابن كثير ٣٢٠/٨ - ٣٢١: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن سهل المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿المرسلات عرفاً﴾ قال: الملائكة. قال: وزوي عن مسروق، وأبي الضحى، ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدي، والريـع بن أنس، مثل ذلك. وزوي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وفي رواية عنه: هي الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في ﴿العاصفات﴾ و﴿الناشرات﴾ و﴿الملقيات﴾: إنها الملائكة.

قال الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العيـّدين قال: سألت ابن مسعود عن ﴿المرسلات عرفاً﴾، قال: الريح. وكذا قال في ﴿العاصفات عصفاً، والناشرات نشرًا﴾: إنها الريح، وكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في ﴿المرسلات عرفاً﴾: هل هي الملائكة أرسلت بالعرف، أو كعُرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً؟ أو: هي الريح إذا هبت شيئاً فشيئاً؟ وقطع بأن العاصفات عصفاً هي الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه. ومن قال ذلك في العاصفات أيضاً: علي بن أبي طالب، والسدي. وتوقف في ﴿الناشرات نشرًا﴾ هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدم. وعن أبي صالح: أن ﴿الناشرات نشرًا﴾: المطر.

والأظهر أن «المرسلات» هي الرياح، كما قال تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾، =

وَمِنْهُمْ: النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سباحاً،  
فالسابحات سباقاً.

ومنهم: الصافات صفاً، فالزاجرات زجرأً، فالتاليات ذكرأً. ومعنى  
جمع التانيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها  
«فرقة» و«طائفة» و«جماعة».

ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل  
العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح  
والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله  
تعالى.

الملك رسول منفذ  
لأمر مرسله

١٧٠

ولفظ «الملك» يُشعر بأنه رسول مُنفذ لأمر مرسله، فليس لهم من  
الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم يُنفذون أمره:  
﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ  
وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿  
[الأنبياء: ٢٧ - ٢٨] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾  
[النحل: ٥٠].

= وقال تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾. وهكذا العاصفات هي:  
الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هبت بتصويت، وكذا النشرات هي: الرياح التي  
تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل.  
وقوله: ﴿فالفارقات فرقاً. فالملقيات ذكرأً. عذراً أو نذراً﴾، يعني: الملائكة. قاله  
ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي،  
والثوري.. ولا خلاف ما هنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل،  
والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إغدار إلى الخلق، وإنذار  
لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

فَهُمْ عِبَادُ لَهُ مُكْرَمُونَ، مِنْهُمْ الصَّافُونَ، وَمِنْهُمْ الْمُسَبِّحُونَ، لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ<sup>(١)</sup>، لَا يَتَخَطَّاهُ، وَهُوَ عَلَى عَمَلٍ قَدْ أُمِرَ بِهِ، لَا يَقْصُرُ عَنْهُ، وَلَا يَتَعَدَّاهُ، وَأَعْلَاهُمْ الَّذِينَ عِنْدَهُ: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخْسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿[الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

ورؤسائهم الأملاك الثلاثة<sup>(٣)</sup>: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكّلون بالحياة، فجبريل موكّل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكّل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَسُفَرَاؤُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، يَنْزِلُونَ بِالْأَمْرِ مِنْ عِنْدِهِ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ، وَيَصْعَدُونَ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ، قَدْ «أُطِيتِ»<sup>(٤)</sup> السَّمَاوَاتُ بِهِمْ، وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكَ

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ والمعنى: ما من ملك إلا له موضع من السماء مخصوص يعبد الله فيه، والصفافون: الذين يقفون صفوفاً في الطاعة، وأخرج مسلم في «صحيحه» (٥٢٢) من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء».

(٢) في معناه ثلاثة أقوال، أحدها: لا يرجعون. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، والثاني: لا يتقطعون. قاله مجاهد، وقال ابن قتيبة: لا يعيون، والحير: المنقطع الواقف إعياء وكلالاً. والثالث: لا يملون، قاله ابن زيد. «زاد المسير» ٣٤٤/٥ - ٣٤٥.

(٣) في هامش (أ) و(د): ومنهم الرؤساء الأملاك. نسخة.  
(٤) في «النهاية»: الأطيع: صوت الأقطاب، وأطيع الإبل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أبطت.

قائم أوراكنع أوساجد لله<sup>(١)</sup>، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم<sup>(٢)</sup>.

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف.

وتارة يذكر حقهم بالعرش، وحملهم له، وبراءتهم من الذنوب<sup>(٣)</sup>.

وتارة يصفهم<sup>(٤)</sup> بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو، والطهارة والقوة والإخلاص، قال تعالى: ﴿كُلُّ ءَآمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد ١٧٣/٥ من حديث أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحق لها أن تغط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...» وحسنه الترمذي مع أن إبراهيم بن المهاجر لين الحديث، لكن يشهد له حديث حكيم بن حزام عند الطحاوي في «المشكّل» ٤٣/٢، والطبراني في «الكبير» (٣١٢٢)، وسنده قوي، وآخر من حديث أنس بن مالك عند أبي نعيم في «الحلية» ٢٦٩/٦، وسنده ضعيف، فيتقوى الحديث بهذين الشاهدين ويصح.

(٢) قطعة من حديث الإسراء المطول المخرج في «الصحيحين» وفيه: أن رسول الله ﷺ قال بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

(٣) كذا في الأصول، وفي طبعة المكتب الإسلامي: «ومراتبهم من الدنوّ»، ولها وجه.

(٤) تحرفت في الأصول إلى: «يضيفهم».

رَبِّهِمْ ﴿[الزمر: ٧٥]. ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾  
[الأعراف: ٢٠٦]. ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾  
[الانفطار: ١١]. ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]. ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾  
[المطففين: ٢١]. ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الصافات: ٨].  
وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم، فلهذا كان الإيمان بالملائكة  
أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة<sup>(١)</sup> وصالحى البشر،  
ويُنسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر أو الأنبياء فقط على  
الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة.

١٧١  
مذاهب الناس في  
المفاضلة بين  
الملائكة وصالحى  
البشر

وأتباع الأشعرى على قولين: منهم من يُفضل الأنبياء والأولياء،  
ومنهم من يقف ولا ينقطع في ذلك قولاً، وحكى عن بعضهم ميلهم إلى  
تفضيل الملائكة، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض  
الصوفية.

وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن  
الناس من فصل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن  
الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض. وكنت ترددت في الكلام  
على هذه المسألة، لقلّة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعنى، و«من حسن  
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر بسط المسألة في «الفتاوى» ٤/ ٣٥٠ - ٣٩٢ لشيخ الإسلام.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٤٢ وهو صحيح.

والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه<sup>(١)</sup> المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يَكُونُ قد ترك الكلام فيها قصداً، فإن الإمام أبا حنيفة رحمه الله وَقَفَ في الجواب عنها على ما ذكره في «مآل الفتاوى»<sup>(٢)</sup>، فإنه ذكر مسائل لم يَقْطَعْ أبو حنيفة فيها بِجَوَابٍ، وعدَّ منها: التَّفْضِيلَ بَيْنَ المَلَائِكَةِ والأنبياء<sup>(٣)</sup>. فإنَّ الواجِبَ علينا الإيمانُ بالمَلَائِكَةِ والنبيين، وَلَيْسَ علينا أن نَعْتَقِدَ أيَّ الفريقين أَفْضَلُ، فإنَّ هذا لو كان من الواجبات<sup>(٤)</sup>، لَبَيَّنَ لنا نَصّاً، وقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم: ٦٤].

وفي «الصحيح»<sup>(٥)</sup> «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدُّ

(١) في (ب): لهذه.

(٢) وهو «الملتقط» تأليف أبي القاسم عماد بن يوسف العلوي السمرقندي الحنفي عالم بالتفسير والحديث والفقه والوعظ مات سنة (٥٥٦هـ). «الفوائد البهية» ص ٢١٩ - ٢٢٠، و«كشف الظنون» ١٥٧٤/٢ و١٨١٣.

(٣) جاء في (أ) بعد قوله: «الأنبياء»: وهذا هو الحق، ثم وضع فوقها إشارة الحذف، ولم ترد في (ب) وهي في (ج) و(د) ومطبوعة مكة.

(٤) في (ب): الواجب.

(٥) هذا يؤهم أنه في أحد «الصحيحين»، وليس هو في واحد منها، وإنما هو حديث حسن بشواهده، أخرجه الدارقطني ١٨٤/٤، والحاكم ١١٥/٤، والبيهقي ١٢/١٠ و١٣، وأبو نعيم في «الحلية» ١٧/٩، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» ٩/٢ من طريق عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة، ورجاله ثقات، إلا أن مكحولاً لا يصح له سماع من أبي ثعلبة، فهو منقطع، لكن له شاهد من حديث أبي الدرداء بلفظ: «ما أحل الله في كتابه، فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ وأخرجه البزار (٢٢٣١)، والحاكم ٣٧٥/٢ من طريق عاصم بن رضاء، عن أبيه، عن أبي الدرداء، وسنده قوي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال البزار: وإسناده صالح، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٥٥/٧ عن البزار، وقال: رجاله ثقات، وله شاهد آخر من حديث سلمان الفارسي عند الترمذي (١٧٢٦)، وابن ماجه =

حُدُوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسَكَتَ عن أشياء — رحمةً بكم غَيْرَ نسيانٍ — فلا تسألوا عنها. —  
فالسكوتُ عَنِ الكلام<sup>(١)</sup> في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا — والحالة هذه — أولى.

ولا يُقال: إِنَّ هذه المسألة نَظِيرُ غيرها من المسائل المستنبطة مِنَ الكتاب والسُّنة، لأنَّ الأدلة هنا متكافئة، على ما أُشِيرُ إليه، إن شاء الله تعالى. وحملني على بَسْطِ الكلامِ هنا: أن بَعْضَ الجاهلين يُسيئون الأدبَ بقولهم: كان المَلَكُ خادِمًا للنبي ﷺ! أو: إِنَّ بَعْضَ الملائكة خُدَّامُ بني آدم!! يعنون الملائكة الموكِّلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبية للأدب.

والتفضيلُ — إذا كان على وجه التنقصِ أو الحمية والعصبية للجنس — لا شك في رَدِّهِ. وليس هذه المسألة نَظِيرُ المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وُجِدَ فيها نصٌّ، وهو قَوْلُهُ تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣]. وقَوْلُهُ تعالى:

---

= (٣٣٦٧)، والطبراني في الكبير (٦١٢٤)، والحاكم ١١٥/٤، والبيهقي ٣٢٠/٩ و ١٢/١٠ من طريق سيف بن هارون البرجمي، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه، فهذا مما عفا عنه» وسيف بن هارون ضعيف، وقال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وروى سفيان وغيره، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قوله، وكان الحديث الموقوف أصح، وأخرجه الطبراني (٦١٥٩) من طريق علي بن مسهر، عن أبي إسماعيل — يعني بشر — عن مسلم البطين، عن أبي عبد الله الجدلي، عن سلمان، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم... (١) في (ب): عن هذا الكلام.



﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]. وقد تقدم الكلام في ذلك عند قول الشيخ: «وسيد المرسلين» يعني النبي ﷺ.

والمعتبر رجحان الدليل، ولا يهجر القول، لأن بعض أهل الأهواء ١٧٢ وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفاً فيها بين أهل السنة، وقد كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول أولاً<sup>(١)</sup> بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله.

والأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا يزاع في ذلك.

وللشيخ تاج الدين الفزاري<sup>(٢)</sup> رحمه الله مصنف سماه «الإشارة»<sup>(٣)</sup> في البشارة في تفضيل البشر على الملك قال في آخره: اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام، التي لم يتكلم فيها الصمد الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير<sup>(٤)</sup> من المقاصد، ولهذا خلا

(١) سقطت من (ب).

(٢) هو الإمام العلامة العالم شيخ الشافعية في زمانه عبدالرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفزاري تاج الدين المعروف بالفركاح، المصري الأصل، الدمشقي الإقامة والشهرة والوفاء. قال الحافظ ابن كثير في «البداية» ٣٢٥/١٣: كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة، والأخلاق اللطيفة، وفصاحة المنطق، وحسن التصنيف، وعلو الهمة، وفقه النفس، وكتابه «الإقليد» الذي جمعه على أبواب التنبيه، وصل فيه إلى باب الغصب، دليل على فقه نفسه، وعلو قدره، وقوة همة، ونفوذ نظره، واتصافه بالاجتهاد الصحيح في غالب ماسطره. توفي سنة (٦٩٠هـ). مترجم في «طبقات الشافعية» للسبكي ١٦٣/٨، و«فوات الوفيات» ٢٦٣/٢ - ٢٦٥، و«البداية والنهاية» ٣٢٥/١٣، و«العبر» ٣٦٨/٥، و«الدارس» للنعماني ٢٨/١.

(٣) في (أ) و (ج) و (د): الإثارة. (٤) في (ب): كبير.

عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه عن ضعف واضطراب. انتهى.

فَمِمَّا اسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ: أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِمْ، وَلِذَلِكَ امْتَنَعَ إِبْلِيسُ وَاسْتَكْبَرَ وَقَالَ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الآخرون: إن سُجُودَ الْمَلَائِكَةِ كَانَ امْتِثَالاً لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، وَعِبَادَةً وَانْقِياداً وَطَاعَةً لَهُ، وَتَكْرِيماً لِآدَمَ وَتَعْظِيماً، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ الْأَفْضَلِيَّةُ، كَمَا لَمْ يَلْزَمْ مِنْ سَجُودِ يَعْقُوبَ لِابْنِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَفْضِيلُ ابْنِهِ عَلَيْهِ، وَلَا تَفْضِيلُ الْكَعْبَةِ عَلَى بَنِي آدَمَ بِسَجُودِهِمْ إِلَيْهَا امْتِثَالاً لِأَمْرِ رَبِّهِمْ. وَأَمَّا امْتِنَاعُ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ عَارِضُ النَّصِّ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ الْفَاسِدِ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ، وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ الصُّغْرَى، وَالْكَبْرَى مَحْذُوفَةٌ، تَقْدِيرُهَا: وَالْفَاضِلُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ! وَكِلْتَا الْمَقْدَمَتَيْنِ فَاسِدَةٌ:

أما الأولى: فَإِنَّ التَّرَابَ يَفُوقُ النَّارَ فِي أَكْثَرِ صِفَاتِهِ، وَلِهَذَا خَانَ إِبْلِيسَ غُنْصُرُهُ، فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ النَّارِ طَلَبَ الْعُلُوِّ وَالْخِفَّةِ وَالطَّيْشِ وَالرُّعُونََةَ، وَإِفْسَادَ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَحْقَهُ وَإِهْلَاكَهَ وَإِحْرَاقَهُ، وَنَفْعَ آدَمَ غُنْصُرُهُ فِي التَّوْبَةِ وَالِاسْتِكَانَةِ، وَالِانْقِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالِاعْتِرَافِ وَطَلَبِ الْمَغْفَرَةِ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ التَّرَابِ الثَّبَاتَ وَالسَّكُونَ وَالرِّصَانَةَ، وَالتَّوَاضَعَ وَالْخُضُوعَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّذَلُّلَ، وَمَادَنَا مِنْهُ يَنْبُتُ وَيَزْكُو، وَيَنْمِي<sup>(١)</sup> وَيُبَارِكُ فِيهِ، ضِدَّ النَّارِ.

(١) فِي (ب): وَيَنْمُو، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، يُقَالُ: نَمَى يَنْمُو وَيَنْمُو: إِذَا زَادَ.

وأما المُقَدِّمَةُ الثانية - وهي: أن الفَاضِلَ لا يسجد للمفضول -:  
فباطِلَةٌ، فإنَّ السُّجُودَ طاعةٌ لله، وامْتِثَالٌ لأمره، ولو أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ أن  
يسجدوا لِحَجَرٍ، لوجب عليهم الامْتِثَالُ والمُبَاقَرَةُ، ولا يَدُلُّ ذلك على أن  
المَسْجُودَ لَهُ أَفْضَلُ مِنَ السَّاجِدِ، وإن كان فيه تَكْرِيْمُهُ وتعْظِيْمُهُ، وإنما يَدُلُّ على  
فضله، قالوا: وقد يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، بعد  
طَرْدِهِ لامتناعه عن السجود له، لا قَبْلَهُ، فيستفي الاستدلال به.

ومنه: أن الملائكةَ لهم عُقُولٌ، وليست لهم شَهَوَاتٌ، والأنبياءُ لهم  
عقول وشهوات، فلما نَهَوْا أَنْفُسَهُمْ عن الهوى، ومنعوها عما تَمِيلُ إليه  
الطَّبَاعُ، كانوا بذلك أفضل.

قال<sup>(١)</sup> الآخرون: يجوز أن يَقَعَ مِنَ الملائكةِ مِنْ مداومة الطاعة،  
وتَحْمُلِ العبادَةِ، وتركِ الوَنَى والفُتُورِ فيها، ما يفي بتَجَنُّبِ الأنبياءِ  
شَهَوَاتِهِمْ، مع طُولِ مدة عبادَةِ الملائكةِ.

ومنه: أن الله تعالى جَعَلَ الملائكةَ رُسُلًا إلى الأنبياء، وسفراء  
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وهذا الكلامُ قد اعتُلَّ بِهِ مَنْ قال: إن الملائكةَ أَفْضَلُ،  
واستدلالهم به أقوى، فإنَّ الأنبياءَ المرسلين، إن ثَبَتَ تَفْضِيلُهُمْ على  
الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ بالرسالة، ثَبَتَ تَفْضِيلُ الرُّسُلِ مِنَ الملائكةِ إِلَيْهِمْ عليهم،  
فإنَّ الرُّسُولَ المَلَكِيَّ يَكُونُ رَسولًا إلى الرُّسُولِ البَشَرِيِّ.

ومنه: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(٢)</sup> الآيات.  
[البقرة: ٣١].

(١) في (ب): وقال.

(٢) أي: أودع في نفسه علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين، فالمراد بالأسماء  
المسميات، عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له، وسرعة =

قال الآخرون: هذا دليلٌ على الفضل، لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علّمهم<sup>(١)</sup> الله، وليس الخضرُ أفضلَ من موسى، بكونه علّم ما لم يَعْلَمْهُ موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر، وتزوّدوا<sup>(٢)</sup> لذلك، وطلب موسى منه العلمَ صريحاً، وقال له الخضرُ: إنك على علمٍ من علم الله إلى آخر كلامه، ولا الهدُّهُ أفضلُ من سليمانَ عليه السلام، بكونه أحاط بما لم يُحِطَ به سليمانُ علماً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

قال الآخرون: هذا دليلُ الفضلِ لا الأفضلية، وإلا لزمَ تفضيله على محمد ﷺ، فإن قلتم: هو من ذريته، فَمِنْ ذريته البرُّ والفاجرُ، بل يومَ القيامة إذا قيل لآدم: «ابْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ»، «يَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِثَّةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدًا إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٣)</sup>، فما بالَ هذا التفضيلِ سرى إلى هذا الواحدِ من الألف فقط!.

= الانتقال من أحدهما إلى الآخر، والعلم الحقيقي إنما هو إدراك المعلومات أنفسها، والألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة والاصطلاح، فهي تتغير وتختلف، والمعنى لا تغيير فيه ولا اختلاف. وانظر «فتاوى شيخ الإسلام»، ٩١/٧ - ٩٦.

(١) في (ب): علم.

(٢) في (ب): وتزوّد.

(٣) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري البخاري (٣٣٤٨) و(٤٧٤١) و(٦٥٣٠) و(٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)، وأحمد ٣/٣٢ - ٣٣، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣/٣٤٦، والبغوي (٤٣٢٥)، وابن منده في «الإيمان» (٩٨٩) و(٩٩٠) و(٩٩١).

ومنه: قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْحَدِيثُ<sup>(١)</sup>، فَالشَّأْنُ فِي ثَبُوتِهِ، وَإِنْ صَحَّ عَنْهُ، فَالشَّأْنُ فِي ثَبُوتِهِ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

ومنه: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ١٧٤ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَلَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْرَبُ وَلَا نَلْبَسُ، فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا، فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ؟ قَالَ: لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةٍ مَنْ خَلَقْتُ يَبْدِي كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ». أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَنْبَلٍ<sup>(٣)</sup> عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، أَنَّهُ<sup>(٤)</sup> قَالَ: أَخْبَرَنِي الْأَنْصَارِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا...»، الْحَدِيثُ، وَفِيهِ: «وَيَنَامُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ»، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» ٤٨٥/٥ - ٤٨٦، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٤/٥٦٨ - ٥٦٩، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَهُوَ كَمَا قَالَا. وَقَوْلُ الشَّارِحِ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، لَا عِلَّ لِهَذَا الْإِحْتِمَالِ هُنَا، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، يَقُولُ هَذَا رَأْيًا مِنْهُ وَاجْتِهَادًا وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ.

(٢) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ٨٢/١، وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» وَ«الْأَوْسَطِ» وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ الْمَصِصِيُّ، وَهُوَ كَذَابٌ مَتْرُوكٌ، وَفِي إِسْنَادِ «الْأَوْسَطِ» طَلْحَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ كَذَابٌ أَيْضًا.

(٣) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حَنْبَلٍ، الْإِمَامُ الْحَافِظُ شَيْخُ بَغْدَادَ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الذُّهَلِيُّ الشَّيْبَانِيُّ الْمُرُوزِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ صَيِّئًا، دَيِّئًا، صَادِقًا، صَاحِبَ حَدِيثٍ وَاتِّبَاعٍ وَبَصِيرٍ بِالرِّجَالِ، لَهُ زِيَادَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي «مُسْنَدِ» وَالِدِهِ وَاضِحَةٌ، عَنْ عَوَالِي شَيْخُوهُ، تُوْفِيَ سَنَةَ (٢٩٠هـ). مُتَرَجِمٌ فِي «السِّيَرِ» ١٣ / رَقْمُ التَّرْجُمَةِ (٢٥٧).

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

«لَا»، فَأَعَادُوا الْقَوْلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا»<sup>(١)</sup>. والشأن في ثبوتهما، فإن في سندهما مقالاً، وفي متنتهما شيئاً، فكيف يُظن بالملائكة الاعتراض على الله تعالى مراتٍ عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] وهل يُظنُّ بهم أنهم بأحوالهم، متشوقون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟ والنوم أخو الموت، فكيف يَغِيْطُونَهُمْ به؟ وكيف يظن بهم أنهم يَغِيْطُونَهُمْ باللهو، وهو من الباطل؟ قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسَّسَ إلى آدم، ودلَّاهُ بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكاً بقوله: ﴿مَا نَهَكُكُمْ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]. فدلَّ أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «كتاب السنة» (٩٠٢)، وكذا البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٣١٦ - ٣١٧، وسنده ضعيف لجهالة الأنصاري، وتعيين الأنصاري بكونه أنس بن مالك في رواية ابن عساكر أو جابر بن عبدالله الأنصاري في رواية البيهقي ص ٣١٧ لا يصح، لضعف السند، وأخرجه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد على المريسي» ص ٣٤٦ من طريق عبدالله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن عمرو، وإسناده ضعيف لضعف عبدالله بن صالح، وكذلك أخرجه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» من حديث عبدالله بن عمرو، وفي إسناده كل منها كذاب، وانظر «المجمع» ٨٢/١ للهيتمي.

قال الأولون: إِنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ لِمَا هُوَ مَرْكُوزٌ فِي النُّفُوسِ: أَنَّ  
الملائكةَ خَلَقُوا جَمِيلَ عَظِيمٍ، مُقْتَدِرٌ عَلَى الْأَفْعَالِ الْهَائِلَةِ، خُصُوصاً  
العرب، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا فِي نَفُوسِهِمْ مِنَ الْعِظَمَةِ بِحَيْثُ قَالُوا: إِنَّ  
الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلوّاً كَبِيراً.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ  
وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال الآخرون: قد يذكر «العالمون»، ولا يُقصدُ به العمومُ المطلقُ،  
بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾  
[الفرقان: ١]. ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]. ﴿أَتَأْتُونَ  
الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]. ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ  
عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ  
خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]. والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت  
أَنَّ صَالِحِي الْبَشَرِ خَيْرُ الْخَلْقِ.

قال الآخرون: إِنَّمَا صَارُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، لَكُونِهِمْ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي هَذَا الْوَصْفِ أَكْمَلُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ١٧٥  
وَلَا يَفْتُرُونَ، فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ. هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ  
قَرَأَ «البريئة»، بِالْهَمْزِ<sup>(١)</sup>، وَعَلَى قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ، إِنْ قُلْنَا: إِنَّهَا مُخَفَّفَةٌ

---

(١) وهي قراءة نافع، وابن عامر، وحجتها أنه من: برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً، والله  
البارئ، والخلق يُبرؤون، والبريئة فعيلة بمعنى مفعولة، كقولك: قَتِلَ بِمَعْنَى مَقْتُولَ.  
وقرأ الباقر: (البرية) بغير همز، وهو من برأ الله الخلق، إلا أنهم خففوا الهمزة، لكثرة  
الاستعمال... «حجة القراءات» ص ٧٦٩.

من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى: وهو التراب، كما قاله الفراء<sup>(١)</sup> فيما نقله عنه الجوهري في «الصحاح»؛ يكون المعنى: أنهم خَيْرٌ مَنْ خُلِقَ مِنَ التراب، فلا عُمومَ فيها إذاً لغير مَنْ خُلِقَ مِنَ التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل<sup>(٢)</sup> صالحى البشر إذا كملوا، وَوَصَلُوا إلى غايتهم، وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يَكُونُ إذا دَخَلُوا الجنة، ونالوا الزُلْفَى، وسكنوا الدرجاتِ العُلا، وَحَبَّأَهُمُ الرَّحْمَنُ بِمَزِيدٍ قُرْبِهِ، وَتَجَلَّى لَهُم، لِيَسْتَمْتِعُوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

قال<sup>(٣)</sup> الآخرون: الشأنُ في أَنَّهُمْ هَلْ صَارُوا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أَوْ يَسَاوُونَهُمْ فيها؟ فإن كان قد ثبت<sup>(٤)</sup> أَنَّهُمْ يَصِيرُونَ إلى حالٍ يفوقون فيها الملائكة، سَلِمَ المُدْعَى، وإلا فلا.

ومما اسْتُدِلَّ به على تَفْضِيلِ الملائكة على البشر: قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]. وقد ثَبَتَ من طريقِ اللغة أن مثل هذا الكلام يَدُلُّ على أن المعطوف أَفْضَلُ من المعطوف عليه، لأنه لا يجوز أن يُقَالَ: لن يَسْتَنْكِفَ الْوَزِيرُ أن يكونَ خادماً للملك، ولا الشرطيُّ أو الحارس! وإنما يقال: لن يستكف الشرطيُّ أن يكونَ خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثَبَتَ تفضيلُهم على

(١) في «معاني القرآن» ٢٨٢/٣. الفراء: هو العلامة، صاحب التصانيف المفيدة، يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور، أبوزكريا الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، توفي سنة (٢٠٧هـ)، وهو بطريق الحج رحمه الله. مترجم في «السير» ١٠/ رقم الترجمة (١٢).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): وقال.

(٤) في (ب): ثبت لهم.



عيسى عليه السلام، ثبت في حق غيره، إذ<sup>(١)</sup> لم يقل أحد: إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك، لادعيت فوق منزلتي، ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: أن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه ما روى مسلم بإسناده<sup>(٢)</sup>: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ»<sup>(٣)</sup>. ومعلوم أن قوة البشر لا تداني قوة الملك ولا تقاربها.

(١) في (ب): إذا. (٢) في (ب): بإسناد.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) في القدر: باب الأمر بالقوة وترك العجز، وابن ماجه (٧٩) في المقدمة: باب في القدر و(٤١٦٨) في الزهد: باب في التوكل واليقين، وأحمد ٣٦٦/٢ و ٣٧٠، والنسائي في «اليوم والليلة» (٦٢١) و (٦٢٢) و (٦٢٣) و (٦٢٤) و (٦٢٥)، وابن السني (٣٥٠)، والحميدي (١١١٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/١٠١، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٥٦).

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر - والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

ومنه ما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup> الحديث. وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ المراد «خير» منه للمذكور، لا الخيرية المطلقة.

ومنه ما رواه ابن خزيمة<sup>(٢)</sup>، بسنده<sup>(٣)</sup> عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ جَاءَ جَبْرَيْلُ، فَوَكَّزَ بَيْنَ كَتِفَيْ، فَقُمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ مِثْلِ وَكْرِي الطَّيْرِ، فَقَعَدْتُ فِي إِحْدَاهُمَا، وَقَعَدْتُ فِي الْأُخْرَى، فَسَمْتُ وَارْتَفَعْتُ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ، وَأَنَا أَقْلُبُ بَصَرِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْسُ السَّمَاءَ مَسَيْتُ»<sup>(٤)</sup>، فَظَنَرْتُ إِلَى جَبْرَيْلَ كَأَنَّهُ جَلَسَ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) و (٧٥٠٥) و (٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥) (٢)، و٤/٢٠٦٧ (٢١)، والترمذي (٢٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، وأحمد ٢٥١/٢ و ٤١٣ و ٤٨٠ و ٤٨٢ و ٥٣٤، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٦ - ٧، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٢٨٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٧/٩.

(٢) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، الحافظ، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب «الصحيح»، وقد طبع الربع الأول منه. توفي سنة (٣١١هـ). مترجم في السير ١٤ / رَمَ الترجمة (٢١٤).

(٣) في هامش (ب): ما رواه إمام الأئمة محمد بن خزيمة بسنده في كتاب التوحيد. (ح) وجاءت كذلك في أصل (أ) و (ج) و (د) إلا أنه قد أثبت في (أ) إشارة الحذف على: «إمام الأئمة محمد» وفي كتاب التوحيد.

(٤) كذا في الأصول، والجماعة مَسَيْتُ كما في «التوحيد» و «الحلية»، وإن كان ما هنا له وجه، فقد قالوا: قَصَيْتُ أظفاري، أي: قصصت.

لاطىء، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ<sup>(١)</sup>.

قال الآخرون: في سنده مقال، فلا نُسَلِّمُ الاحتجاج به إلا بَعْدَ ثبوته. وحَاصِلُ الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يَتَعَرَّضْ لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رحمه الله في الجواب عنها، كما تَقَدَّمَ، والله أعلم بالصواب<sup>(٢)</sup>.

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بِمَنْ سَمَّى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أَرْسَلَ رُسُلًا سواهم وأنبياء لا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُمْ وَعَدَدَهُمْ إِلَّا الله تعالى الذي أرسلهم.

وجوب الإيمان  
بمن سمى الله في  
كتابه من رسله  
وأنبيائه

فعلينا الإيمان بِهِمْ جملةً، لأنه لم يأت في عددهم نص. وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وعلى الإيمان بأنهم بَلَّغُوا جَمِيعَ ما أرسلوا به على ما أَمَرَهُمُ اللهُ به، وأنهم بَيَّنُّوهُ<sup>(٣)</sup> بياناً لا يَسَعُ أحداً ممن أُرْسِلُوا إليه جهله، ولا يَحِلُّ له<sup>(٤)</sup> خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٠٩-٢١٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٣١٦/٢ من طريق سعيد بن منصور، عن الحارث بن عبيد الإيادي، عن أبي عمران الجوني، عن أنس، وسنده ضعيف، لضعف الحارث بن عبيد، فقد قال فيه الإمام أحمد: مضطرب الحديث، وضعفه ابن معين، والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: كان ممن كثر وهمه حتى خرج عن جملة من يحتج بهم إذا انفردوا. المجلس: هو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة. ولاطىء، اللطء: لزوق الشيء بالشيء.

(٢) انظر «البداية» ٥٤/١ للحافظ ابن كثير.

(٣) في (ب): بينوا. (٤) له: لم ترد في (ج).

[النحل: ٣٥] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢] ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup> [النور: ٥٤].  
﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

أولو العزم من  
الرسول

وأما أولو العزم من الرُّسل، فقد قيل فيهم أقوال<sup>(٢)</sup> أحسنها: ما نقله البَغَوِيُّ وغيره عن ابن عباس وقتادة<sup>(٣)</sup>: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم، قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

١٧٧

وأما الإيمان بمحمد ﷺ، فتصديقُه وأتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله

الإيمان بما سمى الله  
من الكتب المنزلة

(١) هذه الآية لم ترد في (ب).

(٢) بلغت عند ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣٩٢/٧ - ٣٩٣ عشرة أقوال. وذكر الثامن منها: أنهم جميع الرسل، فإن الله لم يبعث رسولاً إلا كان من أولي العزم. قاله ابن زيد، واختاره ابن الأنباري، وقال: «من» دخلت للتجنيس لا للتبعض، كما تقول: قد رأيت الثياب من الخز، والجياث من القز.

(٣) هو قتادة بن دعامة بن عازب، حافظ العصر، وقدة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، من بكر بن وائل، كان رأساً في العربية، والغريب، وأيام العرب، وأنسابها، توفي (١١٧هـ). مترجم في «السير» ٥ / رقم الترجمة (١٣٢).

تعالى سوى ذلك كُتِبَ أنزلها على أنبيائه، لا يُعْرِفُ أَسْمَاءَهَا وَعَدَدَهَا إِلَّا  
الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد  
على الإيمان بغيره من الكتب. فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزل على  
رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حقٌ وهدى ونورٌ وبيانٌ وشفاء، قال  
تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّ مِنْ  
رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿أَلَمْ \* الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إلى  
قوله: ﴿وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]. ﴿وَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ  
إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ  
اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. إلى غير ذلك من الآيات  
الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده. وفي ذلك إثباتُ صفة  
الكلام والعلو، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ  
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأُنْزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup> [البقرة: ٢١٣]. ﴿وَإِنَّهُ

(١) أخرج ابن جرير في «تفسيره» (٤٠٤٨) من طريق محمد بن بشار، حدثنا أبو داود  
الطيالسي، حدثنا همام بن منبه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم  
عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين  
ومنذرين. قال: وكذلك هي في قراءة عبدالله: «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»،  
وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ٥٤٦/٢ - ٥٤٧ من طريق محمد بن بشار به، وقال:  
هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال  
إلا أن أبا داود الطيالسي، واسمه سليمان بن داود روى له البخاري تعليقا، وهو من  
رجال مسلم، ولفظ: «فاختلفوا» إنما حذف تعويلا على قوله في الآية: «ليحكم بين الناس  
فيما اختلفوا فيه» على أنه وقع التصريح بهذا المحذوف في قوله تعالى في سورة يونس  
الآية ١٩: «وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا».

قال الطبري: فتاويل «الأمة» على هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس: «الدين»  
كما قال النابغة الذبياني:

=

لَكُتَبٌ عَزِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: ٤١، ٤٢] ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبا: ٦]. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

قوله: «وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبَلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ».

ش: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَيْبَحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا»<sup>(١)</sup>. ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحلّه.

أهل القبلة  
مسلمون مؤمنون

والمراد بقوله: «أهل»<sup>(٢)</sup> قبلتنا من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة

= حلفت فلم أترك لنفسك ريباً وهل يائمن ذو أمة وهو طائع  
يعني: ذا الدين.

فكان تأويل الآية على معنى قول هؤلاء: كان الناس أمة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وأصل «الأمة» الجماعة تجتمع على دين واحد، ثم يكتفى بالخبر عن «الأمة» من الخبر عن «الدين» لدلالاتها عليه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يراد به أهل دين واحد، وملة واحدة.

(١) أخرجه البخاري (٣٩١) من حديث أنس بلفظ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته». وقد تقدم تخريجه ص ٢١.

(٢) في (ب): بأهل.

وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يُكذَّب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ. وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» وعند قوله: «والإسلام والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء».

قوله: «ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله».

ش: يُشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطانٍ اتاهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه. وقال بعضهم: الحق سبحانه يقول: مَنْ أَلَزَمْتُهُ الْقِيَامَ مع أسمائي وصفاتي، أَلَزَمْتُهُ الْأَدَبَ، ومن كَشَفْتُ له حَقِيقَةَ ذاتي، أَلَزَمْتُهُ الْعَطَبَ، فاختر الأَدَبَ أو الْعَطَبَ، ويشهد لهذا: أنه سبحانه لما كَشَفَ للجبل<sup>(١)</sup> عن ذاته، سَاخَ الْجَبَلُ وتكدك ولم يَثْبُت على عظمة الذات. وقال الشُّبلي<sup>(٢)</sup>: الانبساط بالقول مع الحق تركُّ الأدب.

(١) في (ب): الجبل.

(٢) هو أبو بكر، دلف بن جَحْدَر الشُّبلي البغدادي، أصله من الشبلية قرية من قرى أشروسنة بلدة عظيمة وراء سمرقند، ومولده بسمراء كان حاجباً للموفق، ثم ترك الحجابة، وحضر مجلس بعض الصالحين، فتاب، وصحب الجنيد وغيره، قال الإمام الذهبي: كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وجكمٌ وحال وتمكن، لكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسكر، فيقول أشياء يعتذر عنه فيها كبر وفخر، لا تكون قلدوة، توفي سنة (٣٣٤هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٣٦٧/١٥ - ٣٧٠.

وقوله: «ولا نُماري في دين الله» معناه: لا نُخاصِمُ أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامتراثهم وميلهم، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام.

قوله: «ولا نُجادِلُ في القرآن، ونُشهدُ أنه كلامُ ربِّ العالمين، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ. وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يُسَاوِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ».

ش: فقوله: «ولا نجادل في القرآن» يحتمل أنه أراد: أننا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليُدْحِضُوا به الحق، بل نقول: «إنه كلام رب العالمين، نَزَلَ بِهِ الروح الأمين» إلى آخر كلامه.

النهي عن الجدال  
في القرآن

ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءات الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق، يشهد بصحة المعنى الثاني، ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سَمِعْتُ رجلاً قرأ<sup>(١)</sup> آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خِلافَهَا، فَأَخَذْتُ بيده، فأنطلقتُ به إلى رسول الله ﷺ، فَذَكَرْتُ ذلك له، فَعَرَفْتُ في وجهه الكَرَاهَةَ، وقال: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا». رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

نهى ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين

(١) في (ب): يقرأ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٠) و(٣٤٧٦) و(٥٠٦٢)، وأحمد ٣٩٣/١ و٤١٢ و٤٥٦، وليس هو في مسلم كما ظن الشارح. ورواه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٥٢/٧.



ما مَعَ صاحبه مِنَ الحق، لأن كلا<sup>(١)</sup> القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعَلَّ ذلك بأنَّ مَنْ كان قبلنا اختلفوا، فهلكوا، ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: أَدْرِكْ هذه الأُمَّةَ لا تَخْتَلِفْ كما اختلفتِ الأُمَّةُ قبلهم<sup>(٢)</sup>. فَجَمَعَ النَّاسَ على حرفٍ واحدٍ اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك تركٌ لواجب، ولا فِعْلٌ لِمَحْظُور، إذ كانت قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ على سبعةِ أحرف جائزَةً لا وَاجِبَةً، رُخْصَةً من الله تعالى، وقد جعل الاختيَارَ إليهم في أيِّ حَرْفٍ اختاروه.

كما أن تَرْتيبَ السُّورِ لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، ولهذا كان تَرْتيبُ مصحف عبد الله على غير ترتيب المصحف العثماني، وكذلك مصحف غيره. وأما تَرْتيبُ آيات السور، فهو ترتيبٌ منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يُقَدِّمُوا آيَةً على آية، بخلاف السُّورِ، فلما رأى الصحابةُ أن الأُمَّةَ تَفْتَرِقُ وتَخْتَلِفُ، وتتقاتل إن لم تجتمع على حرفٍ واحد، جمعهم

(١) في (ب): كلاً من.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٨٧) من طريق موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأُمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فلما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

الصحابة عليه. هذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير<sup>(١)</sup> وغيره.

ومنهم من يقول: إنَّ التَّرخُّصَ في الأحرفِ السبعة كان في أول الإسلام، لما في المحافظة على حرفٍ واحدٍ من المشقة عليهم أولاً، فلما تَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرفٍ واحدٍ يسيراً عليهم، وهو أَوْفَقُ لهم؛ أجمعوا على الحرفِ الذي كان في العُرْضَةِ الأخيرة. ١٧٩

وذهب طوائف من الفقهاء وأهل الكلام إلى أنَّ المصحف مُشْتَمِلٌ على الأحرف السبعة، لأنَّه لا يَجُوزُ أن يُهْمَلَ شيءٌ من الأحرفِ السبعة، وقد اتفقوا على نقل المصحف العثماني، وترك ما سواه. وقد تَقَدَّمتِ الإِشَارَةُ إلى الجواب، وهو: أن ذلك كان جائزاً لا واجباً، أو أنه صار منسوخاً.

وأما مَنْ قال عن ابن مسعود: إنَّه كان يجوزُ القراءةَ بالمعنى! فقد كَذَبَ عليه، وإنما قال: قد نظرتُ إلى القُرَّاءِ فرأيتُ قراءَتَهُم مُتَقَارِبَةً، وإنما هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ، وَأَقْبِلْ، وتعال، فاقرؤوا كما عَلَّمْتُمْ<sup>(٢)</sup>، أو كما قال.

والله تعالى قد أَمَرَنَا أن لا نُجَادِلَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

(١) انظر «جامع البيان» ٥٦/١ - ٥٩.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٨٠)، من ثلاث طرق عن الأعمش، عن شقيق، قال: قال عبدالله: إني قد سمعت إلى القراءة، فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال. وإسناده صحيح.

إلا الذين ظَلَمُوا منهم، فكيف بمناظرة أَهْلِ الْقِبْلَةِ؟ فَإِنَّ أَهْلَ الْقِبْلَةِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ خَيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنَظَرَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَلَيْسَ إِذَا أَخْطَأَ يُقَالُ: إِنَّهُ كَافِرٌ قَبْلَ أَنْ تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي حَكَمَ الرَّسُولُ بِكُفْرٍ مِنْ تَرْكِهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ عَفَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ<sup>(١)</sup>. وَلِهَذَا ذَمَّ السَّلَفُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَذَكَرُوا أَنَّ آخِرَ أَمْرِهِمُ السَّيْفُ، وَسَيَأْتِي لِهَذَا الْمَعْنَى زِيَادَةٌ بَيَانٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ: «وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفِرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا».

وقوله: «ونشهد أنه كلامُ ربِّ العالمين» تقدم الكلام<sup>(٢)</sup> على هذا المعنى عند قوله: «وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً».

وقوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» هو جبريل عليه السلام، سُمِّيَ رُوحًا، لَأَنَّهُ حَامِلُ الْوَحْيِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ إِلَى الرِّسْلِ مِنَ الْبَشَرِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ أَمِينٌ حَقٌّ أَمِينٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ \* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

(١) أخرج ابن ماجه (٢٠٤٥) من طريق الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «إن الله وضع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». قال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» ورقة ١٣١: هذا إسناد صحيح، إن سلم من الانقطاع، والظاهر أنه منقطع، قال المزي في «الأطراف»: رواه بشر بن بكر التنيسي، عن الأوزاعي، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس، وليس ببعيد أن يكون السقط من صنعة الوليد بن مسلم، فإنه كان يدلس تدليس التسوية. ورواية بشر بن بكر التنيسي المتصلة أخرجها البيهقي في «سننه» ٣٥٦/٧ والطبراني في «الصغير» ٢٧٠/١، والدارقطني ١٧٠/٤ - ١٧١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٥٦/٢، وصححه ابن حبان (١٤٩٨)، والحاكم ١٩٨/٢، ووافقه الذهبي.

(٢) في (ب): القول.

مُبين ﴿ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \*  
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿ [التكوير: ١٩ - ٢١]. وهذا وصف جبريل، بخلاف قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ  
لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿ الآيات [الحاقة: ٤٠ - ٤١]،  
فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ.

وقوله: «فعلّمه سيّد المرسلين» تَصْرِيحٌ بتعليم جبريل إياه، إبطالاً  
لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوّره في نفسه إلهاماً<sup>(١)</sup>.

وقوله: «ولا نقولُ بخلقه، ولا نُخَالِفُ جماعة المسلمين» تنبيهٌ على  
أن من قال بخلق القرآن، فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سَلَفَ الأمة  
كُلُّهم متفقون على أن القرآن كلامُ الله بالحقيقة غيرُ مخلوق، بل قوله:  
«ولا نخالف جماعة المسلمين» مجرى على إطلاقه: أنا لا نُخَالِفُ جماعة  
المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه، فإنَّ خِلَافَهُمْ زَيْغٌ وضلالٌ وبِدْعَةٌ.  
قوله: «وَلَا نَكْفُرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ،  
وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ».

ش: أراد بأهل القبله الذين تقدّم ذكرهم في قوله: «ونسَمِّي أهل  
قبلتنا مسلمين مؤمنين» يشير الشيخ رحمه الله<sup>(٢)</sup> إلى الردّ على الخوارج  
القائلين بالكفر بكلّ ذنب.

واعلم - رَجِمَكَ الله وإيانا - أن بَابَ التَّكْفِيرِ وَعَدَمَ التَّكْفِيرِ، بَابُ  
عَظَمَةِ الْفِتْنَةِ وَالْمَحَنَةِ فِيهِ، وَكَثَرَ فِيهِ الْاِفْتِرَاقُ، وَتَشَتَّتَ فِيهِ الْأَهْوَاءُ  
وَالْآرَاءُ، وَتَعَارَضَتْ فِيهِ دَلَالَتُهُمْ، فَالنَّاسُ فِيهِ - فِي جِنْسِ تَكْفِيرِ أَهْلِ

١٨٠

لا يجوز تكفير  
المسلم بـ ذنب  
لم يستحلّه

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ١٠/٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) في (ج) و (د) زيادة: «بهذا الكلام» وهي في هامش (ب).

المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم - على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

فطائفة تقول: لا نُكْفِرُ مِنْ أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفيًا عامًا، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم مَنْ هو أَكْفَرُ من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يُظْهِرُ بَعْضُ ذلك حيث يُمَكِّنُهُمْ، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأيضاً: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمُحَرَّمَاتِ الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك؛ فإنه يُسْتَتَابُ، فإن تاب، وإلا قُتِلَ كافرًا مرتدًا. والنفاق والردة مظهرتهما<sup>(١)</sup> البِدْعُ والفُجُورُ، كما ذكره الخلال<sup>(٢)</sup> في كتاب «السنة» بسنده إلى محمد بن سيرين<sup>(٣)</sup>، أنه قال: إنَّ أَسْرَعَ الناسِ رَدَّةَ أَهْلِ الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأننا لا نُكْفِرُ أحداً

(١) في (أ) و (ج): مظهرتهما.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي، الخلال، المتوفى سنة (٣١٠هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٢٩٧/١٤.

(٣) هو الإمام شيخ الإسلام أبو بكر الأنصاري، مولى أنس بن مالك، حديثه مخرج في الصحاح والسنن والمسند، كان - فيما وصفه ابن جرير الطبري - فقيهاً عالماً، ورعاً أديباً، كثير الحديث، صدوقاً، شهد له أهل الفضل بذلك، وهو حجة، توفي سنة (١١٠هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٦٠٦/٤ - ٦٢٢.

بذنّب، بل يُقال: لا نُكفّرهم بكلّ ذنب، كما تفعله الخوارج، وفَرْقٌ بَيْنَ  
النفي العام ونفي العموم، والوَاجِبُ إنما هو نفي العموم مناقضةً لقول  
الخوارج الذين يُكفّرونَ بكل ذنب.

ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ رحمه الله بقوله: «ما لم يستحله»،  
وفي قوله: «ما لم يستحله» إشارةً إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل  
ذنب، الذنوب العملية لا العلمية. وفيه إشكال، فإن الشارع لم يكتفِ من  
المُكَلَّفِ في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات<sup>(١)</sup>  
بمجرد العلم دون العمل<sup>(٢)</sup>، وليس العمل مقصوداً على عمل  
الجوارح<sup>(٣)</sup>، بل أعمال القلوب أصلٌ لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح  
تبعٌ إلا أن يُضمَّنَ قوله: «يستحله» بمعنى: يعتقده أو نحو ذلك.

وقوله: «ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»... إلى  
آخر كلامه: ردّ على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ،  
كما لا يتفَعُّ مع الكفر طاعةً. فهؤلاء في طرفٍ، والخوارجُ في طرفٍ،  
فإنهم يقولون: نكفر المسلم بكلّ ذنب، أو بكلّ ذنب كبير، وكذلك  
المعتزلة الذين يقولون: يَحْبِطُ إيمانه كُلهُ بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء  
من الإيمان. لكن الخوارج يقولون: يَخْرُجُ من الإيمان، ويدخلُ في  
الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر،  
وهذه المنزلة بين المنزلتين!! ويقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له  
الخلود في النار!

(١) في (ج): العمليات، وهو خطأ.

(٢) في (ب): بمجرد العمل دون العلم، وهو خطأ.

(٣) تصحفت في (ب) إلى: الخوارج.

وطَوَّافٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَالْفَقْه، وَالْحَدِيثَ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ فِي الْأَعْمَالِ، لَكِنْ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ الْبِدْعِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا مُتَأَوَّلًا، فَيَقُولُونَ: يَكْفُرُ كُلُّ مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ وَغَيْرِهِ، أَوْ يَقُولُونَ بِكَفَرِ كُلِّ مُبْتَدِعٍ، وَهَؤُلَاءِ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الْإِثْبَاتِ الْعَامُ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ، فَإِنَّ النُّصُوصَ الْمُتَوَاتِرَةَ قَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَنُصُوصُ الْوَعْدِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا هَؤُلَاءِ تُعَارِضُ نُصُوصَ الْوَعِيدِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا أَوْلَئِكَ.

وَالْكَلَامُ فِي الْوَعِيدِ مُبَسَّوْطٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَسَيَأْتِي بَعْضُهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ الشَّيْخِ: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ».

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْبِدْعَ هِيَ مِنْ هَذَا الْجَنْسِ، فَإِنْ الرَّجُلُ يَكُونُ مُؤْمِنًا بَاطِنًا وَظَاهِرًا، لَكِنْ تَأَوَّلَ تَأْوِيلًا أَخْطَأَ فِيهِ، إِمَّا مُجْتَهِدًا، وَإِمَّا مَفْرُطًا مَذْنِبًا، فَلَا يُقَالُ: إِنَّ إِيْمَانَهُ خَبِطَ بِمَجْرَدِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَدُلَّ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، بَلْ هَذَا مِنْ جَنْسِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَلَا نَقُولُ: لَا يَكْفُرُ، بَلِ الْعَدْلُ هُوَ الْوَسْطُ، وَهُوَ: أَنَّ الْأَقْوَالَ الْبَاطِلَةَ الْمُتَبَدِّعَةَ الْمُحَرَّمَةَ الْمُتَضَمِّنَةَ نَفْيِ مَا أَثْبَتَهُ الرَّسُولُ، أَوْ إِثْبَاتِ مَا نَفَاهُ، أَوْ الْأَمْرَ بِمَا نَهَى عَنْهُ، أَوْ النَّهْيَ عَمَّا أَمَرَ بِهِ؛ يُقَالُ فِيهَا الْحَقُّ، وَيُثْبِتُ لَهَا الْوَعِيدُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهَا كُفْرٌ، وَيُقَالُ: مَنْ قَالَهَا، فَهُوَ كَافِرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، كَمَا يُذَكَّرُ مِنَ الْوَعِيدِ فِي الظُّلْمِ فِي النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ، وَكَمَا قَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ السَّنَةِ الْمَشَاهِيرِ بِتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وَقْعِهَا. وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ قَالَ: نَظَرْتُ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَدَّةً، حَتَّى اتَّفَقَ رَأْيِي

ورأيه: أن مَنْ قال بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فهو كَافِرٌ<sup>(١)</sup>.

وأما الشخص المَعَيَّنُ، إذا قِيلَ: هل تشهدون أنه مِنْ أَهْلِ الوعيد، وأنه كافر؟ فهذا لا نَشْهَدُ عليه إِلَّا بِأَمْرِ تَجَوُّزٍ معه الشهادة، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْبَغْيِ أَنْ يُشْهَدَ عَلَى مَعِينٍ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَلَا يَرْحَمُهُ، بَلْ يُخَلِّدُهُ<sup>(٢)</sup> فِي النَّارِ، فَإِنْ هَذَا حُكْمُ الْكَافِرِ بَعْدَ الْمَوْتِ. ولهذا ذكر أبو داود في «سننه» في كتاب الأدب: «باب النهي عن البغي»، وذكر فيه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ

من أعظم البغي أن يُشهد على معيّن أن الله لا يغفر له

(١) أخرجه الإمام الذهبي في «العلو» ص ١٤٠ من طريق ابن أبي حاتم، حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم، حدثنا علي بن الحسن الكراعي، قال: قال أبو يوسف: ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأينا على أن من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٢٥١ من طريق عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، عن أبيه، قال: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: كلمت أبا حنيفة رحمه الله سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا؟ فاتفق رأيه ورأيه على أن من قال: «القرآن مخلوق فهو كافر». وقال البيهقي: رواة هذا كلهم ثقات، وأخرج البيهقي أيضاً من طريق محمد بن أيوب الرازي، قال: سمعت محمد بن سابق يقول: سألت أبا يوسف، فقلت: أكان أبو حنيفة يقول: القرآن مخلوق؟ قال: معاذ الله، ولا أنا أقوله، فقلت: أكان يرى رأي جهنم؟ فقال: معاذ الله ولا أنا أقوله. وقال البيهقي: رواه ثقات.

(٢) في (ب): يخلد.



فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار. قال أبو هريرة: «والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»، وهو حديث حسن<sup>(١)</sup>.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: «إذا ميت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له لخشيته»<sup>(٢)</sup> وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك، لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعايقه في الدنيا، لنمنع بدعته، وأن نستتيه، فإن تاب وإلا قتلناه.

ثم إذا كان القول في نفسه كفراً، قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً، فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين للإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً، وكتاب الله يبين ذلك، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف: صنف: كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرؤون بالشهادتين، وصنف: مؤمنون باطناً وظاهراً، وصنف أقرؤا به

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١) في الأدب: باب في النهي عن البغي، وسنده حسن.  
(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٤٨١) و (٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦)، وابن ماجه (٤٢٥٥)، والنسائي ١١٣/٤، وأحمد ٢٦٩/٢ من حديث أبي هريرة.  
وأخرجه أيضاً البخاري (٣٤٧٨) و (٦٤٨١) و (٧٥٠٨)، ومسلم (٢٧٥٧) (٢٧)، وأحمد ١٣/٣ و ١٧ و ٧٧ من حديث أبي سعيد الخدري، وفي الباب عن حذيفة بنحوه عند البخاري (٣٤٥٢) و (٣٤٧٩) و (٦٤٧٠)، والنسائي ١١٣/٤.

ظاهراً لا باطناً. وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة، وكلُّ مَنْ ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقراً بالشهادتين، فإنه لا يكون إلا زنديقاً، والزنديق هو المنافق<sup>(١)</sup>.

١٨٣

وهنا يَظْهَرُ غَلَطُ الطرفين، فإنه من كَفَرَ كُلُّ مَنْ قال القَوْلَ المبتدع في الباطن، يلزمه أن يُكْفَرَ أقواماً ليسوا في الباطن منافقين، بل هُمْ في الباطن يُجِبُّونَ اللَّهَ ورسوله وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ورسوله وإن كانوا مذنبين<sup>(٢)</sup>، كما ثبت في «صحيح البخاري» عن أسلم مَوْلَى عُمَرَ رضي اللَّه عَنْهُ، عن عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ: عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلقَّبُ جِمَارًا: وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ مِنَ الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ! مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتِي بِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَلْعَنُهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٣)</sup> وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية، أو المرجئة، أو القدرية، أو الشيعة، أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين

(١) في «اللسان»: الزنديق، القائل ببقاء الدهر، فارسي مُعَرَّبٌ، قال في شرح القاموس: الزنديق نسبة إلى الزند، وهو كتاب ماني المجوسي الذي كان في زمن بهرام بن هرمز بن سابور، ويدعي متابعة المسيح عليه السلام، وأراد الصيت، فوضع هذا الكتاب، وخبأه في شجرة، ثم استخرجه، والزند بلغتهم: التفسير، يعني: هذا تفسير لكتاب زرادشت الفارسي، واعتقد فيه الإلهين: النور والظلمة، النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر، وحرَمَ إتيان النساء، لأن أصل الشهوة من الشيطان، ولا يتولد من الشهوة إلا الخبيث، وأباح اللواط لانقطاع النسل، وحرَمَ ذبح الحيوانات، وإذا ماتت، حل أكلها. وانظر «رد المحتار» ٢٤١/٤ - ٢٤٣.

(٢) ني (ب): مذنبين.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨٠)، والبخاري في «شرح السنة» (٢٦٠٦).

بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير.

فَمِنْ عِيُوبِ أَهْلِ الْبِدْعِ تَكْفِيرُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَمِنْ مَمَادِحِ<sup>(١)</sup> أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ يُخْطِئُونَ وَلَا يَكْفُرُونَ.

أهل البدع يكفر بعضهم بعضاً، وأهل السنة والجماعة يخطئون ولا يكفرون

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله تعالى، وهو: أَنَّ الشَّارِعَ قَدْ سَمَّى بَعْضَ الذُّنُوبِ كُفْرًا، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ<sup>(٢)</sup> فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تحرفت في (ب) إلى: ممازح.

(٢) في (ب): «المؤمن» وهو خطأ.

(٣) أخرجه - من حديث عبد الله بن مسعود - البخاري (٤٨) و (٦٠٤٤) و (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤)، وابن ماجه (٦٩) و (٣٩٣٩)، وأحمد ١/ ٣٨٥ و ٤١١ و ٤٣٣ و ٤٣٩ و ٤٤٦ و ٤٥٤ و ٤٦٠، والنسائي ١٢٢/٧، والطبراني ١٢٢/٧، والحميدي (١٠٤)، والترمذي (١٩٨٣) و (٢٦٣٤) و (٢٦٣٥)، والطبراني في الكبير (١٠١٠٥)، والبيهقي (٣٥٤٨)، والخطيب ٨٦/١٠ - ٨٧ و ١٨٥/١٣، وأبو نعيم في الحلية ٢٣/٥ و ٣٤، و ١٢٣/٨ و ٢١٥/١٠، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/ ٣٦٥، وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن ماجه (٣٩٤٠) والخطيب ٣٩٧/٣ و ١٤٤/٥، وأبي نعيم ٣٥٩/٨، وعن سعد بن أبي وقاص عند أحمد ١/ ١٧٦ و ١٧٨، وابن ماجه (٣٩٤١)، والنسائي ١٢١/٧، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/ ٣٦٥.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٠٣) و (٦١٦٦) و (٦٧٨٥) و (٧٠٧٧)، ومسلم (٦٦) (١٢٠)، والنسائي ١٢٦/٧ و ١٢٧، وأبو داود (٤٦٨٦)، وابن ماجه (٣٩٤٣)، وأحمد ٢/ ٨٥ و ٨٧ و ١٠٤، وابن أبي شيبة ٣٠/١٥، وابن منده في «الإيمان» (٦٥٨) و (٦٥٩)، وابن حبان (١٨٧) من حديث ابن عمر، وأخرجه البخاري (١٢١) و (٤٤٠٥) =

«وإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»<sup>(١)</sup>. متفق عليهما  
من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «أَزِنِعْ مَنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ  
خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ،  
وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه من  
حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما<sup>(٢)</sup>.

= و (٦٨٦٩) و (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥) (١١٨)، وابن ماجه (٣٩٤٢)، والنسائي  
١٢٧/٧ - ١٢٨، والدارمي ٦٩/٢، وأحمد ٣٥٨/٤ و ٣٦٣ و ٣٦٦، وابن أبي شيبة  
٣٠/١٥، والبخاري (٢٥٥٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٩٤/٣، والطبراني في  
«الكبير» (٢٢٧٧) و (٢٠٤٢)، وابن منده في «الإيمان» (٦٥٧) من حديث جرير بن  
عبد الله. وفي الباب عن أبي بكره عند البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩)، وأحمد  
٣٩/٥ و ٤٩، والنسائي ١٢٧/٧، والطحاوي (٨٥٩)، والطبراني في «الصغير»  
١٥٣/١، والخطيب ٢٤٦/٨. وعن ابن عباس عند البخاري (١٧٣٩) و (٧٠٧٩)،  
والترمذي (٢١٩٣)، وأحمد ٢٣٠/١.

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة، وأخرجه من حديث ابن عمر  
البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (١١) (٦٠)، والترمذي (٢٦٣٧)، ومالك ٩٨٤/٢،  
وأحمد ١٨/٢ و ٤٤ و ٤٧ و ٦٠ و ١١٢ و ١١٣ و ١٤٢، والحميدي (٦٩٨)، والبخاري  
(٣٥٥٠) و (٣٥٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٩) و (٤٤٠)، والطحاوي في  
«مشكل الآثار» ٣٦٨/١ و ٣٦٩، وابن منده في «الإيمان» (٥٩٤) و (٥٩٥) و (٥٩٦)  
و (٥٩٧)، وأبوداود (٤٦٨٧)، وابن حبان (٢٤٩) و (٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤) و (٢٤٥٩) و (٣١٧٨)، ومسلم (٥٨)، وابن حبان (٢٥٤)  
و (٢٥٥)، وأبونعيم ٢٠٤/٧، والبخاري (٣٧)، وابن منده في «الإيمان» (٥٢٢)  
و (٥٢٣) و (٥٢٤) و (٥٢٥) و (٥٢٦)، وأبوداود (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٦٣٤)،  
والنسائي ١١٦/٨، وأحمد ١٨٩/٢ من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه البخاري  
(٣٣) و (٢٦٨٢) و (٢٧٤٩) و (٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣٢)،  
والنسائي ١١٧/٨ من حديث أبي هريرة بلفظ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا  
وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وهو عند البخاري (٣٥)، وابن منده (٥٢٧) و (٥٢٨)، وفي  
الباب عن ابن مسعود نحوه أخرجه النسائي ١١٧/٨، وأبونعيم ٤٣/٥، وابن منده (٥٣١).

وقال ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «بَيْنَ الْمُسْلِمِ، وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ» رواه الحاكم بهذا اللفظ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) و (٥٥٧٨) و (٦٧٧٢) و (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، والنسائي ٦٤/٨ و ٦٥ و ٣١٣، والدارمي ٨٧/٢ و ١١٥، وأحمد ٢/٢٤٣ و ٣١٧ و ٣٧٦ و ٣٨٦ و ٤٧٩، والبخاري (٤٦) و (٤٧)، وابن حبان (١٨٦)، وأبو نعيم ١٦٤/٣ و ٣٢٢ و ٣٦٩ و ٢٥٦/٦ و ٢٤٨/٩، والطبراني في الكبير (١٣٣٠٤)، والحميدي (١١٢٨)، وابن أبي شيبة ١٩٤/٨ و ٣٢/١١ من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٦٧٨٢) و (٦٨٠٩)، والنسائي في الكبير، كما في «التحفة» ١٣٥/٥ و ١٦٠، والطبراني في «الكبير» (١١٦٢٣) و (١١٦٧٩) و (١١٧٩٩) و (١٣٣٠٤) من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد ١٣٩/٦، وابن أبي شيبة ١٩٤/٨ و ١٤/١١ و ٣٢ من حديث عائشة بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢)، وأحمد ٣/٣٧٠ و ٣٨٩، والدارمي ٢٨٠/١، وابن أبي شيبة ٣٣/١١، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦١٨)، وابن ماجه (١٠٧٨)، والنسائي كما في «التحفة» ٣٢٠/٢، وأبو نعيم ٢٧٦/٦ و ٢٥٦/٨، والخطيب ١٨٠/١٠، والطحطاوي في «مشكل الآثار» ٢٢٦/٤ - ٢٢٧، والبخاري (٣٤٧)، والبيهقي ٣٦٦/٣.

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وابن الجارود (١٠٧)، والبيهقي ١٩٨/٧، والطحطاوي في «شرح معاني الآثار» ٤٤/٣ - ٤٥، والدارمي ٢٥٩/١، وأحمد ٤٠٨/٢ و ٤٢٩ و ٤٧٦ وإسناده قوي.

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٩٧ وهو صحيح.

وقال ﷺ: «بِتَّانِ فِي أُمِّي هَمَّا كُفَرُ: الطُّغْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»<sup>(١)</sup> ونظائر ذلك كثيرة.

١٨٤

الانفاق على  
ان مرتكب  
الكبيرة لا يخرج  
من الإيمان  
والإسلام

والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الإملة بالكليّة، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الإملة، لكان مرتدّاً يُقتل على كل حال، ولا يُقبل عفو وليّ القصاص، ولا تجري الحدود في الزنى والسرقة، وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحقّ الخلود في النار مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ١٧٨]. فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله<sup>(٣)</sup> أخاً لوليّ القصاص، والمراد أخوة الدين بلاريب، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (٦٧)، وأحد ٣٧٧/٢ و ٤٤١ و ٤٩٦، وابن منده في «الإيمان» (٦٦٠) و (٦٦٢) و (٦٦٣).

(٢) في «زاد المسير» قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: من دم أخيه، أي: ترك له القتل، ورضي منه بالدية، ودل قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام.

(٣) في (ب): أو جعله، وهو خطأ.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف<sup>(١)</sup> لا يقتل، بل يُقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد. وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لَاحِيَةٌ مَظْلَمَةٌ مِنْ عَرَضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دَرَاهِمَ وَلَا دِينَارًا، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَلْقَى فِي النَّارِ»، أخرجاه في «الصحيحين»<sup>(٢)</sup>.

ثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «ماتعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا مَنْ لَا لَهُ دَرَاهِمٌ وَلَا دِينَارٌ قَالَ: الْمَفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَسَنَاتٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْتَصُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». رواه مسلم<sup>(٣)</sup>. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

(١) في (ب): القاذف والسارق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) و (٦٥٣٤)، والترمذي (٢٤١٩)، والطحاوي (٢٣٢٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٧٠/١، وأحد ٤٣٥/٢ و ٥٠٦ من حديث أبي هريرة، ولم يخرجهم مسلم كما ذكر المؤلف. ولا يوجد اللفظ الذي ذكره المؤلف في مصادر تخريجه. (٣) رقم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة ولفظه عنده: أن رسول الله ﷺ، قال: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيَتْ حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحَتْ عليه، ثم طرح في النار». وأخرجه الترمذي (٢٤١٨)، وأحد ٣٠٣/٢ و ٣٣٤ و ٣٧٢.

[هود: ١١٤]. فدل-ذلك على أنه في حال إساءته يفعل حسناتٍ تمحو سيئاته، وهذا مبسوط في موضعه.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حُكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلدٌ في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب. كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعيد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد، التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة؛ تبين لك فساد القولين. ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

ثم بعد هذا الاتفاق بين أهل السنة اختلفوا اختلافاً لفظياً لا يترتب عليه فساد، وهو: أنه هل يكون الكفر على مراتب، ككفر دُونَ كفر؟ كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دُونَ إيمان؟ وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في معنى «الإيمان»: هل هو قولٌ وعمل يزيد<sup>(١)</sup> وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن مَنْ سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من<sup>(٢)</sup> الممتنع أن يُسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسوله مَنْ تقدم ذكره كافراً، ولا نُطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، قال:

لكفر نوعان  
اعتقادي وعلمي

(١) في (ب): ويزيد.

(٢) في (ب): ومن الممتنع.



هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر، كالإيمان عنده.

ومن قال: إن الإيمان: هو التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر: هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة. وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس<sup>(١)</sup>، إنها سُمِّيَتْ إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها على الإيمان، أولدالاتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً. ولهذا يُحْكَمُ بإسلام الكافر إذا صَلَّى كصلاتنا، فَلَيْسَ بَيْنَ فَهَاءِ الْمِلَّةِ نَزَاعٌ فِي أَصْحَابِ الذُّنُوبِ، إذا كانوا مقرّين باطناً وظاهراً<sup>(٢)</sup> بما جاء به الرُّسُولُ وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قَوْلٌ من يقول بتخليدِهم في النار، كالخوارج والمعتزلة، ولكن أردأ ما في ذلك التعصّب من بعضهم، وإلزامه لمن يُخَالِفُ قَوْلَهُ بما لا يلزمه، والتشنيع عليه! وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يُعَدَّلُ بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف؟! قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اْعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ الآية [المائدة: ٨].

(١) هو بهذا اللفظ في الطيالسي (٧٢٢)، والنسائي كما في «التحفة» ٥١/٢، و«الفتح» ٩٦/١، من حديث البراء ومعناه في صحيح البخاري (٤٠) و(٤٤٨٦) من حديث البراء أيضاً.  
(٢) في (ب): ظاهراً وباطناً.

وهنا أمرٌ يَجِبُ أَنْ يُتَّقَنَ لَهُ، وهو: أَنَّ الْحُكْمَ يَغْيَرُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ  
يَكُونُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وقد يَكُونُ مَعْصِيَةً: كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً، وَيَكُونُ  
كُفْرًا: ١٨٦ إِمَّا مَجَازِيًّا، وَإِمَّا كُفْرًا أَصْغَرَ، عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ. وَذَلِكَ  
بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ: فَإِنَّهُ إِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرُ  
وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مَخْيَرٌ فِيهِ، أَوْ اسْتِهَانٌ بِهِ مَعَ تَقَيُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ؛ فَهَذَا كُفْرٌ  
أَكْبَرُ، وَإِنْ اعْتَقَدَ وَجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَعَلِمَهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ،  
وَعَدَلَ عَنْهُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلْعُقُوبَةِ؛ فَهَذَا عَاصٍ، وَيُسَمَّى كَافِرًا  
كُفْرًا مَجَازِيًّا، أَوْ كُفْرًا أَصْغَرَ. وَإِنْ جَهِلَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهَا، مَعَ بَذْلِ جَهْدِهِ،  
وَاسْتِفْرَاحٍ وَسَعَةٍ فِي مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ وَأَخْطَا، فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ أَجْرٌ<sup>(١)</sup>  
عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَخَطْؤُهُ مَغْفُورٌ.

وَأَرَادَ الشَّيْخُ رَجَمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: «وَلَا نَقُولُ: لَا<sup>(٢)</sup> يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ  
ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ» مَخَالَفَةَ الْمَرْجُئَةِ، وَشَبْهَتُهُمْ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ لِبَعْضِ  
الْأَوَّلِينَ، فَاتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ قُدَّامَةُ بْنُ  
مِظْعُونٍ<sup>(٣)</sup> شَرِبَ الْخَمْرَ بَعْدَ تَحْرِيمِهَا هُوَ وَطَائِفَةٌ، وَتَأَوَّلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى:

(١) فِي (ب): لَهُ حُكْمٌ آخَرُ.

(٢) فِي (ب): وَلَا.

(٣) فِي الْأَصُولِ قُدَّامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَهُوَ قُدَّامَةُ بْنُ مِظْعُونٍ بْنُ وَهْبٍ بْنِ  
حَذَافَةَ بْنِ جَمْعِ الْقُرَشِيِّ، يَكْنَى أَبَا عَمْرٍو، وَقِيلَ: أَبُو عَمْرٍو، وَهُوَ أَخُو عَثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ،  
وَخَالَ حَفْصَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَيْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، هَاجَرَ إِلَى  
الْحَبَشَةِ مَعَ أَخُوهِ عَثْمَانَ وَعَبْدَ اللَّهِ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَأَحَدًا وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.  
تَوَفَّى سَنَةَ (٣٦هـ) وَلَهُ ثَمَانٌ وَسِتُّونَ سَنَةً. مُتَرَجِمٌ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» ١/١٦١ -  
١٦٢. وَخَبَرَهُ هَذَا أَخْرَجَهُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (١٧٠٧٦)، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبَيْهَقِيُّ  
٣١٦/٨ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ رِبْعَةٍ - وَكَانَ أَبُوهُ شَهِيدًا  
بَدْرًا -: أَنَّ عَمْرِينَ الْخَطَّابَ اسْتَعْمَلَ قُدَّامَةَ بْنَ مِظْعُونٍ عَلَى الْبَحْرَيْنِ... وَرَجَّاهُ =

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا  
وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣]، الآية، فلما ذُكِرَ ذلك ليعمر بن  
الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعليُّ بنُ أبي طالب وسائر الصحابة  
على أنهم إن اعترفوا بالتحريم، جُلِدُوا، وإن أَصْرُوا على استحلالها  
قُتِلُوا، وقال عمر لِقُدَّامَة: أخطأت استك الحُفْرَة، أما إنك لو اتقيت،  
وَأَمَنْتَ، وَعَمِلْتَ الصَّالِحَاتِ، لم تَشْرَبِ الخمر.

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرَّم الخمر،  
وكان تحريمها بعد وقعة أُحُد، قال بَعْضُ الصحابة: فكيف بأصحابنا  
الذين ماتوا وَهُمْ يشربون الخمر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>، بَيَّن فيها

= ثقات، وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» ٥٤٦/٩ من طريق ابن فضيل، عن عطاء بن  
السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي، قال: شرب قوم من أهل الشام  
الخمر، وعليهم يزيد بن سفيان، وقالوا: هي لنا حلال، وتناولوا هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ وفيه أن عمر كتب إلى يزيد أن ابعت  
بهم إلي، واستشار الناس في أمرهم، فأشار علي أن يستبيهم، فلأن تابوا جلدتهم ثمانين  
لشرب الخمر، وإن لم يتوبوا ضرب رقابهم، لكونهم كذبوا على الله، وشرعوا في دينه  
ما لم يأذن به الله، فاستأبهم فتأبوا، فضر بهم ثمانين ثمانين. ورواه ابن حزم في «المحل»،  
٢٨٧/١١ بنحوه من طريق الحجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب،  
عن جحادة بن دثار: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ شربوا الخمر بالشام... وانظر  
«فتح الباري» ٧٠/١٢، و«المغني» ٣٠٤/٨ لابن قدامة.

(١) أخرجه من حديث البراء بن عازب الترمذي (٣٠٥٠) و(٣٠٥١)، والطيالسي (٧١٥)،  
والطبري (١٢٥٢٨) و(١٢٥٢٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن حبان  
(١٣٧٣) و(١٧٤٠)، وفي الباب عن ابن عباس عند الترمذي (٣٠٥٢)، وأحمد  
٢٣٤/١ و٢٧٢ و٢٩٥، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ١٤٣/٤،  
وأقره الذهبي. وعن أنس بن مالك عند البخاري (٢٤٦٤) و(٤٦١٧) و(٤٦٢٠) و  
(٥٥٨٠) و(٥٥٨٢) و(٥٥٨٣) و(٥٥٨٤) و(٥٦٠٠) و(٥٦٢٢) و(٧٢٥٣)،  
وأحمد ٢٢٧/٣، والدارمي ١١١/٢.

أَنَّ مِنْ طَعِمَ الشَّيْءَ فِي الْحَالِ الَّتِي لَمْ يُحَرِّمْ فِيهَا، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ الْمُصْلِحِينَ، كَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، ثُمَّ إِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ نَدِمُوا وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَخْطَؤُوا، وَأَيْسُوا مِنَ التَّوْبَةِ، فَكُتِبَ عَمْرُ إِلَى قُدَّامَةِ يَقُولُ لَهُ: ﴿حَمَّ \* تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ \* غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ١ - ٣]. مَا أَدْرِي أَيُّ ذَنْبِكَ أَعْظَمُ؟ اسْتِحْلَالُكَ الْمُحَرَّمِ أَوَّلًا؟ أَمْ يَأْسُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ثَانِيًا؟ وَهَذَا الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ.

قوله: «وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَيَدْخُلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقْنَطُهُمْ».

ش: وعلى المؤمن أن يعتقده هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه وفي حق غيره، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَأَيُّهَا فَاتَّقُوا﴾ [البقرة: ٤١]. ﴿وَأَيُّهَا فَارْهَبُوا﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخْشَوْا﴾ [المائدة: ٤٤] ومدح أهل الخوف، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ \* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]. وفي «المسند» والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يَا رَسُولَ

ما ينبغي على المؤمن أن يعتقده في حق نفسه وفي حق غيره

١٨٧

اللَّهِ، ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أهو الذي يَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ؟ قال: «لا، يا ابنة الصديق، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ بَصُومٌ وَيُصَلِّي وَيَتَصَلَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>. قال الحسن رضي الله عنه: عَمِلُوا - وَاللَّهِ - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُردَّ عليهم، إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا. انتهى.

١٨٨ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ رَجَاءَهُمْ مَعَ إِيْتَانِهِمْ بِهِذِهِ<sup>(٢)</sup> الطاعات فالرجاء إنما يَكُونُ مَعَ الْإِيْتَانِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، شَرْعُهُ وَقَدْرُهُ وَثَوَابُهُ وَكَرَامَتُهُ. ولو أن رجلاً له أَرْضٌ يُؤْمَلُ أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِ مِنْ مَغْلَاهَا مَا يَنْفَعُهُ، فَأَهْمَلَهَا وَلَمْ يَحْرُثْهَا وَلَمْ يَنْذِرْهَا، وَرَجَا أَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَغْلَاهَا مِثْلَ مَا يَأْتِي مَنْ حَرَثَ وَزَرَعَ وَتَعَاهَدَ الْأَرْضُ؛ لَعَلَّهُ النَّاسُ مِنْ أَسْفَهِ السَّفَهَاءِ! وكذا لورجا، وَحَسَنَ ظَنُّهُ أَنْ يَجِيئَهُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ! أَوْ يَصِيرَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ الْعِلْمِ وَحِرْصٍ تَامٍ! وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. فَكَذَلِكَ مَنْ حَسَنَ ظَنُّهُ، وَقَوِيَ رَجَاؤُهُ فِي الْفَوْزِ بِالذَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ مِنْ غَيْرِ طَاعَةٍ وَلَا تَقَرُّبٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَمْثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

من رجا شيئاً  
استلزم رجلاً  
أموراً

ومما ينبغي أن يُعْلَمَ أَنَّ مَنْ رَجَا شَيْئاً، اسْتَلْزَمَ رَجَاؤُهُ أُمُوراً:

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وأحمد ١٥٩/٦ و ٢٠٥، وابن ماجه (٤١٩٨)، والحميدي (٢٧٥)، ورجاله ثقات، إلا أن عبدالرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني راويه عن عائشة لم يدركها.  
(٢) في (ب): هذه.

أحدّها: محبة ما يَرْجُوهُ.

الثاني: خَوْفُهُ مِنْ قَوَائِهِ.

الثالث: سَعْيُهُ فِي تَحْصِيلِهِ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ.

وأما رجاء لا يُقَارِنُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، فهو من باب الْأَمَانِيِّ، والرجاء شَيْءٌ، وَالْأَمَانِيُّ شَيْءٌ آخَرُ، فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَالسَّائِرُ عَلَى الطَّرِيقِ إِذَا خَافَ أَسْرَعَ السَّيْرَ مَخَافَةَ الْفَوَاتِ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. فالمشرك لا تُرَجَى لَهُ الْمَغْفِرَةُ، لِأَنَّ اللَّهَ نَفَى عَنْهُ الْمَغْفِرَةَ، وَمَا سِوَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ فِي مَشِئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ.

وفي «معجم الطبراني»: «عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ ذَوَائِنَ: دِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ مَظَالِمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْبُتُ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ»<sup>(١)</sup>.

وقد اختلفت عِبَارَاتُ الْعُلَمَاءِ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، وَسَتَاتِي الْإِشَارَةَ إِلَى ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ».

(١) أخرجه أحمد ٢٤٠/٦، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ٣/٢، والحاكم في «المستدرک» ٥٧٥/٤ و ٥٧٦ من طريقين عن صدقة بن موسى، عن أبي عمران الجوني، عن يزيد بن بانبوس، عن عائشة، وصححه الحاكم، ورده الذهبي بقوله: صدقة ضعفه، وابن بانبوس فيه جهالة، ولفظه عندهم: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان...»، ولم نجده في «معجم الطبراني الكبير» ولا في «المعجم الصغير»، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٤٨/١٠ واقتصر في نسبته على أحمد.

ولكن ثم أمر ينبغي التفتُّنُ له، وهو: أن الكبيرة قد يقرنُ بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقرنُ بالصغيرة، من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وتركِ الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقومُ بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرفُ ذلك من نفسه وغيره.

وأيضاً: فإنه قد يُغفى لِصَاحِبِ الإحسانِ العظيم ما لا يُغفى لِغيره، فإن فاعِلَ السيئات تسقطُ عنه عُقوبَةُ جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>:

السبب الأول: التَّوْبَةُ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [مريم: ٦٠] والفرقان: [٧٠]. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: ١٦٠]، والتَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وهي الخالصة، لا يختصُّ بها ذنبٌ دونَ ذنبٍ، لكن هل تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنبٍ، وأصرَّ على آخر لا تقبل<sup>(٢)</sup>؟ والصحيحُ أنها تُقبل<sup>(٣)</sup>. وهل يَجِبُ الإسلامُ ما قبله مِنَ الشرك وغيره من الذنوب، وإن لم يَتَبَّ منها؟ أم لا بُدَّ مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لو أُسْلِمَ وهو مُصِرٌّ على الزنى وشربِ الخمر مثلاً، هل لا يُؤَاخَذُ بما كان منه في كفره من الزنى، وشربِ الخمر؟ أم لا بُدَّ أن يتوبَ من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أَوْ يَتَوَبَّ توبةً عامَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؟ وهذا هو الأصحُّ: أنه لا بُدَّ من التوبة مع الإسلام، وكونُ التوبة سبباً لَغُفْرَانِ الذنوب، وعدمِ المؤاخَذة بها، مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيءٌ

(١) انظر «فتاوى شيخ الإسلام» ٤٨٧/٧ - ٥٠١.

(٢) في (ب): أنها لا تقبل، وهو خطأ.

(٣) انظر «مدارج السالكين» ٢٧٣/١ - ٢٧٦.

سقوط العقوبة من  
المسيء بأحد عشر  
سبباً

يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَنبَغِي عَلَى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ الآية، [الزمر: ٥٤].

السَّبَبُ الثاني: الاستِغْفَار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. لكن الاستغفار تارة يُذَكَّرُ وَحْدَهُ، وتارة يُقَرَّنُ بالتوبة، فإن ذكر وَحْدَهُ دخل معه التوبة، كما إذا ذُكِرَتِ التوبة وَحْدَهَا شَمِلَتِ الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يَتَضَمَّنُ التوبة، وكُلُّ واحد منهما يَدْخُلُ في مسمى الآخر عِنْدَ الإِطْلَاق، وأما عِنْدَ اقتران إحدى اللفظتين<sup>(١)</sup> بالأخرى، فالاستغفار: طَلَبُ وقاية شرٍّ ماضٍ، والتوبة: الرُّجُوعُ وطلبُ وقاية شرٍّ ما يَخَافُهُ في المستقبل من سيئات أعماله.

ونظيرُ هذا: الْفَقِيرُ وَالْمَسْكِينُ، إذا ذُكِرَ أَحَدُ اللفظين<sup>(٢)</sup> شَمِلَ الآخر، وإذا ذُكِرَا معاً، كان لِكُلِّ منهما معنى، قال تعالى: ﴿فَإِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ [المائدة: ٨٩]. ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ [المجادلة: ٤]. ﴿وَأَنْ تَخْشَوْهَا وَتُؤْتِيَهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. لا خِلَافَ أن كُلَّ واحدٍ من الاسمين في هذه الآيات لما أفرد شَمِلَ الْمُقِلَّ وَالْمُعْدِمَ، ولما قُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠]. كان الْمُرَادُ بأحدهما المقل، والآخر الْمُعْدِمُ<sup>(٣)</sup>، على خلاف فيه.

(١) في (ج): اللفظين.

(٢) في (ب): اللفظتين.

(٣) في (ب): المعدم، وكلاهما بمعنى، فالمُعْدِمُ: هو الذي لا يملك شيئاً، قال رؤية:

قالت بنات العَمِّ يا سَلَمَى وإن كان فقيراً مُعْدِماً قالت وإن



وكذلك: الإثم والعدوان، والبر والتقوى، والفسوق والعصيان.  
ويقرب من هذا المعنى<sup>(١)</sup>: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعظم، فإذا  
دُكر الكفر، شمل النفاق، وإن دُكرًا معاً، كان لكل منهما معنى. وكذلك  
الإيمان والإسلام، على ما يأتي الكلام فيه، إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

السبب الثالث: الحسنات، فإن الحسنات بعشر أمثالها، والسيئة  
بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ  
يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. وقال ﷺ: «وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةُ  
تَمْحُهَا»<sup>(٣)</sup>.

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ  
مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا غَمٍّ وَلَا هَمٍّ»<sup>(٤)</sup>، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا  
إِلَّا كَفَرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»<sup>(٥)</sup>. وفي «المسند»: أنه لما نزل قوله تعالى:

(١) سقطت من (ب).

(٢) انظر «الفتاوى» ١٦٢/٧ - ١٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، والدارمي ٣٢٣/٢، وأحمد ١٥٣/٥ و ١٥٨، وأبو نعيم  
٣٧٨/٤ من حديث أبي ذر، ولفظه بتمامه: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة  
تمحها وخالق الناس بخلق حسن». وأخرجه أحمد ٢٢٨/٥ و ٢٣٦، وأبو نعيم  
٣٧٦/٤، والطبراني في «الصغير» ١٩٢/١، و«الكبير» (٢٩٧) (٢٩٨) من حديث  
معاذ بن جبل، وأورده الترمذي بعد حديث أبي ذر.

(٤) في (ب): ولا غم ولا حزن.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤١) و (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد  
وأبي هريرة، وأخرجه الترمذي (٩٦٦)، وأحمد ٣٠٢/٢ و ٣٣٥ و ١٨/٣ و ٤٨ و ٦١  
و ٨١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٢)، وأبو يعلى الموصلي (١٢٣٧) و (١٢٥٦).  
وأخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢) من حديث عائشة بلفظ: «ما من  
مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها» وهو في «مشكل الآثار»  
للطحاوي ٦٩/٣.

١٩٠ ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال أبو بكر: يا رسول الله، نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً؟ فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ يُصِيكَ اللّٰوَاءُ؟ فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ»<sup>(١)</sup>. فالمصائبُ نفسها مكفرة، وبالصبر عليها يُثَابُ العبدُ، وبالتسخط<sup>(٢)</sup> يَأْتُمُ، فالصبرُ والتسخط<sup>(٣)</sup> أَمْرٌ آخَرُ غَيْرُ المصيبة، فالمصيبةُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ لَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ، وَهِيَ جَزَاءُ مِنَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ عَلَى ذَنْبِهِ، وَيُكَفِّرُ ذَنْبَهُ بِهَا، وَإِنَّمَا يُثَابُ الْمَرْءُ وَيَأْتُمُ عَلَى فِعْلِهِ، وَالصَّبْرُ وَالسَّخَطُ مِنْ فِعْلِهِ، وَإِنْ كَانَ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ قَدْ يَخْصُلُ بِغَيْرِ عَمَلٍ مِنَ الْعَبْدِ، بَلْ هَدِيَّةٌ مِنَ الْغَيْرِ، أَوْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠]. فَنَفْسُ الْمَرَضِ جَزَاءٌ وَكَفَّارَةٌ لِمَا تَقْدُمُ.

(١) أخرجه أحمد ١١/١، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» (١١١)، والطبري (١٠٥٢٣) و (١٠٥٢٨)، وأبو يعلى (٩٨) و (٩٩) و (١٠٠) و (١٠١)، والحاكم ٧٤/٣، والبيهقي ٣٧٣/٣ من طريق أبي بكر بن أبي زهير، قال: أخبرت أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ فكل سوء عملناه جزينا به؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر أَلَسْتَ تَمْرُسُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيكَ اللّٰوَاءُ؟ قال: بلى، قال: هو ما تجزون به» وإسناده ضعيف، لا تقطعاه، فإن أبا بكر بن أبي زهير الثقفي من صفار التابعين، وهو مستور لم يذكر بجرح ولا تعديل، ومع ذلك، فقد صححه ابن حبان (١٧٣٤)، والحاكم ٧٤/٣ - ٧٥، ووافقه الذهبي، لكن يشهد له حديث أبي هريرة عند أحمد (٧٣٨٠)، ومسلم (٢٥٧٤) قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا، فقي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها أو الشوكة يشاكها». وفي الباب عن عائشة عند الطبري (١٠٥٣٠) و (١٠٥٣٢)، وصححه ابن حبان (١٧٣٦)، وانظر «مسند أبي بكر» رقم (٢٠).

(٢) في (ج): وبالسخط.

(٣) في (ج): وبالسخط.

وكثيراً ما يُفهم من الأجرِ غُفْرَانُ الذنوب، وليس ذلك مَذْلُولَه، وإنما يَكُونُ من لازمه.

السَّبَبُ الخامسُ: عذابُ القَبْرِ. ويأتي الكلامُ عليه، إن شاء الله تعالى.

السَّبَبُ السادسُ: دُعَاءُ المؤمنين واستغفارهم في الحياةِ وَبَعْدَ الممات.

السَّبَبُ السابعُ: ما يُهْدَى إليه بَعْدَ المَوْتِ، مِن ثوابِ صدقةٍ، أو قِرَاءَةٍ، أو حَجٍّ، ونحو ذلك، ويأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

السَّبَبُ الثامنُ: أهوالُ يومِ القيامةِ وشدائده.

السَّبَبُ التاسعُ: ما ثبت في «الصحيحين»: «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصُّرَاطَ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا نُقُوا أُذُنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

السَّبَبُ العاشرُ: شفاعَةُ الشافعين، كما تَقَدَّمَ عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

السَّبَبُ الحادي عشر: عَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ مِن غَيْرِ شَفَاعَةٍ، كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. فإن كان ممن لم يشأ الله أن يَغْفِرَ له لِعِظَمِ جُرْمِهِ، فلا بُدَّ مِن دخوله إلى الكَيرِ، ليَخْلُصَ طَيْبُ إيمانه من خَبَثِ معاصيه، فلا يبقى في النار مَنْ في

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) و (٦٥٣٥)، وأحمد ١٣/٣ و ٥٧ و ٦٣ و ٧٤، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٦)، والطبري ٣٧/١٤، وابن منده في «الإيمان» (٨٣٧) و (٨٣٨) و (٨٣٩)، وأبو يعلى (١١٨٦)، وليس هو في مسلم كما ظن الشارح.

قلبه أدنى أدنى أدنى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ من إيمانٍ، بل مَنْ قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القَطْعُ لأحد معيّن من الأمة، غَيْرَ مَنْ شَهِدَ له الرسول ﷺ بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين، ونخافُ عليهم.

قوله: «والأَمْنُ والإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ مِلَّةِ الإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ».

الجمع بين الخوف والرجاء

ش: يجب أن يَكُونَ العبدُ خائفاً راجياً، فَإِنَّ الْخَوْفَ المَحْمُودَ الصَّادِقَ ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تَجَاوَزَ ذَلِكَ، خِيفَ منه اليأسُ والقُنُوطُ. والرجاء المَحْمُود: رجاء رَجُلٍ عَمِلَ بطاعة الله على نورٍ من الله، فهو راجٍ لثوابه<sup>(٢)</sup> أو<sup>(٣)</sup> رجلٍ أذنب ذنباً، ثم تاب منه إلى الله، فهو راجٍ لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أما إذا كان الرَّجُلُ متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عملٍ، فهذا هو الغرورُ والتمني والرجاء الكاذب. قال أبو علي الرُّوْذُبَارِيُّ<sup>(٤)</sup> رحمه الله: الْخَوْفُ والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا،

(١) تقدم تخريجه ص ٢٩٣.

(٢) في (ب) و (ج): لثوابها.

(٣) في (ب): و.

(٤) ترجمه الخطيب في «تاريخه» ١/ ٣٢٩ - ٣٣٣، فقال: محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري من كبار الصوفية، سكن مصر، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان في التصوف، نقلت عنه، وأنشد له من نظمه أبيات، وقال: توفي سنة (٣٢٢هـ).

استوى الطير، وتمَّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما، وقع فيه النقص، وإذا ١٩١ ذهباً، صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتْ أَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، الآية. وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك، لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك، لكان قنوطاً وبأساً. وكلُّ أحدٍ إذا خِفْتَهُ هَرَبَتْ مِنْهُ، إلا الله تعالى، فإنَّكَ إذا خِفْتَهُ هَرَبَتْ إِلَيْهِ، فالخائف هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ.

وقال صاحب «منازل السائرين» رحمه الله: الرَّجَاءُ أَضْعَفُ مَنَازِلِ الْمُرِيدِ<sup>(١)</sup>، وفي كلامه نظر، بل الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ مِنْ أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْمُرِيدِ، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنِّ بِي»<sup>(٢)</sup> ما شاء<sup>(٣)</sup>، وفي «صحيح مسلم» عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» ٣٧/٢ - ٤١، فقد قال ابن القيم بعد أن أورد الكلام المذكور: شيخ الإسلام - يريد صاحب منازل السائرين - حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم صلى الله عليه وسلم، فمأخوذ من قوله ومترك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله، ثم بيّن ما فيه، وما هنا من الاعتراض لخصه الشارح منه.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في «المسند» ٤٩١/٣ و ١٠٦/٤ من حديث وثالة بن الأسقع، وصححه ابن حبان (٢٤٦٨)، وأما الرواية المتفق عليها من حديث أبي هريرة، فقد تقدم تحريرها في الصفحة ٤٢٢، وليس فيها: «فليظن بي ما شاء». ووهم من نسبه إلى «الصحيحين» بهذا اللفظ.

موته بثلاث: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ»<sup>(١)</sup>، ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يَكُونَ رجاؤه في مرضه أَرْجَحَ مِنْ خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يَكُونُ خَوْفُهُ أَرْجَحَ مِنْ رجاائه.

وقال بعضهم: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ<sup>(٢)</sup>، فهو زنديق، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فهو حَرُورِيٌّ<sup>(٣)</sup>، ومن عبده بالرجاء وَحْدَهُ، فهو مرجيء<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فهو مؤمن مُوَحَّدٌ، ولقد أحسن محمود الوراق<sup>(٥)</sup> في قوله:

لَوْ قَدْ رَأَيْتَ الصَّغِيرَ مِنْ عَمَلِ الْـ خَيْرِ ثَوَاباً عَجِبْتَ مِنْ كِبَرِهِ  
أَوْ قَدْ رَأَيْتَ الْحَقِيرَ مِنْ عَمَلِ الشَّرِّ رَجَاءً أَشْفَقْتَ مِنْ حَذَرِهِ  
قوله: «وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَذْخَلَهُ فِيهِ».

ش: يُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة. وفيه تقرير لما قال أولاً: «إِنَّهُ لَا يُكْفَرُ

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٧)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧)، وأحمد ٢٩٣/٣ و ٣٢٥ و ٣٣٠ و ٣٩٠، والطحاوي (١٧٧٩)، والخطيب ٣٤٧/١٤ - ٣٤٨، وأبو نعيم في «الحلية» ٨٧/٥ و ١٢١/٨.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) نسبة إلى حروراء على ميلين من الكوفة، يقال لمن يعتقد مذهب الخوارج، لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي رضي الله عنه بالبلدة المذكورة. ومقصود الشارح فيها نقله عن بعضهم؛ أن من غلب جانب الخوف وحده فقد سلك مسلك الخوارج الذين يكفرون أصحاب المعاصي، ويخلدونهم في النار إذا ماتوا من غير توبة.

(٤) في هامش (أ) و (ب) ما نصه: حاشية بخط المؤلف رحمه الله: في اشتقاق اسم المرجية قولان، أحدهما: أنه من الإرجاء، والثاني: أنه من الرجاء، وكان المشهور مرجئة بالهمز، وهو من الإرجاء، والمعنى قريب لاجتماع الكلمتين في الاشتقاق الأكبر.

(٥) هو محمود بن حسن الوراق، له نظم سائر في المواعظ والحكم، روى عنه ابن أبي الدنيا، وفي «الكامل» للمبرد تنف من شعره، توفي في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والميتين. مترجم في «السير» ٤٦١/١١.

أَحَدٌ<sup>(١)</sup> من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، وتقدم الكلام على هذا المعنى .  
 قوله: «وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ، وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيِّنِ كُلُّهُ حَقٌّ، وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتَّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازِمَةِ الْأُولَى».

اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً: فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي<sup>(٢)</sup> وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل ١٩٢ بالأركان<sup>(٣)</sup>.  
 الاختلاف فيما يقع عليه اسم الإيمان

وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى

(١) في (ب): لا يكفر أحداً.

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحيى الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقبة الصغيرة ظاهر باب الفراءيس بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات. وكان خيراً، فاضلاً، مأموناً، كثير العلم والحديث والفقه. توفي سنة (١٥٧هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٠٧/٧ - ١٣٤.

(٣) وهو قول المعتزلة أيضاً، فإنهم قالوا: الإيمان هو العمل والنطق والاعتقاد، والفارق بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً في كماله. وانظر «شرح السنة» ٨٣٠/٤ - ٨٥١ للالكائي، و«الإيمان» ص ٥٣ - ٦٦ لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«عمدة القاري» ١٠٢/١ وما بعدها.

هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم<sup>(٢)</sup> مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون: بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسين الصالحي أحد رؤساء القدرية إلى أن الإيمان: هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فساداً مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم<sup>(٣)</sup> عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به<sup>(٤)</sup>، بل كافرين به، مُعَادِينَ له، وكذلك

(١) اختلفوا في الإقرار باللسان هل هو ركن الإيمان، أم شرط له في حق إجراء الأحكام؟ قال بعضهم: هو شرط لذلك، حتى إن من صدق الرسول ﷺ في جميع ما جاء به من عند الله، فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسانه، قال النسفي: وهو المروي عن أبي حنيفة، وإليه ذهب الأشعري في أصح الروايتين، وهو قول أبي منصور الماتريدي، وقال بعضهم: هو ركن لكنه ليس بأصلي له كالتصديق، بل هو ركن زائد، ولهذا يسقط حالة الإكراه والعجز. «عمدة القاري» ١/ ١٠٣.

(٢) في (ب): عنده، وهو خطأ.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) في (ب) و (ج): لم يكونوا به مؤمنين.



أبو طالب<sup>(١)</sup> عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ<sup>(٢)</sup> دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا  
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمَحاً بِذَلِكَ مُبِينَا

بل إبليسُ يَكُونُ عند الجهم مؤمناً كامل الإيمان! فإنه لم يَجْهَلْ  
رَبَّهُ، بل هو<sup>(٣)</sup> عارفٌ به، ﴿قَالَ: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾  
[الحجر: ٣٦]. ﴿قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. ﴿قَالَ:  
فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]. والكُفْرُ عند الجهم: هُوَ الْجَهْلُ  
بالربِّ تعالى، ولا أَحَدٌ أَجْهَلُ منه بربه! فإنه جعله الوجودَ المطلق،  
وسلب عنه جَمِيعَ صفاته، ولا جَهْلٌ أَكْبَرُ من هذا، فيكون كافراً بشهادته  
على نفسه!

(١) واسمه عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم، وهو عم النبي ﷺ وكافله ومربيّه ومناصره  
إلا أنه امتنع من الدخول في الإسلام، واستمر على ذلك إلى أن توفي، ففي  
«الصحيحين» من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته  
الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبدالله بن أبي أمية، فقال: «يا عم  
قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال له أبو جهل وعبدالله بن  
أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب، فلم يزلوا به حتى قال آخر ما قال:  
هو على دين عبدالمطلب، فقال النبي ﷺ: «لاستغفرون لك ما لم أنه عنك» فنزلت:  
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قَرَبَى مِنْ بَعْدِ  
مَاتِينَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. وفي صحيح مسلم (٢١٠) من حديث أبي سعيد الخدري أن  
رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة،  
فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه» وانظر «الإصابة» ١١٥/٤ -  
١١٩، و«فيض الباري» ١/٥٠ - ٥١ للكشميري.

(٢) في (ب): أن.

(٣) سقطت من (ب).

وبين هذه<sup>(١)</sup> المذاهبِ مَذَاهِبُ أُخَر، بتفصيلٍ وفُيُود، أَعْرَضْتُ عَنْ ذِكْرهَا اختصاراً، ذكر هذه المذاهبِ أَبُو المَعِينِ النَسْفِي فِي «تَبْصَرَةِ الْأَدْلَةِ» وَغَيْرِهِ.

وَحَاصِلُ الْكُلِّ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَقُومُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ السَّلَفِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ وَغَيْرِهِمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، أَوْ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ دُونَ الْجَوَارِحِ، كَمَا ذَكَرَهُ الطَّحَاوِيُّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أَوْ بِاللِّسَانِ وَحْدَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ عَنِ الْكِرَامِيَّةِ، أَوْ بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ، وَهُوَ: إِمَّا الْمَعْرِفَةُ، كَمَا قَالَ الْجَهْمُ، أَوْ التَّصْدِيقُ، كَمَا قَالَ أَبُو مَنْصُورِ المَاتَرِيدي رَحِمَهُ اللَّهُ. وَفَسَادُ قَوْلِ الْكِرَامِيَّةِ وَالْجَهْمِ بِنِ صَفْوَانَ ظَاهِرٌ.

والاختلاف الذي بَيَّنَّ أَبُو حَنِيفَةَ وَالْأُئِمَّةُ الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ اخْتِلَافٌ صُورِيٌّ، فَإِنْ كَوْنَ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ لَازِمَةً لِإِيمَانِ الْقَلْبِ، أَوْ جُزْءاً مِنْ الْإِيمَانِ، مَعَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ، بَلْ هُوَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، نِزَاعٌ لَفْظِي، لَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فَسَادُ اعْتِقَادٍ، وَالْقَائِلُونَ بِتَكْفِيرِ تَارِكِ الصَّلَاةِ<sup>(٢)</sup>، ضَمُّوا إِلَى هَذَا الْأَصْلِ أَدْلَةً أُخْرَى، وَإِلَّا فَقَدْ نَفَى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَنِ الزَّانِي وَالسَّارِقِ وَشَارِبِ الْخَمْرِ وَالْمُتَنَبِّهِ، وَلَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ زَوَالَ اسْمِ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ، اتِّفَاقاً<sup>(٣)</sup>.

١٩٣  
الاختلاف بين  
أبي حنيفة وسائر  
الأئمة فيما يقع عليه  
اسم الإيمان  
اختلاف صوري

(١) فِي (ب) وَ (ج): هَذَا.

(٢) انظر «شرح السنة» للبغوي ١٧٩/٢ - ١٨٠، و«المغني» ٤٤٢/٢ - ٤٤٧ لابن قدامة.

(٣) فِي «فَيْضِ الْبَارِي» ٥٣/١ - ٥٤: كَوْنَ الْعَمَلِ جُزْءاً مِنَ الْإِيمَانِ أَوْ لَا، فِيهِ أَرْبَعَةُ مَذَاهِبٍ:

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وهذا الذي يُعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل، لكن<sup>(١)</sup> هذا المطلوب من العباد: هل يشمله اسم الإيمان أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازاً؟ هذا محل النزاع.

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه: أنه<sup>(٢)</sup> عاصٍ لله ورَسُوله، مستحق الوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخلية في مسمى الإيمان من قال: لما كان الإيمان شيئاً واحداً، فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم السلام! وهذا غلو منه، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصرياء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش

---

= قال الخوارج والمعتزلة: إن الأعمال أجزاء للإيمان، فالتارك للعمل خارج عن الإيمان عندهما، ثم اختلفوا، فالخوارج أخرجوه من الإيمان، وأدخلوه في الكفر، والمعتزلة لم يدخلوه في الكفر، بل قالوا بالمتزلة بين المنزلتين، والثالث: مذهب المرجئة، فقالوا: لا حاجة إلى العمل، ومدار النجاة هو التصديق فقط، فصار الأولون والمرجئة على طرفي نقيض، والرابع: مذهب أهل السنة والجماعة، وهم بين بين، فقالوا: إن الأعمال أيضاً لا بد منها، لكن تاركها مفسق لا مكفر، فلم يشددوا فيها كالخوارج والمعتزلة، ولم يهونوا أمرها كالمرجئة.

وانظر «فتاوى شيخ الإسلام» ٢٩٧/٧.

(١) في (ب): ولكن.

(٢) سقطت من (ب).

والأعشى، وَمَنْ يرى الخط الشخين دون الرفيع إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قُرْبٍ زائدٍ على العادة، وآخر بضده.

ولهذا - واللّه أعلم - قال الشيخ رحمه الله: «وأهله في أصله سَوَاءٌ يُشِيرُ إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي مِنْ كُلِّ وجه، بل تفاوتُ نُورٍ: لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يُحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالنوء الدُّرِّي، وآخر كالشمس العظم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم ويُنَّ أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم مِنْ نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكلما اشتدَّ نُورُ هذه الكلمة وعَظُمَ، أحرق مِنْ الشُّبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وَصَلَ إلى حال لا يُصادفُ شهوة ولا شُبهة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فَسَمَاءُ إيمانه قد حُرِسَتْ بالرجوم مِنْ كُلِّ سارق، وَمَنْ عرف هذا، عرف معنى قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup> وقوله: «لا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> وما جاء من هذا النوع مِنَ الأحاديث التي أشكلت

١٩٤

(١) قطعة من حديث مطول أخرجه البخاري (٤٢٥) و(١١٨٦) و(٥٤٠١) و(٦٤٢٣) و(٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣)، و١/٤٥٥ (٣٣)، وأحمد ٤/٤٤ و٥/٤٤٩ من حديث عتب بن مالك الأنصاري.

(٢) في «صحيح مسلم» (٢٩) من حديث عبادة مرفوعاً: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرّم الله عليه النار» وفي البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وهو رديفه على الرحل: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار»، وفي «صحيح مسلم» (٩١) من حديث ابن مسعود: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وهذه الأحاديث لا تؤخذ على إطلاقها، لأن الأدلة من الكتاب =

على كثير من الناس، حتى ظنَّها بعضهم منسوخةً، وظنَّها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي<sup>(١)</sup>، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأوَّل بعضهم الدخولَ بالخلود، ونحو ذلك.

والشارع صلواتُ الله عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قولِ اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين يقولونها بالسنتهم، وهم تحت الجاحدين، في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويُقابِلها تسعة وتسعون

= والسنة متضافرة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون، ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فتأوله العلماء فيمن قرن ذلك بالأعمال الصالحة، أو قالها تأثراً، ثم مات على ذلك، أو أنه خرج ذلك غرض الغالب، إذ الغالب أن الموحد يعمل بالطاعة ويمتنع المعصية، أو أن المراد بتحريمه على النار تحريم خلوده فيها.

(١) منهم الزهري والثوري وغيرهما، قال الحافظ ابن رجب في «تحقيق كلمة الإخلاص»: وهذا بعيد جداً، فإن كثيراً منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك، وهو في آخر حياة النبي ﷺ، ثم قال: وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً، ويكون مقصودهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض، واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة، أي: مبينة ومفسرة، ونصوص الفرائض والحدود، ناسخة، أي: مفسرة لمعنى تلك النصوص وموضحة لها، وقال: تلك النصوص المطلقة جاءت مقيدة في أحاديث أخرى، ففي بعضها: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً»، وفي بعضها: «متيقناً»، وفي بعضها: «يصدق قلبه لسانه»، وفي بعضها: «يقولها من قلبه»، وفي بعضها: «قد ذل بها لسانه، وأطمأن بها قلبه»، وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بلا إله إلا الله، أن لا ياله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلًا واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً، وتحققه بمعنى: «وأن محمداً رسول الله» أن لا يعبد الله بغير ما شرعه الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

سِجِلًا، كُلُّ سِجِلٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فَتَثْقُلُ الْبِطَاقَةُ، وَتَطِيشُ السَّجَلَاتِ،  
فَلَا يُعَذَّبُ صَاحِبُهَا<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن كلَّ موحدٍ له مثْلُ هذه البطاقة، وكثيرٌ منهم يدخل النار.  
وتأمل ما قام بقلبِ قاتلِ المِثْثَةِ<sup>(٢)</sup> من حقائق الإيمان، التي  
لم تَشْغَلْهُ عند السَّيَاقِ عن السيرِ إلى القرية، وَحَمَلَتْهُ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ  
أن جعلَ يَنْوُو بِصَدْرِهِ وَهُوَ يُعَالِجُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.

وتأمل ما قام بقلبِ الْبَغِيِّ مِنَ الإيمان، حين<sup>(٣)</sup> نَزَعَتْ مُوقَهَا، وَسَقَتْ  
الْكَلْبَ مِنَ الرُّكْبَةِ، فَغَفَرَ لَهَا<sup>(٤)</sup>.

وهكذا العقلُ أيضاً، فإنه يَقْبَلُ التَّفَاضُلَ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ،  
مُسْتَوُونَ فِي أَنَّهُمْ عَقْلَاءُ غَيْرُ مُجَانِنِينَ، وَبَعْضُهُمْ أَعْقَلُ مِنْ بَعْضٍ.

وكذلك الْإِيجَابُ وَالتَّحْرِيمُ، فَيَكُونُ إِيْجَابٌ دُونَ إِيْجَابٍ، وَتَحْرِيمٌ  
دُونَ تَحْرِيمٍ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ طُرِدَ ذَلِكَ فِي  
العقلِ والوجوبِ.

وأما زيادةُ الإيمانِ من جهةِ الإجمالِ والتفصيلِ، فمعلوم أنه  
لا يَجِبُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَا وَجَبَ بَعْدَ نَزُولِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، وَلَا يَجِبُ عَلَى  
كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْإِيمَانِ الْمَفْصَّلِ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ مَا يَجِبُ عَلَى مَنْ بَلَغَهُ  
خَبَرُهُ، كَمَا فِي حَقِّ النَّجَاشِيِّ<sup>(٥)</sup> وَأَمْثَالِهِ.

الكلام في زيادة  
الإيمان إجمالاً  
وتفصيلاً

(١) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه ص ٩٤ تعليق (٣).

(٢) انظر حديثه في البخاري، (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

(٣) في (ب) حتى، وهو خطأ، وفي مطبوعة مكة: حيث.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة.

(٥) هو ملك الحبشة، واسمه أصحمة أسلم في عهد النبي ﷺ، وأحسن إلى المسلمين الذين  
هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم =

وأما الزيادةُ بالعملِ والتصديق، المستلزمُ لعملِ القلبِ والجوارحِ، [فهو] <sup>(١)</sup> أَكْمَلُ مِنَ التصديقِ الذي لا يستلزمه، فالعلمُ الذي يَعْمَلُ بِهِ صَاحِبُهُ أَكْمَلُ مِنَ العلمِ الذي لا يعمل به، فإذا لم يَحْصُلِ اللازمُ، ذَلَّ على ضعفِ الملزومِ. ولهذا قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الْمُخْبِرُ كَالْمُعَايِنِ» <sup>(٢)</sup>، وموسى عليه السلامُ لما أَخْبَرَ أَنَّ قَوْمَهُ عَبَدُوا الْعِجْلَ لم يُلْقِ الألواحَ، فلما رَأَاهُمْ قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لِشكِّ موسى في خبرِ الله، لكن المُخْبِرَ، وإن جزم بصدق المُخْبِرِ، فقد لا يَتَصَوَّرُ الْمُخْبِرَ به ١٩٥ في نفسه، كما يتصوَّره إذ عاينه، كما قال إبراهيمُ الخليلُ صلوات الله عليه <sup>(٣)</sup>: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ

= المسلمون مشهورة، وتوفي في بلده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب بالمدينة، وكَبُرَ عليه أربعاً. انظر «الإصابة» ١١٧/١ القسم الثاني من حرف الألف. (١) لم ترد في الأصول، وهي في مطبوعة مكة.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٠٨٨)، وابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير ٢٤٨/٢ والبخاري (٢٠٠)، والطبراني (١٢٤٥١) من طريقين، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله موسى ليس المعايين كالمُخْبِرِ، أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده، فلم يلقِ الألواحَ، فلما رَأَاهُمْ وعابهم، ألقى الألواحَ» وسنده صحيح، وأخرجه أحمد ٢١٥/١ و٢٧١، وابن حبان (٢٠٨٧)، والحاكم ٣٢١/٢، والخطيب ٥٦/٦ من طريق هشيم، عن أبي بشر، به، بلفظ: «ليس الخبر كالمُعَايِنَةِ، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلقِ الألواحَ، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواحَ فانكسرت» ورجاله ثقات، وهشيم وإن كان مدلساً فقد انتفت شبهة تدليسه بمتابعة أبي عوانة في الرواية المتقدمة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٢٧/٣، وزاد نسبه لعبد بن حيد، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وله شاهد عن أنس عند الطبراني في «الأوسط»، (٢٨ مجمع البحرين) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا أبي، عن ثامة عن أنس رفعه قال الهيثمي في «المجمع» ١٥٣/١: ورجاله ثقات وآخر من حديث أبي هريرة عند الخطيب البغدادي في «تاريخه» ٢٨/٨.

(٣) في (ب) و (ج): صلوات الله على نبيينا محمد وعليه.

قَلْبِي ﴿ [البقرة: ٢٦٠].

وأيضاً: فَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَجُّ وَالزَّكَاةُ مَثَلًا، يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ<sup>(١)</sup> الْإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَيُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ أَوْجِبَهُ<sup>(٢)</sup> مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ إِلَّا مَجْمَلًا، وَهَذَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الْإِيمَانُ الْمُفْصَّلُ.

وكذلك الرَّجُلُ أَوَّلَ مَا يُسَلِّمُ، إِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِقْرَارُ الْمُجْمَلُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِوُجُوبِهَا وَيُؤَدِّيَهَا، فَلَمْ يَتَسَاوَرَ النَّاسُ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ قَامَ بِقَلْبِهِ التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ، الَّذِي لَا يَقْوَى عَلَى مَعَارَضَتِهِ شَهْوَةٌ وَلَا شُبْهَةٌ، لَا تَقْعُ مَعَهُ مَعْصِيَةٌ، وَلَوْلَا مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الشَّهْوَةِ وَالشُّبْهَةِ، أَوْ إِحْدَاهُمَا<sup>(٣)</sup>، لَمَا عَصَى، بَلْ يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ ذَلِكَ الْوَقْتُ بِمَا يُوَاقِعُهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَيَغِيبُ عَنْهُ التَّصَدِيقُ وَالْوَعِيدُ فَيَعْصِي. وَلِهَذَا — وَاللَّهِ أَعْلَمُ — قَالَ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(٤)</sup>، الْحَدِيثُ. فَهُوَ حِينَ يَزْنِي يَغِيبُ عَنْهُ تَصَدِيقُهُ بِحُرْمَةِ الزَّانِي، وَإِنْ بَقِيَ أَصْلُ التَّصَدِيقِ فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ يُعَاوِذُهُ، فَإِنَّ الْمُتَّقِينَ كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ<sup>(٥)</sup> مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (د) فوق كلمة «أَوْجِبَهُ»: عليه، والنص في مطبوعة مكة: وَيُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ أَوْجِبَ عَلَيْهِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى غَيْرِهِ.

(٣) في الأصول: أحدهما، والمثبت من مطبوعة مكة.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٤١ تعليق رقم (١).

(٥) في (ب) و(ج): طيف، وكلاهما قراءتان ثابتتان، فقد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: (طيف) بغير ألف، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحزرة. ﴿طائف﴾ بألف ممدوداً مهموزاً، ويحكى عن الفراء أن الطيف والطائف بمعنى واحد، وهو ما كان كالحالي والشيء يُلْمُ بك، وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، وفرق بينهما =



مُبْصِرُونَ<sup>(١)</sup> [الأعراف: ٢٠١]. قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يَهْمُ بالذنب، فَيَذْكُرُ اللَّهَ فَيَدْعُهُ، والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر<sup>(٢)</sup> رجع، ثم قال تعالى: ﴿وَإِخْوَنُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، أي: وإخوان الشياطين تَمُدُّهُمْ الشياطين في الغي، ثم لا يُقْصِرُونَ<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس تُقْصِرُ عن السيئات، ولا الشياطين تُمَسِّكُ عنهم<sup>(٤)</sup>، فإذا لم يُبْصِرْ، يبقى قلبه في عمى، والشيطان يَمُدُّهُ فِي غَيِّهِ، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار، وتلك الخشية والخوف تَخْرُجُ مِنْ قَلْبِهِ، وهذا كما أن الإنسان يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ، فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلبُ بما يغشاه من رَيْنِ الذنوب، لا يُبْصِرُ الْحَقَّ وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى

= آخرون فقالوا: الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيْف: اللسة والوسوسة والخطرة. انظر: «الكشف» ٤٨٦/١، و«زاد المسير» ٣٠٩/٣ - ٣١٠، و«حجة القراءات» ٣٠٥، و«معاني القرآن» ٤٠٢/١ للفراء، وتفسير الطبري ٣٣٤/١٣ - ٣٣٥. (١) قال الإمام أبو جعفر في تفسير الآية ٣٣٣/١٣ - ٣٣٤: يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه إذا ألم بهم ألم من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه، ووعدته ووعيدته، وأبصروا الحق، فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم، وتركوا فيه طاعة الشيطان.

(٢) في (ب): أبصره.

(٣) من قوله: «أي» إلى هنا سقط من (ب) و(ج).

(٤) جامع البيان (١٥٥٦٤) قال الطبري: وإنما هذا خبر من الله أن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله ولا يحجزهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه عن التماذي فيها، والزيادة منها، فهو أبداً في زيادة من ركوب =

النبي ﷺ: أنه قال: «إذا زنى العبدُ، نُزِعَ مِنْهُ الْإِيمَانُ، فإن تَابَ، أُعِيدَ إِلَيْهِ» (١).

النزاع في مسألة  
زيادة الإيمان  
ونقصانه لفظي

وإذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعاً لفظياً، فلا محذور فيه سوى ما يَحْصُلُ مِنْ عُدْوَانٍ إِحْدَى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يَصِيرَ ذلك ذريعةً إلى بَدْعِ أَهْلِ الْكَلَامِ المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظُهُورِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام، ولِي من أولياء الله! فلا يُبَالِي بما يَكُونُ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ! وهذا باطل قطعاً.

١٩٦

فالإمام أبو حنيفة رضي الله عنه نظر إلى حقيقة الإيمان لغةً مَعَ أدلةٍ مِنْ كَلَامِ الشَّارِعِ، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عَرَفِ الشَّارِعِ، فإن الشَّارِعَ ضَمَّ إلى التصديق أوصافاً وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

أدلة أصحاب  
أبي حنيفة

فَمِنْ أدلةِ الْأَصْحَابِ لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الإيمانَ في اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عن التصديق، قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ

= الإثم، والشيطان يزيده أبداً، لا يقتصر الإنسي عن شيء من ركوب الفواحش، ولا الشيطان من مدته منها.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) في السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، من حديث أبي هريرة، ولفظه: «إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان، كان عليه كالظلمة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان» وإسناده صحيح، وصححه الحاكم ٢٢/١ ووافقه الذهبي.

بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴿[يوسف: ١٧]، أي: بمصدقٍ لنا، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك. ثم هذا المعنى اللغوي - وهو التصديق بالقلب - هو الواجب على العبد حقاً لله، وهو أن يُصدقَ الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله، فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا. هذا على أحد القولين، كما تقدم، ولأنه ضد الكفر، وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، يدل على أن القلب هو موضع الإيمان، لا اللسان، ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل، لزال كله بزوال جزئه، ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، في مواضع من القرآن.

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق بمنع<sup>(١)</sup> الترادف بين التصديق والإيمان، وهب<sup>(٢)</sup> أن الأمر يصح في موضع، فلم قلتم: إنه يوجب الترادف مطلقاً؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان، ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق<sup>(٣)</sup>: صدقه، ولا يقال: آمنه، ولا آمن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿فَأَمِنْ لَهُ لُوطُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

(١) في (أ) و (ب): يمنع، وفي (ج): ومنع، وكلاهما خطأ، والمثبت من (د).

(٢) تحرفت في (ج) إلى: «وذهب».

(٣) في «فتاوى شيخ الإسلام» ٢٩٠/٧: «صدقته» والنص منقول عنه.

﴿فَمَاءٌ آمَنٌ لِّمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، ففرق بين المُعَدَّى بالباء والمُعَدَّى باللام، فالأول يقال للمُخْبِر به، والثاني للمُخْبِر، ولا يَرُدُّ كونه يجوز أن يُقَالَ: ما أنت بِمُصَدِّقٍ لنا، لأن دُخُولَ اللام لتقوية العاِملِ، كما إذا تَقَدَّمَ المَعْمُولُ، أو كان العاِملُ اسمَ فاعِلٍ، أو مصدرًا، على ما عُرِفَ في موضعه<sup>(١)</sup>.

فالحاصل أنه لا يُقال قط: آمَنْتُه، ولا صَدَّقْتُ له، وإنما يقال: آمَنْتُ له، كما يقال: أقررتُ له، فكان تفسيره بأقررتُ أقرب من تفسيره بصدَّقْتُ، مع الفرق بينهما، ولأن الفرق بينهما ثابت في المعنى، فإن كل مخبرٍ عن مشاهدة أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال له: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

وأما لفظ الإيمان، فلا يُستعمل إلا في الخبر عن الغائب، فيقال لِمَنْ قال: طَلَعَتِ الشَّمْسُ: صدَّقناه، ولا يقال: آمنا له، فإن فيه أصل معنى الأمن، والاثمان إنما يَكُونُ في الخبر عن الغائب، فالأمر الغائب هو الذي يُؤْتَمَنُ عليه المُخْبِرُ، ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له، إلا في هذا النوع. ولأنه لم يُقَابَلْ لَفْظُ الإيمان قط بالتكذيب كما يُقَابَلُ لَفْظُ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أَتَّبِعُكَ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك؛ لكان كفره أعظم، فعلم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، ولا الكفر هو<sup>(٢)</sup> التكذيب فقط، بل إذا كان الكفر

١٩٧

(١) انظر «فتاوى شيخ الإسلام» ٧/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) في (أ) و (ج) و (د): ولا الكفر التكذيب بإسقاط «هو» وهي في (ب).

يكون تكذيباً، ويكون مخالفةً ومعاداةً بلا تكذيب، فكَذَلِكَ الْإِيمَانُ،  
يكون تصديقاً وموافقةً وموالاةً وانقياداً، ولا يكفي مُجَرَّدُ التَّصَدِيقِ، فيكونُ  
الإسلامُ جزءً مسمًى الإيمان.

ولو سلّم الترادف، فالتصديقُ يكون بالأفعال أيضاً، كما ثبت في  
«الصحیح» عن النبي ﷺ أنه قال: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ،  
وَالْأُذُنُ تَزْنِي، وَزِنَاهَا السَّمْعُ» إلى أن قال: «وَالْفَرْجُ يَصْدُقُ ذَلِكَ  
وَيُكْذِبُهُ»<sup>(١)</sup>. وقال الحسن البصري رحمه الله: لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِ  
وَلَا بِالتَّوَمُّنِي، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الصَّدْرِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ<sup>(٢)</sup>. ولو كان  
تصديقاً، فهو تصديقٌ مخصوصٌ، كما في الصلاة ونحوها كما قد<sup>(٣)</sup>  
تَقَدَّمَ، وَلَيْسَ هَذَا نَقْلًا لِلْفِظِ، وَلَا تَغْيِيرًا لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا بِإِيمَانٍ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) و(٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأحمد (٢٧٦/٢)، وأبو داود (٢١٥٢)، والسنائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٣٧/١٠، والبيهقي (٧٥) من  
حديث ابن عباس عن أبي هريرة بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حِظَّهُ مِنَ الزُّنَى أَدْرَكَ  
ذَلِكَ لَا عَمَالَةَ، فَزَنَى الْعَيْنَانِ النَّظَرَ، وَزَنَى اللِّسَانُ النَّطْقَ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي،  
وَالْفَرْجُ يَصْدُقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُهُ» وأخرجه مسلم (٢٦٥٧) (٢١)، وأبو داود (٢١٥٣)،  
وأحمد ٣١٧/٢ و ٣١٩ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٩ و ٣٧٢ و ٣٧٩ و ٤١١ و ٥٢٨ و ٥٣٥  
و ٥٣٦، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٩٨/٣، والبيهقي (٧٦) من حديث  
أبي هريرة بلفظ: «كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبَهُ مِنَ الزُّنَى مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا عَمَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ  
زَنَاهُمَا النَّظَرَ، وَالْأَذْنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعَ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامَ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشَ،  
وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ».

(٢) أورده ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢٢/١١ من طريق جعفر بن سليمان، عن زكريا  
قال: سمعت الحسن... وذكره شيخ الإسلام في «فتاواه» ٢٩٤/٧ من طريق عباس  
الدوري، حدثنا حجاج، حدثنا أبو عبيدة الناجي، وأورده الخطيب في «اقتضاء العلم  
العمل» رقم (٥٦) من طريق محمد بن عبد الملك الدقيقي، عن عبيد الله بن موسى، عن  
أبي بشر الحلي، عن الحسن.

(٣) «قد» لم ترد في (أ) و (ج) و (د) وهي في (ب).

مطلق، بل بإيمانٍ خاص، وَصَفَهُ وَبَيَّنَّهُ، فَالتَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ أَدْنَى أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ نَوْعاً مِنَ التَّصْدِيقِ الْعَامِ، فَلَا يَكُونُ مُطَابِقاً لَهُ فِي الْعُمومِ وَالْخُصُوصِ، مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ لِلْبَيَانِ وَلَا قَلْبِهِ، بَلْ يَكُونُ الْإِيمَانُ فِي كَلَامِ الشَّارِعِ مُؤَلَفاً مِنَ الْعَامِ وَالْخَاصِ، كَالْإِنْسَانِ الْمَوْصُوفِ بِأَنَّهُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ، أَوْ أَنَّ التَّصْدِيقَ التَّامَّ الْقَائِمَ بِالْقَلْبِ مُسْتَلْزِمٌ لِمَا وَجَبَ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، فَإِنَّ هَذِهِ لَوَازِمُ<sup>(١)</sup> الْإِيمَانِ التَّامِّ، وَانْتِفَاءُ اللَّازِمِ دَلِيلٌ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَلْزُومِ.

ونقول: إِنَّ هَذِهِ الدَّوَازِمَ تَدْخُلُ فِي مُسَمًى اللَّفْظِ تَارَةً، وَتَخْرُجُ عَنْهُ أُخْرَى، أَوْ إِنَّ اللَّفْظَ بَاقٍ عَلَى مَعْنَاهُ فِي اللَّغَةِ، وَلَكِنْ الشَّارِعُ زَادَ فِيهِ أَحْكَاماً، أَوْ أَنَّ يَكُونُ الشَّارِعُ اسْتَعْمَلَهُ فِي مَعْنَاهُ الْمَجَازِيِّ، فَهُوَ حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ، مَجَازٌ لَغَوِيٌّ، أَوْ أَنَّ يَكُونُ قَدْ نَقَلَ الشَّارِعُ، وَهَذِهِ أَقْوَالٌ لِمَنْ سَلَكَ هَذِهِ الطَّرِيقَ<sup>(٢)</sup>.

وقالوا: إِنَّ الرُّسُولَ قَدْ وَقَفْنَا عَلَى مَعَانِي الْإِيمَانِ، وَعَلِمْنَا مِنْ مَرَادِهِ عِلْماً ضَرُورِيّاً أَنْ مَنْ قِيلَ: إِنَّهُ صَدَقَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِلِسَانِهِ بِالْإِيمَانِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا صَلَّيْ، وَلَا صَامَ، وَلَا أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا خَافَ اللَّهَ، بَلْ كَانَ مَبْغُضاً لِلرُّسُولِ، مُعَادِياً لَهُ يُقَاتِلُهُ؛ أَنْ هَذَا لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.

كَمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ رَتَّبَ الْفُوزَ وَالْفَلَاحَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْإِخْلَاصِ وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُمَا، فَقَدْ قَالَ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ

١٩٨  
الأحاديث الدالة  
على دخول الأعمال  
في معنى الإيمان

(١) في (ب): من لوازم.

(٢) وانظر بسط الكلام على كون لفظ الإيمان ليس مرادفاً للتصديق في «مجموع الفتاوى»

شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً ﷺ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: «الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٣٥)، وأخرجه البخاري (٩) بلفظ: «الْإِيمَانُ بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»، وأخرجه أبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، وابن ماجه (٥٧) بلفظ: «الْإِيمَانُ بضع وستون أو سبعون باباً، وكذا وقع التردد في رواية مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح، عن عبدالله بن دينار، وأخرجه أبو عوانة من طريق يشر بن عمرو، عن سليمان بن بلال، فقال: «بضع وستون أو بضع وسبعون»، وله أيضاً بلفظ: «ست وسبعون»، وهو في سنن النسائي ١١٠/٨، ومسنند الطيالسي (٢٤٠٢)، وابن أبي شيبة ٥٢١/٨ - ٥٢٢ - ٤٠/١١، وعبد الرزاق (٢٠١٥)، وأحمد ٤١٤/٢ و ٤٤٥، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٨)، وأبي نعيم في «الحلية» ١٤٧/٦، والبيهقي (١٧)، وابن حبان (١٦٦) و (١٦٧) و (١٨١) و (١٩٠) و (١٩١)، وابن منده في «الإيمان» (١٤٤) و (١٤٥) و (١٤٧) و (١٧٠).

(٢) هو تمة الحديث المتقدم.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد ٢٥٠/٢ و ٤٧٢ و ٥٢٧، وابن أبي شيبة ٥١٥/٨ - ٥١٦ - ٢٧/١١ و ٢٨، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٤٨/٩، والدارمي ٣٢٣/٢، والأجري في «الشرعية» ص ١١٥ من حديث أبي هريرة وسنده حسن، وصححه ابن حبان (١٣١١) و (١٩٢٦)، والحاكم ٣/١، وله شاهد من حديث عائشة عند أحمد ٤٧/٦ و ٤٩، والترمذي (٢٦١٢)، والحاكم ٥٣/١، وابن أبي شيبة ٥١٥/٨ و ٢٧/١١ بلفظ: «إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالطَّهْفُمْ بِأَهْلِهِ».

(٤) أخرجه من حديث أبي أمامة الخارثي ابن ماجه (٤١١٨)، وأخرجه أبو داود (٤١٦١) بلفظ: ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عنده الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنْ الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ». وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وحسنه الحافظ العراقي في «أماله»، وقال الحافظ في «الفتح» ٣١٠/١٠ بعد عزوه لأبي داود: حديث صحيح. وأراد بالبذازة: التواضع في اللباس وترك التبعج به.

فإذا كان الإيمان أصلاً، له شُعبٌ متعدّدةٌ، وكُلُّ شُعبةٍ منها تُسمّى :  
إيماناً؛ فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحجّ، والأعمال  
الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي  
هذه الشُعب إلى إمطة الأذى عن الطريق، فإنه من شُعب الإيمان،  
وهذه الشُعب، منها ما يزول الإيمان بزوالها، كشُعبة الشهادة، ومنها  
ما لا يزول بزوالها، كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شُعبٌ متفاوتة  
تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شُعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شُعبة  
إمطة الأذى، وكما أن شُعب الإيمان إيمان، فكذا شُعب الكفر كفر،  
فالحكم بما أنزل الله — مثلاً — من شُعب الإيمان، والحكم بغير  
ما أنزل الله كفر، وقد قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ،  
فَإِنْ (١) لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ  
الإيمان». رواه مسلم (٢).

وفي لفظ: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» (٣).  
وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ  
لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ: فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» (٤). ومعناه — والله

(١) في (ب): وإن.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩)، وأبوداود (١١٤٠) و(٤٣٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، وابن ماجه (١٢٧٥) و(٤٠١٣)، وأحمد ١٠/٣ و٢٠ و٤٩ و٥٣، والنسائي ١١١/٨ — ١١٢،  
والطالسي (٢١٩٦)، وأبو يعلى (١٠٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود. وهو في «الكبير» للطبراني (٩٧٨٤)،  
والمستد، ٤٥٨/١ و٤٦١ و٤٦٢.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ أحمد ٤٣٨/٣ و٤٤٠، وأبوداود (٤٦٨١) والبغوي (٣٤٦٩) من  
حديث أبي أمامة، وسنده حسن، والذي عند الترمذي (٢٥٢١) من حديث معاذ بن  
أنس، وهو عند الطبراني في «الكبير» ٢٠ / (٤١٢) ولفظه: «مَنْ أَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ،  
وَأَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَنْكَحَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ» وسند الترمذي قوي. =



أعلم - أن الحب والبغض أصل حركة القلب، وبذل المال ومنه هو كمال ذلك، فإن المال<sup>(١)</sup> آخر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كله لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيء من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكمل الإيمان، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

ويأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم: «وحيهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان». فسمى حب الصحابة إيماناً، وبغضهم كفراً.

وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفي وغيره عن استدلالهم بحديث شبيب الإيمان المذكور، وهو: أن الراوي قال: «بضع وستون أو بضع وستون» فقد شهد الراوي بغفلة نفسه حيث شك فقال: بضع وستون، أو بضع وستون، ولا يُظن برسول الله ﷺ الشك في ذلك! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب.

فقطع فيه بغفلة الراوي ومخالفته الكتاب، فانظر إلى هذا الطعن ١٩٩ ما أعجبه! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه، مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه: «بضع وستون» من غير شك.

= ولأحمد ١٤٦/٥، وأبي داود (٤٥٩٩) من حديث أبي ذر مرفوعاً: «أفضل الأعمال الحب في الله، والبغض في الله»، ولأحمد ٤٣٠/٣ عن عمرو بن الجموح: «لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب الله ويبغض الله»، ولأحمد أيضاً ٢٨٦/٤، وابن أبي شيبة ٤١/١١ عن البراء: «أوثق عرى الإسلام الحب في الله، والبغض في الله» وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه عند عبد الرزاق (٢٠٣٢٣)، والطبراني في الكبير (٨٨٦٠).

(١) في (ب): فإن المال هو.

وأما الطعنُ بمخالفته الكتاب، فإين في الكتاب ما يدُلُّ على خلافه؟ وإنما فيه ما يدُلُّ على وفاقه، وإنما هذا الطعنُ من ثَمَرَةِ سُؤْمِ التقليد والتعصُّب.

وقالوا أيضاً: وهنا أصلُ آخر، وهو: أنَّ القَوْلَ قسمان: قَوْلُ القلبِ وهو الاعتقاد، وقَوْلُ اللسان، وهو التَّكَلُّمُ بكلمة الإسلام، والعملُ قسمان: عَمَلُ القلب، وهو بُيُوتُهُ وإِخْلَاصُهُ، وَعَمَلُ الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمانُ بكَماله، وإذا زال تَصْدِيقُ القلب، لم تنفع بَقِيَّةُ الأجزاء، فإن تَصْدِيقَ القلبِ شرطٌ في اعتبارها وكونها نافعة. وإذا بقي تَصْدِيقُ القلب، وزال الباقي، فهذا مَوْضِعُ المعركة!!

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عَدَمُ طاعة القلب، إذ لو أَطَاعَ القلبُ وانقاد، لأطاعتِ الجوارحُ، وانقادَتْ، ويلزَمُ من عدم طاعة القلب وانقياده عَدَمُ التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(١)</sup>. فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ، صَلَحَ جَسَدُهُ قطعاً، بخلاف العكس. وأما كَوْنُهُ يلزَمُ من زوال جزئه زوالُ كُلِّهِ، فإن أُريدَ أن الهيئة الاجتماعية لم تَبْقَ مجتمعةً كما كانت، فمُسَلَّمٌ، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوالُ سائر الأجزاء، فيزولُ عنه الكَمالُ فقط.

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، وأحمد ٢٧١/٤، والدارمي ٢٤٥/٢ من حديث النعمان بن بشير ولفظه بتمامه: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً<sup>(١)</sup>، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. ﴿وَيَزِدَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

أدلة الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه

وكيف يُقال في هذه الآية والتي قبلها: إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مَرَجَعَهُمْ مِنَ الْحَذَبِ لِيَزْدَادُوا طُمَأْنِينَةً وبقينا، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي<sup>(٢)</sup> رحمه الله، في «تفسيره» عند هذه الآية، فقال: حَدَّثَنَا الْفقيه، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، وَأَبُو الْقَاسِمِ

(١) انظر «الفتاوى» ٢٢٢/٧ - ٢٣١، و«الإيمان» ص ٧٢ - ٧٤ لأبي عبيد.

(٢) هو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، المشهور بإمام الهدى، صاحب «التفسير» و«خزانة الفقه» و«الفتاوى» و«شرح الجامع الصغير» و«تنبيه الغافلين» وغير ذلك، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١١/٢٣٠.

(٣) جملة «الفقيه» قال: حَدَّثَنَا: كتبت في أصل (د) ثم رجع عليها.

٢٠٠ السَّابَّادِي، قالَا: حَدَّثَنَا فَارِسُ بْنُ مَرْدَوَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَابِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَيْسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُطِيعٍ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ الْمُحَزَّمِ<sup>(١)</sup>، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ وَقَدْ ثَقِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا<sup>(٢)</sup>: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ فَقَالَ: «لَا، الْإِيمَانُ مَكْمَلٌ فِي الْقَلْبِ، زِيَادَتُهُ، وَنُقْصَانُهُ كُفْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

فَقَدْ سُئِلَ شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَمَادُ الدِّينِ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْإِسْنَادَ مِنْ أَبِي اللَّيْثِ إِلَى أَبِي مُطِيعٍ مَجْهُولُونَ لَا يُعْرَفُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَمَّا أَبُو مُطِيعٍ، فَهُوَ: الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَةَ الْبَلْخِي، ضَعَفَهُ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْفَلَّاسُ، وَابْنُ خَالِيٍّ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَبُو<sup>(٤)</sup> حَاتِمٍ الرَّازِيُّ، وَأَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَبَّانَ الْبُسْتِيُّ، وَالْعُقَيْلِيُّ، وَابْنُ عَدِيٍّ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَغَيْرُهُمْ. وَأَمَّا أَبُو الْمُهَزَّمِ، الرَّاوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ تَصَحَّفَ عَلَى الْكَاتِبِ، وَاسْمُهُ: يَزِيدُ بْنُ سَفِيَّانٍ، فَقَدْ ضَعَفَهُ أَيْضاً غَيْرٌ وَاحِدٌ، وَتَرَكَهُ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ: مَتْرُوكٌ، وَقَدْ اتَّهَمَهُ شُعْبَةُ بِالْوَضْعِ، حَيْثُ قَالَ: لَوْ أَعْطَوْهُ فَلَسْتِنِ لِحَدَّثْتُهُمْ بِسَبْعِينَ حَدِيثاً<sup>(٥)</sup>!!

(١) كَذَا وَرَدَ فِي تَفْسِيرِ أَبِي اللَّيْثِ مَعْرِفَةً عَنْ أَبِي الْمُهَزَّمِ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ الشَّارِحُ كَذَلِكَ، وَسَيَبْهَ عَلَيْهِ قَرِيباً.

(٢) فِي (أ) وَ (ب): فَقَالَ، وَقَدْ أَثْبَتَ فَوْقَهَا: «كَذَا».

(٣) بَاطِلٌ كَمَا نَقَلَ الشَّارِحُ عَنْ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَقَدْ حَكَمَ بِوَضْعِهِ أَيْضاً ابْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ وَالجَوْزْقَانِيُّ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَالدَّهْبِيُّ. انْظُرْ «الْمَجْرُوحِينَ وَالضَّعْفَاءَ» ١٠٢/٢ - ١٠٣، وَ«مِيزَانَ الْاِعْتِدَالِ» ٤٢/٣، وَ«الْأَلْبَانِي الْمَصْنُوعَةَ» ٣٨/١، وَ«تَنْزِيهِ الشَّرِيعَةِ» ١٤٩/١.

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

(٥) انْظُرْ «الْكَامِلَ» ٢٧٢١/٧ - ٢٧٢٢.

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين<sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(٢)</sup>. والمراد نفى الكمال. ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان، وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار مَنْ في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرةٍ من إيمان.

فكيف يُقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟! وإنما التفاضل بينهم بمعانٍ آخر غير الإيمان؟!.

وكلامُ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثيرٌ أيضاً:  
 منه: قولُ أبي الدرداء رضي الله عنه: مِنْ فَقِهِ الْعَبْدُ أَنْ يَتَعَاهَدَ  
 إِيمَانَهُ وَمَا نَقَصَ مِنْهُ، وَمِنْ فَقِهِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ: أَيْزَادُ هُوَ أَمْ يَنْتَقِصُ؟  
 وكان عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: هَلُمُوا نَزِدْزِدْ إِيمَانًا،

نقول عن  
 الصحابة في زيادة  
 الإيمان ونقصانه

(١) أخرج مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأةٌ منهن جزلةً: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للبُّ مكن» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتكث اللبالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين» وأخرجه البخاري (٣٠٤) و(١٤٦٢)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، وأحمد ٢٠٧/٣ و ٢٧٥ و ٢٧٨، والنسائي ١١٥/٨، وابن ماجه (٦٧)، وابن منده (٢٨٤) و (٢٨٥) و (٢٨٦)، والبغوي (٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا وَبِقِيْنًا وَفَقْهًا<sup>(٢)</sup>.

وكان مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه يقول لِرَجُلٍ: اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً<sup>(٣)</sup>. ومثله عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

وصحَّ عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ: إِنْصَافٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنْ إِقْتَارِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ. ذكره البخاري رحمه الله في «صحيحه»<sup>(٥)</sup>، وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٨)، و«المصنف» ٢٦/١١ من طريق ذر بن عبد الرحمن المراهبي، قال: كان عمر ريمًا يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه، فيقول: قم بنا نَزِدْ إِيمَانًا. وذر لم يدرك عمر.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٥/١٠: إسناده جيد. (٣) علقه البخاري ٤٥/١ في أول الإيمان، ووصله ابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (١٠٥) و«المصنف» ٢٦/١١، وأبو عبيد في «الإيمان» رقم (٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٣٥/١، وإسناده صحيح على شرطهما، وفي رواية لابن أبي شيبة (١٠٧) و٢٦/١١: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيذكران الله ويحمدانه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٦)، وفي «المصنف» ٤٣/١١ عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان عبدالله بن رواحة يأخذ بيد نفر من أصحابه، فيقول: تَعَالَوْا فَلْنُؤْمِنَ سَاعَةً، تَعَالَوْا فَلْنَذْكُرَ اللَّهَ وَلْنَزِدَّ إِيمَانًا، تَعَالَوْا نَذْكُرِ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ، لَعَلَّه يَذْكُرَنَا بِمَغْفِرَتِهِ. وعبد الرحمن بن سابط لم يدرك عبدالله بن رواحة.

(٥) ٨٢/١ باب: إفشاء السلام من الإسلام بلفظ: «ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»، ووصله معمر في «الجامع» (١٩٤٣٩) الملحق بـ «المصنف»، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤٨/١١ من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن صلة بن زفر، عن عمار بن ياسر قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وإنصاف الناس من نفسك، وبذل السلام للعالم» ورجاله ثقات.

وَأَمَّا كَوْنُ عَطْفِ الْعَمَلِ عَلَى الْإِيمَانِ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ، فَلَا يَكُونُ الْعَمَلُ دَاخِلًا فِي مَسْمَى الْإِيمَانِ: فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِيمَانَ تَارَةً يُذَكَّرُ مُطْلَقًا ٢٠١  
عَنِ الْعَمَلِ وَعَنِ الْإِسْلَامِ، وَتَارَةً يُقَرَّنُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَتَارَةً يُقَرَّنُ  
بِالْإِسْلَامِ، فَالْمُطْلَقُ مُسْتَلْزَمٌ لِلْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
الَّذِينَ إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]. ﴿إِنَّمَا  
الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٦٢]. ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].  
وَقَالَ ﷺ: «لَا يَزِينِي الزَّانِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(١)</sup>، الْحَدِيثُ.  
«لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا»<sup>(٢)</sup>.  
«مَنْ غَشَّنَا، فَلَيْسَ مِنَّا» «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا»<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه ص ٤٤١ تعليق رقم (١).  
(٢) أخرجه مسلم (٥٤) (٢٢) من حديث أبي هريرة، ولفظه بتمامه: «ولا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»، وأخرجه أبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٨)، وابن ماجه (٦٨) و (٣٦٩٢)، وأحمد ٣٩١/٢ و ٤٤٢ و ٤٩٥ و ٥١٢، وابن منده في «الإيمان» (٣٢٨) و (٣٢٩) و (٣٣٠) و (٣٣٣) و (٣٣٤) و (٣٣٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٧٤/٢ و ٣٣١.  
(٣) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا» وأخرجه مسلم (١٠٢)، وأبو داود (٣٤٥٢)، وابن ماجه (٢٢٢٤)، والترمذي (١٣١٥)، وأحمد ٢٤٢/٢، والحميدي (١٠٣٣)، والبخاري (٢١٢٠) و (٢١٢١) من حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ مر برجل يبيع طعاماً، فسأله: «كيف تبيع؟» فأخبره، فأوحى إليه: «أدخل يدك فيه، فأدخل يده، فإذا هو مبلول، فقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من غش»، وقوله: «ليس منا» أي: ليس على سيرتنا ومذهبنا، يريد: من غش أخاه وترك مناصحته، فإنه قد ترك اتباع النبي ﷺ، والتمسك بسته.

وما أَبْعَدَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «فليس مناً» - أي فليس مثلنا! فليت شعري، فمن لم يَغْشَى يَكُونُ مِثْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ.

وأما إذا عطف عليه الْعَمَلُ الصَّالِحُ، فاعلم أن عَطَفَ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي الْحُكْمِ الَّذِي ذُكِرَ لَهُمَا، وَالْمَغَايِرَةُ عَلَى مَرَاتِبٍ<sup>(١)</sup>:

أعلاها: أَنْ يَكُونَ مَتَبَايِنِينَ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا هُوَ الْآخَرُ، وَلَا جُزْءُهُ، وَلَا بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]. وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ.

ويليه: أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

الثالث: عَطَفُ بَعْضِ الشَّيْءِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]. ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨] ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي مِثْلِ هَذَا وَجْهَانِ:

أحدهما: أَنْ يَكُونَ دَاخِلًا فِي الْأَوَّلِ، فَيَكُونُ مَذْكُورًا مَرَّتَيْنِ.

والثاني: أَنْ عَطَفَهُ عَلَيْهِ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيهِ هُنَا، وَإِنْ كَانَ

(١) انظر «الفتاوى» ١٧٢/٧ - ١٨١.



داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك في لفظ: «الفقراء والمساكين» ونحوه مما تتنوع دلالاته بالإفراد والاقتران.

الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]. وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

فَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْناً<sup>(١)</sup>

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]. والكلام على ذلك معروف في موضعه.

فإذا كان العطف في الكلام يَكُونُ على هذه الوجوه، نظرنا في كلام الشارع: كيف ورد فيه الإيمان، فوجدناه إذا أُطْلِقَ يُرَادُ به ما يُرَادُ بلفظ البر، والتقوى، والدِّين، ودين الإسلام.

ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال محمد بن نصر: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، والملائكي، قالوا: حدثنا المسعودي، عن القاسم، قال:

(١) عجز بيت لعدي بن زيد العبادي، في قصة الزباء وغدرها بجذيمة، وأخذ قصير النار منها وصدره:

فَقَدَّمْتُ الْأَدِيمَ لِزَاهِشِيهِ

وهو في ديوانه: ١٨٣، و«طبقات ابن سلام»: ٦٣، و«معاني القرآن» للقرطبي ٣٧/١، و«المستقصى» ٢٤٣/١ - ٢٤٤، وأمالى المرتضى ٢٥٨/٢، والشعر والشعراء ص ٩٨، و«اللسان»: مين، و«مغني اللبيب» (٥٧٨)، و«معجم الهوامع» ١٢٩/٢.

جاء رَجُلٌ إلى أبي ذر رضي الله عنه، فسأله عن الإيمان، فقرا: ﴿لَيْسَ  
الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، [البقرة: ١٧٧]، فقال الرجلُ:  
ليس عن هذا سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي  
سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأتُ عليك<sup>(١)</sup>، فقال له الذي قلتُ لي،  
فلما أبى أن يَرْضَى، قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي إِذَا عَمِلَ الْحَسَنَةَ سَرَّتْهُ  
وَرَجَا ثَوَابَهَا، وَإِذَا عَمِلَ السَّيِّئَةَ سَاءَتْهُ وَخَافَ عِقَابَهَا»<sup>(٢)</sup>. وكذلك أجاب  
جماعةً من السلف بهذا الجواب.

وفي «الصحيح» قوله لوفد عبد القيس: «أَمُرُّكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ  
وَحَدُّهُ، أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»<sup>(٣)</sup>.

ومعلوم أنه لم يُرَدَّ أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان  
القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بُدَّ مِنْ إيمان القلب، فعلم أن هذه  
مع إيمان القلب هو الإيمان.

(١) في (ب): فقرأ الذي قرأته عليك.

(٢) المسعودي - وهو عبد الرحمن بن عبد الله - رمي بالاختلاط، والقاسم - وهو ابن  
عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود - لم يدرك أباً ذر، لكن صحح الحديث دون سبب  
النزول من رواية أبي أمامة عند الحاكم ١٤/١ بلفظ: إن رسول الله ﷺ سأله رجل،  
فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ، فَانْتَ  
مُؤْمِنٌ» قال: يا رسول الله ما الإثم؟ قال: «إِذَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ، فَدَعِهِ» وإسناده  
صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣) و (٨٧) و (٥٢٣) و (١٣٩٨) و (٣٠٩٥) و (٤٣٦٨) و (٤٣٦٩)  
و (٦١٧٦) و (٧٢٦٦) و (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧)، والترمذي (٢٦١١)، وأبو داود  
(٣٦٩٢) و (٤٦٧٧)، وأحمد ٢٢٨/١، والنسائي ١٢٠/٨ و ٣٢٣، وفي «الكبرى»  
كما في «التحفة» ٢٦٢/٥، وأبو داود الطيالسي (٢٧٤٧)، والبخاري (٢٠) كلهم من  
حديث ابن عباس.

وأني دليل على أن الأعمال داخلية في مُسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تُفِيدُ مع الجحود، وفي «المسند» عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «الإسلامُ علانيةٌ، والإيمانُ في القلب»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث دليل على المغايرة بين الإسلام والإيمان. ويؤيده حديث جبريل عليه السلام. وقد قال فيه النبي ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»<sup>(٢)</sup>. فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فبين<sup>(٣)</sup> أن ديننا يجمع الثلاثة. لكن هودرجات ثلاث<sup>(٤)</sup>: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن. والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعاً، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان، هذا محال. وهذا كما قال تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّهُمْ عَادُوا عَلَى الْوَعْدِ» وهذا كما قال تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّهُمْ عَادُوا عَلَى الْوَعْدِ» سابق بالخيرات بإذن الله ﷻ [فاطر: ٣٢]. والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للعقوبة<sup>(٥)</sup>.

الدين يتظم  
الإيمان والإسلام  
والإحسان

(١) أخرجه أحمد ١٣٥/٣، وأبو عبيد في «الإيمان» ص ٥٠، وفي سننه علي بن مسعدة وهو سفي الحفظ، ضعفه البخاري، والنسائي، وأبو داود، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة.

(٢) أخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم ص ٣٥٦.

(٣) في (ب): فبين.

(٤) في (د): ثلاثة، وكلاهما صحيح.

(٥) في «الفتاوى» لابن تيمية، ٤٨٥/٧: «فقد قسم الله سبحانه الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاه ثلاثاً أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الثلاث المذكورة في حديث جبريل: «الإسلام» و«الإيمان» و«الإحسان» ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتناب الكبائر، والتائب من جميع الذنوب، فذلك مقتصد أو سابق، فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، لكن من تاب، كان مقتصد أو سابقاً، كذلك من =

وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن؛ فإنه مُعَرَّضٌ للوعيد.

فأما الإحسان، فهو أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أهله، والإيمان أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أهله من الإسلام، فالإحسانُ يَدْخُلُ فيه الإيمانُ، والإيمانُ يَدْخُلُ فيه الإسلامُ<sup>(١)</sup>، والمحسنون أخصُّ من المؤمنين، والمؤمنون أخصُّ من المسلمين، وهذا كالرسالة والنُّبُوَّة، فالنُّبُوَّةُ داخِلَةٌ في الرسالة، والرسالة أعمُّ من جهة نفسها، وأخصُّ من جهة أهلها، فكلُّ رسولٍ نبيٍّ، ولا ينعكسُ.

وقد صار الناسُ في مسمَّى الإسلام على ثلاثة أقوالٍ<sup>(٢)</sup>:

فطائفةٌ جعلت الإسلامَ هو الكلمة.

أقوال أهل العلم  
في مسمَّى الإسلام

وطائفةٌ أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سُئِلَ عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلامَ بالأعمالِ الظاهرة، والإيمانَ بالإيمانِ بالأصولِ الخمسة.

وطائفةٌ جعلوا الإسلامَ مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قولِ الرسول ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ»<sup>(٣)</sup>،

= اجتنب الكبائر، كفرت عنه السيئات، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ فلا بد أن يكون هناك ظاهراً لنفسه، موعود بالجنة، ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا... .

(١) في (ب): الإحسان، وفي «مجموع الفتاوى» ٣٦٠/٧: والإيمان يتضمن الإسلام.

(٢) انظر «الفتاوى» ٢٥٩/٧.

(٣) أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والنسائي ٩٧/٨ - ١٠١، وابن ماجه (٦٣) من طريق عمر، وهو حديث جبريل المتقدم.

الحديث: شعائر الإسلام. والأصل عَدَمُ التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم قالوا: الإسلام والإيمان شيء واحد، فيكون الإسلام هو التصديق! وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ»<sup>(١)</sup>. وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ.

وأما إذا أُفِرِدَ اسمُ الإيمان، فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أُفِرِدَ الإسلام، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلماً ولا يقال له: مؤمن؟ وقد تقدّم الكلام فيه.

وكذلك هل يستلزم الإسلام الإيمان؟ فيه النزاع المذكور، وإنما وعد الله بالجنة في القرآن، وبالنجاة من النار باسم الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وأما اسمُ الإسلام مجرداً، فما عُلِّقَ به في القرآن دخول الجنة، لكنه فَرَضَهُ، وأخبر أنه دينه الذي لا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وبه بَعَثَ

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (١١٢٠) و (٦٣١٧) و (٧٣٨٥) و (٧٤٤٢) و (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩)، ومالك ٢١٥/١، وابن ماجه (١٣٥٥)، والدارمي ٣٤٩/١، وأحمد ٢٩٨/١ و ٣٠٨ و ٣٥٨، والنسائي ٢٠٩/٣ - ٢١٠، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٣/٥ و ٧، والترمذي (٣٤١٨)، وأبو داود (٧٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٧)، والحميدي (٤٩٥)، والبغوي (٩٥٠)، من حديث ابن عباس.

النبيين: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

حالة اقتران  
الإسلام بالإيمان  
غير حالة أفراد  
أحدهما عن الآخر

فالحاصل أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة أفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان، كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوجدانية، فهما شيان في الأعيان. وأحدهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد، كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه.

ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله، وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الأفراد والاقتران.

منها: لَفْظُ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، فَالْكُفْرُ إِذَا ذُكِرَ مَفْرُوداً فِي وَعِيدِ الْآخِرَةِ دَخَلَ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]. ونظائره كثيرة. وَإِذَا قُرِنَ بَيْنَهُمَا، كَانَ الْكَافِرُ مَنْ أَظْهَرَ كُفْرَهُ، وَالْمُنَافِقُ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بَقَلْبِهِ.

وكذلك لَفْظُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَفْظُ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَلَفْظُ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَفْظُ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، إلى آخر السورة، وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: انقذنا بظواهرنا، فهم منافقون في الحقيقة، وهذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة، وأجيب بالقول الآخر، ورُجِّح، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين

كاملِي الإيمان، لا أَنَّهُمْ منافقُونَ، كما نفى الإيمانَ عن القاتل، والزاني، والسارق، وَمَنْ لا أمانةَ له. ويؤيِّدُ هذا سباقُ الآية وسياقُها، فإن السُّورَةَ من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي، وأحكامِ بَعْضِ العُصاة، ونحو ذلك، وليس فيها ذِكْرُ المنافقين. ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ<sup>(١)</sup> مِنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئاً﴾ [الحجرات: ١٤]، ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطَّاعَةُ، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، الآية، يعني — والله أعلم — أَنَّ المؤمنين الكاملِي الإيمانِ، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منفي عَنْكُمْ الإيمانَ الكاملِ. يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أَدِنَ لهم، أن يَقُولُوا: أسلمنا، والمُنافِقُ لا يُقالُ له ذلك، ولو كانوا منافقين، لنفى عنهم الإسلامَ، كما نفى عنهم الإيمانَ، ونهاهم أن يَمُنُّوا بِإِسْلَامِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فأنبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يَمُنُّوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً، لقال: لم تُسَلِّمُوا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم<sup>(٣)</sup> في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]. والله أعلم بالصواب<sup>(٤)</sup>.

ويتنفي بَعْدَ هذا التقريرِ والتفصيلِ دعوى التَّرادُفِ، وتشنُّعُ مَنْ أُلِزِمَ بأن الإسلامَ لو كان هو الأمورَ الظاهرة، لكان ينبغي أن لا يقبل إلا ذلك،

(١) في الأصل: (لا يَلِتْكُمْ) وهي قراءة أبي عمرو، مِنْ: أَلَتْ بِالَتْ التَّاءُ، مثل ضرب يضرب ضرباً، وحجته إجماع الجميع على قوله: ﴿وما ألتناهم من عملهم﴾ فرد ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه أولى، وقرأ الباقر: (يَلِتْكُمْ) مِنْ: لَات يَلِيتُ، وحجته اتباع مرسوم المصحف، وذلك أنها مكتوبة بغير ألف، قال الفراء: وهما لغتان، وقال الزجاج: معناها واحد، والمعنى: لا ينقصكم. «حجة القراءات» ص ٦٧٦، و«زاد المسير» ٤٧٧/٧.

(٢) في (ب): بِإِسْلَامِ.

(٣) في (ب): كَذَبْتُمْ، وليس بشيء.

(٤) انظر الفتاوى، ٢٣٨/٧ — ٢٤٧ و ٤٧٦ — ٤٧٩.

ولا يقبل إيمان المخلص! وهذا<sup>(١)</sup> ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد. فانظر إلى كَلِمَةِ الشهادة، فإن النبي ﷺ قال: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>، الحديث، فلو قالوا: لا إله إلا الله، وأنكروا الرسالة؛ ما<sup>(٣)</sup> كانوا يستحقون العصمة، بل لا بُدَّ أَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَائِمِينَ بِحَقِّهَا، ولا يكون قائماً بـ «لا إله إلا الله» حقَّ القيام، إِلَّا مَنْ صَدَّقَ بِالرَّسَالَةِ، وكذا من شَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَكُونُ قَائِمًا بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ حَقَّ الْقِيَامِ، إِلَّا مَنْ صَدَّقَ هَذَا الرَّسُولَ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ. فانتظمت<sup>(٤)</sup> التوحيد، وإذا ضُمَّتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إثبات التوحيد، ومن شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إثبات الرسالة، كذلك الإسلام والإيمان إذا قُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ»<sup>(٥)</sup>؛ كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر، وكما قال ﷺ: «الْإِسْلَامُ عِلَاقِيَّةٌ، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ»<sup>(٦)</sup>. وإذا انفرد أحدهما، شَمِلَ معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإنَّ لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا،

(١) في (ب): فإن هذا، وفي (ج): وهو ظاهر الفساد.

(٢) هو حديث متواتر، وقد تقدم تخريجه ص ٢٢ تعليق رقم (١).

(٣) «ما» سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٤) تحرفت في (ب) إلى: فانتظمت.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٨٩.

(٦) تقدم تخريجه ص ٤٨٧، وهو ضعيف.



افترقا، وإذا افترقا، اجتماعا، فهل يُقال في قوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ [المائدة: ٨٩] — أنه يُعطى المُقِلُّ دون المُعْدِمِ، أوبالعكس؟! وكذا في قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَخَفَوْهَا وَتَوَتُّوْهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

ويندفع أيضاً تشنيع مَنْ قال: ما حُكِّمَ مَنْ آمَنَ ولم يُسَلِّمَ، أو اسلم ولم يُؤْمَرْ في الدنيا والآخرة؟ فَمَنْ أثبت لأحدهما حكماً ليس بثابتٍ للآخر، ظَهَرَ بُطْلَانُ قوله.

ويقال له في مقابلة تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فجعلهما غَيْرَيْنِ، وقد قيلَ لرسول الله ﷺ: مالك عَنْ فَلَانٍ، والله إني لأراه مؤمناً؟ قال: «أو مسلماً»<sup>(١)</sup>، قالها ثلاثاً، فأثبت له اسم الإسلام، وتوقَّفَ في اسم الإيمان، فَمَنْ قال: هما سواء، كان مخالفاً، والواجبُ ردُّ موارد النزاعِ إلى الله ورسوله، وقد يترأى في بعض النصوص مُعَارَضَةٌ، ولا مُعَارَضَةٌ بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق.

وأما الاختِجَاجُ بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ \* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الذاريات: ٣٥-٣٦] على تَرَادُّفِ الإسلام والإيمان، فلا حُجَّةَ فيه، لأن البيتَ المخرَجَ كانوا موصوفين بالإسلام والإيمان، ولا يُلْزَمُ من الاتصاف بهما ترادفهما.

(١) أخرجه البخاري (٢٧) و(١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠)، وفي الزكاة ٧٣٢/٢ - ٧٣٣، وأحمد ١٨٢/١ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبي حنيفة رضي الله عنه، وإنما هي من الأصحاب، فإن غاليها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: «أي الإسلام أفضل»<sup>(١)</sup> إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل، قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟ فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تُجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بَمَ أجيبه؟ وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

أقوال العلماء في مسألة الاستثناء في الإيمان  
وَمِنْ ثمراتِ هذا الاختلاف: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يَقُولَ الرجل: أنا مؤمنٌ إن شاء الله. والناسُ فيه على ثلاثة أقوال:

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠١٠٧)، وأحمد ١١٤/٤ من طريق معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك»، قال: فأبي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال: «تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت» قال: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة» قال: فما الهجرة؟ قال: «تهجر السوء»، قال: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد»، قال: وما الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم»، قال: فأبي الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده، وأهريق دمه» قال رسول الله ﷺ: «ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلها: حجة مبرورة أو عمرة» وإسناده صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من عمرو بن عبسة، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٥٩/١، وقال: رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» بنحوه، ورجاله ثقات، وأخرجه أيضاً أحمد ٣٨٥/٥ بنحوه من طريق آخر، وفي سنده ضعيفان، وفيه قال: قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال: «خلق حسن».

وقول الشيخ ناصر الدين الألباني: متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري وهم منه، فإن لفظ حديث أبي موسى المخرج في البخاري (١١)، ومسلم (٤٢): «أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده» وهو غير الحديث الذي استشهد به المصنف.

طرفان ووسط، منهم من يُوجبه، ومنهم من يُحرمه، ومنهم من يُجيزه باعتبارٍ ويمنعه باعتبار، وهذا أصحُّ الأقوال.

أما من يُوجبه، فلهم مأخذان: أَحَدُهُمَا: أن الإيمانَ هو ما مات الإنسانُ عليه، والإنسانُ إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة، وما سبق في عِلْمِ الله أنه يكون عليه، وما قَبْلَ ذلك لا عِبْرَةَ به، قالوا: والإيمانُ الذي يتعقبه الكفر فَيَمُوتُ صاحبه كافراً: ليس بإيمان، كالصلاةِ التي أفسدها صاحبُها قَبْلَ الكمال، والصيامِ الذي يُفْطِرُ صاحبه قَبْلَ الغروب، وهذا مأخذٌ كثيرٌ من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يُحِبُّ في الأزل مَنْ كان كافراً إذا عَلِمَ منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابة ما زالوا محببين قبل إسلامهم، وإبليس وَمَنِ ارتد عن دينه ما زال الله يُغْضُّهُ وإن كان لم يكفر بَعْدُ، وليس هذا قَوْلُ السلف، ولا كان يُعلل بهذا مَنْ يستثني مِنَ السَّلَفِ في إيمانه، وهو فاسدٌ، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتَّبَعَ الرسولَ شَرْطُ المحبة، والمشروطُ يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

ثم صار إلى هذا القول طائفة غَلَوُا فيه، حتى صار الرجلُ منهم يستثني في الأعمالِ الصالحة، يقول: صليتُ إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول، ثم صار كثير منهم يستثنون في كُلِّ شيء، فيقول أحدهم: هذا ثوبٌ إن شاء الله! هذا جبلٌ إن شاء الله! فإذا قيل لهم: هذا لا شَكَّ فيه. يقولون: نعم، لكن إذا شاء الله أن يُغَيِّرَهُ غَيَّرَهُ!!.

المأخذُ الثاني: أن الإيمانَ المُطْلَقَ يتضمَّنُ فِعْلَ ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجلُ: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار:

فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين. وهذا من تركية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال.

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستنون<sup>(١)</sup>، وإن جؤزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَابِئِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «وإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ»<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup> ونظائر هذا.

وأما من يُحرّمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلمُ أني مؤمن، كما أعلمُ أني تكلمتُ بالشهادتين، فقولِي: أنا مؤمن،

(١) انظر «الفتاوى» ٤٢٩/٧ - ٤٦٠.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٣٧)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، وأحمد ٣٠٠/٢ و ٣٧٥ و ٤٠٨، والنسائي ٩٤/١ - ٩٥، ومالك ٢٨/١ - ٣٠، والبخاري (١٥١) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن عائشة عند مسلم (٩٧٤)، وابن ماجه (١٥٤٦)، والنسائي ٩٣/٤ - ٩٤، وأحمد ٧١/٦ و ٧٦ و ١١١ و ١٨٠ و ٢٢١، والبخاري (١٥٥٦)، وعن بريدة عند أحمد ٣٥٣/٥ و ٣٦٠، ومسلم (٩٧٥)، والنسائي ٩٤/٤، وابن ماجه (١٥٤٧)، والبخاري (١٥٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (١١١٠)، وأبو داود (٢٣٨٩)، ومالك ٢٨٩/١، وأحمد ٦٧/٦ و ١٥٦ و ٢٤٥، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٨١/١٢ من حديث عائشة بلفظ: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي»، ولمسلم (١١٠٨) من حديث أم سلمة بلفظ: «أما والله إني لأتقاكم وأخشاكم له»، وأخرج البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك في قصة الرهط الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ وتقالوها... وفيه: «أما والله إني أخشاكم لله، وأتقاكم له».

كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه، فهو شك فيه، وسَمُوا الذين يستثنون في إيمانهم الشُّكَّاءة، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، بأنه يعودُ إلى الأمنِ والخوفِ، فأما الدُّخُولُ، فلا شك فيه. وقيل: لتَدْخُلَنَّ جميعَكم أو بعضَكم، لأنه علم أن بعضَهم يموت.

وفي كلا الجوابين نظر، فإنهم وقعوا فيما قرأوا منه، فأما الأمنُ والخوفُ، فقد أخبر أنهم يدخلون آمِنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإنَّ الله قد عَلِمَ مَنْ يَدْخُلُ، فلا شك فيه أيضاً، فكان قول: إن شاء الله هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجلُ فيما عزم على أن يفعله لا مَحَالَةَ: واللَّهِ لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يَحْنُ الْحَالِفُ في مثل هذه اليمين لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل. وفي كون هذا المعنى مراداً من النص نظر، فإنه ما سبق الكلام له إلا أن يكون مراداً من إشارة النص<sup>(١)</sup>. وأجاب الزمخشري<sup>(٢)</sup> بجوابين آخرين باطلين، وهما: أن يكونَ

(١) إشارة النص: هو ما يدل عليه اللفظ بغير عبارته، ولكنه يجيء نتيجة لهذه العبارة، فهو يفهم من الكلام، ولكن لا يستفاد من العبارة ذاتها، وقد مثلوا له بقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ فإن هذا النص أفاد بعبارته أن نفقة المولود على والده، وأفاد بإشارته أن الولد تابع لأبيه منسوب إليه. وفي إدراك إشارة النص تنفاوت العقول والأفهام، فلا يتصدى له إلا الذكي المتمكن في الفقه وأصوله، والعليم بأسرار العربية. وهو عند الحنفية أحد دلالات النص الأربعة: عبارة النص، دلالة النص، إشارة النص، مقتضى النص. انظر «تيسير التحرير» ٨٦/١ - ٩١.

(٢) «الكشاف» ٥٩٤/٣.

الْمَلَكُ قَدْ قَالَه، فَأُثْبِتْ قُرْآنًا! أَوْ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَه<sup>(١)</sup>!!

وأما من يُجَوِّزُ الاستثناءَ وتركه<sup>(٢)</sup>، فهم أسعدُ بالدليلِ من الفريقين، وخَيْرُ الأمورِ أَوْسَطُهَا: فإن أرادَ المستثنى الشكَّ في أصلِ إيمانه مُنِعَ من الاستثناء، وهذا مما لا خلافَ فيه، وإن أرادَ أنه مؤمنٌ من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿[الأنفال: ٢ - ٤]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]. فالاستثناءُ حينئذٍ جائزٌ، وكذلك من استثنى وأرادَ عَدَمَ علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه، وهذا القولُ في القوة كما ترى.

قوله: «وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ». يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الردِّ على الجهمية والمعتزلة والمعتزلة والرافضة، القائلين بأن الأخبارَ قسمان: متواترٌ وآحاد، فالمتواتر -- وإن كان قطعياً السند -- لكنه غيرُ قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية<sup>(٣)</sup>

(١) في (ج) و (د) زيادة ونصها: «فَعِنْدَ هَذَا الْمَسْكِينِ يَكُونُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ غَيْرُ كَلَامِ اللَّهِ، فَيَدْخُلُ فِي وَعِيدٍ مِنْ قَالَ: (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ، وَهِيَ مُثْبِتَةٌ فِي (أ) إِلَّا أَنَّ النَّاسِخَ قَدْ أُثْبِتَ كَلِمَةٌ: «وَلَا» فَوْقَ أَوَّلِ كَلِمَةٍ مِنْهَا، وَكَلِمَةٌ: «إِلَى» فِي آخِرِ كَلِمَةٍ مِنْهَا، وَهَذَا الرَّمْزُ يَعْنِيهِ: أَنْ مَا بَيْنَ لَا وَإِلَى يَحْذَفُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْكِتَابِ.

(٢) في هامش (أ) و (ب) زيادة وهي: «باعتبار شيء» وقد أثبت فوقها (ظ).

(٣) في (ب): الدلالة القطعية، وهو خطأ.

لا تفيد اليقين!! وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات! قالوا:  
والأحاد لا تُفِيد العلم، ولا يُحتجُّ بها من جهة طريقها، ولا من جهة  
متنها! فسدوا على القلوب معرفة الربِّ تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من  
جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية<sup>(١)</sup>،  
سموها قواطع عقلية، وبراهين يقينية!! وهي في التحقيق ﴿كَسْرَابٌ<sup>(٢)</sup>﴾  
بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ  
فَوَقَّعَهُ حِسَابُهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ  
مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ  
لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾  
[النور: ٣٩ - ٤٠].

ومن العجب أنهم قدّموها على نُصوصِ الوحي، وعزلوا لأجلها

(١) تحرفت في (ب) إلى: خالية.

(٢) السراب: ما يرى في الفلاة المنبسطة من ضوء الشمس وقت الظهيرة، يسرب على الأرض  
كأنه ماء يجري، والقية والقاع واحد: وهو المنبسط من الأرض الذي لا جبل فيه  
ولا واد. واللجي: العميق، منسوب إلى لجة البحر، وهو معظمه. وفي هذه الآية مثالان  
ضربهما الله للكفار: شبه ما يعمل من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة  
التي يظن أنها تنفعه وتنجيه من عذاب الله، ثم يخيب في أمله ويلقى خلاف ما قدّر  
بسراب في منبسط من الأرض يظنه الظمآن ماء، فيأتيه ليروي من ظمئه، فلا يجد ما أمله  
ورجاءه، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً، وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله  
يوم القيامة، وحاسبه عليه، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قبل، لأن الكفر  
بشريعة الله يمحّو كل عمل، وإن كان من باب الخير والإحسان: ﴿وقدما إلى ما عملوا  
من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ و﴿من يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من  
الخاسرين﴾...

وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها، لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان بظلمات  
متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب. وانظر «اجتماع الجيوش الإسلامية»  
ص ١٤ - ٢٠ لابن القيم.

النُّصُوصَ، فَأَقْفَرَتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْاهْتِدَاءِ بِالنُّصُوصِ، وَلَمْ يَظْفَرُوا بِقَضَايَا الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ وَالنُّصُوصِ النَّبَوِيِّ، وَلَوْ حَكَّمُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ، لَفَازُوا بِالْمَعْقُولِ الصَّحِيحِ، الْمُوَافِقِ لِلْفِطْرَةِ السَّلِيمَةِ.

بَلْ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْ أَرْبَابِ الْبِدْعِ يَعْزِضُ النُّصُوصَ عَلَى بَدْعِهِ، وَمَا ظَنُّهُ مَعْقُولًا: فَمَا وَافَقَهُ قَالَ: إِنَّهُ مُحْكَمٌ، وَقِيلَهُ، وَاحْتَجَّ بِهِ!! وَمَا خَالَفَهُ قَالَ: إِنَّهُ مُتَشَابِهٌ، ثُمَّ رَدَّهُ، وَسَمَّى رَدَّهُ تَفْوِضًا! أَوْ حَرْفَهُ، وَسَمَّى تَحْرِيفَهُ تَأْوِيلًا!! فَلِذَلِكَ اشْتَدَّ انْتِكَارُ أَهْلِ السَّنَةِ عَلَيْهِمْ.

وَطَرِيقُ أَهْلِ السَّنَةِ: أَنْ لَا يَعْدِلُوا عَنِ النَّصِّ الصَّحِيحِ، وَلَا يُعَارِضُوا بِمَعْقُولٍ، وَلَا قَوْلِ فَلَانٍ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ، وَكَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمِعْتُ الْحَمِيدِيَّ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: قَضَى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّافِعِيِّ: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! تَرَانِي فِي كَنِيسَةٍ! تَرَانِي فِي بَيْعَةٍ! تَرَى عَلَى وَسْطِي زَنَارًا؟! أَقُولُ لَكَ: قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتَ تَقُولُ: مَا تَقُولُ أَنْتَ؟<sup>(١)</sup>

اهل السنة  
لا يعدلون عن  
النص الصحيح

وَنَظَائِرُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ السَّلَفِ كَثِيرٌ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) الخبر في «حلية الأولياء» ١٠٦/٩، و«تاريخ ابن عساكر» ٢/١٠/١٥، و«مناقب الشافعي» لليهقي ٤٧٤/١، و«توالي التأسيس» ص ٦٣، و«مفتاح الجنة» ١٥٤.



وَحَبَّرَ الْوَاحِدَ إِذَا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ، عَمَلًا بِهِ<sup>(١)</sup> وَتَصَدِيقًا لَهُ: يُفِيدُ ٢٠٩  
 الْعِلْمَ الْيَقِينِي عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ أَحَدُ قِسْمَيِ الْمَتَوَاتَرِ، وَلَمْ يَكُنْ  
 بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ، كَخَبَرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:  
 «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(٣)</sup>، وَخَبَرِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَهَى عَنْ  
 بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَيْبَتِهِ»<sup>(٤)</sup>، وَخَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تُتَّكَحُ الْمَرْأَةُ  
 عَلَى عَمَّتَيْهَا وَلَا عَلَى خَالَتَيْهَا»<sup>(٥)</sup> وَكَقَوْلِهِ: «يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ<sup>(٦)</sup>  
 النَّسَبِ»<sup>(٧)</sup>، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، وَهُوَ نَظِيرُ خَبَرِ الَّذِي أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ

(١) فِي (ب): بِقَوْلِهِ.

(٢) انْظُرْ بِسَطِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي «مَخْتَصَرِ الصَّوَاغِقِ الْمُرْسَلَةِ» ٣٧٢/٢ - ٤٣٣.

(٣) تَقْدِمُ تَحْرِيمِهِ ص ١٨٥.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٥٣٥) وَ (٦٧٥٦)، وَمُسْلِمٌ (١٥٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٩١٩)،  
 وَالتِّرْمِذِيُّ (١٢٣٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٧٤٧)، وَمَالِكٌ (٧٨٢/٢)، وَالدَّارِمِيُّ (٣٩٨/٢)،  
 وَالنَّسَائِيُّ (٣٠٦/٧)، وَفِي «الْكَبَرِيِّ» كَمَا فِي «التَّحْفَةِ» ٤٤٩/٥ وَ ٤٥٥، وَأَحْمَدُ (٩/٢) وَ ٧٩  
 وَ ١٠٧، وَالْحَمِيدِيُّ (٦٣٩)، وَابْنُ الْجَارُودِ (٩٧٨)، وَالبُغْوِيُّ (٢٢٢٦).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥١٠٩) وَ (٥١١٠)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٨)، وَمَالِكٌ (٥٣٢/٢)، وَأَبُو دَاوُدَ  
 (٢٠٦٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١١٢٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٩٢٩)، وَالنَّسَائِيُّ (٩٦/٦) وَ ٩٧، وَأَحْمَدُ  
 (٢٢٩/٢) وَ ٤٢٣ وَ ٤٢٦ وَ ٤٣٢ وَ ٤٧٤ وَ ٤٨٩ وَ ٥٠٨ وَ ٥١٦، وَالبُغْوِيُّ (٢٢٧٧)،  
 وَابْنُ الْجَارُودِ (٦٨٥)، وَالبَيْهَقِيُّ (١٦٥/٧) وَ ١٦٦ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٦) سَقَطَتْ «مِنْ» مِنْ (أ) وَ (ج) وَ (د).

(٧) أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْبُخَارِيُّ (٢٦٤٥) وَ (٥١٠٠)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٩٣٨)، وَأَحْمَدُ  
 (٢٧٥/١) وَ ٣٣٩، وَالنَّسَائِيُّ (١٠٠/٦)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٨٧/٤) وَ ٢٨٩، وَالتَّطْبَرَانِيُّ فِي  
 «الْكَبَرِيِّ» (١١٩٦٨) وَ (١٢٣٩٧) وَ (١٢٨٢١) وَ (١٢٨٢٢). وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٤٤٧)  
 بِلَفْظٍ: «وَيَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الرَّحِمِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ  
 (٢٦٤٦) وَ (٣١٠٥) وَ (٥٠٩٩)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٠٥٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ  
 (١١٤٧)، وَالدَّارِمِيُّ (١٥٦/٢)، وَمَالِكٌ (٦٠١/٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٩٩/٦) وَ ٥١/٦  
 وَ ٦٦ وَ ٧٢ وَ ١٠٢ وَ ١٧٨، وَالبُغْوِيُّ (٢٢٧٨) وَ (٢٢٧٩) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ بِلَفْظٍ:  
 «يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوَلَادَةِ». وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ التِّرْمِذِيُّ (١١٤٦)،  
 وَالشَّافِعِيُّ (٢٤٠/٢ - ٢٤١)، وَالبُغْوِيُّ (٢٢٨١).

القبلة تحوَّلت إلى الكعبة، فاستداروا إليها<sup>(١)</sup>.

وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرْسِلُ رُسُلَهُ أَحَادًا، وَيُرْسِلُ كَتَبَهُ مَعَ الْأَحَادِ، وَلَمْ يَكُنِ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ يَقُولُونَ: لَا نَقْبَلُهُ، لِأَنَّهُ خَبِرُ وَاحِدٍ! وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، لِثَلَا ثَبْطَلُ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ.

ولهذا فضح الله مَنْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، وَبَيَّنَّ حَالَهُ لِلنَّاسِ، قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ: مَا سَتَرَ اللَّهُ أَحَدًا يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: لَوْ هَمَّ رَجُلٌ فِي السَّحَرِ<sup>(٢)</sup> أَنْ يَكْذِبَ فِي الْحَدِيثِ، لِأَصْبَحَ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: فَلَانُ كَذَابٍ.

وخبِرَ الْوَاحِدِ وَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ الصَّدْقَ وَالْكَذِبَ، وَلَكِنْ التَّفْرِيقُ بَيْنَ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ وَسَقِيمِهَا لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مُعْظَمُ أَوْقَاتِهِ مُشْتَغَلًا بِالْحَدِيثِ، وَالْبَحْثِ عَنْ سِيرَةِ الرِّوَاةِ، لِيَقِفَ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَشِدَّةِ حَذَرِهِمْ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالزَّلَلِ، وَكَانُوا بِحَيْثُ لَوْ قَتَلُوا لَمْ يُسَامَحُوا أَحَدًا فِي كَلِمَةٍ يَتَقَوَّلُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا فَعَلُوا هُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ. وَقَدْ نَقَلُوا هَذَا الدِّينَ إِلَيْنَا كَمَا نُقَلِّ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ يَزُكُّ

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣) و(٤٤٨٨) و(٤٤٩٠) و(٤٤٩١) و(٤٤٩٣) و(٤٤٩٤) و(٧٢٥١)، ومسلم (٥٢٦)، ومالك ١/١٩٥، والشافعي في «الرسالة» فقرة (٣٦)، وأحمد ١٦/٢ و١١٣، والنسائي ٦١/٢، والدارمي ٢٨١/١، والبيهقي (٤٤٥)، والبيهقي ٢/٢ كلهم من حديث ابن عمر قال: «بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاءهم آت، فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة».

(٢) تحرفت في (ب) إلى: السجن.

الإسلام<sup>(١)</sup> وعِصَابَةُ الإِيْمَانِ، وَهُمْ تُقَادُ الْأَخْبَارِ، وَصِيَارَةُ الْأَحَادِيثِ، فَإِذَا وَقَفَ الْمَرْءُ عَلَى هَذَا مِنْ شَأْنِهِمْ، وَعَرَفَ حَالَهُمْ، وَخَبَرَ صِدْقَهُمْ وَوَرَعَهُمْ وَأَمَانَتَهُمْ، ظَهَرَ لَهُ الْعِلْمُ فِيمَا نَقَلُوهُ وَرَوَوْهُ.

وَمَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ يَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِأَحْوَالِ نَبِيِّهِمْ وَسِيرَتِهِ وَأَخْبَارِهِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ بِهِ شُعُورٌ، فَضْلاً أَنْ يَكُونَ مَعْلُوماً لَهُمْ أَوْ مَظْنُوناً، كَمَا أَنَّ النُّحَاةَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ سَيِّبِيهِ وَالْخَلِيلِ وَأَقْوَالِهِمَا مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، وَعِنْدَ الْأَطْبَاءِ مِنْ كَلَامِ بَقْرَاطٍ وَجَالِينُوسٍ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ ذِي صَنْعَةٍ هُوَ أَخْبَرُ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، فَلَوْ سَأَلْتُ الْبَقَالَ عَنْ أَمْرِ الْعِطْرِ، أَوِ الْعَطَّارَ عَنِ الْبَزِّ، وَنَحْوَ ذَلِكَ!! لَعَدَّ ذَلِكَ جَهْلاً كَثِيراً<sup>(٢)</sup>.

وَلَكِنْ النُّفَاةُ قَدْ جَعَلُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]: مُسْتَنْدِئاً لَهُمْ فِي رَدِّ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، فَكَلِمَا جَاءَهُمْ حَدِيثٌ يُخَالِفُ قَوَاعِدَهُمْ وَأَرَاءَهُمْ، وَمَا وَضَعَتْهُ خَوَاطِرُهُمْ وَأَفْكَارُهُمْ، رَدُّهُ بِـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، تَلْبِيساً مِنْهُمْ وَتَدْلِيساً عَلَى مَنْ هُوَ أَعْمَى قَلْباً مِنْهُمْ، وَتَحْرِيفاً لِمَعْنَى الْآيَةِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

فَفَهَمُوا مِنْ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ مَا لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَلَا فَهَمَهُ أَحَدٌ مِنَ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، أَنَّهُ يَقْتَضِي إِثْبَاتَهَا التَّمَثِيلَ بِمَا لِلْمَخْلُوقِينَ! ثُمَّ اسْتَدْلُوا عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ بِـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، تَحْرِيفاً لِلنَّصِّينَ!! وَيُصَنِّفُونَ الْكُتُبَ، وَيَقْرَءُونَ كَثِيراً مِنَ الْقُرْآنِ وَيُفَوِّضُونَ مَعْنَاهُ إِلَى اللَّهِ بِهِ، وَجَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، وَيَقْرَءُونَ كَثِيراً مِنَ الْقُرْآنِ وَيُفَوِّضُونَ مَعْنَاهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ لِمَعْنَاهُ الَّذِي بَيَّنَّهُ الرَّسُولُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَعْنَاهُ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ.

(١) «يزك» بالياء والزاي: طلائع الجيش، والكلمة فارسية.

(٢) في مطبوعة مكة: كبيراً.

وقد ذمَّ الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث، وقصَّ علينا ذلك من خبرهم لتغيب وتزجر عن مثل طريقتهم، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، إلى أن قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. والأمانى: التلاوة المجردة<sup>(١)</sup>، ثم قال تعالى: ﴿قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلُ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. فذمهم على نسبة ما كتبه إلى الله، وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضاً من الدنيا مالا أو رياسة، نسال الله تعالى أن يعصمنا من الزلل في القول والعمل، بمنه وكرمه.

ويشير الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: «من الشرع والبيان» إلى أن ما صرح عن النبي ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله تعالى في كتابه العزيز، وجميع ذلك حق واجب الاتباع.

السنة نوعان شرع ابتدائي وبيان لما شرعه الله في كتابه

وقوله: «وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى» وفي بعض النسخ: بالخشية والتقى بدل قوله:

(١) والمعنى: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعون به يتلى عليهم، وهذا قول الكسائي والزجاج، وقال قتادة: ﴿إلا أمانى﴾ أي: يتمنون على الله ما ليس لهم، وقال ابن عباس: إلا أمانى: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً، وهذا قول مجاهد وابن جرير الطبري، واختيار الفراء، وذكر الفراء أن بعض العرب قال لابن دأب وهو يحدث: أهذا شيء رويته أم شيء تمنيت؟ يريد افتعلته، ومنه قول عثمان: «ما تمنيت ولا تمنيت» يعني بقوله: «ما تمنيت»: ما تخرصت الباطل، ولا اختلقت الكذب والإفك. انظر «جامع البيان» ٢/٢٥٩ - ٢٦٣، و«زاد المسير» ١/١٠٥ - ١٠٦.

«بالحقيقة» ففي العبارة الأولى يَشيِّر إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بَعْضُهُ أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم تنظيره بقوة البصر وضعفه. وفي العبارة الأخرى يشير إلى أن التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق، فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.

قوله: «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ».

ش: قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ \* المؤمنون كلهم أولياء الرحمن ٢١١  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴿، الآية [يونس: ٦٢-٦٣]. الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضدُّ العداوة، وقد قرأ حمزة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، بكسر الواو، والباقون بفتحها<sup>(١)</sup>، ف قيل: هما لغتان. وقيل: بالفتح النُّصرة، وبالكسر الإمارة، قال الزجاج<sup>(٢)</sup>: وجاز الكسر، لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً<sup>(٣)</sup> من الصُّناعة والعمل، وكلُّ ما كان كذلك مكسوراً، مثل: الخياطة ونحوها.

فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليُّهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطُّغُفَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، الآية [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، الآية [التوبة: ٧١]،

(١) انظر «زاد المسير» ٣/ ٣٨٥، و«حجة القراءات» ص ٣١٤.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري، الزجاج، البغدادي، صاحب التآليف الجمة في معاني القرآن وغيره، المتوفى سنة ٣١١هـ. مترجم في «السيرة» ١٤ / رقم الترجمة (٢٠٩).

(٣) في (أ) و (ب): جنس.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

فهذه النصوصُ كُلُّهَا ثَبَّتَ فِيهَا مَوَالِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَنْهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ وَمَوْلَاهُمْ، فَاللَّهُ يَتَوَلَّى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُحِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ وَيَرْضَوْنَ عَنْهُ، وَمَنْ عَادَى لَهُ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَهُ بِالْمَحَارِبَةِ، وَهَذِهِ الْوَلَايَةُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، لَيْسَتْ كَوَلَايَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. فَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ، بَلْ لِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا، خِلَافَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُ لَذَلِكَ وَحَاجَتُهُ إِلَى وَلِيٍّ يَنْصُرُهُ.

تفسير معنى الولاية

والولاية أيضاً نظيرُ الإيمان، فيكون مرادُ الشيخ: أَنَّ أَهْلَهَا فِي أَصْلِهَا سَوَاءٌ، وَتَكُونُ كَامِلَةً وَنَاقِصَةً، فَالْكَامِلَةُ تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، فَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَوْ بَدَلُ مِنْهُ، أَوْ بِإِضْمَارِ «أَمْدَحُ»، أَوْ مَرْفُوعٍ بِإِضْمَارِ «هُمْ»، أَوْ خَبَرِ ثَانٍ لـ «إِنَّ» وَأَجِيزٌ فِيهِ الْجَرُّ، بَدَلًا مِنْ ضَمِيرِ «عَلَيْهِمْ».

وعلى هذه الوجوه كلها، فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تمزق<sup>(١)</sup> ولا رياضة، وقيل: الذين آمنوا مبتدأ والخبر: ﴿لهم ٢١٢ البشري﴾، وهو بعيد، لقطع الجملة عما قبلها، وانتشار نظم الآية.

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان. وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان، ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، الآية. وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين. وقال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنْ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ، كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ، غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ، أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ، فَجَرَ»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «وَإِذَا اتَّيَمَّنَ، خَانَ» بدل: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ». أخرجاه في «الصحيحين». وحديث: شُعب الإيمان تقدم<sup>(٣)</sup>. وقوله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) كذا في الأصول، وفي مطبوعة مكة: «تعلق».

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤٠ تعليق (٢).

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٧٥ تعليق (١).

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٩٣ تعليق (٢).

فَعَلِمَ أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ أَقَلُّ الْقَلِيلِ لَمْ يَخْلُدْ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ عَلَى قَدَرِ مَا مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ.

فَالطَّاعَاتُ مِنَ شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَالْمَعَاصِي مِنَ شُعْبِ الْكُفْرِ، وَإِنْ كَانَ رَأْسُ شُعْبِ الْكُفْرِ الْجَحْدَ، وَرَأْسُ شُعْبِ الْإِيمَانِ التَّصَدِيقَ. وَأَمَّا مَا يُرَوَّى مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ إِلَّا وَفِيهِمْ وَلِيٌّ لِلَّهِ»<sup>(١)</sup> لَا هُمْ يَذْرُؤُونَ بِهِ، وَلَا هُوَ يَذْري بِنَفْسِهِ، فَلَا أَصْلَ لَهُ، وَهُوَ كَلَامٌ بَاطِلٌ، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ قَدْ يَكُونُونَ كَفَّاراً، وَقَدْ يَكُونُونَ فَسَاقاً يَمُوتُونَ<sup>(٢)</sup> عَلَى الْفَسْقِ.

أولياء الله الكاملون

وَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْكَامِلُونَ، فَهُمْ الْمُوصَفُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، الْآيَةُ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

وَالْتَقَوَى: هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَهُمْ قَسَمَانِ: مُقْتَصِدُونَ، وَمُقَرَّبُونَ<sup>(٣)</sup>، فَالْمُقْتَصِدُونَ: الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالْفَرَائِضِ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ، وَالسَّابِقُونَ: الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، كَمَا فِي «صَحِيحِ

(١) ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «الْفَتَاوَى» ٦٠/١١، وَقَالَ: هُوَ مِنَ الْكَاذِبِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَائِنِ الْإِسْلَامِ.

(٢) فِي (ب): قَائِمُونَ.

(٣) انْظُرْ: «الْفَرْقَانُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ» ص ٢٢ - ٣٣.



البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ آدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي، لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»<sup>(١)</sup>.**

والولي: خلاف العدو<sup>(٢)</sup>، وهو مشتق من الولي<sup>(٣)</sup>، وهو الدنو والتقرب<sup>(٤)</sup>، فولي الله: هو مَنْ والى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه بمَرْضَاتِهِ، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم: **«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»** [الطلاق: ٢-٣] قال أبوذر رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ عَمِلَ النَّاسُ بِهَذِهِ الْآيَةِ لَكَفَّتْهُمْ»<sup>(٥)</sup>**. فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيُدْفَعُ الله عنهم المَضَارُّ، وَيَجْلِبُ لَهُمُ الْمَنَافِعُ، وَيُعْطِيَهُمُ اللَّهُ أَشْيَاءَ يَطُولُ شَرْحُهَا مِنَ الْمَكَاشِفَاتِ وَالتَّائِيَرَاتِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وأبو نعيم ٤/١، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٦٩٠) والبيهقي (١٢٤٨). وانظر شرح الحديث فيه.

(٢) في (ب): والولي من العدو، وهو تحريف. (٣) في الأصول: الولاء، وهو تحريف.

(٤) ومنه: «كل ما يَلِيكَ» أي: مما يقاربك، وقال الهذلي:

هَجَرْتُ غَضُوبٌ وَحُبٌّ مِنْ يَتَجَنَّبُ وَعَدْتُ عَوَادٍ دُونَ وَلَيْكَ تَشَعَّبُ

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٠)، والحاكم ٤٩٢/٢، والدارمي ٣٠٣/٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٦٥/٩، وفي سننه انقطاع بين أبي السليل وأبي ذر، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

قوله: «أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبِعُهُمُ لِلْقُرْآنِ».

أكرم المؤمنين  
عند الله

ش: أي: أكرم المؤمنين هو الأطوع لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»<sup>(١)</sup>. وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة في نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا - والله أعلم - قال عمر رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيئان، لا أبالي أيهما ركبت. والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾<sup>(٢)</sup> الآية [الفجر: ١٥]،

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١١/٥ من حديث إسماعيل ابن علية، عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، فقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربيكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحر على أسود، ولا أسود على أحر إلا بالتقوى...»، ورجاله ثقات، وإسناده صحيح، فإن ابن علية روى عن سعيد الجريري قبل الاختلاط. ولم يخرج أحد من أصحاب السنن فيها أعلم.

(٢) في البدور الزاهرة ص ٣٤٢: وأثبت الباء في: «أكرمني» و«أهانني» وصلًا للمدنيان، وفي الحالين: البزي ويعقوب، وأما أبو عمرو فحذفها في الوقف قولاً واحداً، وأما في الوصل، فروي عنه إثباتها، وروي عنه حذفها، وهو الأشهر، وإن كان الوجهان عنه صحيحين، والباقون بحذفها مطلقاً. وانظر «الكشف» ٣٧٤/٢، و«حجة القراءات» ص ٦٦٤، و«زاد المسير» ١١٩/٩، و«تفسير القرطبي» ٥١/٢٠ - ٥٢، و«النشر» ٤٠٠/٢.

فإن استوى الفقير الصابر والغني الشاكر في التقوى، استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما فيها، فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر: وهو أن الإيمان ينصف صبر، ونصف شكر، فكل منهما لا بد له من صبر وشكر، وإنما أخذ الناس فرعاً من الصبر، وفرعاً من الشكر، وأخذوا في الترجيح، فجردوا غنياً منفقاً متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً لله عليه، وفقيراً ٢١٤ متفرغاً لطاعة الله، ولأوراد العبادات، صابراً على فقره، وحيثذ يقال: إن أكملهما أطوعهما وأتبعهما، فإن تساوى، تساوت درجتُهُما، والله أعلم. ولو صحَّ التجريد، لصح أن يقال: أيما أفضل معافى شاكر، أو مريض صابر، ومطاع شاكر، أو مهان صابر، وآمن شاكر، أو<sup>(١)</sup> خائف صابر؟ ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

قوله: «والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه<sup>(٣)</sup> ومرو من الله تعالى».

ش: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ  
في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ  
على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام، فقال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». وسأله عن

(١) في (ب): و.

(٢) انظر التفصيل في هذه المسألة في: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» ص ٢٠٩ - ٣١٣.

وفتاوى شيخ الإسلام. ٢٢/١١ - ٢٤ و ١١٩ - ١٣٠.

(٣) في (ب): «حلوه» بلا واو.

الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ. وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وسأله عن الإحسان، فقال: «أَنْ  
تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(١)</sup>. وقد ثبت في  
«الصحيح» عنه ﷺ: أنه كان يقرأ في ركعتي الفجر تارةً بسورتي  
الإخلاص: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وتارةً بآيتي  
الإيمان والإسلام: التي في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ  
إِلَيْنَا﴾، الآية [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ  
تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، الآية [آل عمران: ٦٤]،  
وفسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس، المتفق على صحته، حيث  
قال لهم: «أَمَرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة،  
وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمْسَ مَا غَنِمْتُمْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥٦ تعليق (١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٦)، وأبو داود (١٢٥٦)، والنسائي ١٥٥/٢ - ١٥٦، والبيهقي  
٤٢/٣، وابن ماجه (١١٤٨) من حديث أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وأخرجه  
الترمذي (٤١٧)، وابن ماجه (١١٤٩)، وأحمد ٩٤/٢ ٩٥ و ٩٩، والنسائي  
١٧٠/٢، وعبد الرزاق (٤٧٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٢٧) و (١٣٥٢٨)،  
والبخاري (٨٨٣)، والبيهقي في «السنن» ٤٣/٣ من حديث ابن عمر بلفظ: رمقت النبي  
صل الله عليه وسلم شهراً، فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾  
و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٧)، وأبو داود (١٢٥٩)، وأحمد ٢٣٠/١ و ٢٣١، والنسائي  
١٥٥/٢، والبيهقي ٤٢/٣ من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في  
ركعتي الفجر: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٨٦ تعليق (٣).

ومعلوم أنه لم يُرد أن<sup>(١)</sup> هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بُد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

والكتاب والسنة مملوءان<sup>(٢)</sup> بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، الآية [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، الآية [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء: ٦٥]، نفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية: دل على أن هذه الغاية فرض<sup>٢١٥</sup> على الناس، فمن تركها، كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعده أهله بدخول الجنة بلا عذاب. ولا يقال: إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبريل وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضةً، لأنه فسر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسره ابتداءً، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام، ولكن هذا

(١) «أن» لم ترد في (أ) و (ب) و (ج) وهي في (د) ومطبوعة مكة.

(٢) في الأصول: «ملوء» وقد أثبت في (أ) فوقها «كذاء»، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان،  
فحديث وفد عبد القيس مُشْكِلٌ عليه.

ومما يُسأل عنه<sup>(١)</sup>: أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة  
أكثر من الخصال الخمس التي أجاب بها<sup>(٢)</sup> النبي ﷺ في حديث  
جبريل المذكور، فلم قال: إن الإسلام هذه الخصال الخمس؟ وقد  
أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها  
يتم استسلامه، وتركه لها يُشعرُ بالحلل قيد انقياده.

والتحقيق: أن النبي ﷺ ذَكَرَ الدِّينَ الذي هو استسلام العبد لربه  
مطلقاً الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان، فيجب على كُلِّ مَنْ  
كان قادراً عليه، ليعبد الله بها<sup>(٣)</sup> مخلصاً له الدين، وهذه هي الخمس،  
وما سوى ذلك، فإنما يجب بأسباب مصالح، فلا يعم وجوبها  
جميع الناس، بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية، كالجهاد، والأمر  
بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك من إمارة، وحكم، وفُتيا،  
وإقراء، وتحديث، وغير ذلك.

وإما أن يجب بسبب حقّ الأدميين، فيختص به مَنْ وَجَبَ له  
وعليه، وقد يسقط بإسقاطه، من قضاء الديون، ورَدُّ الأمانات  
والمغصوب، والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض،  
وحقوق الزوجة والأولاد، وصلة الأرحام، ونحو ذلك، فإن الواجب من  
ذلك على زيد غير الواجب على عمرو، بخلاف صوم رمضان، وحج

(١) انظر السؤال وجوابه في «الفتاوى» ٣١٤/٧ - ٣١٦.

(٢) «بها» لم ترد في الأصول إلا في (د) مستدركة.

(٣) في (ب): ليعبد الله مخلصاً، وفي (ج): ليعبدوا الله بها مخلصاً.

جيت، والصلوات الخمس، والزكاة، فإن الزكاة وإن كانت حقاً مالياً، فإنها واجبة لله، والأصناف الثمانية مصارفها، ولهذا وجبت<sup>(١)</sup> فيها النية، ولم يَجْزُ أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه، ولم تُطْلَب من الكفار. وحقوق العباد لا يُشْتَرَط لها النية، ولو أداها غيره عنه بغير إذنه، برئت ذمته، ويُطالَب<sup>(٢)</sup> بها الكفار، وما يجب حقاً لله تعالى، كالكفارات، هو بسبب من العبد، وفيها معنى العقوبة، ولهذا كان التكليف شرطاً في الزكاة، فلا تَجِبُ على الصغير<sup>(٣)</sup> والمجنون عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله ٢١٦ تعالى، على ما عُرِفَ في موضعه.

وقوله: «والْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، وَحُلُوهُ وَمُؤَرُّهُ، مِنْ اللَّهِ تَعَالَى» تقدم الإيمان بالقدر خيره وشره قوله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: «وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] وقال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ الآية [النساء: ٧٨ — ٧٩].

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾؟ قيل: قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: الْخِصْبُ وَالْجَدْبُ، وَالنُّصْرُ وَالْهَزِيمَةُ، كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وقوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾: أي:

(١) في (ب): أوجبت.

(٢) في (ب): وما يطلب، وفي (ج): يطلب.

(٣) في (ب): الصبي.

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٥٦ تعليق (١).

ما أصابك من سيئة من الله، فبذنب نفسك عُقوبةً لك، كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سيئةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، «وأنا كتبها عليك»<sup>(١)</sup>.

والمراد بالحسنة هنا: النعمة، وبالسّيئة: البليّة، في أصحّ الأقوال، وقد قيل: الحسنة: الطاعة، والسّيئة: المعصية، وقيل: الحسنة: ما أصابه يومٌ بدرٍ، والسّيئة: ما أصابه يومٌ أُحُدٍ، والقول الأول شاملٌ لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مُقدَّر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة<sup>(٢)</sup>.

وليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، فإنهم يقولون: إن فعل العبد — حسنةً كان أو سيئةً — فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرّقون، ولأنه قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ

(١) في «الدر المنثور» ١٨٥/٢، وأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد أن ابن عباس كان يقرأ: ﴿وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك﴾ «وأنا كتبها عليك» قال مجاهد: وكذلك في قراءة أبي وابن مسعود. وأخرج ابن المنذر، وابن الأنباري في «المصاحف» عن مجاهد، قال: هي قراءة أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود: ﴿وما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك﴾ «وأنا كتبها عليك». وفي الطبري ٥٥٩/٨ من طريق سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: ﴿وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك﴾ قال: بذنبك وأنا قدرتها عليك.

(٢) انظر «الحسنة والسّيئة» ١٧ — ٣٠ لشيخ الإسلام.



اللَّهِ، فجعل الحَسَنَاتِ من عند الله، كما جعل السيِّئاتِ من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمالِ، بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و ﴿مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ مثل قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ و ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾.

وفُرقَ سبحانه وتعالى بين الحسناتِ التي هي النُّعمُ، وبين السيِّئاتِ التي هي المصائبُ، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأنَّ الحسنة مُضَافَةٌ إلى الله، إذ هو أَحْسَنُ بها من كل وجه، فما من وَجْهِ من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها ٢١٧ لِجُحْمَةٍ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإنَّ الرَّبَّ لا يفعل سيئة قطُّ، بل فَعَلَهُ كله حسن وخير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: «والخيرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، لا يخلق الله شراً والشرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»<sup>(١)</sup>. أي: فإنَّكَ لا تَخْلُقُ شَرًّا محضاً، بل كُلُّ عَصَا ما تخلقُه، ففيه حِكْمَةٌ، هو باعتبارها خيراً، ولكن قد يكون فيه شَرٌّ لبعض الناس، فهذا شَرٌّ جزئي إضافي، فاما شرُّ كلي، أو شرٌّ مطلق؛ فالرَّبُّ سبحانه وتعالى مُنَزَّه عنه، وهذا هو الشرُّ الذي ليس إليه.

ولهذا لا يُضَافُ الشرُّ إليه مفرداً قطُّ، بل إما أن يَدْخُلَ في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وإما أن يُضَافَ إلى السبب، كقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، وإما أن يُحَذَفَ فَأَعْلَهُ، كقول الجن: ﴿وَأَنَا

(١) أخرجه مسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، والترمذي (٣٤٢٢)، والنسائي ١٣٠/٢، والطيالسي (١٥٢)، وابن الجارود في «المتقى» (١٧٩)، وأبو يعلى (٥٧٤) من حديث علي رضي الله عنه.

لَا نَذِيرِي أَشْرَ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا ﴿١٠﴾ [الجن: ١٠].<sup>(١)</sup>

وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل الله من الرحمة والحكمة ما لا يُقَدَّرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة، يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً ومصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام.

وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين، فإن هذا شرٌ عامٌ للناس يُضِلُّهُمْ، فَيُفْسِدُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ودنياهم وأخراهم.

وليس هذا كالمَلِكِ الظالم والعدو، فإن المَلِكِ الظالم لا بُدَّ أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظُلْمِهِ، وقد قيل: ستون سنةً بإمام ظالم خيرٌ من ليلة واحدة بلا إمام، وإذا قُدِّرَ كَثْرَةُ ظلمه، فذاك خيرٌ في الدين، كالمصائب، تكون كفارةً لذنوبهم، ويُثَابِتُونَ عَلَى الصبر عليه، وَيَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ، وكذلك ما يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ مِنَ العدو، ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الظالمين مُدَّةً، وأما المتنبئون الكذابون، فلا يُطِيلُ تَمَكِّنَهُمْ، بل لا بُدَّ أن يهلكهم، لأن فسادهم عامٌ في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

وفي قوله: ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه

(١) انظر «الحسنة والسيئة» ص ٤٤ - ٤٥.

وَلَا يَسْكُنُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّرَّ كَامِنٌ فِيهَا، لَا يَجِيءُ إِلَّا مِنْهَا، وَلَا يَشْتَغِلُ  
بِعِلَامِ النَّاسِ وَلَا ذَمِّهِمْ إِذَا أَسَاؤُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي  
أَصَابَتْهُ، وَهِيَ إِنَّمَا أَصَابَتْهُ بِذَنْبِهِ، فَيَرْجِعُ إِلَى الذَّنْبِ، وَيَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ  
مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، فَبِذَلِكَ ٢١٨  
يَحْصُلُ لَهُ كُلُّ خَيْرٍ، وَيَنْدَفِعُ عَنْهُ كُلُّ شَرٍّ.

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿إِهْدِنَا  
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ  
وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فإنه إذا هداه هذا الصراط، أعانه على طاعته وترك  
معصيته، فلم يُصِبْهُ شَرٌّ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

انفع الدعاء  
دعاء الفاتحة

لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل  
لحظة، وهو إلى الهدى أخرج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله  
بعض المفسرين: إنه قد هداه! فلماذا يسأل الهدى؟! وأن المراد  
التثبيت، أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من  
تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه<sup>(١)</sup> من تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى  
أن يُلْهِمَهُ أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مُجَرِّدُ علمه إن لم يجعله مريداً  
للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حُجَّةً عليه، ولم يكن مهتدياً، و[العبد]  
مُحْتَاجٌ إلى أن يجعله [الله] قادراً على العمل بتلك الإرادة الصالحة<sup>(٢)</sup>،  
فإن المجهول لنا من الحق أضعافُ المعلوم، وما لا نريدُ فَعَلَهُ تَهَاوُنًا  
وكسلًا مِثْلَ ما نريده أو أكثر منه أو دُونَهُ، وما لا نَقْدِرُ عليه مما نريدُه  
كذلك، وما نَعْرِفُ جملةً ولا نهتدي لتفاصيله، فَأَمْرٌ يَقُوتُ الحصرُ،

(١) في «الحسنة والسيئة» ص ٨٤: وإلى ما يتولد.

(٢) «الحسنة والسيئة» ص ٨٣ - ٨٤ وما بين حاصرتين منه.

ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كَمَلْتُ له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تشييت، وهي آخر الرتب.

وبعد ذلك كُلُّهُ هداية أخرى، وهي الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة. ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة، لِقَرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أَخْرَجَ منهم إلى هذا الدعاء، فيجب أن يَعْلَمَ أن الله بفضل رحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر، فقد بَيَّنَّ القرآن أن السيئات من النفس، وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كُلُّها من الله تعالى.

وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يُشْكِرَ سبحانه، وأن يستغفره العبدُ من ذنوبه، وألا يتوكل إلا عليه وَحْدَهُ، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، فأوجب ذلك تَوَحُّدَهُ، والتوكل عليه وَحْدَهُ، والشُّكْرَ له وَحْدَهُ، والاستغفار من الذنوب.

وهذه الأمور كان النبي ﷺ يجمعها في الصلاة، كما ثبت عنه في «الصحيح»: أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»<sup>(١)</sup> «مِلءَ السَّمَاوَاتِ، ومِلءَ الأرض، ومِلءَ

---

(١) جملة: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» ليست من حديث أبي سعيد هذا، وإنما هي عند البخاري (٧٩٩)، والنسائي ١٩٦/٢، وأبي داود (٧٧٠)، وأحمد ٣٤٠/٤، والطبراني (٤٥٣١)، وابن خزيمة (٦١٤)، والبغوي (٦٣٢)، والبيهقي ٩٥/٢، ومالك ٢١١/١، ٢١٢ من حديث رفاعة بن رافع الزرقي أنه قال: كنا يوماً نصلي وراء رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، وقال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «من المتكلم أنفاً؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول» وفيه: أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك، وإنما سمعها من رجل وراءه، فأقره صلى الله عليه وسلم، وقال له: «رأيت بضعة...».

مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ<sup>(١)</sup> مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ. فهذا حمد، وهو شكر الله تعالى، وبيان أن حمده أحق ما قاله ٢١٩ العبد، ثم يقول بعد ذلك: «لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا تحقيق لوحديته، لتوحيد الربوبية، خلقاً وقدرًا، وبداية هداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا مُعْطِي لما منع، ولتوحيد الإلهية، شرعاً وأمرًا ونهيًا، وهو أن العباد<sup>(٣)</sup> وإن كانوا يُعْطُونَ جَدًّا<sup>(٤)</sup> ملكاً وعظمةً ويختأ ورياسةً في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، أي لا يُنْجِيهِ، ولا يُخَلِّصُهُ، ولهذا قال: «لَا يَنْفَعُهُ مِنْكَ» ولم يقل: «ولا ينفعه

(١) هو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الحمد أحق ما قال العبد، أو هذا - وهو الحمد - أحق ما قال العبد.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ دون قوله: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» مسلم (٤٧٧)، وأبو داود (٨٤٧)، والدارمي (٣٠١/١)، والبيهقي (٩٤/٢)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وأحمد (٨٧/٣)، والنسائي (١٩٨/٢)، وابن عسوة (١٩٩)، وأبو عسوة (١٦٧/٢) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٤٧٦)، وأبو داود (٨٤٦)، والترمذي (٣٥٤١)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وأبو عسوة (١٧٧/٢)، وابن ماجه (٨٧٨)، وأحمد (٣٥٣/٤ و ٣٥٤) و ٣٥٦، وابن أبي شيبة (٢٤٧/١)، والبيهقي (٩٤/٢)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعده». وفي الباب عن علي عند مسلم (٧٧١)، والطبراني (٩٧/١)، و٩٨ و ٩٩، والترمذي (٢٦٦)، وابن أبي شيبة (٢٤٨/١)، والدارمي (٣٠١/١)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وعن ابن عباس عند مسلم (٤٧٨)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وابن أبي شيبة (٢٤٦/١ - ٢٤٧).

(٣) في (ب): وهو وإن كان العباد، وهو تحريف.

(٤) سقطت من (ب).

عِنْدَكَ، لأنه لو قيل ذلك أُوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره. فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد، وتحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنه لو قُدِّرَ أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره، لكان الواجب أن لا يُرَجَى إلا الله، ولا يُتَوَكَّلَ إلا عليه، ولا يُسأل إلا هو، ولا يُسْتَغاث إلا به، ولا يُسْتَعان إلا هو، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا به. فكيف وليس شيء من الأسباب مستقلاً بمطلوب، بل لا بُدَّ من انضمام أسباب آخر إليه، ولا بُدَّ أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يَحْصُلَ المقصود، فكل سبب، فله شريك، وله ضد، فإن لم يُعَاوَنُهُ شريكه، ولم يُنْصَرِفْ عنه ضده، لم تَحْصُلْ مشيئته.

والمطر وَحْدَهُ لا يُنْبِتُ النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تُصَرَفَ عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جُعِلَ في البدن من الأعضاء<sup>(١)</sup> والقوى، ومجموع ذلك لا يُفِيدُ إن لم تُصَرَفَ عنه المفسدات.

والمخلوق الذي يُعْطِيكَ أَوْ يَنْصُرُكَ، فهو - مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل - فلا يَتِمُّ ما يفعله إلا بأسباب كثيرة، خارجة عن قدرته، تُعَاوَنُهُ على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولا بُدَّ أن يُصَرَفَ عن الأسباب المتعاونة ما يُعَارِضُهَا وَيُمَانِعُهَا، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضي وعدم المانع.

وكل سبب مُعِين، فإنما هو جزء من المقتضي، فليس في الوجود

(١) كذا في الأصول، وفي مطبوعة مكة: الأعصاب.

شيء واحد هو مقتضى تام، وإن سمي مقتضياً، وسُمي سائر ما يُعينه شروطاً، فهذا نزاع لفظي، وأما أن يكون في المخلوقات علّة تامّة تستلزم معلولها، فهذا باطل.

ومن عرف هذا حق المعرفة، انفتح له باب توحيد الله، وعلم أنه لا يستحق أن يُسال غيره، فضلاً عن أن يُعبّد غيره، ولا يتوكّل على غيره، ولا يُرجى غيره<sup>(١)</sup>.

٢٢٠

قوله: «وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ».

ش: الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان به تفصيلاً، وقوله: وجوب الإيمان بجميع الرسل «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» إلى آخر كلامه، أي: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ بَأَن نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، بل نُؤْمِنُ بِهِمْ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض، كافر بالكل، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُنْؤِمُ بِنَعْصِ وَنَكْفُرُ بِنَعْصِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]. فإن المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن منهم، موجود في الذي لم يُؤمن به، وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية<sup>(٢)</sup> المرسلين، فإذا لم يُؤمن ببعض المرسلين، كان كافراً بمن في زعمه أنه مؤمن به، لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم، فكان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن، فكان من الأخسرين أعمالاً؛ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(١) انظر «الفتاوى» ١٣٣/٨ و ٤٨٧.

(٢) «بقية» ساقطة من (ب).

قوله: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحَّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ. وَهُمْ فِي مَشِيَّتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَذْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكْرَتِهِ، الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسْكُنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى تَلْقَاكَ بِهِ».

ش: فقوله: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحَّدُونَ» ردُّ لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان، لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: «وَلَا نُكْفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ».

المصاة من أهل  
الكبائر لا يخلدون  
في النار إذا ماتوا  
وهم موحدون

وقوله: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ» تخصيصه أمة محمد، يُفْهَمُ منه أن أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به<sup>(١)</sup>، حَكْمُهُمْ مُخَالَفٌ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»<sup>(٢)</sup>،

(١) «به» لم ترد إلا في (ب).

(٢) قطعة من حديث أنس المتفق عليه، وقد تقدم ص ٢٨٩.



ولم يُخصَّ أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأملهُ، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة.

وقوله: «في النار»، معمول لقوله: «لا يخلدون»، وإنما قُدِّمَهُ لأجل السَّجَّةِ، لا أن يكونَ في النار خبراً لقوله: «وأهل الكبائر» كما ظنه بعضُ ٢٢١ الشارحين.

اختلاف العلماء في  
تحديد الكبيرة

واختلف العلماء في الكبائر على أقوال:  
ف قيل: سبعة.

وقيل: سبعة عشر.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسدُّ باب المعرفة بالله.

وقيل: ذهاب<sup>(١)</sup> الأموال والأبدان.

وقيل: سُمِّيت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلاً، أو: إنها أخفيت كليله القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

وقيل: كُلُّ ما نهى الله عنه، فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتبُ عليها حدٌّ، أو تُوعَدُ عليها بالنار، أو اللعنة،

أو الغضب، وهذا أمثلُ الأقوال.

واختلفت عبارة قائله<sup>(٢)</sup>:

منهم مَنْ قال: الصَّغِيرَةُ ما دُونَ الحدِّين: حَدُّ الدنيا وحَدُّ الآخرة.

ومنهم من قال: كُلُّ ذَنْبٍ لم يُخْتَمَ<sup>(٣)</sup> يَلْعَنَةُ، أو غَضِبَ، أو نَارَ.

(١) في «مجموع الفتاوى»: ما تذهب.

(٢) كذا في الأصول وفي مطبوعة مكة: واختلفت عبارات السلف في الصغائر.

(٣) في الأصول: كل ذنب ختم، والصواب ما أثبتنا، كما جزم به الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

ومنهم من قال: الصَّغِيرَةُ ما لَيْسَ فيها حَدٌّ في الدنيا ولا وَعِيدٌ في الآخرة، والمرادُ بالوعيد: الوعيدُ الخاص بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، فإنَّ الوَعِيدَ الخاص في الآخرة كالْعُقُوبَةِ الخاصة في الدنيا، أعني المقدَّرة، فالتعزيرُ في الدنيا نَظِيرُ الوعيدِ بغير النار، أو اللعنة والغضب.

وهذا الضابطُ يَسْلُمُ من القواذِحِ الْوَارِدَةِ على غيره، فإنه يدخل فيه كُلُّ ما ثبت بالنصِّ أنه كبيرةٌ، كالشُّرْكِ، والقتل، والزنى، والسحر، وقذفِ المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالْفِرَارِ من الزحف، وأكلِ مالِ اليتيم، وأكلِ الربا، وعقوقِ الوالدين، واليمينِ الغموس<sup>(١)</sup>، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيحُ هذا القول من وجوه: أَحَدُها: أنه هو المأثورُ عن السَّلَفِ، كابنِ عباسٍ، وابنِ عُيَيْنَةَ، وابنِ حنبلٍ، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فلا يستحقُّ هذا الوَعْدَ الكريمَ مَنْ أُوْعِدَ بغضبِ الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يُقَامَ عليه الحَدُّ لم تكن سيئاته مكفرةً عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابطُ مَرْجِعُهُ إلى ما ذكره اللُّهُ ورسولُهُ من الذنوب، فهو حَدٌّ مُتَلَقَّى مِنْ خطابِ الشارع.

الرابع: أن هذا الضابطُ يُمَكِّنُ الْفَرْقَ به بَيْنَ الكبائرِ والصغائرِ،

(١) وهي اليمين الكاذبة الفاجرة، سميت غموساً، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار.

بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشر، أو إلى السبعين أقرب، مُجَرَّدُ دعوى.

ومن قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دُونَ ما اختلفت فيه -: يقتضي أن شُرِبَ الخمر، والفِرَارُ مِنَ الزُّحْفِ، والتَزَوُّجُ ببعض المحارم، والمُحَرَّمُ بالرضاعة والصَّهْرِيَّة، ونحو ذلك - ليس مِنَ الكبائر! وأن الحَبَّةَ من مال اليتيم، والسَّرِقَةُ لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك من الكبائر، وهذا فاسد.

ومن قال: ما سَدَّ باب المعرفة بالله: أو ذهاب الأموال والأبدان، يقتضي أن شُرِبَ الخمر، وأكُلَ الخنزير والميتة والدم، وقَذَفَ ٢٢٢ الْمُحَصَّنَاتِ، ليس مِنَ الكبائر! وهذا فاسد.

ومن قال: إنها سُمِّيَتْ كَبَائِرَ بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تُنْقِصُ إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ومن قال: إنها لا تُعْلَمُ أصلاً، أو إنها مبهمـة، فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم<sup>(١)</sup>. وقوله: «وإن لم يكونوا تائبين» لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب.

وقوله: «بعد أن لقوا الله تعالى عارفين» لو قال: مؤمنين، بدل قوله: «عارفين» كان أولى، لأن مَنْ عَرَفَ الله ولم يُؤْمِنْ به فهو كافر. وإنما اكتفى بالمعرفة وَحْدَهَا الْجَهَنَّمُ، وقوله مَرْدُودٌ باطل، كما تقدم، فإن

(١) انظر «الفتاوى» ١١/٦٥٠ - ٦٥٧، و«مدارج السالكين» ١/٣١٥ - ٣٢٧.

إبليس عارف بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].  
 ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾  
 [ص: ٨٢، ٨٣]. وكذلك فرعون وأكثر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَيْتَن  
 سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿قُلْ  
 لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ \* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾  
 [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وكان الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء،  
 التي يُشير إليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر،  
 بل هم سادة الناس وخاصتهم<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم، وعفا عنهم  
 بفضله» إلى آخر كلامه، فصل الله تعالى بين الشرك وغيره، لأن الشرك  
 أكبر<sup>(٢)</sup> الكبائر، كما قال ﷺ، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور،  
 وعلق غفران ما دونه بالمشيئة، والجائر يُعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو  
 كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران  
 بالمشيئة، وغفران الكبائر والصغائر<sup>(٣)</sup> بعد التوبة مقطوع به، غير معلق  
 بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ  
 لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
 الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران  
 الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة<sup>(٤)</sup>.

(١) المراد من أهل الطريقة: أهل الاستقامة من الصحابة رضي الله عنهم، ومن سلك سبيلهم.

(٢) في (ب): من أكبر.

(٣) في (ب): والصغائر والكبائر.

(٤) قبل التوبة: سقطت من (ب).

وقوله: «ذلك أن الله مولى أهل معرفته» فيه مؤاخضة لطيفة، كما تقدم.

وقوله: «اللهم يا ولي الإسلام وأهله مَسْكُنًا بالإسلام — وفي نسخة: ثُبُنًا على الإسلام — حتى نلقاك به» روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق»، بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول<sup>(١)</sup>: «يا ولي الإسلام وأهليه، مَسْكِنِي بالإسلام حَتَّى أَلْقَاكَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>. ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة، وبمثل هذا الدعاء دَعَا يُوسُفُ الصُّدِّيقُ صلوات الله عليه، حيث قال: «رَبِّ قَدْءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» [يوسف: ١٠١]. وبه دعا السحرة الذين كانوا أول مَنْ آمَنَ بموسى صلوات الله على نبينا وعليه، حيث قالوا: «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ» [الأعراف: ١٢٦]. ومن استدلَّ بهاتين الآيتين على جواز تعني الموت، فلا دليل له فيه، فإنَّ الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

وقوله: «وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ».

قال ﷺ: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»<sup>(٣)</sup>. رواه مكحول، عن جواز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر من أهل القبلة

(١) لم ترد في (ب).

(٢) وأورده الميمني في «المجمع» ١٧٦/١٠ ولفظه: «يا ولي الإسلام وأهله ثُبُنِي به حتى ألقاك» وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الدارقطني ٥٧/٢، ومن طريقه البيهقي ١٩/٤، من رواية ابن وهب، حدثنا معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول عن أبي هريرة، قال الدارقطني: مكحول لم يسمع من أبي هريرة، ومنَّ دونه ثقات.

أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الدارقطني، وقال: مكحول لم يلق  
أبا هريرة، وفي إسناده معاوية بن صالح، متكلم فيه، وقد احتج به مسلم  
في «صحيحه» وخرّج له الدارقطني أيضاً، وأبوداود، عن مكحول، عن  
أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ  
عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَ بِالْكَبَائِرِ، وَالْجِهَادُ وَاجِبٌ مَعَ  
كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، [وإن] عَمِلَ الْكَبَائِرِ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح البخاري»<sup>(٢)</sup>: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان

(١) أخرجه أبوداود (٥٩٤) و (٢٥٣٣)، ومن طريقه البيهقي ١٢١/٣، والدارقطني ٥٦/٢ وسنده  
منقطع كسابقه، وأخرج أبوداود (٢٥٣٢) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان، الكف عن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره  
بذنوب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إليه إلى أن يقاتل آخر  
أمي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار». وفي سنده  
يزيد بن أبي نسيبة راويه عن أنس، وهو مجهول، وباقى رجاله ثقات.

(٢) وكذلك ذكر الحافظ في «التلخيص» ٤٣/٢، ولابن أبي شيبة في «المصنف» ٣٧٨/٢  
من طريق قيس بن يونس، عن الأوزاعي، عن عمير بن هانيء، قال: شهدت ابن عمر  
والحجاج معاصر ابن الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربيما حضر الصلاة مع  
هؤلاء، وربيما حضر الصلاة مع هؤلاء. وهذا سند صحيح، وأخرجه البيهقي ١٢٢/٣  
من طريق سعيد بن عبد العزيز، عن عمير بن هانيء، قال: بعثني عبد الملك بن مروان  
بكتب إلى الحجاج، فأتيته، وقد نصب على البيت أربعين منجنيقاً، فرأيت ابن عمر إذا  
حضرت الصلاة مع الحجاج صلى معه، وإذا حضر ابن الزبير، صلى معه، فقلت له:  
يا أبا عبد الرحمن أتصلي مع هؤلاء وهذه أعمالهم؟ فقال: يا أخا أهل الشام ما أنا لهم  
بحامد، ولا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق.

وروى الشافعي ١٣٠/١ من طريق مسلم بن خالد، عن ابن جريج، عن نافع  
أن ابن عمر اعتزل بمنى في قتال ابن الزبير والحجاج بمنى، فصل مع الحجاج. وروى  
ابن سعد في الطبقات ١٤٩/٤ عن زيد بن أسلم أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي  
أمير إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله. وسنده صحيح.

يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ، وَكَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ فَاسِقًا ظَالِمًا.

وفي «صحيحه» أيضاً، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَصَلُّوا عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ طَرَقٍ، وَضَعْفُهَا<sup>(٢)</sup>.

اعلم، رَجَمَكَ اللَّهُ وَإِيَانَا: أَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَ مَنْ <sup>الصلاة خلف مستور</sup> <sup>الحال</sup> لم يعلم منه بِدْعَةٍ وَلَا فَسَاقًا، بِاتِّفَاقِ الْأَثْمَةِ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِثْمَانِ أَنْ يَعْلَمَ الْمَأْمُومُ اعْتِقَادَ إِمَامِهِ، وَلَا أَنْ يَمْتَحِنَهُ، فَيَقُولُ: مَاذَا تَعْتَقِدُ؟! بَلْ يُصَلِّي خَلْفَ الْمُسْتَوْرِ الْحَالِ.

= وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٣٧٨/٢، وَالشَّافِعِيُّ ١٣٠/١ كِلَاهُمَا مِنْ طَرِيقِ حَاتِمِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يُصَلِّيَانِ خَلْفَ مَرْوَانَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَمَا كَانَ أَبُوكَ يُصَلِّي إِذَا رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا كَانُوا يَزِيدُونَ عَلَى صَلَاةِ الْأَثْمَةِ. وَرَجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وفي «المجموع» ٢٥٣/٤: قَالَ أَصْحَابُنَا: الصَّلَاةُ وَرَاءَ الْفَاسِقِ صَحِيحَةٌ لَيْسَتْ مُحَرَّمَةً، لَكِنَّمَا مَكْرُوهَةٌ، وَكَذَا تَكْرَهُ وَرَاءَ الْمُبْتَدِعِ الَّذِي لَا يَكْفُرُ بِبِدْعَتِهِ، وَتَصَحُّحُ، وَنَصُّ الشَّافِعِيِّ فِي «الْمَخْتَصَرِ» عَلَى كِرَاهَةِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْفَاسِقِ، وَالْمُبْتَدِعِ، فَإِنْ فَعَلَهَا صَحَّتْ، وَقَالَ مَالِكٌ: لَا تَصَحُّ وَرَاءَ فَاسِقٍ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ كَشَارِبِ الْخَمْرِ وَالزَّانِي، وَذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى صَحَّتِهَا.

(١) الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (٦٩٤)، وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ (٨٣٩)، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٥٥/٢ وَ٥٣٧، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ» ٥٣/٢.

(٢) الدَّارِقُطْنِيُّ ٥٦/٢، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ٣٢٠/١٠، وَفِي «أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ» ٣١٧/٢، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِهِ» ٤٠٣/٦، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٣٦٢٢)، وَهُوَ ضَعِيفٌ، انْظُرْ «نَصْبُ الرَّايَةِ» ٢٧/٢ وَ٢٩.

الصلاة خلف المبتدع  
والفاسق

ولو صَلَّى خلفَ مبتدع يدعو إلى بدعيته، أو فاسقٍ ظاهرِ الفسق، وهو الإمامُ الراتب الذي لا يُمكنُهُ الصلاةُ إلا خلفه، كإمامِ الجمعة والعيدين، والإمامِ في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك، فإن المأموم يُصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف.

ومن تَرَكَ الجمعةَ والجماعةَ خَلَفَ الإمامَ الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيحُ أنه يُصليها ولا يُعيدها، فإن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يُصلُّون الجمعةَ والجماعةَ خلفَ الأئمة الفُجَّار، ولا يُعيِدُون، كما كان عبدُالله بنُ عمر يُصلي خلفَ الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه، كما تقدم، وكذلك كان عبدُالله بنُ مسعود، رضي الله عنه وغيره يُصلُّون خلفَ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صَلَّى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود: ما زلنا مَعَكَ منذ اليوم في زيادة! (١).

٢٢٤

وفي «الصحيح»: أَنَّ عثمانَ بنَ عفَّان رضي الله عنه لما حُصِرَ صَلَّى بالنَّاسِ شَخْصٌ، فسألَ سائلُ عثمانَ: إِنَّكَ إمامٌ عامَّةٌ، وهذا الذي يُصلي بالنَّاسِ إمامٌ فتنَةٌ؟ فقال: يا ابنَ أخي، إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَحْسَنِ

(١) رواه عمر بن شبة فيما ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٥٩٦/٣ - ٥٩٧ عن هارون بن معروف، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شاذب قال: صلى الوليد بن عقبة... وفي صحيح مسلم (١٧٠٧) من طريق حُضَيْن بن المنذر، قال: شهدت عثمان وأبي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم، فشهد عليه رجلان، أحدهما: حمران، أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيا، فقال عثمان: إنه لم يتقيا حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ولَّ حارها من تولَّى قارها، فكانه وجد عليه، فقال: يا عبدالله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلى يعد حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحبُّ إليَّ. وانظر: «الإصابة» ٦٠١/٣، و«أسد الغابة» ٤٥١/٥ - ٤٥٣.



مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنُوا فَاحْسِنُ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ<sup>(١)</sup>.

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التّعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره، أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل، أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه، كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تقت المأموم جمعة ولا جماعة.

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابه رضي الله عنهم. وكذلك إذا كان الإمام قد رتب له ولاية الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلف الأفضل أفضل<sup>(٢)</sup>، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولّاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير،

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥) من حديث عبيد الله بن عدي بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور، فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنه، ونتخرج، فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس، فأحسن معهم، وإذا أساءوا، تجنب إساءتهم.

(٢) كذا في الأصول، وفي طبعة المکتب الإسلامي: «بل الصلاة خلفه أفضل»، وهي أوجه.

ولا دفعُ أخفَّ الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفسد وتقليلها، بحسب الإمكان، فتفويتُ الجُمع والجماعاتِ أعظمُ فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلُّف عنها لا يدفع فجوراً، فيبقى تعطيلُ المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عُذر، فهو موضع اجتهاد للعلماء<sup>(١)</sup>. منهم من قال: يُعِيدُ، ومنهم من قال: لا يُعِيدُ، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع<sup>(٢)</sup>.

وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً للجنب، فأعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة. ولو علم بعد فراغه أن إمامه كان على غير طهارة، أعاد عند أبي حنيفة، ٢٢٥ خلافاً لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه. وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغُ عند المأموم، وفيه تفاصيلٌ موضِعُها كُتِبَ الفروع، ولو علم أن إمامه يُصَلِّي على غير وضوء!! فليس له أن يُصَلِّيَ خَلْفَهُ، لأنه لا عِبُّ، وليس بمصلٍّ<sup>(٣)</sup>.

وقد دلَّتْ نُصُوصُ الكتاب والسنة، وإجماعُ سَلَفِ الأُمَّةِ أن وليَّ الأمر، و<sup>(٤)</sup> إمام الصلاة، والْحَاكِم، وأمير الحرب، وعامِل الصدقة: يُطَاعُ

المطاعون في مواضع  
الاجتهاد

(١) في (ب): اجتهاد العلماء.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٣٤٢/٢٣ - ٣٥٩.

(٣) انظر: «المجموع» ٢٥٦/٤ - ٢٦١.

(٤) الواو لم ترد في (أ) و (ب) و (ج) وهي من (د) ومطبوعة مكة.

في مَوَاضِعِ الاجتهاد، وليس عليه أن يُطِيعَ أَتْبَاعَهُ في مواردِ الاجتهاد، بل عليهم طَاعَتُهُ في ذلك، وَتَرَكَ رَأْيَهُمْ لِرَأْيِهِ، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، وَمَقْصِدَةُ الْفُرْقَةِ وَالْاِخْتِلَافِ، أَعْظَمُ مِنْ أَمْرِ الْمَسَائِلِ الْجُزْئِيَّةِ، ولهذا لم يَجْزُ لِلْحُكَّامِ أَنْ يَنْقُضَ بَعْضُهُمْ حُكْمَ بَعْضٍ. وَالصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ صِحَّةُ صَلَاةِ بَعْضِ هَؤُلَاءِ خَلْفَ بَعْضٍ، وَرُورَى عَنْ أَبِي يَوْسُفَ: أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ مَعَ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَاحْتَجَمَ الْخَلِيفَةُ، وَأَتَاهُ مَالِكٌ بِأَنَّهُ لَا يَتَوَضَّأُ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ، فَقِيلَ لِأَبِي يَوْسُفَ: أَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلْفَ وَلَاةِ الْأُمُورِ مِنْ فَعَلِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>: نَصٌّ صَحِيحٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا أَخْطَأَ فَخَطُؤُهُ عَلَيْهِ، لَا عَلَى الْمَأْمُومِ، وَالْمَجْتَهِدُ غَايَتُهُ أَنَّهُ أَخْطَأَ بِتَرْكِ وَاجِبٍ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَيْسَ وَاجِبًا، أَوْ فَعَلَ مُحْظُورًا اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَيْسَ مُحْظُورًا. وَلَا يَجِلُّ لِمَنْ<sup>(٢)</sup> يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُخَالِفَ هَذَا الْحَدِيثَ الصَّرِيحَ الصَّحِيحَ بَعْدَ أَنْ يَتْلُوهُ، وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يُطْلِقُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا تَرَكَ مَا يَعْتَقِدُ الْمَأْمُومُ وَجُوبَهُ، لَمْ يَصِحَّ اقْتِدَاؤُهُ بِهِ!! فَإِنَّ الْاجْتِمَاعَ وَالْاِئْتِلَافَ مِمَّا يَجِبُ رِعَايَتُهُ وَتَرَكَ الْخِلَافِ الْمَقْضِي إِلَى الْفَسَادِ<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «وعلى من مات منهم» أي: ونرى الصلاة على مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَإِنْ كَانَ يُسْتَنَى مِنْ هَذَا الْعُمُومِ الْبُغَاةُ وَقُطَاعُ

(١) تقدم تخريجه ص ٥٣١ تعليق (١).

(٢) في (ب): لأحد.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣/٣٧٠ - ٣٨٠.

الطريق، وكذا قَاتِلُ نفسه<sup>(١)</sup>، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك والشافعي رحمهما الله، على ما عُرِفَ في موضعه<sup>(٢)</sup>، لكن الشيخ إنما ساق هذا الكلام لبيان أننا لا نترك الصلاة على مَنْ مات مِنْ أَهْلِ البدع والفجور، لا للعموم الكلي.

ولكن المظهرون للإسلام قِسْمَانِ: إما مُؤْمِنٌ، وإما منافق، فمن عَلِمَ نِفَاقَهُ، لم تَجْزِ الصَّلَاةُ عليه والاستغفارُ له<sup>(٣)</sup>، ومن لم يُعْلَمْ ذلك منه، صَلَّيْ عليه، فإذا عَلِمَ شَخْصٌ نِفَاقَ شَخْصٍ، لم يُصَلِّ هو عليه، وصَلَّى عليه مَنْ لم يُعْلَمْ نِفَاقَهُ، وكان عُمَرُ رضي الله عنه لا يُصَلِّي على مَنْ لم يُصَلِّ عليه حُدَيْفَةُ، لأنه كان في غزوة تبوك قد عَرَفَ المنافقين<sup>(٤)</sup>، وقد نهى الله سبحانه رسوله ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يَغْفِرُ لهم باستغفاره، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِكُفْرِهِم بِاللَّهِ ورسوله، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً بِاللَّهِ ورسوله، لم يُنَهَ عن الصلاة عليه، ولو كان له مِنَ الذنوب الاعتقاديةِ البِدْعِيَّةِ، أو العمليةِ الفُجُورِيَّةِ ماله، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ

(١) في هذا الاستثناء نظر، فإنهم كسائر العصاة يغسلون، ويُصَلَّى عليهم، وإذا ترك ولي الأمر الصلاة عليهم من باب الزجر لغيرهم، فهذا حسن، وهكذا الأعيان من العلماء، لأن النبي ﷺ ترك الصلاة على قاتل نفسه، وعلى الغال، وقال لأصحابه: صلوا على صاحبكم، إن صاحبكم غل في سبيل الله، وأما الشهيد، فالسنة أن لا يصل على، لأن النبي ﷺ لم يصل على شهداء أحد.

(٢) انظر: «البنية شرح الهداية» ١٠٦٥/٢ - ١٠٦٧، و«مجموع الفتاوى» ٢٨٥/٢٤ - ٢٨٩.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٨٥/٢٤ - ٢٨٧.

(٤) في البخاري (٣٧٤٢) من حديث أبي الدرداء وفيه: «أوليس فيكم صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه أحد غيره؟» قال الحافظ، والمراد بالسِر: ما أعلمه به النبي ﷺ من أحوال المنافقين. وفي «المستدرک» ٣/٣٨١: أن علياً سئل عن حذيفة، فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين، وانظر ترجمة حذيفة في «السيرة» ٣٦١/٢ - ٣٦٩.

لَذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿[محمد: ١٩]﴾. فأمره سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين، والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة، والرحمة، وسائر الخيرات، إما واجب، وإما مستحب، وهو على نوعين: عام وخاص، أما العام فظاهر، كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص، فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أُمِرَ المؤمنون أن يُصَلُّوا عليه صلاة الجنائز، وهم مأمورون في صلاتهم عليه أن يَدْعُوا له، كما روى أبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَلَا تُنْزِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا».

لا يقطع لأحد  
مؤمن من أهل القبلة  
بجنة ولا نار  
إلا بنصر

ش: يريد: أنا لا نقول عن أحدٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ: إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، إلا مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْعَشْرَةِ<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إنه لا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ إِدْخَالَهُ النَّارَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ، وَلَكِنَّا نَقِفُ فِي الشَّخْصِ الْمَعْيَّنِ، فَلَا نَشْهَدُ لَهُ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ، لَأَنْ حَقِيقَةُ

(١) أخرجه أبو داود (٣١٩٩)، وابن ماجه (١٤٩٧)، والبيهقي ٤/٤٠، وسنده قوي، وصححه ابن حبان (٧٥٤)، وقال المناوي في معنى قوله: «أَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»: أي ادعوا له بإخلاص وحضور قلب، لأن المقصود بهذه الصلاة إنما هو الاستغفار، والشفاعة للميت، وإنما يرجى قبولها عند توفر الإخلاص والابتهال، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي.

(٢) وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة بن عبيد الله التيمي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، والزبير بن العوام. انظر «مسند أحمد» ١/١٨٧ - ١٨٨ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٣، وسنن أبي داود (٤٦٤٩) و (٤٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٨) و (٣٧٥٨)، وابن ماجه (١٣٤).

باطنه، وما مات عليه لا نُحِيطُ به، لكن نرجو للمُحْسِنِ، ونَخَافُ على المُسِيءِ .  
وللسَّلَفِ في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال :

أَحَدُهَا: أن لا يُشْهَدَ لأحدٍ إلا للأنبياء، وهذا يُنْقَلُ عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي .

والثاني : أنه يُشْهَدُ بالجنة لِكُلِّ مؤمن جَاءَ فيه النَّصُّ، وهذا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ العلماء وأهل الحديث .

والثالث : أنه يُشْهَدُ بالجنة لهؤلاء وَلَمْ يَنْ شَهِدْ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ، كما في «الصحيحين» : أَنَّهُ مَرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأَتْنَوْا عَلَيْهَا بِخَيْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «وَجَبَتْ» وَمَرَّ بِأُخْرَى، فَأَتْنِي<sup>(١)</sup> عَلَيْهَا بِشَرٍّ، فَقَالَ : «وَجَبَتْ» . وفي رواية كرر : «وجبت» ثلاث مرات، فقال عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «هَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَتَمَّ شَهْدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ : «تُوشِكُونَ»<sup>(٣)</sup> أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قالوا: بَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «بِالتَّنَائِ الْحَسَنِ وَالتَّنَائِ السَّيِّئِ»<sup>(٤)</sup> . فأخبر أن ذلك مما يُعَلِّمُ به أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ .

(١) في (ب) : فأتوا .

(٢) البخاري (١٣٦٧) و(٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩)، وأخرجه الطيالسي (٢٠٦٢)، والنسائي ٤٩/٤ - ٥٠، وأحمد ١٨٦/٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٨٩/٤ من حديث أنس بن مالك . ورواه من حديث أنس بن مالك دون ذكر لعمر رضي الله عنه مسلم (٩٤٩)، والترمذي (١٠٥٨)، وابن ماجه (١٤٩١)، والبغوي (١٥٠٨)، والطحاوي ٢٨٨/٤ .

(٣) في الأصول الثلاثة: توشكوا بحذف النون، والمثبت من المسند، وهو الجادة، ولفظ ابن ماجه: «يوشك» .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١)، وأحمد ٤١٦/٣ و٤٦٦/٦ من حديث أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه، وسنده حسن .

قوله: «وَلَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا يَنْفَاقُ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

ش: لَأَنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَنُهَيْنَا عَنِ الظَّنِّ وَاتَّبَاعِ مَا لَيْسَ لَنَا بِهِ عِلْمٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ<sup>(١)</sup> مِنْ قَوْمٍ﴾ الآية، [الحجرات: ١١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الآية [الحجرات: ١٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الآية [الإسراء: ٣٦].

لا تشهد على أحد  
من أهل القبلة  
بالكفر ما لم يظهر منه  
ذلك

قوله: «وَلَا تَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ».

ش: فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَجِلُّ دَمٌ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ: الثِّبْتُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُقَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) القوم: اسم للرجال دون النساء، وفي شعر زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء  
وإنما سموا قوماً لأنهم يقومون بالأمور.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)، وابن ماجه (٢٥٣٤)، والنسائي ٩٠/٧ و ٩١ و ١٣/٨، والدارمي ٢/٢١٨، وأحمد ٣٨٢/١ و ٤٢٨ و ٤٤٤ و ٤٦٥، والدارقطني ٨٢/٣، والبيهقي ١٩/٨، والطيالسي (٢٨٩)، والحميدي (١١٩)، وابن أبي عاصم في «السنه» (٦٠)، واليغوي في «شرح السنه» (٢٥١٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٣٠١/١ و ٢٠٣/٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وأخرجه أحمد ١٨١/٦، ومسلم (١٦٧٦) (٢٦)، وأبو داود (٤٣٥٣)، والنسائي ١٠١/٧ - ١٠٢ و ٢٣/٨، والدارقطني ٨١/٣، والطيالسي (١٥٤٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣١٨/٢، وأبو نعيم في «الحلية» ١٥/٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

قوله: «وَلَا تَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَيْمَتِنَا وَوَلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا تَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا تَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَتَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَتَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ».

ش: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال: «مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ، فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ، فَقَدْ عَصَانِي»<sup>(١)</sup>.

وجوب طاعة ولي  
الأمر إلا في معصية

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدِّعَ الْأَطْرَافِ»<sup>(٢)</sup>. وعنده البخاري: «وَلَوْ لِحَبَشِي كَانَ رَأْسُهُ زَيْبَةً»<sup>(٣)</sup>.

وفي «الصحيحين» أيضاً: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)، وابن ماجه (٣) و(٢٨٥٩)، والنسائي (١٥٤/٧) وأحمد ٢٥٢/٢ - ٢٥٣ و ٢٧٠ و ٣١٣ و ٥١١، والطيالسي (٢٤٣٢)، والبخاري (٢٤٥٠) و(٢٤٥١)، والخطيب في «تاريخه» ٧٢/٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البخاري (٢٩٥٧) بأطول مما هنا.

(٢) أخرجه مسلم (٦٤٨) و(٢٤٠) و(١٨٣٧). وابن ماجه (٢٨٦٢)، والطيالسي (٤٥٢)، والبخاري (٣٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٣) و(٦٩٦)، و(٧١٤٢)، وأحمد ١١٤/٣ وابن ماجه (٢٨٦٠)، والطيالسي (٢٠٨٧)، والبخاري (٢٤٥٢)، والخطيب ١٢٥/٤ من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) و(٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩)، والترمذي (١٧٠٧)، وابن ماجه (٢٨٦٤)، والنسائي (١٦٠/٧) وأحمد ١٧/٢ و ١٤٢، وأبو داود (٢٥٣٦)، والبخاري (٢٤٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.



وعن حذيفة بن اليمان، قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ<sup>(١)</sup>؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَتُونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ: دُعَاءُ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ [إِلَيْهَا] قَذَفُوهُ فِيهَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلَزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ [لَهُمْ] جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنَّ تَعْصُ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

٢٢٨

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ، فَلْيَضْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةً جَاهِلِيَّةً»<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) بفتح الدال المهملة والحاء المعجمة: وهو الدخان، وأراد به: ليس خيراً خالصاً، بل فيه كدورة بمنزلة الدخان من النار، وقيل: أراد بالدخن: الحقد، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، وقيل: الدخن كل أمر مكروه. «عمدة القاري» ١٩٤/٢٤.
- (٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، والبيهقي (٤٢٢٢)، والبيهقي ١٥٦/٨، ورواه ابن ماجه (٣٩٧٩) مختصراً.
- (٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣) و(٧٠٥٤) و(٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩)، وأحمد ٢٧٥/١ و٢٩٧ و٣١٠، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٥٩)، والبيهقي (٢٤٥٨)، والدارمي ٢٤١/٢، والبيهقي ١٥٧/٨، وابن أبي عاصم في «السنن» (١١٠١).

وفي رواية: «فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِهِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بُويعَ لَخْلِيفَتَيْنِ، فاقتُلُوا الآخرَ منهما»<sup>(٢)</sup>.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَابِذُهُم بِالسَّيْفِ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، إِلَّا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالِدٌ، فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

فقد دَلَّ الْكِتَابُ والسنة على وَجُوبِ طَاعَةِ أولي الأمر، ما لم يأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. كيف قال: ﴿وأطيعوا الرسول﴾، ولم يقل:

(١) قطعة من حديث مطول أخرجه أحمد ١٣٠/٤ و٢٠٢، و٣٤٤/٥ من حديث الحارث الأشعري، وسنده صحيح، وليس من حديث ابن عباس كما تُوهَم عبارة الشارح، وهو في «سنن الترمذي» (٢٨٦٣)، و«مسند الطيالسي» (١١٦١)، و«سنن البيهقي» ١٥٧/٨، والبيهقي (٢٤٦٠)، وصححه ابن خزيمة (٤٨٣)، وابن حبان (١٥٥٠)، والحاكم ٥٩/١.

وأخرجه بهذا اللفظ أيضاً من حديث أبي ذر أبوداود (٤٧٥٨)، والبيهقي ١٥٧/٨، وأحمد ١٨٠/٥، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٩٢) و(١٠٥٣)، والحاكم ١١٧/١.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٣)، والبيهقي ١٤٤/٨.

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥)، وأحمد ٢٤/٦ و٢٨، والدارمي ٣٢٤/٢، وابن أبي عاصم (١٠١٧)، والبيهقي ١٥٨/٨، وابن حبان (٤٥٨٩).

وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يُقَرَّدُونَ بالطاعة، بل يُطَاعُونَ فيما هُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأنه من يُطِيع الرسول، فقد أَطَاعَ الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يُطَاعُ إلا فيما هو طاعةٌ لِلَّهِ ورسوله<sup>(١)</sup>.

وأما لزوم طاعتهم وإن جازوا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ماسطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصْبَحْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصْبَحْتُمْ مِّثْلُهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْتَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصْبَحْتَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [٢٢٩ الأنعام: ١٢٩]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا مِنْ ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار<sup>(٢)</sup>: أنه جاء في بعض كتب الله: أنا الله مالِكُ الملوك، قلوبُ الملوك بيدي، فمن أطاعني، جعلتهم عليه رحمةً،

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٥/٣٥ - ١٧.

(٢) علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بُلُقْتُهُ، من أصحاب أنس بن مالك رضي الله عنه، توفي سنة (١٢٧هـ). مترجم في «السير» ٥/ (١٦٤).

ومن عصاني، جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً، فلا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ،  
لكن تُوبُوا أَعْظِفْهُمْ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَتَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ»، وَنُجِّنِبُ الشُّذُودَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ،

ش: السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم  
الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى،  
وخلانهم ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ  
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾  
[آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ  
غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾  
[النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا  
عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا  
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ  
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكَمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].  
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ  
الْبَيِّنَاتُ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي

(١) رفعه بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يصح، رواه الطبراني في «الأوسط» عن  
أبي الدرداء، قال الهيثمي ٢٤٩/٥: وفيه إبراهيم بن راشد، وهو متروك.

شَيْءٍ إِنَّمَا أَمَرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٩]

وثبت في «السنن» الحديث الذي صححه الترمذي، عن العرياض بن سارية، قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَقَتْ مِنْهَا الْعَيُونَ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُودَعٍ؟ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيَكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بِعِدِّي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَذْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِئْلَةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ<sup>(٢)</sup> وَسَبْعِينَ مِئْلَةً — يَعْنِي الْأَهْوَاءُ — كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»<sup>(٤)</sup>.

فبين ﷺ أَنَّ عَامَّةَ الْمُخْتَلِفِينَ هَالِكُونَ مِنَ الْجَانِبِينَ، إِلَّا أَهْلَ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبوداود (٤٦٠٣)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد ١٢٦/٤، — ١٢٧، والدارمي ٤٤/١ — ٤٥، والطبراني في «الكبير» ١٨/٦١٧ و (٦١٨) و (٦١٩) و (٦٢٢) و (٦٢٣) و (٦٢٤) و (٦٤٢)، والأجري في «الشریفة» ص ٤٦ — ٤٧ وصححه ابن حبان (٥)، والحاكم ٩٥/١، ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصول: «ثلاثة»، والمثبت من مصادر التخریج، وهو الجماعة.

(٣) هو من حديث معاوية، وقد تقدم تخريجه ص ٣٤٠. وعن أنس بن مالك عند أحمد ١٢٠/٣ و ١٤٥، وابن ماجه (٣٩٩٢) وغيرهما، وفيه من الزيادة: «واحدة في الجنة، وثمان وسبعون في النار» وهو حسن.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

وما أحسن قولَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا، فَلَيْسَتْ بَيْنَ قَدَمَاتِ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أَوْلَتْكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَمَهَا تَكْلُفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ<sup>(١)</sup>. وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا».

قوله: «وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ». ش: وهذا من كمال الإيمان وتتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فَمَحَبَّةُ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الْمَحَبَّةُ الَّتِي لِلَّهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا غَيْرُهُ، فَغَيْرُ اللَّهِ يُحِبُّ فِي اللَّهِ، لَا مَعَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَحَبَّ يَحِبُّ مَا يُحِبُّ مَحْبُوبُهُ، وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ، وَيُؤَالِي مَنْ يُؤَالِيهِ، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِيهِ، وَيَرْضَى لِرِضَائِهِ، وَيَغْضَبُ لِعُضْبِهِ، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ، فَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَحْبُوبِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

حب أهل العدل من  
كمال الإيمان

والله تعالى يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، وَيُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَنَحْنُ نُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ. وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَاسِرِينَ، وَلَا يُحِبُّ الْمَفْسِدِينَ، وَلَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَنَحْنُ لَا نُحِبُّهُمْ أَيْضًا، وَنُبْغِضُهُمْ، مُوَافِقَةً لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(١) أخرجه بنحوه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» من طريق سنيد، حدثنا معتمر بن سليمان، عن سلام بن مسكين، عن قتادة قال: قال ابن مسعود... وأخرجه بلفظ مقارب أبو نعيم في «الحلية» ٣٠٥/١ من قول ابن عمر.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

فالمحبة التامة مُسْتَلْزِمَةٌ لِمُوَافَقَةِ الْمَحْبُوبِ فِي مَحْبُوبِهِ وَمَكْرُوهِهِ، وولايته وعداوته. ومن المعلوم أن مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ المحبة الواجبة، فلا بُدَّ أَنْ يُبْغِضَ أَعْدَاءَهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ مِنْ جِهَادِهِمْ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوعُونَ﴾ [الصف: ٤].

والحُبُّ والبغْضُ بحسب ما فيهم مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَجْتَمِعُ فِيهِ سَبَبُ الْوَلَايَةِ وَسَبَبُ الْعَدَاوَةِ، وَالْحُبُّ وَالْبَغْضُ، فَيَكُونُ مَحْبُوباً مِنْ وَجْهِ مَبْغُوضاً مِنْ وَجْهِ، وَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ الْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يُحِبُّ الشَّيْءَ مِنْ وَجْهِ، وَيَكْرَهُهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، كما قال ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل: «وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

فبين أنه يتردد، لأن التردد تَعَارُضُ إِرَادَتَيْنِ، وهو سبحانه يُحِبُّ ٢٣١

(١) أخرجه البخاري (١٦) و(٢١) و(٦٠٤١) و(٦٩٤١)، ومسلم (٤٣)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، والترمذي (٢٦٢٦)، والنسائي ٩٤/٨، ٩٦، وأحمد ١٠٣/٣ و١٧٢ و١٧٤ و٢٣٠ و٢٤٨ و٢٧٥ و٢٨٨، والطبراني (١٩٥٩)، وابن منده في الإيمان (٢٨١) و(٢٨٢) و(٢٨٣)، والبيهقي (٢١)، والخطيب في تاريخه ١٩٩/٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٧/١ و٨٨/٢ من حديث أنس بن مالك.  
(٢) تقدم تخريجه ص ٥٠٩، وليس في الحديث قوله: «ولا بد له منه».

ما يُحِبُّه عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يَكْرَهُ الموتَ فهو يكرهه، كما قال: «وأنا أكره مساءته»، وهو سبحانه قضى بالموت، فهو يريد كونه، فسُمي ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بُدَّ مِنْ وقوع ذلك، إذ هو يُقْضِي إلى ما هو أحبُّ<sup>(١)</sup> منه<sup>(٢)</sup>.

قوله: ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه.

ش: تقدم في كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلِمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

اشتبه علينا علمه  
بكله إلى الله

ومن تكلم بغير علم، فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعْ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup> \* كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ سَعِيرٍ [الحج: ٣-٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

(١) في أصول النسخ: «واجب» والمثبت من هامش (د) ومطبوعة مكة.

(٢) انظر «الفتاوى» ١٢٩/١٨ - ١٣٥، و«جامع العلوم والحكم» ص ٣٤٨ - ٣٤٩، و«فتح الباري» ٣٤٥/١١ - ٣٤٦.

(٣) قال الزجاج: المرید: المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشر، يقال: مرد الرجل يمرّد مروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة، وتأويل المردود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرد: إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء: إذا كانت ملساء. «زاد المسير» ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.



وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يردَّ عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُ إِلَيْهِ، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٢٦]. ﴿قُلِ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]. وقد قال ﷺ، لما سُئِلَ عن أطفال المشركين: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا غَامِلِينَ»<sup>(١)</sup>.

وقال عمر رضي الله عنه: اتَّهَمُوا الرَّأْيَ فِي الدِّينِ، فلورأيتني يومَ أبي جندل، فلقد رأيتني وإني لأَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِي، فَاجْتَهَدُ وَلَا آلُو وَذَلِكَ يَوْمَ أَبِي جندل، والكتاب يكتب، وقال: «اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قال: اكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فرضي رسولُ الله ﷺ وكتب وأبیت، فقال: «يا عمر، تراني قد رضيت وتأبى»<sup>(٢)</sup>!.

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤) و(٦٥٩٩) و(٦٦١٠)، ومسلم (٢٦٥٩)، والنسائي (٥٨/٢)، وأحمد ٢٦٦/٢ و٣٩٣ و٤٧١ و٥١٨، والحميدي (١١١) و(١١١٣)، والطبراني (٢٣٨٢)، والخطيب ٣٤١/٩، والبخاري (٨٣) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري (١٣٨٣) و(٦٥٩٧)، ومسلم (٢٢٦٠)، وأبو داود (٤٧١١)، والنسائي (٥٩/٢)، والطبراني (٢٦٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٤٨) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٢)، وابن حزم في «الإحكام» ٤٦/٦ من طريق علي بن عبد العزيز، حدثنا يونس بن عبيد الله العميري، حدثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر، ولفظه: يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أردُّ أمر رسول الله ﷺ بِرَأْيِي اجْتِهَادًا، فوالله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل، والكتاب بين رسول الله ﷺ وأهل مكة، فقال: «اكتبوا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟! ولكنك تكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فرضي رسول الله ﷺ، وأبیت حتى قال لي رسول الله ﷺ: «تراني أرضى، وتأبى أنت؟!» =

وقال أيضاً رضي الله عنه: **السُّنَّةُ**: ما <sup>(١)</sup> سَنَّهُ الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّةً للأمة.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيُّ أرضٍ تُقْلِي، وأيُّ سَمَاءٍ تُظْلِي، إن قلتُ في آيةٍ من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم <sup>(٢)</sup>.

وذكر الحسن بن علي الحلواني <sup>(٣)</sup>، حدثنا عارم، حدثنا حماد بن

= قال: فرضيتُ. ورجاله ثقات، إلا أن مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعن، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١/ ١٧٩، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله موثقون، وإن كان فيه مبارك بن فضالة. وأخرجه البزار (١٨١٣) من طريق محمد بن المثنى، عن يحيى بن سعيد، عن عبيد الله، أخبرني نافع، عن ابن عمر أنه قال: اتهموا الرأي على الدين... قلت (القائل البزار): فذكر حديث الحديبية إلى أن قال: رسول الله ﷺ كان يكتب بينه وبين أهل مكة، فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقالوا: لو نرى ذلك صدقتك، ولكن اكتب فيما نكتب باسمك اللهم، قال: فرضي رسول الله ﷺ وأبيت، حتى قال لي: «يا عمر، تراني قد رضيت، وتأبى أنت»، قال: فرضيت.

قال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح (٢٧٣١) و (٢٧٣٢) بطوله، ولم أر فيه قوله: يا عمر تراني قد رضيت وتأبى أنت. وانظر «فتح الباري» ٣٤٥/٥ - ٣٤٦، ومسلم (١٧٨٤). وأخرج البخاري في «صحيحه» (٤١٨٩)، ومسلم (١٧٨٥) (٩٥) من طريق أبي وائل قال: لما قدم سهل بن حنيف من صفين، أتياه نستخبره، فقال: اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرى أمر رسول الله ﷺ لرددت. (١) في الأصول: نعم، والمثبت من «جامع بيان العلم» لابن عبد البر ١٣٦/٢، فقد رواه من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة عن عبيد الله بن جعفر، قال: قال عمر.

(٢) أخرجه الطبري (٧٨) و (٧٩) من طريقين عن أبي معمر عبد الله بن سحيرة الأزدي، قال: قال أبو بكر... فذكره. وأبو معمر تابعي ثقة. إلا أن روايته عن أبي بكر مرسلة. وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام من طريق إبراهيم التيمي إن أبا بكر... وهو منقطع أيضاً، وقد تقدم تخريجه ص ٢١٩.

(٣) هو الإمام الحافظ الصدوق، أبو محمد الحسن بن علي بن محمد، الهذلي الريحاني، الخلال المجاور بمكة، المتوفى سنة ٢٤٢هـ، مترجم في «السير» ٣٩٨/١١، وعارم: هو الحافظ الثبت محمد بن الفضل السدوسي، وباقي رجال السند ثقات إلا أنه منقطع، ابن سيرين لم يدرك أبا بكر وعمر.

زيد، عن سعيد بن أبي صدقة، عن ابن سيرين قال: لم يكن أحدٌ أهيبَ  
لما لا يعلمُ من أبي بكر، ولم يكن بعد أبي بكر أهيبَ لما لا يعلم من  
عمر رضي الله عنهما، وإن أبا بكر نزلت به قضيّة، فلم يجد في كتاب ٢٣٢  
الله منها أصلاً، ولا في السُّنة أثراً، فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي،  
فإن يكن صواباً فمِن الله، وإن يكن خطأ، فمني، وأستغفر الله.  
قوله: «وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَيْنِ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ  
فِي الْأَثَرِ».

ش: تواترت السُّنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل  
الرجلين، والرافضة تُخالف هذه السنة المتواترة، فيقال لهم: الذين نقلوا  
عن النبي ﷺ الوضوء<sup>(١)</sup> قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه، وتوضُّؤوا  
على عهده وهو يراهم ويُقرُّهم، ونقلوه إلى من بعدهم، أكثر عدداً من  
الذين نقلوا لَفْظَ هذه الآية<sup>(٢)</sup>، فإنَّ جميع المسلمين كانوا يتوضُّؤون على  
عهده، ولم يتعلَّموا الوضوء إلا منه، فإن هذا العمل لم يكن معهوداً  
عندهم في الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضُّأ ما لا يُحصى عدده إلا الله  
تعالى، ونقلوا عنه ذكرَ غسل الرجلين في ما شاء الله من الحديث، حتى  
نقلوا عنه مِنْ غَيْر وجه، في كتب الصحيح، وغيرها، أنه قال: «وَيْلٌ  
لِلْأَعْقَابِ وَبُطُونِ الْأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ب): الذين نقلوا الوضوء عن النبي صلى الله عليه وسلم.  
(٢) ليس المراد من ذلك أن نقلت القرآن — ومنه الآية الكريمة آية الوضوء — أقل من نقلت  
المسح على الخفين وغسل الرجلين، وإنما مراده أن الذين رَوَوْا من الصحابة في الكتب  
المؤلفة نص هذه الآية أقل من نقلوا المسح على الخفين وغسل الرجلين قولاً وفعلاً.  
(٣) أخرجه بتمامه أحمد ١٩١/٤، وابن خزيمة (١٦٣)، والطحاوي ٣٨/١، والدارقطني  
٩٥/١، والبيهقي ٧٠/١، من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، وسنده =

مع أن الفرض إذا كان مسح ظاهر القدم، كان غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطَّبَّاعُ، كما تدعو الطَّبَّاعُ إلى طلب الرياسة والمال، فلوجاز الطَّنُّ في تواتر صفة الوضوء، لكان في نقل لَفْظِ آية الوضوء أَقْرَبَ إلى الجواز. وإذا قالوا: لَفْظُ الْآيَةِ ثَبَّتَ بالتواتر الذي لَا يُمَكِّنُ فِيهِ الْكَذِبُ وَلَا الْخَطَأَ، فَثَبُوتُ التَّوَاتُرِ فِي نَقْلِ الْوَضُوءِ عَنْهُ أَوْلَى وَأَكْمَلُ، وَلَفْظُ الْآيَةِ لَا (١) يُخَالِفُ مَا تَوَاتَرَ مِنَ السَّنَةِ، فَإِنَّ الْمَسْحَ كَمَا يُطْلَقُ، وَيُرَادُّ بِهِ الْإِصَابَةُ، كَذَلِكَ يُطْلَقُ وَيُرَادُّ بِهِ الْإِسَالَةُ (٢)، كَمَا تَقُولُ

= صحيح، وأخرجه دون قوله: «وبطون الأقدام» من حديث عبدالله بن عمرو البخاري (٦٠) و(٩٦) و(١٦٣)، ومسلم (٢٤١)، وأبو داود (٩٧)، والدارمي (١٧٩/١)، وأحمد (١٩٣/٢) و(٢٠١) و(٢٠٥) و(٢١١) و(٢٢٦)، والنسائي (٧٧/١)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٨/١)، والبيهقي (٦٨/١)، والطبري (١٣٤/٦)، وابن حبان (١٠٥٦)، وابن خزيمة (١٦١) و(١٦٦). وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري (١٦٥)، ومسلم (٢٤٢)، وابن ماجه (٤٥٣)، وأحمد (٢٨٤/٢) و(٣٨٩) و(٤٠٦) و(٤٠٧) و(٤٠٩) و(٤٣٠) و(٤٦٧) و(٤٩٨)، والترمذي (٤١)، والنسائي (٧٧/١)، والطحاوي (٣٨/١)، وابن حبان (١٠٨٩)، والطبري (١١٤٩٧) - (١١٥٠٤). وأخرجه من حديث عائشة مسلم (٢٤٠)، وأحمد (١١٢/٦) و(١٩٢) و(٢٥٨)، وابن ماجه (٤٥١)، والطيالسي (١٥٥٢)، والحميدي (١٦١)، والشافعي (٣٣/١)، والدارقطني (٩٥/١)، والطحاوي (٣٨/١)، والبيهقي في السنن (٦٩/١)، وفي «معركة السنن والآثار» (٢١٥/١)، والطبري (١١٥٠٥) و(١١٥٠٦) و(١١٥٠٧) و(١١٥٠٨) و(١١٥٠٩)، وابن حبان (١٠٦٠). وأخرجه من حديث جابر أحمد (٣١٦/٣)، والطبري (١١٥١١) و(١١٥١٨)، وابن ماجه (٤٥٤)، والطحاوي (٣٨/١). وأخرجه من حديث معيقب أحمد (٤٢٦/٣) و(٤٢٥/٥).

(١) في (ب): ما.

(٢) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٩٢/٦: إن لفظ «المسح» مشترك يطلق بمعنى المسح، ويطلق بمعنى الغسل، قال المروني: أخبرنا الأزهرى، أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الداري، عن أبي حاتم، عن أبي زيد الأنصاري، قال: المسح في كلام العرب يكون غسلًا، ويكون مسحًا، ومنه يقال للرجل إذا توضأ، فغسل أعضائه: =

العرب<sup>(١)</sup>: تَمَسَّحْتُ لِلصَّلَاةِ، وفي الآية ما يَدُلُّ على أنه لم يُردِّ بمسح الرجلين المَسْحَ الذي هو قَسِيمُ الغَسْلِ، بل المَسْحَ الذي الغَسْلُ قِسْمٌ منه، فإنه قال: ﴿إِلَى الكَعْبَيْنِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَى الكَعَابِ، كما قال: ﴿إِلَى المِرْفَقِ﴾، فَدَلَّ على أَنَّهُ ليس في كل رِجْلٍ كَعْبٌ واحد، كما في كُلِّ يَدٍ مِرْفَقٌ واحد، بل في كُلِّ رِجْلٍ كَعْبَانِ، فيكون تعالى قد أَمَرَ بالمسح إلى العظمين الناتئين، وهذا هُوَ الغَسْلُ، فإن من يَمَسُّحُ المَسْحَ الخاصَّ يجعل المَسْحَ لِظهور القدمين، وجعل الكعبين في الآية غَايَةً يَرُدُّ قولهم. فدعواهم أَنَّ الفرض مسحُ الرَّجْلَيْنِ إلى الكعبين اللَّذَيْنِ هما مُجْتَمِعُ السَّاقِ وَالْقَدَمِ عند مَعْقِدِ الشَّرَاكِ، مردودٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وفي الآية قراءتان مشهورتان<sup>(٢)</sup>: النَّصْبُ وَالْخَفْضُ، وتوجيهُ إعرابهما مَبْسُوطٌ في موضعه، وقراءةُ النصب نصٌّ في وجوب الغَسْلِ، لأنَّ العطفَ على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً كقوله:

فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ<sup>(٣)</sup>

٢٣٣

= قد تَمَسَّحَ، ويقال: مسح الله ما بك: إذا غسلك وطهرتك من الذنوب، فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن المسح يكون بمعنى: «الغسل» فترجح قول من قال: إن المراد بقراءة الخفض الغسل بقراءة النصب التي لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، والتوعد على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تُحصر كثرة أخرجها الأئمة.

(١) سقطت من (ب).

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكَسَائِيُّ وَحْفَضُ: (وَأَرْجُلُكُمْ) بالنصب، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزة، وأبو بكر: (وَأَرْجُلُكُمْ) بالخفض. انظر «حجة القراءات» ص ٢٢١ - ٢٢٣، و«زاد المسير» ٣٠١/٢ - ٣٠٢، و«الكشف عن وجوه القراءات» ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٣) عجز بيت، صدره:

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَاسْجَحْ

والشاهد فيه: أن قوله: «الحديد» معطوف على عمل الجار والمجرور، وهو قوله: «بالجبال» وهو خبر ليس والباء زائدة. وكذلك أورده سيويه ٣٤/١، قال البغدادي في =

وَيْسَ معنى: مَسَحْتُ برأسي ورجلي، هو معنى: مَسَحْتُ رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يُفيد معنى زائداً على مُجَرَّدِ المسح، وهو إصاق شيءٍ من الماء بالرأس، فَتَعَيَّنَ العَطْفُ على قوله: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ﴾. فالسُّنَّةُ المتواترة تقضي على ما يَفْهَمُهُ بَعْضُ الناسِ مِنْ ظاهر القرآن، فإنَّ الرسولَ يَبَيِّنُ للناسِ لفظَ القرآن ومعناه، كما قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ<sup>(١)</sup>: حدثنا الذين كانوا يُقْرِئُونَنَا القرآنَ: عُثْمَانُ بن عفان، وعبد الله بن

= والخزانة، ٢/٢٦٠: وقد ردَّ المبرد على سيويه روايته لهذا البيت بالنصب وتبعه جماعة منهم العسكري صاحب «التصحيح» ص ٢٠٧، قال: وما غلط فيه النحويون من الشعر ورووه موافقاً لما أراد، ما روي عن سيويه عندما احتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض، وقد غلط على الشاعر، لأن هذه القصيدة مشهورة، وهي مخفوضة كلها، وهذا البيت أولها، ويَعْدُه:

فَهِنَا أُمَّةٌ ذَهَبَتْ ضِياعاً	يزيدُ أميرها وأبو يزيد
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا	فَهْلُ من قائمٍ أو من حصيدٍ
أَتَطْمَعُ فِي الْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا	وليس لنا ولا لك من خلودٍ
ذُرُّوا خَوْنَ الْخِلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا	وناميرَ الأراذلِ والعبيدِ
وَأَعْطُونَا السُّوءَ لَا تَزُرُّكُمْ	جُنُودُ مُرْدِفَاتٍ بِالْجُنُودِ

وهذا الشعر لعقبة بن هبيرة الأسدي، وهو شاعر جاهلي إسلامي، وقد على معاوية، فدفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات، فدعاه معاوية فقال له: ما جرأك علي؟ قال: نصحتك إذ غشوك، وصدقتك إذ كذبتك، فقال: ما أظنك إلا صادقاً ففضي حوائجه. وانظر «المقتضب» ٢/٢٣٨ و ٤/١١٢ و ٣٧١، و«سمط اللالي» ١/١٤٨ - ١٤٩، و«الشعر والشعراء» ١/١٩٨ - ١٩٩، و«شرح المفصل» لابن يعيش ٢/١٠٩ و ٤/٩، وشرح شواهد المغني ٧/٥٣ - ٥٥.

(١) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، مقرر الكوفة، الإمام العلم، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، أخذ القراءة غرضاً عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبي بن كعب، وابن مسعود، توفي قريباً من سنة (٧٣هـ). مترجم في «السيرة» ٤ / رقم الترجمة (٩٧).

مسعود، وغيرهما<sup>(١)</sup>: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها<sup>(٢)</sup> حتى يتعلموا معناها<sup>(٣)</sup>.

وفي ذكر المسح في الرجلين تنبيه على قلة الصب في الرجلين، فإن السرف يعتاد فيهما كثيراً، والمسالة معروفة، والكلام عليها في كتب الفروع.

قوله: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يطلهما شيء ولا ينقضهما».

الحج والجهاد  
ماضيان إلى قيام  
الساعة

ش: يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد ﷺ، ويُنَادِي مناد من السماء: اتبعوه!! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل. وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً اشتراطاً بغير<sup>(٤)</sup> دليل! بل في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم وتصلون عليكم، وشراؤ أئمتكم الذين تبغضونهم ويتبغضونكم».

(١) في (أ) و (ج) و (د): وغيرهم.

(٢) تحرفت في (أ) و (ج) و (د) إلى: «يجاوزها».

(٣) أخرج الطبري (٨٢) من حديث جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً. ورجاله ثقات، إلا أن جريراً ممن روى عن عطاء بعد الاختلاط، وأخرج الطبري أيضاً (٨١) من طريق الحسين بن واقد، قال: حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود، قال: كان الرجل ميتاً إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن، وهذا سند حسن يقوي ما قبله.

(٤) في (ب): من غير.

وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالَ: قلنا<sup>(١)</sup>: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لا، ما أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالِي، فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدَهُ مِنْ طَاعَتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد تقدم بعضُ نظائر هذا الحديث في الإمامة<sup>(٣)</sup>، ولم يَقُلْ: إن الإمام يجب أن<sup>(٤)</sup> يَكُونَ معصوماً، والرافضة أَخَسَرُ الناسَ صَفَقَةً في هذه المسألة، لأنهم جعلوا الإمامَ المعصومَ هو الإمامَ المَعْدُومَ، الذي لم<sup>(٥)</sup> ينفعهم في دينٍ ولا دُنْيَا!! فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ أن الإمامَ المنتظر، محمدُ بْنُ الحسن العسكري<sup>(٦)</sup>، الذي دخل السُّرْدَابَ في زعمهم سنة ستين وميتين، أو قريباً من ذلك بِسَامِرًا! وقد يُقِيمُونَ هناك دابةً، إما بغلةً وإما فرساً، ليركبها إذا خرج! وَيُقِيمُونَ هناك في أوقات عَيْنُوهَا لَمَنْ يُنَادِي عليه بالخروج: يامولانا، اخرج! يامولانا، اخرج! وَيُشْهِرُونَ السلاحَ، ولا أَحَدَ هناك يُقَاتِلُهُمْ! إلى غير ذلك من الأمور التي يَضْحَكُ عليهم فيها العُقَلَاءُ!!

٢٣٤

وقوله: «مع أولي الأمر بُرَّهم وفاجرهم» لأن الحجَّ والجهادَ فرضانِ

(١) في (ب): قلت.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٤٢ تعليق (٣).

(٣) في (ب): الإمام.

(٤) أن: لم ترد في (ب).

(٥) في (ب): لا.

(٦) ذُكِرَ أنه ولد في سامراء سنة ٢٥٥هـ، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين، ويزعمون أنه لما بلغ التاسعة دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء، ولم يخرج منه، وذلك في سنة ٢٦٥هـ، وأنهم ينتظرون خروجه آخر الزمان. «الوفيات» ١٧٦/٤.



يتعلّقان بالسفر، فلا بُدَّ من سائس يسوس الناسَ فيهما، ويقاومُ العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البرّ يحصل بالإمام الفاجر.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ».

ش: قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كِرَامًا كَتِبْتَينَ \* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

الإيمان بالملائكة  
الكرام الكاتبين

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَى الْمُتَلَفَيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ \* مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ<sup>(١)</sup> مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «يَتَعَاقِبُونَ<sup>(٢)</sup> فِيكُمْ مَلَائِكَةُ

(١) في «زاد المسير» ٣٦٥/٧: وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ تستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه، قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، قال الفراء: يرفع الملكان العمل كله، فيثبت الله منه ما فيه ثواب أو عقاب، وي طرح منه اللغو. وقال الزجاج: نستنسخ ما تكتبه الحفظة، ويثبت عند الله عز وجل.

(٢) قال الفرطبي: الواو في قوله: «يتعاقبون» علامة الفاعل المذكر المجموع على لغة بلحارث، وهم القائلون: أكلوني البراغيث، ومنه قول الشاعر:  
بحوران يعصرن السليط أقاربه

بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٍ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ،  
فَيُصْعَدُ إِلَيْهِ الَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ -وهو أعلم بهم- (١): كَيْفَ تَرَكْتُمْ  
عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَفَارَقْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (٢).

وفي الحديث الآخر: «إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْخَلَاءِ  
وَعِنْدَ الْجَمَاعِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ، وَأَكْرِمُوهُمْ» (٣).

= وهي لغة فاشية، وعليها حمل الأخفش قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النُّجُوزَ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا﴾ قال: وقد تصف بعض النحاة في تأويلها وردّها إلى البدل، وهو تكلف مستغنى  
عنه، فإن تلك اللغة مشهورة ولها وجه من القياس واضح. قال الحافظ في «الفتح»  
٣٤١/١: وتوارد جماعة من الشراح على أن حديث الباب من هذا القبيل، ووافقهم  
ابن مالك، وناقشه أبو حيان زاعماً أن هذه الطريق اختصرها الراوي، واحتج لذلك  
بما رواه البزار من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله ملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة  
بالليل وملائكة بالنهار» الحديث، وقد سُمع في العزو إلى مسند البزار مع أن الحديث  
بهذا اللفظ في «الصحيحين» فالعزو إليهما أولى، وذلك أن هذا الحديث رواه عن  
أبي الزناد مالك في «الموطأ» ولم يختلف عليه باللفظ المذكور، وهو قوله: «يتعاقبون  
فيكم»، وتابعه على ذلك عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، أخرجه سعيد بن منصور  
عنه، وقد أخرجه البخاري في «بدء الخلق» من طريق شعيب بن أبي حمزة، عن  
أبي الزناد بلفظ: «الملائكة يتعاقبون» وأخرجه النسائي أيضاً من طريق موسى بن عقبة،  
عن أبي الزناد بلفظ: «إن الملائكة يتعاقبون فيكم» فاختلف فيه على أبي الزناد، فالظاهر  
أنه كان تارة يذكره هكذا، وتارة هكذا، فيقوى بحث أبي حيان. ويؤيد ذلك أن غير  
الأعرج من أصحاب أبي هريرة، قد رَوَوْه تاماً، فأخرجه أحمد ومسلم من طريق  
همام بن منبه، عن أبي هريرة مثل رواية موسى بن عقبة، لكن بحذف «إن» من أوله،  
وأخرجه ابن خزيمة والسراج من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله  
ملائكة يتعاقبون» وهذه هي الطريق التي أخرجهما البزار، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»،  
بإسناد صحيح من طريق أبي موسى، عن أبي هريرة بلفظ: «إن الملائكة يعقبون».

(١) في الأصول: «بكم» والمثبت من الصحيحين وغيرهما. (٢) تقدم تخريجه ص ٣٨١.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٠٠) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم  
والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله،  
فاستحيوهم، وأكرمهم» وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، =

جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال: صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان. وقال عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قَدَرُ الله، حُلُّوا عنه<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبدالله، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَيَّايَ، وَلَكِنْ أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»<sup>(٢)</sup>. الرواية بفتح الميم من: «فأسلم» ومن رواه: «فأسلم» برفع الميم، فقد حُرِّفَ لفظه. ومعنى: «فأسلم»، أي: فاستسلم وانقاد لي، في أصح القولين، ولهذا قال: «فلا يأمرني

= يعني أنه ضعيف، لأن في سنده ليث بن أبي سليم، وهو سيئ الحفظ، وباقي رجاله ثقات. وفي الباب عن هز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» قال: قلت يا رسول الله إذا كان أحدنا خالياً؟ قال: «الله أحق أن يستحيا منه من الناس» أخرجه أحمد ٣/٥-٤، وأبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٧٠)، وابن ماجه (١٩٢٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٥٦/٢ - ١٥٧، والخطيب في «تاريخه» ٢٦١/٣ - ٢٦٢، وأبو نعيم في «الحلية» ١٢١/٧ - ١٢٢. وسنده حسن، كما قال الترمذي، وصححه الحاكم.

(١) أخرجه الطبري (٢٠٢١٦) و (٢٠٢١٧) من طريقين، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وأحمد ١/٣٨٥، والدارمي ٢/٣٠٦، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٠٩) طبع مؤسسة الرسالة، وفي الباب عن عائشة عند مسلم (٢٨١٥)، والطحاوي (١١١).

إلا بخير»، ومن قال: إن الشَّيْطَانَ صار مؤمناً، فقد حَرَفَ معناه، فإن الشيطان لا يَكُونُ مؤمناً<sup>(١)</sup>.

ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. قيل: حَفَظَهُمْ لَهُ ٢٣٥ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أي: اللَّهُ أمرهم بذلك، يَشْهَدُ لذلك قراءة من قرأ: يحفظونه بأمر الله<sup>(٢)</sup>.

(١) قال الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله -: والخلاف في ضبط الميم من: «فأسلم» خلاف قديم، والراجح فيها الفتح، كما قال الشارح، ولكنَّ المعنى الذي رجحه غير راجح، فقال القاضي عياض في «مشارك الأنوار» ٢١٨/٢: رويناه بالضم والفتح، فمن ضمَّ، ردَّ ذلك إلى النبي ﷺ، أي: فأنا أسلم منه، ومن فتح، ردَّه إلى القرين، أي: أسلم من الإسلام. وقد روي في غير هذه الأمهات: فاستسلم. يريد بالأمهات: «الموطأ» و«الصحيحين» التي بنى عليها كتابه، وإن كان هذا الحديث لم يروه مالك ولا البخاري. وقال النووي في «شرح مسلم»: «هما روايتان مشهورتان. واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح.

وأما الحافظ ابن حبان، فإنه روى الحديث في «صحيحه» (٢٨٣/٢) من المخطوطة المصورة)، وجزم برواية فتح الميم، وقال: «في هذا الخبر دليل على أنَّ شيطان المصطفى ﷺ أسلمَ حتى لم يكن يأمره إلا بخير، لأنه كان يسلم منه، وإن كان كافراً». وهذا هو الصحيح الذي ترجمه الدلائل. وادعاء الشارح أن هذا تحريف للمعنى: «فإنَّ الشيطان لا يكون مؤمناً انتقل نظر. فأولاً: أن اللفظ في الحديث: «قرينه من الجن»، لم يقل: «شيطانه». وثانياً: أن الجنَّ فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمَنَ منهم لم يُسَمَّ شيطاناً.

وقال الطحاوي - رحمه الله - في «شرح مشكل الآثار» بعد أن أخرج حديث ابن مسعود وعائشة: فوقفنا على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في هذا المعنى كسائر الناس سواء، وأنَّ الله أعانه عليه فأسلم بإسلامه الذي هداه له، حتى صار صلى الله عليه وسلم في السلامة منه بخلاف غيره من الناس فيمن هو معه من جنسه.

(٢) رواه الطبري (٢٠٢٤٠) من طريق بشر بن معاذ، عن سعيد، عن قتادة. . .

وفي «زاد المسير» ٣١١/٤: وهو قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللغويون: والباء تقوم مقام «من»، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. وثمت أقوال ستة في تفسير الآية، فانظرها فيه.

ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية، لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الأنفطار: ١٢]. ويشهد لذلك قوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَا تَكْتُبُهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، فَاتَّكَبُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُهَا عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ - فَقَالَ: ارْقُبُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا، فَاتَّكَبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ»، خرجاهما في «الصحيحين» واللفظ لمسلم<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَتُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ». ش: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (١٢٨)، والبخاري (٧٥٠١)، والترمذي (٣٠٧٣)، وأحمد ٢٤٢/٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٦٨/١٠، وابن حبان (٣٧٩) و(٣٨٠) و(٣٨١) و(٣٨٢) و(٣٨٣) و(٣٨٤)، وابن منده في «الإيمان» (٣٧٥) و(٣٧٧) و(٣٧٨) و(٣٧٩).

وفي الباب عن ابن عباس عند البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٠٧)، وأحمد ٣١٠/١ و٣٦٠ - ٣٦١، وابن منده في «الإيمان» (٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٩٢/٥.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩)، وأحمد ٣١٥/٢، وابن منده (٣٧٦) من حديث أبي هريرة، ولم نجده في البخاري. وقوله: «من جرّاي» بالمد والقصر، لغتان، معناه: من أجل، أنشد اللحياني كما في «اللسان»: جرر.

أبْنُ جَرَّاءِ بَنِي أَسَدٍ غَضِبْتُمْ  
وَمِنْ جَرَّائِنَا جَرُّنَا عَبِيداً  
لَوْ شِئْتُمْ لَكَاذَ لَكُمْ جَوَارُ  
لِقَوْمٍ بَعْدَ مَا وُطِئَ الْخِيَارُ

رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿[آلَم السَّجْدَةِ: ١١]﴾. وَلَا تَعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، لِأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَتَوَلَّى قَبْضَهَا وَاسْتِخْرَاجَهَا، ثُمَّ يَأْخُذُهَا مِنْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، أَوْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، وَيَتَوَلَّوْنَهَا بَعْدَهُ، كُلُّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَحُكْمِهِ، فَصَحَّحْتُ إِضَافَةَ التَّوْفِي إِلَىٰ كُلِّ بِحَسَبِهِ.

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه؟ أو جسم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر مجرد؟ وهل هي الروح أو غيرها؟ وهل الأمانة، واللأمانة، والمطمئنة نفس واحدة، أم هي ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح، أو الموت للبدن وحده؟ وهذه المسألة تحتل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً، إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>:

حقيقة النفس  
والروح

فقال: الروح قديمة، وقد أجمعت الرُّسُلُ على أنها مُحدثة مخلوقة مصنوعة مربية<sup>(٢)</sup> مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون، حتى نبغت نايغة ممن قَصَّرَ فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة، واحتجَّ بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق! وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾

الروح محدثة  
مخلوقة

(١) انظر (مجموع الفتاوى) ٤/٤١٦ - ٤٣١، و«الروح» ص ١٩٣ - ٢٦٨.

(٢) في الأصول: مربية، والتصحيح من «الروح» لابن القيم ص ١٩٣، وعنه الشارح ينقل.

[الحجر: ٢٩]، كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره وبذنه، وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة على أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما. ٢٣٦

ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة، قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى، فإنها داخله في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته، داخل في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي من مصنوعاته. ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ [الدهر: ١]. وقوله تعالى لذكرى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَكِ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً﴾ [مريم: ٩]. والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لذكرى، لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض، والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فليس المراد هنا بالأمر<sup>(١)</sup> الطلب، بل المراد به المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم مشهور.

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِنْ رُّوحِي﴾ المضاف إلى الله تعالى نوعان [الحجر: ٢٩]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:

(١) في (ب): فليس المراد بالأمر هنا الطلب، وما في (الروح) هو الموافق لما ائتمناه عن (أ) و(ج) و(د).

صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام<sup>(١)</sup> والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويدّه سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقّة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً، يتميَّز بها المضاف عن غيره.

واختُلِفَ في الروح: هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدّم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك<sup>(٢)</sup>.

واختُلِفَ في الروح<sup>(٣)</sup>: ما هي؟ فقيل: هي جسم، وقيل: عَرَضٌ<sup>(٤)</sup>، وقيل: لا ندري ما الروح، أجوهر أم عَرَضٌ؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدّم الصافي الخالص من الكدّر والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط مُنبَت في العالم كله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير، وهي<sup>(٥)</sup> على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم الدّاخِل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

ماهية الروح

(١) سقطت من (ب).

(٢) في الصفحة: ٣٠٧.

(٣) انظر في ذكر هذه الأقوال ونسبتها إلى قائلها، وترجيح ما هو الصحيح منها في كتاب «الروح» ص ٢٣٧ وما بعدها.

(٤) في (ب): «وقيل: هي عرض».

(٥) سقطت من (ب).



وللناس في مُسَمَّى الإنسان: هل هو الروح فقط، أو اليدين فقط،  
أو مجموعهما، أو كل منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه: ٢٣٧  
هو اللفظ فقط، أو المعنى فقط، أو هما، أو كل منهما؟ فالخلاف بينهم  
في الناطق ونطقه.

والحق: أن الإنسان اسمٌ لهما، وقد يُطلَق على أحدهما بقرينة،  
وكذلك الكلام.

والذي يَدُلُّ عليه الكتابُ والسنة وإجماعُ الصحابة، وأدلةُ العقل: الأدلة على أن النفس  
جسم مخالف بالماهية  
للجسم المحسوس أن النفسَ جسمٌ مخالف بالماهية لهذا الجسمِ المحسوسِ، وهو جسمٌ  
نوراني علوي، خفيفٌ حيٌّ متحركٌ، ينفذُ في جوهرِ الأعضاء، ويسري  
فيها سريانَ الماءِ في الوردِ، وسريانَ الدهنِ في الزيتون، والنارِ في  
الفحم. فمادامت هذه الأعضاء صالحةً لقبول الآثار الفائضة عليها من  
هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء،  
وأفادها هذه الآثار من الحسِّ والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه، بسبب  
استيلاء الأخطا الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق  
الروحُ البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾  
الآية [الزمر: ٤٢]، ففيها الإخبار بتوفيها وإساقها وإرسالها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ  
بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ \* أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ففيها بسط الملائكة  
أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك  
اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ

ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴿الْآيَةُ [الأنعام: ٦٠]﴾، ففيها الإِخْبَارُ بِتَوَفِّي النَّفْسِ (١)  
بالليل، وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفي الملائكة لها عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارجعي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً  
مَرْضِيَّةً \* فادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].  
ففيها (٢) وصفها بالرجوع والدُّخُولِ والرضا.

وقال ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» (٣). ففيه وصفه  
بالقبض، وأن البَصَرَ يراه. وقال ﷺ في حديث بلال: «قُبِضَ أَرْوَاحُكُمْ  
[حِينَ شَاءَ] وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ [حِينَ شَاءَ]» (٤). وقال ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ

(١) في (ب): الأنفس.

(٢) في (ب): فيها.

(٣) أخرجه مسلم (٩٢٠)، وابن ماجه (١٤٥٤)، وأحمد ٢٩٧/٦، والبيهقي ٣٣٤/٣،  
والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٧/١٣، والطبراني في «الكبير» ٢٢/٧١٢،  
وأبوداود (٣١١٨)، وأبو يعلى ١/٣٢٦ عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على  
أبي سلمة، وقد شَقَّ بَصْرُهُ، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قُبِضَ، تَبِعَهُ الْبَصَرُ  
فَضُجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على  
ما تقولون، ثم قال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِينَ، واخْلُفْهُ فِي  
عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، واغفر لنا وله يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، وافسح له في قبره، ونور له فيه». وفي  
الباب عن أبي هريرة عند مسلم (٩٢١).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٥) و(٧٤٧١)، وأبوداود (٤٣٩)، والنسائي ١٠٦/٢، وأحمد  
٣٠٧/٥ من حديث أبي قتادة، قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم:  
لو عرست بنا يا رسول الله، قال: «أخاف أن تناموا عن الصلاة» قال بلال: أنا  
أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه، فنام، فاستيقظ  
النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «يا بلال، أين ما قلت؟» قال: ما ألفت  
عليّ نومةً مثلها قط، قال: «إِنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ  
شَاءَ». وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٤٨/٩.

طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>.

وسياتي في الكلام على عَذَابِ الْقَبْرِ أَدْنَى كَثِيرَةٍ مِنْ خُطَابِ مُلْكِ الْمَوْتِ لَهَا، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّعَاءِ، وَأَنَّهَا تَصْعَدُ وَيُوجَدُ مِنْهَا [مِنَ الْمُؤْمِنِ] كَأَطِيبِ رِيحٍ، وَمِنَ الْكَافِرِ كَأَنْتَنِ رِيحٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ السُّلَفُ، وَدَلَّ الْعَقْلُ، وَلَيْسَ مَعَ مَنْ خَالَفَ سَوَى الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ، وَالشُّبُهَةِ الْفَاسِدَةِ، الَّتِي لَا يَعَارِضُ بِهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْوَحْيِ وَالْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ.

وَأَمَّا اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي مُسَمًّى النَّفْسِ وَالرُّوحِ: هَلْ هُمَا مُتَغَايِرَانِ، أَوْ مَسْمَاهُمَا وَاحِدٌ<sup>(٢)</sup>؟ فَالْحَقِيقُ: أَنَّ النَّفْسَ تُطْلَقُ عَلَى أُمُورٍ، وَكَذَلِكَ الرُّوحُ، فَيَتَّحِدُ مَدْلُولُهُمَا تَارَةً، وَيَخْتَلِفُ تَارَةً.

فَالنَّفْسُ تُطْلَقُ عَلَى الرُّوحِ، وَلَكِنْ غَالِبُ مَا تُسَمَّى نَفْسًا إِذَا كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَأَمَّا إِذَا أَخَذَتْ مَجْرَدَةً، فَتَسَمَّى الرُّوحَ أَغْلَبَ عَلَيْهَا.

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ١٠٨/٤، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢٧١)، وَمَالِكُ ٢٤٠/١، وَاحِدٌ ٤٥٥/٣. وَأَمَّا ٤٥٦ وَ ٤٦٠ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ بَلَفَظَ: «إِنَّمَا تَسْمَعُ الْمُؤْمِنُ طَائِرٌ يَلْقَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٤٤٩)، وَاحِدٌ ٤٥٥/٣، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» ١٩/ (١١٩) وَ (١٢٠) وَ (١٢١) وَ (١٢٢) وَ (١٢٣)، وَالْحَمِيدِيُّ (٨٧٣)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ١٥٦/٩، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانٍ (٧٣٤).

وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٦٤١)، وَاحِدٌ ٣٨٦/٦، وَالطَّبْرَانِيُّ ١٩/ (١٢٥) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ الزَّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ بَلَفَظَ: «الشَّهَادَةُ...» وَنَسْنَدُهُ صَحِيحٌ؛ إِلَّا أَنَّ ابْنَ عُيَيْنَةَ تَفَرَّدَ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَالثَّقَاتُ مِنَ الرِّوَاةِ غَيْرُهُ رَوَوْهُ بَلَفَظَ: «الْمُسْلِمُ» أَوْ «الْمُؤْمِنُ».

(٢) انْظُرْ «الرُّوحُ» ص ٢٩٠.

وَتُطْلَقُ عَلَى الدَّمِ، فِي الْحَدِيثِ: «مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَا يُنْجَسُ الْمَاءُ إِذَا مَاتَ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفساً، أي: عين<sup>(٢)</sup>.

والنفس: الذات، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ونحو ذلك.

وأما الروح، فلا تُطْلَقُ عَلَى الْبَدَنِ، لَا بِانْفِرَادِهِ، وَلَا مَعَ النَّفْسِ، وَتُطْلَقُ الرُّوحُ عَلَى الْقُرْآنِ، وَعَلَى جِبْرِيلَ، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وَتُطْلَقُ الرُّوحُ عَلَى الْهَوَاءِ الْمَتَرَدِّدِ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ أَيْضاً.

وأما ما يؤيد الله به أوليائه، فهي رُوحٌ أخرى، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكذلك القُوى التي في الْبَدَنِ، فإنها تُسَمَّى أرواحاً، فيقال: الروح الباصِرُ، والرُّوحُ السامِعُ، والروح الشَّامُ.

وتُطْلَقُ الرُّوحُ عَلَى أَخْصَصٍ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَهُوَ: قُوَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ،

(١) أخرجه الدارقطني في «سننه» ٣٧/١، والبيهقي ٢/٢٥٣، وابن عدي في «الكامل» ١٢٤٢/٣ من حديث سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان، كُلْ طَعَامَ وَشَرَابَ وَقَعْتَ فِيهِ دَابَّةٌ لَهَا دَمٌ، فَمَاتَتْ فِيهِ، فَهُوَ حَلَالٌ أَكَلَهُ وَشَرَبَهُ وَوَضُوْءُهُ» وفي سنده سعيد بن أبي سعيد الزبيدي، وهو مجهول، وعلي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. وأورده السيوطي في «الجامع الكبير» ٢/٩٦٤ عن الدارقطني، والخطيب في «المتفق والمفترق».

(٢) هذا قول الجوهري في «الصحاح»، وتعقبه ابن القيم، فقال: ليس كما قال، بل النفس هاهنا: الروح، ونسبة الإضافة إلى العين توسع، لأنها تكون بواسطة النظر المصيب، والذي أصابه إنما هو نفس العائن.

والإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَمَحَبَّتُهُ، وَانْبِعَاثُ الْهَمَةِ إِلَى طَلْبِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَنَسَبَةُ هَذِهِ الرُّوحِ إِلَى الرُّوحِ، كَنَسَبَةِ الرُّوحِ إِلَى الْبَدَنِ، فَلِلْعِلْمِ رُوحٌ، وَلِلْإِحْسَانِ رُوحٌ، وَلِلْمَحَبَةِ رُوحٌ، وَلِلتَّوَكُّلِ رُوحٌ، وَلِلصِّدْقِ رُوحٌ<sup>(١)</sup>.

وَالنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي هَذِهِ الْأَرْوَاحِ<sup>(٢)</sup>: فَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَرْوَاحُ فَيَصِيرُ رُوحَانِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْقِدُهَا أَوْ أَكْثَرَهَا، فَيَصِيرُ أَرْضِيًّا بِهِيمِيًّا.

وَقَدْ وَقَعَ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ لَا بِنَ آدَمَ ثَلَاثَ<sup>(٣)</sup> أَنْفُسٍ<sup>(٤)</sup>: مُطْمَئِنَّةٌ، وَلَوَامَةٌ، وَأُمَّارَةٌ، قَالُوا: وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفرج: ٢٧]. ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأُمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

وَالْتَحَقِيقُ: أَنَّهَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ، لَهَا صِفَاتٌ، فِيهَا أُمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، فَإِذَا عَارَضَهَا الْإِيمَانُ، صَارَتْ لَوَامَةً، تَفْعَلُ الذَّنْبَ، ثُمَّ تَلُومُ صَاحِبَهَا، وَتَلُومُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالتَّرِكِ، فَإِذَا قَوِيَ الْإِيمَانُ، صَارَتْ مُطْمَئِنَّةً، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»<sup>(٥)</sup>. مَعَ قَوْلِهِ:

النفس واحدة ولها صفات

(١) فِي (ب): فَالْعِلْمُ رُوحٌ، وَالْإِحْسَانُ رُوحٌ، وَالْمَحَبَّةُ رُوحٌ، وَالتَّوَكُّلُ رُوحٌ، وَالصِّدْقُ رُوحٌ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: الرُّوحُ، وَالْمَثْبُتُ مِنَ «الرُّوحِ» ص ٢٩٤.

(٣) فِي الْأَصُولِ: ثَلَاثَةٌ، وَالْمَثْبُتُ مِنَ «الرُّوحِ»، وَهُوَ الْجَادَةُ.

(٤) انْظُرْ «الرُّوحُ» ص ٢٩٤ - ٣٠٥.

(٥) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢١٦٥)، وَاحِدٌ ١/١٨، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكِبَرِيِّ» كَمَا فِي «التَّحْفَةِ» ٦٢/٨، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّهَابِ» (٤٠٣) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَمْرِو، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ١/١١٤، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَأَخْرَجَهُ أَحَدُ ١/٢٦، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٣٦٣)، وَالطَّيَالِسِيُّ ص ٧، وَأَبُو يَعْلَى (١٤١) وَ(١٤٢) =

وَلَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ<sup>(١)</sup>... الحديث.

الاختلاف في موت  
الروح

واختلف الناس: هل تَمُوتُ الروحُ أم لا<sup>(٢)</sup>؟ فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكلُّ نفس ذائِقَةُ الموتِ، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]. قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لَا تَمُوتُ الأرواحُ، فإنها خُلِقَتْ للبقاء، وإنما تَمُوتُ الأبدانُ، قالوا: وقد ذُلَّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بَعْدَ المَفَارِقَةِ إلى أن يَرْجِعَهَا الله في أجسادها.

والصوابُ أن يَقَالَ: مَوْتُ النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها؛ فإن أُريدَ بموتها هَذَا الْقَدْرُ، فهي ذائِقَةُ الموتِ، وإن أُريدَ أنها

= و (١٤٣) من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر. وصححه ابن حبان (٢٢٨٢)، ورواه عبد الرزاق (٢٠٧١٠)، وأبو يعلى (٢٠١)، والقضاعي (٤٠٤) من طريق عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن الزبير، عن عمر. ورواه الحميدي (٣٢) من طريق ابن سليمان بن يسار، عن أبيه، عن عمر.

وفي الباب عن أبي أمامة عند أحمد ٢٥١/٥ و ٢٥٢ و ٢٥٦، وعبد الرزاق (٢٠١٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٣٩) و (٧٥٤٠)، والقضاعي (٤٠٠) و (٤٠١) و (٤٠٢)، وصححه ابن حبان (١٧٦)، والحاكم ١٤/١، وواقعه الذهبي. وعن أبي موسى عند أحمد ٣٩٨/٤، والبخاري (٧٩)، والحاكم ٥٤/١ ورجال رجال الصحيح، ما خلا المطلب بن عبد الله راويه عن أبي موسى، فإنه ثقة، ولكنه مدلس، ولم يسمع من أبي موسى، فهو منقطع، كما قال الهيثمي في «المجمع» ٨٦/١، لكنه يتقوى بحديث عمرو أبي أمامة.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٤٠ تعليق (١).

(٢) انظر «الروح» ص ٤٩ - ٥٤.

تُعَذِّمُ وتُغْنِي بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك المَوْتَةُ هي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿رَبُّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] - فالمراد: أنهم كانوا أمواتاً وهم نُطِفَ في أصلاب<sup>(١)</sup> آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث مَوْتَاتٍ.

وَصَعَقُ الأرواح عند النفخ في الصور لا يَلْزَمُ منه مَوْتُهَا، فإنَّ الناس يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت. وسيأتي ذكر ذلك، إن شاء الله تعالى. وكذلك صَعَقُ موسى عليه السلام لم يكن موتاً<sup>(٢)</sup>، والذي يَدُلُّ عليه أن نفخة الصعق

(١) في (ب): صلب.

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٤٠٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «... لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يُفَيَّقُ، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صَعَقَ فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله» قال الحافظ في «الفتح» ٤٤٤/٦: في رواية إبراهيم بن سعد: «فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يُفَيَّقُ، لم يبين في رواية الزهري من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين، ووقع في رواية عبدالله بن الفضل: «فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث»، وفي رواية الكشميهني: «أول من يبعث»، والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه، وهذه =

— والله أعلم — موت كُلِّ من لم يَذُقِ المَوْتَ قبلها من الخلائق، وأما مَنْ ذاق الموت، أولم يُكْتَبْ عليه المَوْتُ مِنَ الحُورِ والولدان وغيرهم، فلا تدل الآية على أنه يموت مَوْتَةً ثَانِيَةً، والله أعلم.

قوله: «وَيُعَذِّبُ الْقَبْرَ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا»<sup>(١)</sup>، وسؤال مُتَكَرِّرٌ وَتَكَرَّرَ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ.

ش: قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ \* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٢)</sup> [غافر: ٤٥ — ٤٦].

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ \* يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ \* وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا

= الرواية ظاهرة في الإفاقة بعد النفخة الثانية، وأصرح من ذلك رواية الشعبي، عن أبي هريرة في تفسير الزمر (٤٨١٣) بلفظ: «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة، وأما ما وقع في حديث أبي سعيد: «فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض» فكذا وقع بهذا اللفظ في أول الخصومات (٢٤١٢)، ووقع في غيرها (٣٣٩٨) و(٤٦٣٨) و(٦٩١٧): «فأكون أول من يُغَيَّقُ» وقد استشكل، وجزم المزي فيما نقله عنه ابن القيم في كتاب «الروح» ص ٥٢ — ٥٣ أن هذا وهم من روايه، وأن الصواب ما وقع في رواية غيره: «فأكون أول من يُغَيَّقُ»، وأن كونه أول من تنشق عنه الأرض صحيح، لكنه في حديث آخر ليس فيه قصة موسى.

(١) في (ب): أهلاً له.

(٢) انظر «تأويل مشكل القرآن» ص ٨٣، والطبري ٤٢/٢٤، و«زاد المسير» ٢٢٦/٧ — ٢٢٩، و«تفسير ابن كثير» ١٣٦/٧ — ١٣٧ طبعة الشعب، و«فتح الباري» ٢٣٦/٣.



دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الطور: ٤٥ - ٤٧]﴾. وهذا يَحْتَمِلُ  
أَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ فِي  
الْبَرْزَخِ، وَهُوَ أَظْهَرُ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَاتَ وَلَمْ يَعَذَّبْ فِي الدُّنْيَا، أَوِ الْمَرَادُ  
أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بَقِيعِ  
الْعَرَقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ،  
وَهُوَ يَلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ  
قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ  
الدُّنْيَا، نَزَلَتْ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> الْمَلَائِكَةُ، كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ  
مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ  
يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ،  
اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ  
الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةً  
عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَتَخْرُجُ  
مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ  
بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا - يَعْنِي عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ  
الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ  
بِهَا <sup>(٢)</sup> فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ،  
فَيُسَبِّحُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا، إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا  
إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ <sup>(٣)</sup> فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي

(١) فِي الْأَصُولِ: إِلَيْهِمْ، وَالثَّبْتُ مِنْ «الْمُسْنَدِ» وَغَيْرِهِ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: بِهِ، وَالثَّبْتُ مِنْ «الْمُسْنَدِ».

(٣) فِي الْأَصُولِ: إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ وَالثَّبْتُ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي خَرَجَتْ الْحَدِيثُ.

عَلَيْنَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مَخْلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عَلِمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفَسِّحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّةَ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ<sup>(١)</sup>، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّةَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَتَيْتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَتَزَعُّهَا كَمَا يُتَزَعُّ السُّفُودُ<sup>(٢)</sup> مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي بَلِّكِ الْمُسُوحِ، وَيَخْرِجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ خَبِيثَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا:

(١) الْمُسُوحُ جَمْعُ مِسْحٍ: الْكُتَابُ مِنَ الشَّعْرِ.

(٢) السُّفُودُ: حَدِيدَةٌ ذَاتُ شَعْبٍ مُعَقَّفَةٍ، يُشَوَّى بِهَا اللَّحْمُ، وَالْجَمْعُ سَفَافِيدُ.

ما هذا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمٍ﴾<sup>(١)</sup> الْخِيَاطُ ﴿[الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

٢٤١ فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُبْعَثُ فِيكُمْ، فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرُشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا

(١) سَمُ الْخِيَاطِ: ثَقْبُ الْإِبْرَةِ. قَالَ الطَّبْرِيُّ ٤٢٧/١٢: وَكُلُّ ثَقْبٍ فِي عَيْنٍ أَوْ أَنْفٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنْ الْعَرَبُ تَسْمِيهِ «سَمًا»، وَتَجْمَعُهُ «سُمُومًا»، وَ«السُّمَامُ» فِي جَمْعِ السُّمِّ الْقَاتِلِ أَشْهُرُ وَأَفْصَحُ مِنَ السُّمُومِ، وَهُوَ فِي جَمْعِ السُّمِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الثَّقْبِ أَفْصَحُ، وَكِلَاهُمَا فِي الْعَرَبِ مُسْتَفِضٌ، وَقَدْ يُقَالُ لِوَاحِدِ السُّمُومِ الَّذِي هُوَ الثَّقُوبُ: «سَمٌ» وَ«سُمٌ» بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا. وَمِنَ السُّمِّ الَّذِي بِمَعْنَى الثَّقْبِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

فَتَفْتَسُ عَنْ سَمِيهِ حَتَّى تَنْفَسَا وَقُلْتُ لَهُ لَا تَخْشَ شَيْئًا وَرَأَيْتَا

يَعْنِي بِسَمِيهِ: ثَقْبِي أَنْفِهِ. وَأَمَّا «الْخِيَاطُ» فَإِنَّهُ «الْخِيْطُ» وَهِيَ الْإِبْرَةُ، قِيلَ لَهَا: خِيَاطٌ وَخِيْطٌ، كَمَا قِيلَ: قِنَاعٌ وَمِقْنَعٌ، وَلِأَزَارٍ وَمِئْزَرٌ، وَقِرَامٌ وَمِقْرَمٌ، وَلِحَافٌ وَمِلْحَفٌ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: لَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِ اللَّهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا الْجَنَّةَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدًا، كَمَا لَا يَلِجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ أَبَدًا.

يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبُّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ<sup>(١)</sup>.

رواه الإمام أحمد وأبوداود، وروى النسائي، وابن ماجه أوله، ورواه الحاكم، وأبو عَوَانَةَ الإسفرائيني في «صحيحهما»، وابن حبان.

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري رَجَمَهُ اللهُ، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقْعِدَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، مُحَمَّدٌ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، فَيَقُولُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَ ذَلِكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: وَرُويَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وذكر الحديث.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد ٢٨٧/٤ و ٢٩٥ - ٢٩٦، وأبوداود (٤٧٥٣)، والطبري (٧٥٣)، والأجري في «الشرعة» ص ٣٦٧ - ٣٧٠، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٠)، وابن أبي شيبة ٣٨٠/٣ - ٣٨٢، وعبد الرزاق (٦٧٣٧)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٤)، وأحد في «السنة» رقم (١٣٦٥) و (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «الخليّة» ٥٦/٩، والطبري (١٤٦١٤)، وصححه الحاكم ٣٧/١ - ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨) و (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، والنسائي ٨٧/٤ - ٩٨، وأحد ١٢٦/٣، وأبوداود (٤٧٥١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٣) و (١٥) و (١٦)، وابن أبي عاصم (٨٦٣)، والأجري ص ٣٦٥، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٦)، والبخوي في «شرح السنة» (١٥٢٢) وسعيد: هو ابن أبي عروبة.

أَحَدُهُمَا، فَكَانَ لَا يَسْتَبِرُّ<sup>(١)</sup> مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ، فَكَانَ يَمْشِي  
بِالنَّمِيمَةِ، فَذَعَا بِجَرِيدَةِ رَطْبَةٍ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا  
مَا لَمْ يَنْتَسَا<sup>(٢)</sup>.

وفي «صحيح أبي حاتم» عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ:  
«إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ<sup>(٣)</sup>، أَوِ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا:  
الْمُنْكَرُ، وَاللَّآخِرُ: النُّكَيْرُ» وذكر الحديث<sup>(٤)</sup>. . . الخ.

(١) قال الحفاظ في «الفتح» ٣١٨/١: كذا في أكثر الروايات، بمثنيتين من فوق: الأولى  
مفتوحة، والثانية مكسورة، وفي رواية ابن عساكر: «يستبرئ» بموحدة ساكنة من  
الاستبراء، ولمسلم وأبي داود في حديث الأعمش: «يستتره» بنون ساكنة بعدها زاي ثم  
هاء، فعل رواية الأكثر معنى الاستتار: أنه لا يجعل بينه وبين بوله مسترة، يعني:  
لا يتحفظ منه، فتوافق رواية «لا يستتره» لأنها من التتره، وهو الإبعاد، وقد وقع عند  
أبي نعيم في «المستخرج» من طريق وكيع عن الأعمش: «كان لا يتوقى»، وهي مفسرة  
للمراد.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٦) و(٢١٨) و(١٣٦١) و(١٣٧٨) و(٦٠٥٢) و(٦٠٥٥)،  
ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، وابن ماجه (٣٤٧)، والنسائي  
٢٨/١ - ٣٠ و١٠٦/٤، وأحمد ٢٢٥/١، وابن أبي شيبة ١٢٢/١، والبيهقي في  
«السنن» ١٠٤/١، وفي «إثبات عذاب القبر» له (١١٧) و(١١٨) و(١١٩)، والبخاري  
(١٨٣)، والأجري في «الشرعة» ص ٣٦١ و٣٦٢، والطبرسي (٢٦٤٦)، وابن منده  
في الإيمان (١٠٧١)، والدارمي ١٨٨/١، ووكيع في «الزهد» (٤٤٤).

(٣) في الأصول: أحدهم، والمثبت من ابن حبان.

(٤) هو في «صحيح ابن حبان» (٧٨٠)، ولفظه بتمامه: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوِ الْإِنْسَانُ - أَنَّهُ  
مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَاللَّآخِرُ: النُّكَيْرُ، فيقولان له: ما كنت  
تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمناً قال: هو عبد الله  
ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.  
فيقولان له: إن كنا لنعلم أنك لتقول ذلك. ثم يُفَسَّحُ له في قبره سبعون ذراعاً في  
سبعين ذراعاً، ويُتَوَرَّأُ له فيه، فيقال له: نم، فينام كنوم العروس الذي لا يوقظه  
إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، فإن كان منافقاً قال: لا أدري، =

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا.

٢٤٢

تعلقات الروح  
بالبدن

فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، ستغاية الأحكام<sup>(١)</sup>:  
أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة

من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقت، وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد

= كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت أقوله، فيقولان له: إن كنا نعلم أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض النبي عليه، فتلتزم عليه حتى تختلف أضلاعه، فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك.

وأخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في «السنن» (٨٦٤)، والأجري في «الشرعية» ص ٣٦٥، والبيهقي في «إنبات عذاب القبر» (٨٩) كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق العامري المدني، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة... وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وهو كما قال، بل أعلى؛ فإن رجال إسناده على شرط مسلم.

(١) انظر «الروح» ص ٦٢ - ٨١.

رَدُّهَا إِلَيْهِ وَقَتَ سَلَامِ الْمُسْلِمِ<sup>(١)</sup>، وَوَرَدَ أَنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُؤَلُّونَ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا الرَّدُّ إِعَادَةٌ خَاصَّةٌ لَا يُوجِبُ حَيَاةَ الْبَدَنِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الخامس: تَعَلُّقُهَا بِهِ يَوْمَ بَعَثِ الْأَجْسَادَ، وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعٍ تَعَلُّقُهَا بِالْبَدَنِ، وَلَا نِسْبَةَ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَلُّقِ إِلَيْهِ، إِذْ هُوَ تَعَلُّقٌ لَا يَقْبَلُ الْبَدَنُ مَعَهُ مَوْتًا وَلَا نَوْمًا وَلَا فُسَادًا، فَالنَّوْمُ<sup>(٣)</sup> أَخُو الْمَوْتِ، فَتَأْمَلْ هَذَا، يُزِيحُ عَنْكَ إِشْكَالَاتٍ كَثِيرَةً.

وليس السؤال في القبر للروح وَحْدَهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَفْسَدَ مِنْهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لِلْبَدَنِ بَلَا رُوحٍ! وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَرُدُّ الْقَوْلَيْنِ.

السؤال في القبر  
للروح والجسم

وَكَذَلِكَ عَذَابُ الْقَبْرِ يَكُونُ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنْعَمُ النَّفْسُ، وَتُعَذَّبُ مَفْرَدَةً عَنِ الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَةً بِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ الْبَرْزَخِ<sup>(٤)</sup>، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعَذَابِ نَالَهُ نَصِيبُهُ مِنْهُ، قَبِرَ أَوْ لَمْ يُقْبَرِ، أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ

(١) أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (٢٠٤١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَخْرٍ حَمِيدِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ يَزِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَسِيطٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَدٌ يَسْلُمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ». وَصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» وَ«الْأَذْكَارِ»، وَقَالَ الْحَافِظُ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ عِلَّانِ ٣/٣١٦: إِنَّهُ حَدِيثٌ غَرِيبٌ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَرَجَّاهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَبَا صَخْرٍ فَأَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ وَحْدَهُ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ ابْنِ مَعِينٍ، ثُمَّ فِي ابْنِ قَسِيطٍ مَقَالَ، تَوَقَّفَ فِيهِ مَالِكٌ، فَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ رِوَايَتِهِ خَارِجَ الْمَوْطَأِ: وَوَصَلَهُ لَيْسَ بِذَلِكَ، وَانْفَرَادَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَمْنَعُ مِنَ الْجَزْمِ بِصَحَّتِهِ.

(٢) وَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٣٨) وَ (١٣٤٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٧٠).

(٣) فِي (ب): وَالنَّوْمِ.

(٤) انْظُرْ «الروح» ص ٨١ - ٨٨.

أو احترق حتى صار رماداً، ونُسِفَ في الهواء، أو صُلِبَ أو غَرِقَ في البحر وصل إلى روحه وبدنه مِن العذاب ما يَصِلُ إلى المقبور.

وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يُفْهَمَ عن الرسول ﷺ مراده من غير<sup>(١)</sup> غلو ولا تقصير، فلا يُحْمَلُ كلامه ما لا يَحْتَمِلُهُ، ولا يُقَصَّرُ به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حَصَلَ بإهمال ذلك والعدول عنه مِن الضلال، والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصلُ كُلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصلُ كُلِّ خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أُضيفَ إليه سوء القصد. والله المستعان.

الدور ثلاثة ولكل  
دار أحكام

فالحاصل أن الدور ثلاثة<sup>(٢)</sup>: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصّها، ورَكَّبَ هذا الإنسان مِن بَدَنِ وَنَفْسٍ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً. فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضةً من رياض الجنة، أو حفرةً من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مَرِيَّةَ فيه، وبذلك يَتَمَيَّزُ المؤمنون بالغيب عن غيرهم.

٢٤٣

ويجب أن يُعْلَمَ<sup>(٣)</sup> أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والججارة

(١) سقطت من (ب).

(٢) انظر «الروح» ص ٨٨ - ٩٠.

(٣) انظر «الروح» ص ٩٢ - ٩٣.



التي فَوْقَهُ وتحتة حتى يَكُونُ أعظمَ خَرًّا<sup>(١)</sup> من جمر الدنيا، ولو منسها أهل الدنيا لم يُجسّوا بها. بل أعجب من هذا أن الرجلين يُدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حُفْرَةٍ من حُفَرِ النار. وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حرّ ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مَوْلَعَةٌ بالكذب بما لم تُحيط به علماً، وقد أَرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يُطْلِعَ على ذلك بَعْضَ عبادَه أطلعه، وَغَيَّبَ عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كُلَّهُمْ، لَزَالَتْ حِكْمَةُ التَّكْلِيفِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، ولما تَدَاقَرَ النَّاسُ، كما في «الصحيح» عنه ﷺ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَاقَنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعُ»<sup>(٢)</sup>. ولما كانت هذه الحِكْمَةُ مُتَّفِقَةً فِي حَقِّ الْبَهَائِمِ سمعت [ذلك]<sup>(٣)</sup> وأدركته.

وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاصٌّ بهذه الأمة أم لا<sup>(٤)</sup>؟ سؤال منكر ونكير ثلاثة أقوال: الثالث: التوقف، وهو قول جماعة، منهم أبو عمر بن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ، أنه قال: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا»<sup>(٥)</sup> منهم من يرويه: «تُسأل»، وعلى هذا

(١) سقطت من (ب).

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، وأحد ١٩٠/٥، وابن منده (١٠٦٥)، والبيهقي في «عذاب القبر» (٨٩) من حديث زيد بن ثابت، وفي الباب عن أس بن مالك عند مسلم (٢٨٦٨)، وأحد ١٧٥/٣ و ١١٤ و ١٥٣ و ١٧٥ و ٢٠١ و ٢٧٣ و ٢٨٤، والنسائي ١٠٢/٤.

(٣) لم ترد في الأصول، استدركت من «الروح» ص: ٩٣، وفي (ب): سمعته وأدركته.

(٤) انظر «الروح» ص ١١٩ - ١٢١.

(٥) هو قطعة من الحديث المتقدم.

اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خُصَّت بذلك، وهذا أمر لا يُقْطَع عليه، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.  
وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً<sup>(١)</sup>.

عذاب القبر  
نوعان:

وهل يَدُومُ عذاب القبر أو ينقطع<sup>(٢)</sup>؟ جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وكذا في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَنْظَرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِيهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(٣)</sup>، رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

والنوع الثاني: أنه مدة، ثم يَنْقَطِعُ، وهو عَذَابٌ بَعْضُ الْعُصَاةِ الَّذِينَ خَفَّتْ جَرَائِمُهُمْ، فَيُعَذَّبُ بِحَسَبِ جُرْمِهِ، ثم يُخَفَّفُ عَنْهُ، كما تقدم ذَكَرَهُ فِي الْمَمَحُّصَاتِ الْعَشْرِ<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف في مستقر الأرواح<sup>(٥)</sup> ما بين الموت إلى قيام الساعة:

الاختلاف في  
مستقر الأرواح  
بعد الموت

فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.

وقيل: إن أرواح المؤمنين يَفْنَاءُ الجنة على بابها، يأتيهم من رَوْحِهَا ونعيمها وِرْدُهَا.

وقيل: على أفنية قبورهم.

وقال مالك: بلغني أن الروحَ مرسلةٌ، تَذْهَبُ حيث شاءت.

(١) انظر في كتاب «الروح» ص ١٢١ - ١٢٣.

(٢) انظر «الروح» ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٣) أخرجه أحمد ٢٩٥/٤ - ٢٩٦ وغيره، وهو صحيح، وقد تقدم ص ٥٧٣.

(٤) في (ب): «العشرة»، وكلاهما جائز لتقدم المعداد على العدد.

(٥) انظر «الروح» ص ١٢٥ - ١٢٩.

وقالت طائفة: بل أرواحُ المؤمنين عندَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، ولم يزدوا ٢٤٤  
على ذلك.

وقيل: إن أرواحَ المؤمنين بالجانية من دمشق، وأرواحَ الكافرين  
ببرهوت بئرٍ بحضرموت!

وقال كعب<sup>(١)</sup>: أرواحُ المؤمنين في عليين في السماء السابعة،  
وأرواحُ الكفار في سبعين في الأرض السابعة تحت خدَّ إبليس!

وقيل: أرواحُ المؤمنين ببئر زمزم، وأرواحُ الكافرين ببئر برهوت.

وقيل: أرواحُ المؤمنين عن يمين آدم، وأرواحُ الكفار عن شماله.

وقال ابنُ حزم<sup>(٢)</sup> وغيره: مستقرُّها حيث كانت قبلَ خلقِ أجسادها.

---

(١) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، العلامة الحبر الذي كان يهودياً، فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم بالأوابد والغرائب والعجائب، مما كان، وما لم يكن، وما حُرف وبدل ونسخ، وأخطأ من زعم أنه خرج له البخاري ومسلم، فإنها لم يسندا من طريقه شيئاً من الحديث، وإنما جرى ذكره في «الصحيحين» عرضاً، وليس يؤثر عن أحد من المتقدمين توثيقه، إلا أن بعض الصحابة أثنى عليه بالعلم، وأخرج البخاري في «صحيحه» في الاعتصام: باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» من طريق حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة لما حُجَّ في خلافته، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا لنبلو مع ذلك عليه الكذب. وثبت عن عمر رضي الله عنه فيما أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» ٥٤٤/١ أنه كان يقول له: لتتركُن الأحاديث أو لألقنك بارض القردة. على أنه ليس كل مانسب إليه في الكتب بثابت عنه، فإن الكذبة من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يقلها. مترجم في «السير» ٤٨٩/٣ - ٤٩٤.

(٢) هو الإمام البحر ذو الفنون والمعارف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي اليزيدي الظاهري، صاحب كتاب «المحل» و«الإحكام» وغيرهما، توفي سنة (٤٥٦هـ) مترجم في «السير» ١٨/٩٩.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عائنة المؤمنين على أفنية قبورهم.

وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس غرض من أغراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب<sup>(١)</sup> أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم، ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها<sup>(٢)</sup>.

وتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم  
تفاوت منازل الأرواح في البرزخ تفاوت.

فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملاء الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم.

(١) في (ب): «تناسبها».

(٢) قال ابن القيم في «الروح» ص ١٢٩ بعد ما ذكر هذه الأقوال: فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تظفر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا البتة، ونحن نذكر مأخذ هذه الأقوال، وما لكل قول وما عليه، وما هو الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي من الله بها وهو مرجو الإعانة والتوفيق. وقد استوعبت الإجابة ثلاثين صفحة من ١٢٩ إلى ١٥٩ فراجع.

ومنها أرواحٌ في حواصل طيرٍ خضرٍ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءت، وهي أرواحُ بعض الشهداء، لا كُلُّهم، بل مِنْ الشهداء من تُحَبِّسُ رُوحُهُ عن دخول الجنة لِذَيْنِ عليه، كما في «المسند» عن محمد بن عبدالله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ: «إِلَّا الدِّينَ، سَأَرِنِي بِهِ جَبْرِيلُ أَنْفَاءً»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ الْأَرْوَاحِ مَنْ يَكُونُ مَحْبُوساً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، كما في الحديث الذي<sup>(٢)</sup> قال فيه رسولُ الله ﷺ: «رَأَيْتُ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوساً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد ٣٥٠/٤، والنسائي ٣١٤/٧ - ٣١٥، والطبراني في «الكبير» ١٩/٥٥٦) و (٥٥٧) و (٥٥٨) و (٥٥٩) و (٥٦٠) من طرق عن أبي كثير مولى محمد بن عبدالله بن جحش، عن محمد بن عبدالله، وأبو كثير روى عنه جمع، ويقال: له صحة، وثقة الحافظ في «التقريب» فالحديث صحيح. ومحمد بن عبدالله: عده في الصحابة، هو ابن أخي زينب بنت جحش أم المؤمنين، ولأمه فاطمة بنت أبي حيش صحة، وهي التي سألت رسول الله ﷺ عن الاستحاضة. ورواه أحمد في «المسند» ١٣٩/٤ و ٣٥٠ من طريق محمد بن عمرو، عن أبي كثير، عن محمد بن عبدالله بن جحش، عن أبيه عبدالله بن جحش.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) أخرجه أحمد ١٣٦/٤ و ٧/٥، وابن ماجه (٢٤٣٣)، وابن سعد ٥٧/٧، وأبو يعلى (١٥١٠)، والطبراني (٥٤٦٦)، والبيهقي ١٤٢/١٠ من طرق عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك أبي جعفر، عن أبي نفرة، عن سعد بن الأطول أن أخاه مات وترك ثلاث مئة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي النبي ﷺ: «إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدِينِهِ، فَادْهَبْ، فَاقْضِ دِينَهُ، فَذَهَبَتْ فَقَضَيْتَ عَنْهُ، ثُمَّ جِئْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَضَيْتَ عَنْهُ إِلَّا دَيْنَارَيْنِ أَذْعَتَهَا امْرَأَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا بَيْنَةٌ، قَالَ: «أَعْطَاهَا، فَإِنَّهَا مُحَقَّةٌ»، وفي رواية: «فإنها صادقة». وعبد الملك أبو جعفر ذكره ابن حبان في «الثقات»، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين، وصحح إسناده البوصيري في «الزوائد» ورقة ١٥٦، وأخرجه البيهقي ١٤٢/١٠ من طريق =

ومنهم من يَكُونُ محبوساً في قبره، ومنهم مَنْ يكون محبوساً في الأرض، ومنها أرواحٌ تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواحٌ في نهر الدم تَسْبِخُ فيه، وتُلَقَّمُ الحِجَارَةَ، كل ذلك تَشْهَدُ له السُّنَّةُ<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

وأما الحَيَاةُ التي اختَصَّ بها الشَّهيدُ، وامتازَ بها عن غيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] - [فهي]: أن الله تعالى جَعَلَ أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ - يعني يومُ أُحُدٍ - جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ دَهَبٍ مَذْلَلَةٍ<sup>(٢)</sup> فِي ظِلِّ الْعَرْشِ» الحديث، رواه الإمام أحمد وأبو داود<sup>(٣)</sup>، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم.

= عبد الواحد بن غياث، وأبو يعلى (١٥١٣) من طريق عباد بن موسى القرشي، كلاهما عن حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، مثله، إلا أنه لم يُسَمَّ ما ترك، وهذا إسناد صحيح، فإن حماد بن سلمة روى عن سعيد الجريري قبل الاختلاط.

(١) انظر حديث سمرة الطويل في البخاري (٧٠٤٧).

(٢) أي: مُدَلَّلَة، وفي الحديث: «كم من عَذَقٍ مَذْلَلٍ لأبي الدحداح» ودُلِّلَ الكرم: دليت عناقيد، قال أبو حنيفة الدينوري: التذليل: تسوية عناقيد الكرم وتذليلها. وفي وسنن أبي داود، والمستدرک: علق.

(٣) وقامه: فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشرهم ومقبلهم، قالوا: من يبلِّغ إخواننا عنا أننا أحياء نرزق لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا يتركوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾. أخرجه أحمد ٢٦٦/١، وابن أبي شيبة ٢٩٤/٥ - ٢٩٥، وهاشمي في =

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلّفها أعداؤه فيه،  
أعضاهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة،  
ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد  
في جوف طير. وتأمل لفظ الحديثين، ففي «الموطأ» أن كعب بن مالك  
كان يحدث أن رسول الله ﷺ، قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في  
شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»<sup>(١)</sup>.

فقله: «نسمة المؤمن» تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن  
قال: «هي في جوف طير خضر»، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير،  
صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار،

= «الزهد» (١٥٥)، والطبري (٨٢٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن  
إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس. وأخرجه أبو داود  
(٢٥٢٠)، والحاكم ٢/٨٨ و٢٩٧، والأجري ص ٣٩٢، والبيهقي في «الدلائل» ٣/٣٠٤، وفي  
«إثبات عذاب القبر» (١٤٥)، من طريق ابن إسحاق، وزادوا في الإسناد «سعيد بن  
جبير» بين أبي الزبير وابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في  
تفسيره ٢/٢٩٠ - ٢٩١ بعد أن ذكر هذا السند الذي فيه الزيادة: وهذا أثبت، وكذا  
رواه سفيان الثوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وأورده  
السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٩٥، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.  
وأخرجه من حديث ابن مسعود مسلم (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١٤)،  
وابن ماجه (٢٨٠١)، والدارمي ٢/٢٠٦، والطبري (٨٢٠٦) و(٨٢٠٧) و(٨٢٠٨)،  
وعبد الرزاق في «المصنف» (٩٥٥٤)، والحميدي (١٢٠)، وابن أبي شيبة ٥/٣٠٨ -  
٣٠٩، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٥٩)، وهناد (١٥٤)، والطبراني في «الكبير»  
(٩٠٢٤)، والبيهقي في «السنن» ٩/١٦٣، وفي «الدلائل» ٣/٣٠٣، وذكره السيوطي  
في «الدر المنثور» ٢/٩٦، وزاد نسبه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن  
أبي حاتم.

(١) تقدم تخريجه ص ٥٦٧ تعليق (١).

فَنَصِيبُهُمْ مِنَ النِّعَمِ فِي الْبَرَزِخِ أَكْمَلُ مِنْ نَصِيبِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ عَلَى فُرْشِهِمْ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ عَلَى فَرَّاشِهِ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ<sup>(١)</sup>، فَلَهُ نَعِيمٌ يَخْتَصُّ بِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا رُوِيَ فِي «السَّنَنِ»<sup>(٢)</sup>، وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ، فَقَدْ شُوهِدَ مِنْهُمْ بَعْدَ مُدَدٍ مِنْ دَفْنِهِ كَمَا هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ<sup>(٣)</sup>، فَيَحْتَمِلُ بَقَاؤُهُ كَذَلِكَ<sup>(٤)</sup> فِي تَرْبَتِهِ إِلَى يَوْمِ مُحْشَرِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَبْلَى مَعَ طُولِ الْمَدَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَكَأَنَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - كَلِمَا كَانَتِ الشَّهَادَةُ أَكْمَلَ، وَالشَّهِيدُ أَفْضَلَ، كَانَ بَقَاءُ جَسَدِهِ أَطْوَلَ.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَرَضِ

(١) النصر في «الروح» للعلامة ابن القيم ص ١٣٦ بإسقاط: «من كثير».

(٢) أخرجه أحمد ٨/٤، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي ٩١/٣، ٩٢، وابن ماجه (١٠٨٥) و(١٦٣٦) من حديث أوس بن أوس. وإسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٥٥٠)، والحاكم ٢/٢٨٧، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري، والحافظ ابن حجر، وصححه النووي في «الأذكار»، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند ابن ماجه (١٦٣٧)، وآخر من حديث أبي أمامة عند البيهقي.

(٣) أخرج الإمام مالك في «الموطأ» ٢/٤٧٠ في الجهاد: باب الدفن في قبر واحد من ضرورة. من طريق عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بَلَغَهُ أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حَفَرَ السِّلَّ قَبْرَهُمَا، وَكَانَ قَبْرُهُمَا مِمَّا يَلِي السِّلَّ، وَكَانَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، وَهُمَا مِمَّنْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَحَفَرَ عَنْهُمَا لِيُغَيَّرَا مِنْ مَكَانِهِمَا، فَوَجَدَا لَمْ يَتَغَيَّرَا، كَأَنَّهُمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جُرِحَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جُرْحِهِ، فَذَفِنَ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَأَمِطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ، فَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ، وَكَانَ بَيْنَ أُحُدٍ وَيَوْمِ حَفْرِ عَنْهُمَا سِتُّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. وَرَجَالَهُ ثِقَاتٌ، لَكِنَّهُ مَرْسَلٌ. وَلَا بِنَ سَعْدٍ ٣/٥٦٢ - ٥٦٣ من طريق الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، عن الزهري، عن جابر بأطول مما رواه مالك، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» ٣/١٧٣، وانظر «البخاري» (١٣٥١).

(٤) في (ب): «وكذلك». وهو خطأ.



وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ.

ش: الإيمان بالمعاد مما دُلَّ عليه الكتابُ والسُّنة، والعقلُ والفطرةُ الإيمانُ بالبعث والجزاء السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، وردَّ على منكره في غالب سور القرآن.

وذلك: أن الأنبياء عليهم السَّلام كُلُّهُمْ متفقون على الإيمان بالآخرة؟، فإنَّ الإقرارَ بالربِّ عامٌّ في بني آدم، وهو فطريٌّ، كُلُّهُمْ يُقَرُّ<sup>(١)</sup> بالربِّ، إلا مَنْ عاند، كفرَّعونَ، بخلافِ الإيمانِ باليومِ الآخرِ، فإنَّ مُنكره كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتَمَ الأنبياء، وكان قد بُعِثَ هو ٢٤٦ والساعة كهاتين<sup>(٢)</sup>، وكان هو الحاشِرُ المقفِي<sup>(٣)</sup>، بَيَّنَّ تَفْصِيلَ الآخرة بياناً لا يُوجَدُ في شيءٍ من كُتُبِ الأنبياء. ولهذا ظَنُّ طائفةٍ من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يُفْصَحْ بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذا حجةً

(١) في (ب): مقرر.

(٢) كما جاء في حديث سهل بن سعد الذي أخرجه البخاري (٤٩٣٦) و(٥٣٠١) و(٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥). وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري (٦٥٠٥). وأخرجه من حديث أنس بن مالك البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، والترمذي (٢٢١٤). وأخرجه من حديث جابر مسلم (٨٦٧)، والنسائي ١٨٨/٣ و ١٨٩. وأخرجه من حديث المستورد بن شداد الترمذي (٢٢١٣).

(٣) أخرج البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، والترمذي في «الشمائل» (٣٥٩)، و«الجامع» (٢٥٤٢) من حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشِر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». والعاقب: الذي ليس بعده نبي، وورد اسم: «المقفي» عند الترمذي في الشمائل (٣٦٠) من حديث حذيفة بن اليمان. قال ابن الأعرابي: المقفي: المتبع للنيين، وقال شمر: المقفي والعاقب: واحد، وهو الموقى الذاهب، يقال: قفى عليه: إذا ذهب، فكان المعنى أنه آخر الأنبياء، فإذا قفى، فلا نبي بعده.

لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري<sup>(١)</sup>.

والقرآن بين معاذ النفس عند الموت، ومَعَاذَ الْبَدَنِ عِنْدَ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَهَؤُلَاءِ يُنْكِرُونَ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى، وَيُنْكِرُونَ مَعَاذَ الْأَبْدَانِ، وَيَقُولُ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: إِنَّهُ لَمْ يُخْبَرْ بِهِ إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ! وَهَذَا كَذِبٌ، فَإِنَّ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى هِيَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْ آدَمَ إِلَى نُوحٍ، إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ حِينَ أَهْبَطَ آدَمُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَى حِينٍ﴾ \* قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿[الأعراف: ٢٤ - ٢٥]. وَلَمَّا قَالَ إِبْلِيسُ لِلْعَيْنِ: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿[ص: ٧٩ - ٨١].

وَأَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا \* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. وَقَالَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]. وَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وَأَمَّا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا نَاجَاهُ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا \* لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ \* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿، [طه: ١٥ - ١٦].

بَلْ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ كَانَ يَعْلَمُ الْمَعَادَ، وَإِنَّمَا آمَنَ بِمُوسَى، قَالَ

(١) فِي (ب): الْجُمْهُورُ.

تعالى حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿وَيَنْقُومِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ \* يَوْمَ تُثْلَوْنَ  
مُذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾  
[غافر: ٣٢ - ٣٣]، إلى قوله تعالى: ﴿يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ  
وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ  
أَشَدُّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وقال موسى: ﴿وَاصْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصِيهَا كَذَلِكَ  
يُخَيِّبِي اللَّهُ الْمُوتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقد أخبر الله أنه أرسل الرُّسُلَ مبشرين ومنذرين، في آيات من  
القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خَزَنَتُهَا: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ  
مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى  
وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وهذا اعْتِرَافٌ مِنْ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ الدَّاخِلِينَ جَهَنَّمَ أَنَّ الرُّسُلَ أَنْذَرْتَهُمْ  
٢٤٧ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا، فَجَمِيعُ الرُّسُلِ أَنْذَرُوا بِمَا أَنْذَرَ بِهِ خَاتَمُهُمْ، مِنْ عَقُوبَاتِ  
الْمُذْنِبِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَعَامَةً سُورَةُ الْقُرْآنِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْوَعْدَ  
وَالْوَعِيدَ، يَذْكُرُ ذَلِكَ فِيهَا: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يُقَسِّمَ بِهِ عَلَى الْمَعَادِ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ الآية (١) [سبأ: ٣]،  
وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ  
بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ  
بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

(١) في الأصول: الآيات.

وَأَخْبَرَ عَنْ اقْتِرَابِهَا، فَقَالَ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾  
[القمر: ١]. ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾  
[الأنبياء: ١]. ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ \* لِلْكَافِرِينَ﴾  
[المعارج: ١ - ٢]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ يُرَوْنَهُ بِعِيدٍ \* وَنَرْنَاهُ قَرِيبًا﴾  
[المعارج: ٦ - ٧].

وَذَمَّ الْمَكْذِبِينَ بِالْمَعَادِ، فَقَالَ: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ  
وَمَا كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [يونس: ٤٥]. ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي  
ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]. ﴿بَلْ أَدْرَاكَ<sup>(١)</sup> عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ  
فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ  
أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْتَعِثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨]،  
إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩].  
﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾  
[غافر: ٥٩]. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا  
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا \* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا  
وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُقْنًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ  
اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ  
أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩].  
﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُقْنًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا \* قُلْ كُونُوا

(١) فِي الْأَصْلِ (أَدْرَاكَ) بَقَطْعِ الْأَلْفِ وَسُكُونِ الدَّالِّ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو وَابْنِ كَثِيرٍ بِمَعْنَى:  
هَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ عِلْمَ الْآخِرَةِ. كَذَا قَالَ الْفَرَاءُ، وَبِلِ «بِلَى» بِمَعْنَى الْجُحْدِ، أَيْ: لَمْ يَعْلَمُوا  
حُدُوثَهَا وَكُونَهَا، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا...﴾ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ:  
﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أَيْ: تَكَامَلَ عِلْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، وَأَنْ كُلُّ  
مَا وَعَدُوا بِهِ حَقٌّ. انْظُرْ «حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٥٣٥، وَزَادَ الْمُسِيرُ ١٨٨/٦.

جِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا \* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا.  
قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ<sup>(١)</sup> إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى  
هَؤُلَاءِ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا \* يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْظُرُونَ أَنْ  
لَيْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿[الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

فتأمل ما أُجيبوا به عن كُلِّ سُؤَالٍ سُؤَالٍ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا  
أَوَّلًا: ﴿أَيْنَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ فِي  
جَوَابِ هَذَا السُّؤَالِ: إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ لَكُمْ، وَلَا رَبَّ، فَهَلَّا  
كُنْتُمْ خَلْقًا لَا يُفْيِيهِ الْمَوْتُ، كَالْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ وَمَا هُوَ أَكْبَرُ  
فِي صُدُورِكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟! فَإِنْ قُلْتُمْ: كُنَّا خَلْقًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي  
لَا تَقْبَلُ الْبَقَاءَ، فَمَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ خَالِقِكُمْ وَمُنْشِكُمْ، وَيَبَيِّنُ إِعَادَتَكُمْ  
خَلْقًا جَدِيدًا؟! .

وَاللَّحِجَّةُ تَقْرِيرٌ آخَرٌ، وَهُوَ: لَوْ كُنْتُمْ مِنْ جِجَارَةٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ خَلْقٍ  
أَكْبَرَ مِنْهُمَا، فَإِنَّهُ قَادِرٌ<sup>(٢)</sup> عَلَى أَنْ يُفْنِيَكُمْ وَيُحِيلَ ذَوَاتَكُمْ، وَيَنْقُلَهَا مِنْ  
حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ، مَعَ شِدَّتِهَا  
وَصَلَابَتِهَا، بِالْإِفْنَاءِ وَالْإِحَالَةِ، فَمَا الَّذِي يُعْجِزُهُ فِيمَا دُونَهَا؟ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ  
يَسْأَلُونَ سُؤَالَ آخَرَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إِذَا اسْتَحَالَتْ جِسْمُونَا وَفُتِنَتْ؟  
فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١]. فَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ  
الْحُجَّةُ، وَلَزِمَهُمْ حُكْمُهَا، انْتَقَلُوا إِلَى سُؤَالٍ آخَرَ يَتَعَلَّلُونَ بِهِ بَعْلَلِ

(١) قَالَ قَتَادَةُ: يَحْكُونَهَا تَكْذِيبًا وَاسْتِهْزَاءً. قَالَ الْفَرَاءُ: يَقَالُ: أَنْغَضَ رَأْسَهُ: إِذَا حَرَّكَهُ إِلَى  
فَوْقَ وَإِلَى أَسْفَلَ، وَقَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: الْمَعْنَى يَحْكُونَهَا كَمَا يَحْرُكُ الْإِيسُ مِنَ الشَّيْءِ الْمُسْتَبْعِلِ لَهُ  
رَأْسَهُ، يَقَالُ: نَغَضْتُ سَنَةً: إِذَا تَحَرَّكَتْ، وَبَابُهُ نَصَرَ وَضَرَبَ. انْظُرْ «مَعَانِيَ الْقُرْآنِ»

١٢٥/٢، وَ«غَرِيبُ الْقُرْآنِ»، ص ٢٥٧.

(٢) فِي الْأَصُولِ: قَادِرًا، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مَطْبُوعَةِ مَكَّةَ.

المنقطع، وهو قولهم: ﴿متى هو﴾؟ فاجيبوا بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] إلى آخر السورة. فلورام أَعْلَمُ البَشَرِ وَأَفْصَحُهُمْ وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى الْبَيَانِ، أَنْ يَأْتِيَ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ، أَوْ بِمِثْلِهَا، فِي الْأَفَاطِ تُشَابِهَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ فِي الْإِيجَازِ وَوَضْعِ الْأَدِلَّةِ، وَصِحَّةِ الْبُرْهَانِ، لَمَّا قَدَّرَ، فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ افْتَتَحَ هَذِهِ الْحُجَّةَ بِسُؤَالٍ أَوْرَدَهُ مُلْجِدٌ، اقْتَضَى جَوَاباً، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ مَا وَفَى بِالْجَوَابِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ، وَأَزَالَ الشُّبُهَةَ وَلَمَّا<sup>(١)</sup> أَرَادَ سَبَّحَانَهُ مِنْ تَأْكِيدِ الْحُجَّةِ وَزِيَادَةِ تَقْرِيرِهَا، فَقَالَ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فَاحْتِجَّ بِالْإِبْدَاءِ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَبِالنَّشْأَةِ الْأُولَى عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى، إِذْ كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا أَنَّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى هَذِهِ، قَدَرَ عَلَى هَذِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الثَّانِيَةِ، لَكَانَ عَنِ الْأُولَى أَعْجَزَ وَأَعْجَزَ. وَلَمَّا كَانَ الْخَلْقُ يَسْتَلْزِمُ قُدْرَةَ الْخَالِقِ عَلَى مَخْلُوقِهِ، وَعِلْمُهُ بِتَفَاصِيلِ خَلْقِهِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]. فَهُوَ عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَجُزْئِيَّاتِهِ، وَمَوَادِّهِ وَصُورَتِهِ، فَكَذَلِكَ الثَّانِي. فَإِذَا كَانَ تَامَ الْعِلْمِ، كَامِلَ الْقُدْرَةِ، كَيْفَ يَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْيِيَ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟

ثُمَّ أَكَّدَ الْأَمْرَ بِحُجَّةٍ قَاهِرَةٍ، وَبُرْهَانٍ ظَاهِرٍ، يَتَضَمَّنُ جَوَاباً عَنْ سُؤَالٍ مُلْجِدٍ آخَرَ يَقُولُ: الْعِظَامُ إِذَا صَارَتْ رَمِيمًا، عَادَتْ طَبِيعَتُهَا بَارِدَةً يَابِسَةً، وَالْحَيَاةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَادَّتُهَا وَحَامِلُهَا طَبِيعَتُهُ حَارَّةً رَطْبَةً بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرِ الْبَعْثِ، فَفِيهِ الدَّلِيلُ وَالْجَوَابُ مَعًا، فَقَالَ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ

(١) فِي هَامِشٍ (د) وَمَطْبُوعَةٌ مَكَّةَ: لَّا.

الأخضر نَاراً فإذا أَنْتَم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿[يس: ٨٠]﴾. فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يُخْرِجُ الشيءَ مِنْ ضده، وَتَنَقَّادُ له موادُّ المخلوقات وعناصرها، ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره المُلْجِدُ ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كُلَّ عاقلٍ يَعْلَمُ أن من قَدَرَ على العظيم الجليل، فهو على ما دُونَهُ بكثيرٍ أَقْدَرُ وَأَقْدَرُ، فمن قَدَرَ على حمل قِنطَارٍ، فهو على حمل أوقية أَشَدُّ اقتداراً، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١] فأخبر أن الذي أبدع السموات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أَقْدَرُ على أن يُحيي عظاماً قد صارت رميمًا، فيردّها إلى<sup>(١)</sup> حالتها الأولى، كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]. وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [الأحقاف: ٣٣]. ثم أكّد سبحانه ذلك، وبيّنه بيانٍ آخر، وهو أنه لَيْسَ فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والتعب والمشقة، ولا يُمكنه الاستقلال بالفعل،

(١) في (ب): على.

(٢) في الأصول جاءت الآية هكذا: (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يحيي الموتى). وهي ملفقة من الآية التي في سورة يس، والآية التي في الأحقاف، فائتتا آية الأحقاف، فإن الآية التي في يس ذكرها الشارح قل قليل.

بل لا بُدَّ معه مِنْ آله ومعين، بل يكفي في خلقه لما يُريد أن يخلقه، ويكوِّنه، نفْسُ إرادته، وقوله لِلْمُكُونِ: «كن»، فإذا هو كائن كما شاء وأراد<sup>(١)</sup>.

ثم ختم هذه الحُجَّة بإخباره أن مَلَكُوتَ كُلِّ شيء بيده، فَيَتَصَرَّفُ فيه بفعليه وقوله: ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

ومن هذا قوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مِثْيِ يُمْنٍ<sup>(٢)</sup> \* ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَعَلَقَ فَسَوَّى \* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠]. فاحتجَّ سبحانه على أنه لا يتركُه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأن حِكْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ تَأْبِي ذلك أشدَّ الإباء، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، إلى آخر السورة، فإن من نقله من النُطْقَةِ إلى العِلْقَةِ، ثم إلى المُضْغَةِ، ثم شَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَرَكَّبَ فِيهِ الْحَوَاسَّ، والقوى، والعِظَامَ والمنافع، والأعصابَ والرباطات التي هي أَشَدُّه، وأحكم خلقه غَايَةَ الإحكام، وأخرجه على هذا الشَّكْلِ والصُّورَةِ، التي هي أتمُّ الصُّور، وَأَحْسَنُ الأشكالِ كَيْفَ يَعْجِزُ عن إعادته وإنشائه مرةً ثانية؟ أم

(١) انظر «الفتاوى» ٢٤١/١٧ - ٢٦١، و«درء تعارض العقل والنقل» ٣٠/١ - ٢٥ و ٣٧٤/٧ - ٣٨٧.

(٢) في (ب): ثَمْنِي، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وحزرة، والكسائي، وأبي بكر عن عاصم على تأنيث النُطْقَةِ، وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب: مِثْيِ بالياء ردوه على لفظ المنى، وعن أبي عمرو كالتقراءتين. انظر «زاد المسير» ٤٢٥/٨ - ٤٢٦، و«الكشف» ٣٥١/٢. و«حجة القراءات» ص ٧٣٧.



كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟ فلا ينبغي ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقول الوجيز، الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل، الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب<sup>(١)</sup> الذي لا تقع الظنون على أقرب منه.

وكم في القرآن من<sup>(٢)</sup> مثل هذا الاحتجاج، كما في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، إلى أن قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّا جَعَلْنَاهُمْ نُفُوسًا حَيًّا﴾ [المؤمنون: ١٦]. وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاث مئة سنة شمسية، وهي ثلاث مئة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين: منهم من يقول: تقدم الجواهر، ثم تعاد، ومنهم من يقول: تفرق الأجزاء ثم تجتمع، فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا؟ وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلل

(١) في الأصول: «الغريب» وهو تصحيف.

(٢) سقطت من (ب).

دائماً، فماذا (١) الذي يُعَاد؟ أهو الذي كان وَقْتُ المَوْتِ؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يُعَاد على صورةٍ ضعيفةٍ، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض! فادّعى بعضهم أن في الإنسان أجزاءً أصليةً لا تتحلّل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني! والعقلاء يَعْلَمُونَ أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلّل، ليس فيه شيء باقٍ، فصار ما ذكره في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف، وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم يُنشئها الله نشأةً أخرى، كما استحال في النشأة الأولى: فإنه كان نُظْفَةً، ثم صار عَلَقَةً، ثم صار مُضْغَةً، ثم صار عِظَلاماً ولحمًا، ثم أنشأ خلقاً سَوِيّاً، كذلك الإعادة: يُعِيدُهُ الله بَعْدَ أن يبلى كُلُّه إلا عَجَبَ الذَّنْبِ، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال: «كُلُّ ابنِ آدَمَ يَبْلَى إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ، مِنْهُ خُلِقَ ابنُ آدَمَ وَفِيهِ يُرْكَبُ» (٢).

(١) في (ب): فيا الذي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤) و (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) (١٤٢)، وأحد ٣٢٢/٢ و ٤٢٨ و ٤٩٩، والنسائي ١١١/٤ - ١١٢، وأبو داود (٤٧٤٣)، ومالك ٢٣٩/١، وابن ماجه (٤٢٢٦) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن أبي سعيد عند أحمد ٢٨/٣. والعَجَب - بفتح العين وسكون الجيم -: عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع. وفي حديث أبي سعيد عند الحاكم ٦٠٩/٤، وأبي يعلى (١٣٨٢) قيل: يا رسول الله، «عجب الذنب؟ قال: «مثل حبة خردل» وصححه هو والذهبي، مع أنه من رواية دراج عن أبي الهيثم.

وفي حديث آخر: «إِنَّ الْأَرْضَ تُمَضَّرُ مَضْرًا كَمَنِيَّ انْرَجَالِ، يَنْبُتُونَ فِي الْقُبُورِ كَمَا يَنْبُتُ النَّبَاتُ»<sup>(١)</sup>.

فالنشأتان نَوْعَانِ تَحْتَ جَنْسٍ، يَتَفَقَّانِ وَيَتِمَّ ثَلَاثِينَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَفْتَرِقَانِ وَيَتَنَوَّعَانِ مِنْ وَجْهِهِ، وَالْمُعَادُ هُوَ الْأَوَّلُ بَعِينُهُ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ لَوَازِمِ الْإِعَادَةِ وَلَوَازِمِ الْبَدَاءَةِ فَرْقٌ، فَعَجَبُ الذَّنْبِ هُوَ الَّذِي يَبْقَى، وَأَمَّا سَائِرُهُ فَيَسْتَحِيلُ، فَيُعَادُ مِنَ الْمَادَّةِ الَّتِي اسْتَحَالَ إِلَيْهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ رَأَى شَخْصًا وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ رَأَاهُ وَقَدْ صَارَ شَيْخًا، عَلِمَ أَنَّ هَذَا هُوَ ذَاكَ، مَعَ أَنَّهُ دَائِمًا فِي تَحَلُّلٍ وَاسْتِحَالَةٍ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، فَمَنْ رَأَى شَجَرَةً وَهِيَ صَغِيرَةٌ، ثُمَّ رَأَاهَا كَبِيرَةً، قَالَ: هَذِهِ تِلْكَ. وَلَيْسَتْ صِفَةً<sup>(٢)</sup>.

تلك النشأة الثانية مماثلة لِصِفَةِ هَذِهِ النشأة، حَتَّى يُقَالُ: إِنَّ الصِّفَاتِ هِيَ ٢٥١ الْمُغَيَّرَةُ، لَا سِوَا أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا، فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَهَا عَلَى صُورَةِ آدَمَ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِينَ»<sup>(٣)</sup> وَغَيْرِهِمَا، وَرُوي: أَنَّ عَرَضَهُ سَبْعَةُ أَذْرُعٍ، وَتِلْكَ نَشْأَةٌ بَاقِيَةٌ غَيْرُ مُعَرَّضَةٍ لِلْآفَاتِ. وَهَذِهِ النشأة فَاسِدَةٌ<sup>(٤)</sup> مُعَرَّضَةٌ لِلْآفَاتِ.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٩٧٦١) في حديث طويل عن أبي معيم، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال: ذكروا عند عبد الله الدجال، فقال: فذكره بطوله... ولفظه: ثم يرسل الله ماء من تحت العرش يمي كمي الرجال، فتبت جسمانهم ولحمانهم من ذلك الماء، كما تبت الأرض من الري. وهو في «المستدرک» ٥٩٨/٤ - ٦٠٠، ورجاله ثقات إلا أن في سنده انقطاعاً، فإن أبا الرعاء - واسمه يحيى بن الوليد - لم يرو عن أحد من الصحابة، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٢٩/١٠ - ٣٣٠، وقال: رواه الطبراني، وهو موقوف، يخالف للحديث الصحيح، ثم أبان عن وجه المخالفة، فراجع.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) انظر البخاري، (٣٣٢٦) و (٦٢٢٧)، و«مسلم»، (٢٨٤١).

(٤) في مطبوعة مكة: فانية.

وقوله: «وجزاء الأعمال» قال تعالى: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣]. ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]. والذين: الجزاء، يقال: كما تدينُ تُدانُ، أي كما تُجازي تُجَازَى، وقال تعالى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] و[الأحقاف: ١٤] و[الواقعة: ٢٤] ﴿جَزَاءُ وَفَاقاً﴾ [النبا: ٢٦] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ \* وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٩ - ٩٠]. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤]. وأمثال ذلك.

وقال ﷺ، فيما يروي عن ربه عز وجل، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثم أُوفيكم إياها، فمن وجد خيراً، فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه»<sup>(١)</sup>.

وسياتي لذلك زيادة بيان عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله<sup>(٢)</sup>: «العرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب».

العرض والحساب قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ \* وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ \* وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ \*

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة: باب تحريم الظلم، وقد تقدم ص ٩٢.

(٢) في (ب): قوله.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿[الاحقاف: ١٥-١٨]، إلى آخر السورة.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ \* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا \* وَيُنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا \* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا \* وَيَصْلىٰ سَعِيرًا \* إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا \* إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ \* بلىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦-١٥].

﴿وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ ضَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَىٰ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْتَنَّا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، إلى آخر السورة.

﴿زَفِيعَ الدَّرَجَتِ ذُو الْعَرْشِ﴾، الآية إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٥-١٧].

٢٥٢

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨١].

وروى البخاري رَجَمَهُ اللَّهُ فِي «صحيحه»، عن عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْشُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَذَّبَ»<sup>(١)</sup>. يعني أنه لو نَاقَشَ في حسابه لِعبيده، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، ولكنه تعالى يعفو ويصْفَحُ، وسيأتي لذلك زِيَادَةُ بَيَانٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وفي «الصحيح» عن النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ؟»<sup>(٢)</sup>.

وهذا صعق في موقف القيامة، إِذَا جَاءَ اللَّهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، فَحِينَئِذٍ يَصْعَقُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشاً بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١٠٣) و (٤٩٣٩) و (٦٥٣٦) و (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، وأبو داود (٣٠٩٣)، والترمذي (٣٣٣٤)، وأحمد ٤٧/٦ و ٩١ و ١٠٨ و ١٢٧ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤١٢) و (٣٢٩٨) و (٤٦٣٨) و (٦٩١٦) و (٦٩١٧) و (٧٤٢٧)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ولفظ البخاري: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٍ بِقَائِمَةِ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكُنْ فِيمَنْ صَبَقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأَوَّلَى»، وأخرجه أحمد ٣٣/٣ بلفظ: «وَأَنَا أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى . . .»، ولمسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بَعَثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بَعَثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبُ بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ، أَوْ بَعَثَ قَبْلِي».

قيل: لا رَبِّبَ أن هذا اللَّفْظُ قد وَرَدَ هَكَذَا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل منه<sup>(١)</sup> على الراوي حَدِيثُ في حديث، فَرَكَّبَ بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا: أحدهما: «إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ»، كما تقدم، والثاني: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>، فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر. وممن نبه على هذا أبو الحجاج المِزِّي<sup>(٣)</sup>، وبعده الشَّيْخُ شمسُ الدين بن القيم<sup>(٤)</sup>، وشيخنا الشَّيْخُ عماد الدين ابن كثير<sup>(٥)</sup>، رحمهم الله.

وكذلك اشتبه على بعض الرواة، فقال: «فَلَا أَتَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَنَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؟» والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول<sup>(٦)</sup>، وعليه المعنى الصحيح، فَإِنَّ الصَّعَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَتَجْلِيَّ اللَّهَ لِعِبَادِهِ إِذَا جَاءَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فموسى عليه السَّلامُ إن كان لم يَصْعَقْ معهم، فيكون قد جَوَزِيَّ بصعقة يَوْمَ تَجْلِيَّ رَبِّهِ لِلْجِبَلِ فجعله دَكًّا، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً من صَعَقَةِ الْخَلَائِقِ لَتَجْلِيَّ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تُهْمِلُهُ<sup>(٧)</sup>.

(١) في (أ) فوق هذه الكلمة: «فيه»، وفي (ج): منه فيه.

(٢) تقدم في الصفحة السابقة.

وانظر «فتح الباري» ٤٤٥/٦.

(٣) المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وله ترجمة حافلة في مقدمة كتابه «تهذيب الكمال» الذي لم يؤلف

مثله في تاريخ الرجال، بقلم محققه الدكتور بشار عواد، نشر مؤسسة الرسالة.

(٤) في «الروح» ص ٥٢ - ٥٣.

(٥) في «النهاية» ٢٨٠/١ - ٢٨١. وانظر التعليق رقم (٢) في الصفحة ٥٧١.

(٦) وهو: «أَوْ جَوَزِيَّ بصعقة الطور».

(٧) السؤال والجواب لابن القيم في «الروح» ص ٥٣، ونقله عنه الحافظ في «الفتح»

. ٤٤٥/٦.

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وأبو بكر ابن أبي الدنيا<sup>(١)</sup>، عن الحسن، قال: سمعت<sup>(٢)</sup> أبا موسى الأشعري يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَعَرَضَتَانِ جِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَعَرَضَةٌ تَطَايِرِ الصُّحُفِ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَحُسِبَ حِسَابًا يَسِيرًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، دَخَلَ النَّارَ»<sup>(٣)</sup>.

٢٥٢

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك<sup>(٤)</sup>: أنه أنشد في ذلك شعراً:

وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَةً	فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ <sup>(٥)</sup>
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ	عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تُدْرِي بِمَا تَقْعُ
أَفِي الْجَنَانِ وَقُوزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ	أَمْ الْجَحِيمِ، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ <sup>(٦)</sup>
تَهْوِي بِسَاكِنَتِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ	إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا فِيمَعُوا
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَرْحَمْ تَضَرُّعُهُمْ	فِيهَا وَلَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ	قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

(١) هو عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولا هم، البغدادي المؤدب، الثقة، صاحب التصانيف الكثيرة في الرقائق والأخلاق، من موالى بني أمية، توفي سنة (٢٨١هـ). مترجم في «السير» ١٣ / رقم الترجمة (١٩٢).

(٢) كذا الأصول: «سمعت» وهو خطأ، والصواب «عن أبي موسى» كما في المصادر التي عزاه المؤلف إليها، فإن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٢٧)، وابن ماجه (٤٢٧٧)، وأحمد ٤/ ٤١٤، وقال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٤) «عن ابن المبارك» سقطت من (ب).

(٥) في «سير أعلام النبلاء» ٨/ ٤١٣: والجبار مُطْلَع.

(٦) رواية البيت في «السير»:

إِذَا نَعِيمٌ وَعَيْشٌ لَا انْقِضَاءَ لَهُ      أَوْ الْجَحِيمُ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ



وقوله: «والصراط» أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ سئل<sup>(١)</sup>: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلقون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق<sup>(٣)</sup>، عن عبد الله، قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة»، إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم»، قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك<sup>(٤)</sup>، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر [ذلك] من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدمه، وإذا طفيء قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزل، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانبساط الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرب، ومنهم من يمر كشد الرحل، ويترمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم،

(١) سقطت من (ب).

(٢) قطعة من حديث مطول، أخرجه مسلم (٣١٥).

(٣) هو الإمام القدوة، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله، أبو عائشة الهذلي الكوفي، من كبار التابعين المخضرمين، أسلم في حياة النبي ﷺ، وصلى خلف أبي بكر، وهو من جلة أصحاب ابن مسعود، وكان ممن شهد القادسية مع سعد، توفي رحمه الله سنة (٦٣هـ). مترجم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١٧).

(٤) في «الطبراني» و «المجمع»: أصغر من ذلك.

حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ، تُجْرُ يَدٌ، وَتَعْلَقُ يَدٌ، وَتُجْرُ رِجْلٌ<sup>(١)</sup>، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَتُصِيبُ جَوَانِبُهُ النَّارُ، قَالَ: فَيَخْلُصُونَ، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ أَنْ أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا<sup>(٢)</sup>، الحديث.

معنى الورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المُرُورُ على الصراط، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]. وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لَا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، قَالَتْ حَفْصَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فَقَالَ: «أَلَمْ تَسْمِعِيهِ قَالَ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]»<sup>(٣)</sup>. أشار ﷺ إلى أن ورود النار

(١) في «المستدرک»: يمر يداً ويعلق يداً، ويمر رجلاً ويعلق رجلاً، وفي «الطبراني»: تخريد وتعلق يد، وتختر رجل وتعلق رجل.

(٢) أورد ابن كثير في «النهاية» ٨٤/٢ - ٨٥ من طريق البيهقي عن شيخه الحاكم، وهو في «المستدرک» ٣٧٦/٢ - ٣٧٧ من طريق عبدالسلام بن حرب، عن يزيد بن عبدالرحمن أبي خالد الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبدالله، وهذا سند قابل للتحسين، وقد أخرجه أيضاً ٥٩٠/٤ و ٥٩٢، والطبراني في «الكبير» (٩٧٦٣) من طريق يزيد بن عبدالرحمن أبي خالد بالإسناد المتقدم، عن ابن مسعود مرفوعاً...، وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة - وهو ثقة - مرفوعاً أيضاً عند الطبراني، فالحديث صحيح، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٤٠/١٠ - ٣٤٣، وقال: رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة. وانظر «الدر المنثور» ٢٨٠/٤ - ٢٨٢.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: أخبرني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل»

لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليُهْلِكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: ٦٦] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]. ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصَّهم الله به من أسباب النجاة، لأصابهم ما أصاب أولئك<sup>(١)</sup>.

وكذلك حال الواردين النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًا، فقد بين في حديث جابر المذكور: أن الورود هو المرور على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي<sup>(٢)</sup>، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «عَلِمَ النَّاسُ سُتِّي وَإِنْ كَرِهُوا ذَلِكَ، وَإِنْ أُخْبِتَ أَنْ لَا تُوقَفَ عَلَى الصَّرَاطِ طَرْفَةٌ عَيْنٍ حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلَا تُحْدِثُنَّ فِي دِينِ

---

= النار — إن شاء الله — من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، قالت: بل يارسل الله، فانتهرها، فقالت: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾».

وأخرجه أحمد ٢٨٥/٦ و ٣٦٢ من طريقين عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار — إن شاء الله — أحد شهد بدرًا والحديبية»، قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾».

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل»، ٤٩/٧ — ٥١.

(٢) هو الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم، الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، المتوفى بمكة سنة ٤٤٤هـ، ترجمه الذهبي في «تذكرة الحفاظ»، ١١٨/٣ فقال: هو صاحب «الإبانة الكبرى في مسألة القرآن»، وهو كتاب طويل في معناه، دال على إمامة الرجل، وبصره بالرجال والطرق.

اللَّهِ حَدَّثَنَا بِرَأْيِكَ» أورده القرطبي<sup>(١)</sup>.

وروى أبو بكر أحمد بن سلمان النُّجَّاد<sup>(٢)</sup>، عن يعلى ابن منية<sup>(٣)</sup>، عن رسول الله ﷺ، قال: «تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهْبِي»<sup>(٤)</sup>.

وقوله: «والميزان» أي: وَنُؤْمِنُ بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ

الإيمان بالميزان  
وحقيقته

(١) هو في «تذكرته» ص ٣٣٦ - ٣٣٧ نقلًا عن «الإبانة»، من طريق علي بن الحسين أبي عبيد، عن زكريا بن يحيى، عن أبي السكك، عن عبد الله بن صالح اليماني، عن أبي همام القرشي، عن سليمان بن المغيرة، عن قيس بن مسلم، عن طاووس، عن أبي هريرة. وأبو همام - واسمه محمد بن مجيب - قال يحيى بن معين: كذاب، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث.

وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٤/ ٣٨٠ من طريق علي بن الحسين بهذا الإسناد، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق آخر، وفي سنده محمد بن عبد الرحيم بن شبيب، وهو مجهول، فالحديث لا يصح، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات». (٢) تحرف في الأصول إلى: «أبي بكر بن أحمد بن سليمان النجادة». وأبو بكر هذا هو الإمام الحافظ الفقيه شيخ العلماء ببغداد، أبو بكر أحمد بن سلمان، المتوفى سنة ٣٤٨هـ. مترجم في «السير» ١٥/ رقم الترجمة (٢٨٥).

(٣) تصحف في الأصول إلى «منبه» ومنية، بضم الميم وسكون النون: هي أمه، ويقال: أم أبيه، وبذلك جزم الدارقطني، وأبوه اسمه أمية، ونسب إلى أبيه في «التهديب» وفروعه. أسلم يعلى يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، واستعمله أبو بكر على حلوان في الردة، ثم على بعض اليمن، فحمى لنفسه، فعزله، ثم عمل لعثمان على صنعاء اليمن، وشهد الجمل مع عائشة، ثم صار من أصحاب علي، ويقال: إنه قتل بصفين. «أسد الغابة» ٥/ ٥٢٣، و«الإصابة» ٣/ ٦٣٠.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٣٢٩، والقرطبي في «تذكرته» ص ٢٣٤، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ رقم (٦٦٨) من طريقين عن بشير بن طلحة، عن خالد بن دريك، عن يعلى ابن منية. . . وبشير بن طلحة ضعيف، وخالد بن دريك لم يسمع من يعلى ابن منية، فهو منقطع، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٦٠ عن الطبراني، وضعفه بسليم بن منصور بن عمار، مع أن مَنْ فوقه - وهو بشير بن طلحة - ضعيف أيضاً، ولم يتنبه للانقطاع. وقد تصحف فيه اسم يعلى ابن منية، إلى يعلى بن منبه.

الْمُوزِنِ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿[الأنبياء: ٤٧]﴾. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

قال القرطبي<sup>(١)</sup>: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال: وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. يَحْتَمِلُ أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويَحْتَمِلُ أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

والذي دَلَّتْ عليه السُّنَّةُ: أن ميزان الأعمال لَهُ كِفَتَانِ حِسْتَانِ مشاهدتان، روى الإمام أحمد، من حديث أبي عبد الرحمن الحُبلي، قال سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَإِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَاكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: ٢٥٥ بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السُّجُلَاتِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السُّجُلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ:

(١) في التذكرة، ص ٣٠٩.

فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ، وَتَقَلَّتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ<sup>(١)</sup>. وهكذا رواه<sup>(٢)</sup> الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، من حديث الليث<sup>(٣)</sup>، زاد الترمذي: «وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»<sup>(٤)</sup>. وفي سياق آخر: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ»، الحديث<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا السياق فائدة جليّة، وهي أن العاقل يُوزَنُ مع عمله<sup>(٦)</sup>، وَيَشْهَدُ له ما روى البخاري، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزُنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾<sup>(٧)</sup> [الكهف: ١٠٥].

(١) أخرجه أحمد ٢١٣/٢، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وسنده صحيح، وصححه ابن حبان (٢٥٢٤)، والحاكم ٦/١ و ٥٢٩، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، ورواية: «وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» شاذة، وهي لأحمد، والرواية الصحيحة: «وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» وهي رواية الترمذي والحاكم. والسجل: الكتاب الكبير، فبهت الرجل، أي: ينقطع ويسكت متحيراً مدهوشاً، والبطاقة: رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما يجعل فيه إن كان عيناً فوزنه أوعده، وإن كان متاعاً فثمنه. وقد تقدم طرف من الحديث في الصفحة ٩٤.

(٢) في (ب): روى.

(٣) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن طاعن، أصله من الفرس من أهل أصبهان، كان كثير العلم، استقل بالفتوى في زمانه، توفي سنة (١٧٥هـ). مترجم في «السيرة» ٨ / رقم الترجمة (١٢).

(٤) في الأصول: «وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِاسْمِ اللَّهِ» والمثبت من الترمذي.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ أحمد ٢٢١/٢ - ٢٢٢، ولا يصح، فيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ.

(٦) تحرفت في الأصول إلى: «علمه» وانظر ص ٦١٣.

(٧) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور»

٢٥٣/٤ - ٢٥٤، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، ونسبه الحافظ في

«النكت الظراف» ٢٠١/١٠ إلى الطبراني في «الأوسط».

وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: «أَنَّه كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ ذَبِيقَ السَّاقِينَ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَجَكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمُّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد وردت الأحاديث أيضاً بِوَزْنِ الأعمال أنفُسُهَا، كما في «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشعري، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» الحديث<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصحيحين»، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي

---

(١) أخرجه أحمد ٤٢٠/١ - ٤٢١، والطبراني (٨٤٥٢)، والبخاري (٢٦٧٨)، وابن سعد في «الطبقات» ١٥٥/٣ من طرق عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، وهذا سند حسن من أجل عاصم - وهو ابن أبي الجود - وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١١٣/١٢ من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، عن زائدة، عن عاصم به، وصححه الحاكم ٣١٧/٣ من طريق سهل بن حماد، عن شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: كان ابن مسعود... ووافقه الذهبي، وهو في «مسند البزار» (٢٦٧٧)، والطبراني ١٩/ رقم (٥٩) من هذا الطريق، وذكرهما الهيثمي في «المجمع» ٢٨٩/٩ عنها، وقال: ورجالها رجال الصحيح. وأخرجه ابن سعد ١٥٥/٣، وابن أبي شيبة من طريق عماد بن فضيل، عن مغيرة، عن أم موسى، قالت: سمعت علياً يقول: أمر النبي ﷺ ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأْتِيهِ بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه، فضحكوا منها، فقال النبي ﷺ: «ما تضحكون! لربجلُ عبد الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٢)، والدارمي ١٦٧/١، وأحمد ٣٤٢/٥ و ٣٤٣ و ٣٣٤، والطبراني (٣٤٢٣) و (٣٤٢٤)، والنسائي ٥/٥ - ٨، وابن ماجه (٢٧٠).

الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ كِفْطِي  
الْمِيزَانِ، وَيُوكَّلُ بِهِ مَلَكٌ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ، نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ  
الْخَلَائِقُ: سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا، وَإِنْ خَفَ مِيزَانُهُ، نَادَى  
الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ: شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا  
أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>.

فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مَلْحِدٍ مُعَانِدٍ يَقُولُ: الْأَعْمَالُ أَعْرَاضٌ لَا تَقْبَلُ  
الْوِزْنَ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ الْوِزْنَ الْأَجْسَامُ!! فَإِنَّ اللَّهَ يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا،  
كَمَا تَقْدَمُ، وَكَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَبْشًا أَغْبَرًا»<sup>(٣)</sup> فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ  
وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ،  
فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَرَوْنَ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرْجُ، فَيَذْبَحُ، وَيَقَالُ: خُلُودُ

٢٥٦

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) و(٦٦٨٧) و(٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٣)، وابن ماجه (٣٨٠٦)، وأحمد ٢٣٢/٢ من طرق عن محمد بن فضيل، عن  
عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، وهو حديث غريب كما قال  
الترمذي، تفرد به محمد بن فضيل، وشيخه وشيخه وصحابيه، ومن لطائف شيخ  
الحفاظ محمد بن إسماعيل أنه بدأ كتابه «الجامع الصحيح» بحديث غريب،  
وهو «الأعمال بالنية»، وختمه بحديث غريب.

(٢) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٧٤/٦، وقد تفرد به داود بن المحبر، وهو متروك،  
وهو: صاحب التصنيف في فضل العقل، وفيه أخبار كلها أو عايتها غير محفوظة.

(٣) الكيش الأغبر: الذي يغلب بياضه على سواده، وفي «المستد»: الأغثر، وهو الكدر اللون  
كالأغبر والأريد، وفي البخاري ومسلم: كبش أملح، وهو بمعنى ما سبق.



لا مَوْتُ<sup>(١)</sup> ورواه البخاريُّ بمعناه<sup>(٢)</sup>. ثبت وزنُ الأعمالِ والعملِ وصحائفِ الأعمالِ، وثبت أن الميزانَ له كِفَتَانِ. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمانُ بالغَيْبِ، كما أخبرنا الصَّادِقُ ع، مِن غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ.

ويا خبيَّةَ مَنْ ينفي وضعَ الموازينِ القِسْطِ ليومِ<sup>(٣)</sup> القيامة كما أخبر الشَّارِعُ، لخفاءِ الحكمةِ عليه، ويُقدِّحُ في النصوصِ بقوله: لا يحتاج إلى الميزانِ إلا البَقَالُ والقَوَالُ!! وما أحرأه بأن يكونَ من الذين لا يُقيمُ اللهَ لهم<sup>(٤)</sup> يومَ القيامةِ وزناً. ولو لم يكنْ مِنَ الحكمةِ في وزنِ الأعمالِ إلا ظهورُ عدله سبحانه لجميعِ عباده، فلا أخذَ أَحَبُّ إليه العُدْرُ من الله، مِن أجل ذلك أرسلَ الرُّسُلَ مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكيمِ ما لا اطلاعَ لنا عليه. فتأمل قولَ الملائكة لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ

(١) أخرجه أحمد ٤٢٣/٢، والدارمي ٣٢٩/٢، والسنائي في «الكبرى» كما في «غفة الأشراف» ٣٤٧/٩، وسنده صحيح

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسنم (٢٨٤٩). والترمذي (٣١٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤقن الموت كهيفة كسر أملح، فيادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود، فلا موت، ويا أهل النار، خلود، فلا موت» ثم قرأ: «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة» وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون [مریم: ٣٩].

(٣) في (ب): يوم.

(٤) تحرفت في الأصول إلى: «له».

نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٣٠﴾.  
وقال تعالى: ﴿وَمَا أَوْتَيْنُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد تقدّم عند ذكرِ الحَوْضِ<sup>(١)</sup> كَلَامُ القُرْطُبِيِّ رحمه الله، أن الحوض قَبْلَ الميزان، والصُّرَاطُ بَعْدَ الميزان. ففي «الصحيحين»: «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصُّرَاطَ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَلِذَا هُذَّبُوا وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>. وَجَعَلَ القُرْطُبِيُّ فِي «التذكرة»<sup>(٣)</sup> هذه القنطرة صِرَاطًا ثَانِيًا لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، وَلَيْسَ يَسْقُطُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي النَّارِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قوله: «وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضَلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ».

أما قوله: «إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ»، اتَّفَقَ<sup>(٤)</sup> أَهْلُ السَّنَةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السَّنَةِ<sup>(٥)</sup>.

الجنة والنار  
مخلوقتان وهما  
موجودتان الآن،  
ولا تفنيان أبداً

(١) ٢٨١.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) و(٦٥٣٥)، وأحمد ١٣/٣ و٦٣ و٧٤ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُجْبِسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذَّبُوا وَنُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحْدَهُمْ أَهْدَى يَمْتَزِلُهُ فِي الْجَنَّةِ مِنْ يَمْتَزِلُهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا» وانظر ص ٤٥٥.

(٣) ص ٣٣٩.

(٤) كذا الأصول بحذف الفاء، والجادة إثباتها، وإن كان ما هنا له وجه.

(٥) انظر «حادي الأرواح» ص ١١ - ١٩.

حتى نبغت نَابِغَةً مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرْتَ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنْشِئُهُمَا<sup>(١)</sup> اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يَفْعَلُهُ اللهُ، وأنه ينبغي أن يَفْعَلَ كَذَا، ولا ينبغي له أن يفعل كَذَا!! وقاسوه على خَلْقِهِ في أفعالهم، فهم مُشَبَّهَةٌ فِي الْأَفْعَالِ، ٢٥٧ ودخل التجهُّمُ فيهم، فَصَارُوا مع ذلك مُعْطَلَةً! وَقَالُوا: خَلَقَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثًا! لأنها تُصَيِّرُ معطلةً مُدَدًّا متطاولة!! فردوا مِنَ النصوصِ ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوصَ عن مواضعها، وضلُّوا وبدَّعوا مَنْ خالف شريعتهم.

فَمِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ: قَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ الْجَنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]. وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا \* لِلطَّغْيِينِ مَثَابًا﴾ [النبا: ٢١ - ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]. وقد رأى النبي ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، ورأى عندها جَنَّةَ الْمَأْوَى. كما في «الصحيحين»، من حديث أنسٍ رضي الله عنه، في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جَبْرِيلُ حَتَّى أَتَى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصحيحين» من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ

(١) في (أ) و (ج) و (د): ينشئها.

(٢) تقدم تحريجه ص: ٢٧٥، والجنايذ جمع جُنْبُذَةٍ: ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة.

وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ (١): هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢).

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهِ: «يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا...» (٣).  
وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ بِمَعْنَى حَدِيثِ الْبَرَاءِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ (٤) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ بِهِ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَخْذُ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي أَقْدَمُ (٥). وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحِطُّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأْخُرُ» (٦).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ:

(١) فِي (ب): يُقَالُ لَهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» ٢٣٩/١، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبُخَارِيُّ (١٣٧٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٦٦)، وَاحِدٌ ١١٣/٢، وَالنَّسَائِيُّ ١٠٧/٤، وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقٍ نَافِعٌ عَنْ ابْنِ عَمْرِو الْبُخَارِيِّ (٣٢٤٠) وَ (٦٥١٥)، وَاحِدٌ ١٦/٢ وَ ٥١ وَ ١٢٣، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٠٧٢)، وَالنَّسَائِيُّ ١٠٦/٤ - ١٠٧.

(٣) تَقْدِمُ تَحْرِيجِهِ ص ٥٧٣.

(٤) فِي (ب): «عَلَى عَهْدٍ»، وَهِيَ رِوَايَةٌ لِمُسْلِمٍ.

(٥) قَالَ النَّوَوِيُّ: ضَبَطْنَاهُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الدَّالِ الْمَشْدُودَةِ، وَمَعْنَاهُ: أَقْدَمَ نَفْسِي أَوْ رَجَلِي، وَكَذَا صَرَحَ الْقَاضِي عِيَّاضُ بِضَبْطِهِ.

(٦) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ مَطُولٍ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٠١) (٣)، وَابْنُ الْبُخَارِيِّ (١٢١٢)، وَالنَّسَائِيُّ ١٣٠/٣ - ١٣٢.

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَايِنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ زَايِنَاكَ تَكَعَّكَمْتَ؟ فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ»<sup>(١)</sup> عَنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ، لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيََتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ<sup>(٢)</sup> النَّارَ، فَلَمْ أَرِ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَقْطَعُ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، قَالُوا: بَيْنَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ»، قِيلَ: أَيْكَفُرْنَ<sup>(٣)</sup> بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ!!»<sup>(٤)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس: «وأيُّ الذي نفسي بيده، ٢٥٨ لَوْرَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ، لَفَضَحْتُمْ قَلِيلًا وَيَكْتُمُ كَثِيرًا». قَالُوا: وَمَا رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»<sup>(٥)</sup>.

وفي «الموطأ» و«السنن»، مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا»<sup>(٦)</sup> اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) في الاصول: وتناولت، والمثبت من «الصحيحين».

(٢) في (ب): وأريت.

(٣) في (ب): يكفرن.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧). وقوله: «تكعكمت» معناه: تأخرت، وفي

«صحيح مسلم»: «ثم رأيناك كففت» بفاء بن خفيفتين.

(٥) أخرجه مسلم (٤٢٦)، والنسائي ٨٣/٣، ولفظه بتمامه: «أيها الناس إني إمامكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام، ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي» ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو رأيتُم ما رأيتُ لضحكتم قليلاً، ولبكيتُم كثيراً» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ».

(٦) في «الموطأ» و«المستد»: حتى يرجعه، وفي النسائي: يبعثه، وفي ابن ماجه: حتى يرجع إلى جسده.

(٧) تقدم تخريجه ص ٥٦٧ تعليق (١).

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة.

وفي «صحيح مسلم» و«السنن» و«المسند»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جَبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَذَهَبَ فَتَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِالْجَنَّةِ، فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَتَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّارِ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَتَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا، فَحُفَّتْ بِالشُّهُوتِ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَذَهَبَ فَتَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»<sup>(١)</sup>. ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وأما على قول مَنْ قال؛ إِنَّ الجنة الموعودَ بها هي الجنة التي كان فيها آدم ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهرٌ، والخلاف في ذلك معروف.

وأما شبهة<sup>(٢)</sup> مَنْ قال: إنها لم تُخلق بعدُ، وهي: أنها لو كانت

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٣)، والنسائي ٣/٧-٤، وأحمد ٢/٣٣٢ و٣٥٤ و٣٧٣، وسنده حسن. ولم يخرج مسلم بطوله كما قال الشارح، وإنما هو عنده (٢٨٢٢)، من حديث أنس بلفظ: «حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النار بالشهوات». ورواه مختصراً من حديثه أيضاً الدارمي ٢/٣٣٩، وأحمد ٣/١٥٣ و٢٥٤ و٢٨٤.

(٢) انظر «حادي الأرواح» ص ٣٤ - ٣٧.

مخلوقة الآن، لوجب اضطراراً أن تنفى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت، لبقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد روى الترمذي في «جامعه»، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامُ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»<sup>(١)</sup>، قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>، قال: هذا حديث حسن صحيح، قالوا: فلو كانت مخلوقة مرفوعاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغراس معنى.

قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥٨) من حديث عبدالرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن ابن مسعود مرفوعاً وحسنه مع أن عبدالرحمن بن إسحاق قد انفقوا على ضعفه، وتحسين الشيخ ناصرالدين له في «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٠٥) بشاهدين من حديث أبي أيوب وابن عمر لا يتجه، لأنها على ضعفها لا يصلحان أن يكونا شاهداً له، لأنهما يختلفان من جهة المعنى عن حديث ابن مسعود، ففيها أن غراس الجنة: ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي حديث ابن مسعود: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». انظر «المستند» ٤١٨/٥ و«مجمع الزوائد» ٩٨/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) و(٣٤٦١)، ورجاله ثقات، إلا أن فيه تدليس أبي الزبير، ومع ذلك فقد قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير، عن جابر.

فالجواب: إنكم إن أردتم بقولكم: إنها الآن مَعْدُومَةٌ بمنزلة النفخ في الصور، وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يَرُدُّهُ ما تَقَدَّمَ من الأدلة وأمثالها مما لم يُذَكَّر، وإن أردتم أنها لم يكمل خَلْقُ جميع ما أَعَدَّ الله فيها لأهلها، وأنها لا يَزَالُ الله يُحَدِّثُ فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دَخَلَهَا المؤمنونَ، أحدث الله فيها عِنْدَ دخولهم أموراً أخرى، فهذا حق لا يُمكن رَدُّهُ، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨] فَأُتِيْتُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِكُمْ معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلها!! فلم تُوفَّقُوا أَنْتُمْ ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وَفَّقَ لذلك أئمة الإسلام، فَمِنْ كلامهم: أن المراد كُلُّ شيء مما كَتَبَ الله عليه الفناء والهلاك، هالك، والجنة والنار خُلِقَتَا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سَقَفُ الجنة، وقيل: المرادُ إِلَّا مُلْكُهُ، وقيل: إِلَّا ما أُريدَ به وَجْهَهُ، وقيل: إِنَّ الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، فقالت الملائكة: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨]، لأنه حي لا يموت، فَأَيَقَنَتِ الملائكة عند ذلك بِالْمَوْتِ، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بَيْنَها وَبَيْنَ النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يُذَكَّرُ عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تبیدان»، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.



وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة منهم من السلف<sup>(١)</sup> والخلف،  
والقولان المذكوران في كثير من كُتُب التفسير وغيرها.

وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له  
سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة  
المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروه  
به، وصاحوا به وباتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي  
اعتقده، وهو امتناع وجود ما<sup>(٢)</sup> لا يتناهى من الحوادث! وهو عمدة أهل  
الكلام المذموم، التي استدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدث  
ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدة في حدوث العالم، فرأى  
الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في  
المستقبل!! فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما  
هو ممتنع عنده عليه في الماضي!! وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة  
وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال  
بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سكون دائم، لا يقدر  
أحد منهم على حركة!! وقد تقدم<sup>(٣)</sup> الإشارة إلى اختلاف الناس في

(١) وما يروى عن بعض السلف من القول بفناء النار - إن صح - قول ضعيف مرجوح  
بخالف للأدلة القطعية من الكتاب والسنة الدالة على بقاء النار أبد الأبد، وبقاء أهلها  
فيها، مثل قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُرْسِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ  
مِنَ النَّارِ﴾، ومثل قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا  
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، ومثل ما صح في أحاديث الشفاعة، وأنه لا يبقى في النار إلا من  
حبسه القرآن، وهم الكفار، أما من دخلها من الموحدين، فإنه لا بد من خروجه منها  
برحمة الرحمن.

(٢) «ما» سقطت من (أ) و(ب) و(ج) وهي في (د) و«حادي الأرواح» ص ٢٤٥.

(٣) في (ب): تقدمت.

٢٦٠ تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، وهي مسألة دوام فاعليّة الربّ تعالى، وهو لم يزل ربّاً قادراً فعلاً لما يُريدُ، فإنه لم يزل حياً عليمّاً قديراً. وَمِنْ المحال أن يَكُونَ الفِعْلُ ممتنعاً عليه لذاته، ثم يَنْقَلِبُ، فيصير ممكناً لذاته، من غير تَجَدُّدٍ شيءٍ، وليس للأول حَدٌّ محدود حتى يَصِيرَ الفِعْلُ ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قَبْلَهُ ممتنعاً عليه، فهذا القولُ تصوّره كافٍ في الجزم بفساده.

فأما أَبَدِيَّةُ الجنة، وأنها لا تنفَى ولا تَبِيدُ، فهذا مما يُعْلَمُ بالضرورة<sup>(١)</sup> أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي: غير مقطوع، ولا يُنافي ذلك قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

واختلف السلفُ في هذا الاستثناء: فقيل: معناه إلا مدةً مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار، ثم أُخْرِجَ منها، لا لِكُلِّهِمْ. وقيل: إلا مدةً مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدةً مقامهم في القبور والموقف.

وقيل: هو استثناء استثناء الربّ ولا يَفْعَلُهُ، كما تقول: واللّه لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل<sup>(٣)</sup> تجزّم بضربه. وقيل: «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف، وسيبويه يجعل «إلا» بمعنى «لكن» فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجّحه ابن جرير، وقال: إنّ الله تعالى لا خُلْفَ لوعده، وقد وَصَلَ الاستثناء بقوله:

(١) انظر «حادي الأرواح» ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٢) في «حادي الأرواح»: ولا تنافي بين ذلك وبين قوله.

(٣) في (ب): وأنت.

﴿عطاءً غَيْرَ مجذوذ﴾<sup>(١)</sup>، قالوا: ونظيره أن تقول: اسكتك داري حولاً إلا ما شئت، أي: سوى ما شئت، أولكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته، ولا يُنافي ذلك عزيمة وجزمة لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْتُنَّ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦]. ونظائره كثيرة، يُخَيِّرُ عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن «ما» بمعنى «من» أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل: غَيْرُ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، وعلى كل تقدير فهذا الاستثناء<sup>(٣)</sup> من المشابه، وقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مجذوذ﴾، مُحْكَمٌ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وقوله: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. وقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأييد في عِدَّةِ مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضُمَّتْهُ إِلَى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا

(١) انظر «جامع البيان» ٤٨٨/١٥.

(٢) هو من كلام ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٢٢٢، وتماه: «وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء ألا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة...».

(٣) في «حادي الأرواح» ص ٢٤٤: فهذه الآية.

ما شاء رَبُّكَ ﴿١﴾ تبين لك <sup>(١)</sup> المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه مorte تقدمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة، كقوله ﷺ: «مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَتَأَسُّ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ» <sup>(٢)</sup>. وقوله: «يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْخُوا، فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشْبُوا، فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيُوا، فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا» <sup>(٣)</sup>.

وتقدم ذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» <sup>(٤)</sup>.

وأما أبدية النار ودوامها، فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

الأقوال في أبدية  
النار

أَحَدُهَا: أَنْ مَنْ دَخَلَهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدَ الْآبَادِ، وَهَذَا قَوْلُ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ.

والثاني: أَنْ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا، ثُمَّ تَنْقَلِبُ طَبِيعَتُهُمْ، وَتَبْقَى طَبِيعَةُ

(١) تحرفت في الأصول إلى: «أَنْ»، والمثبت من «حادي الأرواح».

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (٢٨٣٦) بلفظ: «مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ» وأخرجه الدارمي ٣٣٢/٢، وأحمد ٣٧٠/٢ و ٤٠٧ و ٤١٦ و ٤٦٢ بلفظ: «مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، وَلَهُ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مسلم (٢٨٣٧)، والترمذي (٣٢٤٦)، وأحمد ٣١٩/٢ و ٣٨/٣ و ٩٥، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٢٩/٣، والدارمي ٣٣٤/٢، والبيهقي في «شرح السنة» (٤٣٨٣).

(٤) تقدم تخريجه ص ٩٣ تعليق (١).

نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربى الطائى<sup>(١)</sup>!!

الثالث: أن أهلها يُعذبون فيها إلى وقتٍ محدود، ثم يُخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاة اليهود للنبي ﷺ، وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى، فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١].

الرابع: يُخرجون منها، وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تنفى بنفسها، لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه!! وهذا قول الجهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار، كما تقدم.

السادس: تنفى حركات أهلها، ويصيرون جماداً، لا يحسون بالهم، وهذا قول أبى الهذيل العلاف كما تقدم.

السابع: أن الله يُخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ثم يُقيها ما يشاء ثم يُفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يُخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله.

(١) انظر «الفصوص» ص ٩٣ - ٩٤ تحقيق وتعليق أبى العلاء عفيفي.

وما عدا هذين القولين الآخرين<sup>(١)</sup> ظاهرُ البطلان.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر في دليلهما<sup>(٢)</sup>.

فَمِنْ أَدِلَّةِ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ<sup>(٣)</sup> مِنْهُمَا<sup>(٤)</sup>: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧]. ولم يأت بعد هذين<sup>(٥)</sup> الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقوله تعالى: ﴿لَنُنَبِّئَنَّ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣].

وهذا القول — أعني القول بفناء النار دون الجنة — منقولٌ عن

عُمَرَ، وابنِ مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

٢٦٢

(١) في (أ) و(ب) و(ج): الآخرين، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٢) تقدم في الصفحة ٦٢١ ت (١) القول بأن ما يروى عن بعض السلف بفناء النار قول مؤوف مرجوح لمخالفته للأدلة الصحيحة، والقول الصحيح في هذا: هو أن الجنة والنار لا تفنيان، وللإمام الحافظ علي بن عبد الكافي السبكي رسالة في هذا الموضوع أسماها: «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» وهي نفيسة في بابها، فلتراجع. وقد تولى الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة (١١٨٢هـ) الرد على القائلين بفناء النار بأسلوب علمي متين في رسالته: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».

(٣) انظر «حادي الأرواح» ص ٢٤٩ - ٢٥٤، و«مختصر الصواعق المرسلة» ١/ ٣٥٤ - ٣٥٧.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): هذا.

(٦) أثر عمر أخرجه عبد بن حميد من طريق سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب... وهذا سند ضعيف لانقطاعه، فإن الحسن لم يسمعه من عمر، ومراسيل الحسن عندهم واهية، لأنه كان يأخذ عن كل أحد، قال ابن سيرين — فيما نقله عنه الدارقطني في «سننه» ١/ ١٧١، وكان علماً =

= بابي العالية والحسن: لا تأخذوا بمراسيل الحسن ولا أبي العالية، فإنها لا ياليان  
عمن أخذاه عنه.

وأثر ابن مسعود: «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد»، وعن أبي هريرة  
مثله، علقها الإمام البخاري في تفسيره ٣٩٨/٤، ثم قال بئرهما: ومعناه عدد أهل السنة  
— إن ثبت — أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار، فممتلئة  
أبدًا.

وقد أخرج الطبري أثر ابن مسعود في «تفسيره» ٨٤/٥ بسند تالف لا يعاب به،  
ولا يعول عليه، وأما أثر أبي هريرة، فقد ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٢٥٢  
من رواية إسحاق بن راهويه، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن  
يحيى بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: ما أنا بالذي لا أقول: إنه  
سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَخُ عَنْهُمْ فِي  
زَفِيرٍ وَشَهْقٍ...﴾ الآية. قال عبيد الله — وهو شيخ إسحاق —: كان أصحابنا يقولون:  
يعني به الموحدين. وسنده صحيح، ولكنه كما ترى لا يدل على المدعى.

وأثر أبي سعيد أوردته الطبري في «تفسيره» ٨٢/١٨ من طريق عبد الرزاق، عن  
ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي سعيد (يعني: الخدي)،  
أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ  
لِّمَا يَرِيدُ﴾ قال: وسمعت أبا جزل يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه. وهو  
— وإن كان صحيح الإسناد — معمول على الموحدين، فقد أوردته ابن جرير بعد أن نقل  
قول من قال في تأويل معنى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: إنه في أهل  
التوحيد، وقالوا: معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم،  
فلا يدخلهم النار، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَخُ عَنْهُمْ فِي  
مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ لا من الخلود.

وأخرج يعقوب بن سفيان في «تاريخه» ١٠٣/٢ من طريق بندار، عن أبي داود،  
عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو قال: ليأتين على  
جهنم زمان تحفّق أبوابها ليس فيها أحد. ثم قال يعقوب: قال أبو داود: وحدثنا علي بن  
سلمة، عن ثابت، قال: سألت الحسن عن هذا الحديث، فأكرهه. وأبو بلج — واسمه  
يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم — يختلف فيه، وقد استكره الإمام الذهبي في  
«الميزان» ٣٨٥/٤ هذا الأثر، وعده من بلايا. فقد بان بما ذكرنا أن القول بفناء النار  
لا يثبت عن أحد من الصحابة، وأن ما صح عنهم من عبارات لا تدل على المدعى،  
وهو القول بفناء النار.

وقد روى عَبْدُ بن حميد في «تفسيره» المشهور، بسنده إلى عمر رضي الله عنه، أنه قال: «لَوَلِيتُ أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ كَقَدَرِ زَمَلٍ عَالِجٍ، لَكُنَّا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقْتُ يَخْرُجُونَ فِيهِ». ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَنَبْلِيَنَّ فِيهَا أَكْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣]. قالوا: والنار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «تَغْلِبُ غَضَبِي»، رواه البخاري في «صحيحه» من حديث<sup>(٢)</sup> أبي هريرة رضي الله عنه.

قالوا: والله سبحانه يُخْبِرُ عن العذاب أنه: ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]. و﴿أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]. و﴿عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]. ولم يخبر<sup>(٣)</sup> ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم، وقد قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فلا بُدَّ أن تَسَعَّ رحمته هؤلاء المعدِّين، فلو بَقُوا في العذاب لا إلى غاية لم تَسَعَهُمْ رَحْمَتُهُ، وقد ثبت في «الصحيح» تَقْدِيرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ<sup>(٤)</sup>، والمعدُّون فيها

(١) متفق عليه، وقد تقدم ص ٣٧٦، التعليق (٤).

(٢) في (ب): عن أبي هريرة.

(٣) «ولم يخبر» سقطت من (ب).

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٩٨٧)، والنسائي ١٢/٥-١٤، وأبو داود (١٦٥٨)، والطحاوي (٢٤٤٠)، وأحمد ٢٦٢/٢ و ٣٨٣ و ٤٩٠، والبغوي (١٥٦٢)، وصححه ابن خزيمة (٢٢٥٣)، وفي الباب عن ابن عمر عند أحمد ١١٢/٢، وعن ابن عمر عند الحاكم ٥٧٢/٤، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٤/٦، وزاد نسبه إلى الطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».



متفاوتون في مدة لُبُّثِهِمْ في العذاب بحسب جرائمهم، وليس في حكمة أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، ورحمةِ أرحمِ الرَّاحِمِينَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقاً يُعَذِّبُهُمْ أَبَدَ الْآبَادِ عَذَاباً سَرْمَداً لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَأَمَّا أَنَّهُ يَخْلُقُ خَلْقاً يُنْعِمُ عَلَيْهِمْ، وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ نِعِماً سَرْمَداً، فَمِنْ مَقْضَى الْحِكْمَةِ، وَالْإِحْسَانِ مَرَادُ لِدَاتِهِ، وَالْإِنْتِقَامُ مَرَادُ بِالْعَرَضِ.

قَالُوا: وَمَا وَرَدَ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا، وَالتَّائِيدِ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ، وَأَنْ عَذَابُهَا مُقِيمٌ، وَأَنَّهُ غَرَامٌ، كُلُّهُ حَقٌّ مُسْلَمٌ، لَا نِزَاعَ فِيهِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْخُلُودَ فِي دَارِ الْعَذَابِ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْهَا فِي حَالِ بَقَائِهَا أَهْلُ التَّوْحِيدِ. فَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الْحَبْسِ وَهُوَ حَبْسٌ عَلَى حَالِهِ، وَبَيْنَ مَنْ يَبْطُلُ حَبْسُهُ بِخَرَابِ الْحَبْسِ وَانْتِقَاضِهِ.

وَمِنْ أَدْلَةِ الْقَائِلِينَ بِبَقَائِهَا، وَعَدَمِ فَنَائِهَا: قَوْلُهُ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]. ﴿فَلَنْ نُزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾ [النبا: ٣٠] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]. ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أَيُّ مُقِيمًا لَازِمًا.

وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ الْمُسْتَفِيزَةُ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ صَرِيحَةٌ فِي خُرُوجِ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ، وَأَنْ هَذَا حُكْمٌ مُخْتَصٌّ بِهِمْ، فَلَوْ خَرَجَ الْكُفَّارُ مِنْهَا، لَكَانُوا بِمَنْزِلَتِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَصَّ الْخُرُوجُ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَبَقَاءُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَيْسَ لِدَاتِهِمَا، بَلْ بِإِبْقَاءِ اللَّهِ لَهُمَا.

وقوله: «وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا». قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩]. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طُوبَى لِهَذَا، عُصْفُورٌ مِّنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدِرْكُهُ، فَقَالَ: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ» رواه مسلم وأبو داود والنسائي (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الذهر: ٢-٣]. والمراد: الهداية العامة، وأعمُّ منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢) [طه: ٥٠].

فالموجودات نوعان: أَحَدُهُمَا مُسَخَّرٌ بطبعه، والثاني مُتَحَرِّكٌ

(١) مسلم (٢٦٦٢)، وأبو داود (٤٧١٣)، والنسائي ٥٧/٤، وأخرجه ابن ماجه (٨٢)، وأحمد ٤١/٦ و ٢٠٨، والطيالسي (١٥٧٤)، وابن حبان (١٣٨)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٥٣/٢.

(٢) الهداية نوعان: هداية دلالة ودعوة وتعليم وإرشاد، وهي لجميع الخلق، وهي التي يقدر عليها الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وقال: ﴿وَإِنكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وهداية توفيق وتثبيت وإعانة للسير في طريق الخير والنجاة، وهذه الهداية خاصة لله لا يشركه فيها أحد من خلقه، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وهو يختص بها بمقتضى حكمته مَنْ يَشَاءُ من عباده، وبها يكون العبد مريدًا للحق، مؤثرًا له، عاملًا به، وبهذا يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَإِنكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنكَ لَتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فالهداية التي أثبتها للنبي ﷺ هي الدلالة على الخير والحق، والتي نفاها هي الثانية، التي بمعنى الإعانة والتوفيق. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١/١٦٠، و«مفردات الراغب».

بإرادته، فهدى الأول لما سخره له طبيعة، وهدى الثاني هداية إرادية  
تأبغة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره.

ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع:  
نوع لا يُريد إلا الخير، ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالملائكة.  
ونوع لا يُريد إلا الشر، ولا يتأتى منه إرادة سواه، كالشياطين.

ونوع يتأتى منه إرادة القسمين، كالإنسان، ثم جعله ثلاثة أصناف:  
صنفاً يغلب إيمانه ومعرفته وعقله وهواه وشهوته، فَيَلْتَحِقُ بالملائكة،  
وصنفاً عكسه، فَيَلْتَحِقُ بالشياطين، وصنفاً تغلب شهوته البهيمية عقله،  
فيلتحق بالبهائم.

والمقصود: أنه سبحانه أعطى الوجودين: العيني والعلمي، فكما  
لا موجود إلا بإيجاد الله لا موجود إلا بإيجاد الله  
على كمال قدرته، وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته، سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى  
النَّارِ عَذَاباً مِنْهُ﴾ إلخ. مما يجب أن يُعْلَمَ: أن الله تعالى لا يَمْنَعُ الثَّوَابَ  
إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح، فإنه: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِنْ  
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾<sup>(١)</sup> [طه: ١١٢].  
وكذلك لا يُعَاقِبُ أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى  
يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾  
[الشورى: ٣٠].

(١) الهضم: النقص، تقول العرب: هضمت لك من حقي، أي: حططت.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمُعْطِي الْمَانِعُ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ. لكن إذا مَنْ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا يَمْنَعُهُ مُوجِبٌ ذَلِكَ أَصْلًا، بَلْ يُعْطِيهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْقُرْبِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، وَحَيْثُ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَلِإِتْنَاءِ سَبِيهِ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حِكْمَةٌ مِنْهُ وَعَدْلٌ، فَمَنْعُهُ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ مِنْ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسَبِّبَاتُ بَعْدَ وَجُودِ أَسْبَابِهَا، فَلَا يَمْنَعُهَا بِحَالٍ، إِذَا لَمْ تَكُنْ أَسْبَابًا صَالِحَةً، إِمَّا لِفَسَادٍ فِي الْعَمَلِ وَإِمَّا لِسَبَبٍ يُعَارِضُ مُوجِبَهُ وَمُقْتَضَاهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِعَدَمِ الْمُقْتَضَى، أَوْ لَوْجُودِ الْمَانِعِ، وَإِذَا كَانَ مَنْعُهُ وَعَقُوبَتُهُ مِنْ عَدَمِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ لَمْ يُعْطِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً<sup>(١)</sup> حِكْمَةٌ مِنْهُ وَعَدْلًا، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْحَالَيْنِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، كُلُّ عَطَاءٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ عَقُوبَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، فَإِنَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي تَصْلُحُ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ<sup>(٢)</sup>﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ

(١) فِي (أ) وَ(ب) فَوْقَ كَلِمَةِ «ابْتِدَاءٍ»: «ابْتِلَاءٍ» وَفَوْقَهَا فِي (أ): «ظ»، وَفِي هَامِشِ (د): الظَّاهِرُ ابْتِلَاءٌ أَوْ ابْتِدَاءٌ، وَفِي (ج): ابْتِدَاءٌ ابْتِلَاءٌ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: رِسَالَاتِهِ بِالْجَمْعِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ مَا سِوَى ابْنِ كَثِيرٍ وَحَفْصٍ مِنَ الْقِرَاءِ، وَأَمَّا هُمَا، فَقَرَأَا: «رِسَالَتِهِ» بِالتَّوْحِيدِ. «حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٢٧٠، «الْكَشَفُ» ٤٤٩/١ - ٤٥٠، «زَادَ الْمَسِيرَ» ١١٨/٣.

بالشُّكْرِينَ ﴿[الأنعام: ٥٣]﴾. ونحو ذلك. وسيأتي لهذا زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

قوله: والاستِطاعةُ التي يَجِبُ بها الفعلُ، مِنْ نحوِ التَّوْفِيقِ الَّذِي لَا يُوصَفُ المَخْلُوقُ بِهِ [تَكُونُ] مَعَ الفِعْلِ، وَأَمَّا الاستِطاعةُ مِنْ جِهَةِ الصَّحَّةِ وَالْوُسْعِ والتمكين وسلامة الآلات، فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَمَلَّقُ الخِطَابُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ش: الاستِطاعةُ والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظٌ متقاربة، وتقسيم الاستِطاعة إلى قسمين<sup>(١)</sup> — كما ذكره الشيخ رحمه الله —، هو<sup>(٢)</sup> قولُ عامة أهل السنة، وهو الوسط، وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قَبْلَ الفعل، وقابلهم طائفةٌ من أهل السنة، فقالوا لا تكون إلا مع الفعل.

والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قُدْرَةً هي مناطُ الأمرِ والنهي، وهذه قد تكون قَبْلَهُ، لا يَجِبُ أن تكونَ معه، والقدرة التي يكون بها الفعلُ لا بُدَّ أن تكونَ مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

وأما القُدْرَةُ التي من جهة الصَّحَّةِ والوسع، والتمكين وسلامة الآلات، فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى:

(١) انظر (مجموع الفتاوى، ٨/ ١٢٩ - ١٣١ و ٣٧١ - ٣٧٦ و ٤٧٩ - ٤٨٠)، ودرء تعارض

العقل والنقل، ١/ ٦٠ - ٦٣.

(٢) في (ب): «وهو» بزيادة الواو، وهو خطأ.

﴿وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ<sup>(١)</sup> الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾  
[آل عمران: ٩٧]. فأوجب الحجُّ على المستطيع، فلو لم يستطع إلا مَنْ  
حجَّ، لم يَكُنْ الحجُّ قد وَجَبَ إلا على مَنْ حجَّ، ولم يُعاقب أحد على  
ترك الحج! وهذا خلافُ المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].  
فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان مَنْ لم يتَّقِ الله لم يستطع  
التقوى، لم يَكُنْ قد أوجب التقوى إلا على مَنْ اتقى، ولم يُعاقب من  
لم يتق! وهذا معلومُ الفساد.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾  
[المجادلة: ٤]. والمرادُ منه استطاعة الأسبابِ والآلات.

وكذا ما حكاه سبحانه مِنْ قولِ المنافقين: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا  
مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]. وكَذَّبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا  
الاستطاعةَ التي هي حَقِيقَةُ قدرةِ الفعل، ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم  
كاذبين، وحيث كَذَّبهم دلَّ أنَّهم أرادوا بذلك المرضَ، أوفَقَدَ المالَ،  
على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾  
[التوبة: ٩١]، إلى أن قَالَ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ  
أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩٣]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا  
أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]. والمرادُ استطاعةُ

٢٦٥

(١) في الأصل (حِجُّ) بفتح الحاء، وهي قراءة أبي عمرو، وأكثر القراء، وقرا حمزة،  
والكسائي وحفص عن عاصم: بكسرهما، وهما لغتان: الفتح لأهل الحجاز وبني أسد،  
والكسر لغة أهل نجد. انظر «زاد المسير» و«حجة القراءات» ص ١٧٠.

الآلات والأسباب. ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup> ﷺ لعمران بن حُصَيْن: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»<sup>(٢)</sup>. وإنما نفى استطاعة الفعل معها.

وأما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حَقِيقَةُ الْقُدْرَةِ، فقد ذكروا فيها قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، والمرادُ نَفْيُ حَقِيقَةِ الْقُدْرَةِ، لَا نَفْيُ الْأَسْبَابِ وَالْآلَاتِ، لأنها كانت ثابتة. وسيأتي لذلك زِيَادَةُ بَيَانٍ عِنْدَ قَوْلِهِ: «وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمُ» إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وكذا قَوْلُ صَاحِبِ مُوسَى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]. وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]. والمراد منه<sup>(٣)</sup> حَقِيقَةُ قُدْرَةِ الصَّبْرِ، لَا أَسْبَابُ الصَّبْرِ<sup>(٤)</sup> وآلَاتِهِ، فَإِنْ تِلْكَ كَانَتْ ثَابِتَةً لَهُ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ. وَلَا يُلَامُ مَنْ عَدِمَ آلَاتِ الْفِعْلِ وَأَسْبَابَهُ عَلَى عَدَمِ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا يُلَامُ مَنْ امْتَنَعَ مِنَ الْفِعْلِ لِتَضْيِيعِهِ قُدْرَةَ الْفِعْلِ، لِاشْتِغَالِهِ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ بِهِ أَوْ شَغْلِهِ بِهَا بِضِدِّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا جِوْنِ الْفِعْلِ، يَقُولُونَ: إِنْ الْقُدْرَةُ لَا تَصْلُحُ لِلضَّادِينَ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ الْمَقَارَنَةَ لِلْفِعْلِ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذَلِكَ الْفِعْلِ، وَهِيَ مُسْتَلْزِمَةٌ لَهُ، لَا تَوْجَدُ بِدُونِهِ.

(١) في (ب): قول النبي.

(٢) في الأصول: «فعل الجنب» والحديث أخرجه البخاري (١١١٧)، وأبو داود (٩٥٢)، والترمذي (٣٧٢)، وابن ماجه (١٢٢٣)، وأحمد ٤٢٦/٤، وابن الجارود (٢٣١)، والدارقطني ٣٨٠/١، والبيهقي ٣٠٤/٢ و ٣٠٥.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

وما قالته القَدَرِيَّةُ بناءً على أصلهم الفاسد وهو إقْدَارُ اللَّهِ للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، سواء، فلا يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ خَصَّ الْمُؤْمِنَ المطيع بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رَجَحَ الطَّاعَةَ، وهذا بنفسه رَجَحَ المعصية! كالوالد الذي أعطى كُلَّ واحدٍ من بنيهِ سيفاً، فهذا جاهد به في سبيلِ الله، وهذا قطع به الطريق.

وهذا القولُ فاسدٌ باتفاق أهلِ السُّنة والجماعة المبتئين للقدر، فإنهم متفقون على أن الله على عبده المطيع نِعْمَةٌ دينيةٌ، خصَّه بها دُونَ الكافر، وأنه أعانته على الطاعة إعانةٌ لم يُعِنْ بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] فالقدرية يقولون: هذا التَّحْيِيْبُ والتزيينُ عامٌ في كُلِّ الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائلِ الحقِّ، والآية تقتضي أن هذا خاصٌّ بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعِدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرُّجُسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وأمثالُ هذه الآية في القرآن كثير، يُبَيِّنُ أنه سبحانه هدى هذا وأضلَّ هذا. قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. وسيأتي لهذه المسألة زيادةٌ بيان، إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وأيضاً فقولُ القائلِ: يُرَجِّحُ بلا مُرَجِّح. إن كان لِقوله: «يرجح»

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل»، ٢٦/١ - ٣١.



معنى زائد على الفعل، فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد، كان حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح! وهذا مكابرة للعقل!! فلما كان أصل قول القدرية: إن فاعل الطاعات وتاركها<sup>(١)</sup> كلاهما في الإعانة والإقذار سواء امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للترك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى، وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع الفعل، لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلماذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل! وهذا باطل قطعاً، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لا بد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل، فتقبض قولهم حق، وهو: أن الفعل لا بد أن يكون معه قدرة.

لكن صار أهل الإثبات هنا جزيين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلا معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من بعضهم أن القدرة عرض، فلا تبقى زمانين، فيمتنع وجودها قبل الفعل.

والصواب: أن القدرة نوعان كما تقدم: نوع مصحح للفعل، يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، وإما بتجديد أمثالها عند

(١) في (أ) و(د): وتاركها، وهو سبق قلم.

من يقول: إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة، وضد هذه العجز، كما تقدم.

وأيضاً: فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم يعجز عنه، فالشارع يسر على عباده، ويريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمرضى قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطيع، لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان قد يسمى مستطيعاً، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإذا كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجعة، لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله، أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين<sup>(١)</sup> مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك. فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجعة، فكيف يكلف مع العجز؟!

ولكن هذه الاستطاعة — مع بقائها إلى حين الفعل — لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية، لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن، مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقوة وإرادة، والاستطاعة المقارنة يَدْخُلُ فيها الإرادة الجازمة، بخلاف المشروطة في التكليف، فإنه لا يشترط فيها الإرادة، فالله تعالى

(١) في (ب): شهرين.

يأمر بالفعل من لا يُريدُه، لكن لا يأمر به مَنْ لو أَرَادَهُ، لَمَجَزَ عنه. وهكذا أمرُ الناسِ بعضهم لبعض، فالإنسانُ يأمر عبده بما لا يريدُه العبد، لكن لا يأمره بما يعجزُ عنه العبد، وإذا اجتمعت الإرادةُ الجازمةُ والقُوَّةُ التامةُ، لَزِمَ وَجُودُ الفعل، وعلى هذا ينبي تكليفُ ما لا يُطاقُ، فإن من قال: القُدْرَةُ لا تكونُ إلا مع الفعل، يقول: كُلُّ كافر وفاسق قد كُلفَ ما لا يُطيقُ، وما لا يُطاقُ يُفسَّرُ بشيئين: بما لا يُطاقُ للعجز عنه، فهذا لم يُكلفه اللهُ أحداً، ويُفسَّرُ بما لا يُطاقُ للاشتغال بِضِدِّه، فهذا هو الذي وقع فيه التَّكْلِيفُ، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يُفَرِّقُونَ بَيْنَ هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف! ويأمره إذا كان قاعداً أن يَقُومَ، وَيُعَلِّمُ الفرقَ بَيْنَ الأمرين بالضرورة<sup>(١)</sup>.

قوله: وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلَقَ اللَّهُ وَكَسَبَ مِنَ الْعِبَادِ.

ش: اختلف الناسُ في أفعال العباد الاختيارية<sup>(٢)</sup>.

فزعمت الجبرية — رئيسهم الجهم بن صفوان الترمذي —<sup>(٣)</sup>: أن أفعال العباد خلق الله وهم فاعلون لها حقيقة التدبير في أفعال الخلق كُلِّها لله تعالى، وهي كُلُّها اضطرارية، كحركاتِ المرتعش، والعروقي النابضة، وحركاتِ الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجازاً وهي على حَسَبِ ما يُضَافُ الشيءُ إلى محله دُونَ ما يُضَافُ إلى مُخَصِّلِهِ!.

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جَمِيعَ الأفعال الاختيارية مِنْ جَمِيعِ

(١) وانظر «مجموع الفتاوى» ٢٩٠/٨ — ٣٠٢ و ٤٦٨ — ٤٧٤.

(٢) انظر «شفاء العليل» ص ٤٩ — ٥٤.

(٣) وينسب أيضاً: السمرقندي.

٢٦٨ الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بِخَلْقِ الله تعالى! واختلفوا فيما بَيْنَهُمْ:  
ان الله تعالى يَقْدِرُ على أفعال العباد أم لا؟!

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى مُنْقَرِدٌ بخلق المخلوقات، لا خَالِقَ لها سواه، فالجبرية غَلَوَا في إثبات القدر، فنَفَوْا صُنْعَ العبد أصلاً، كما غَلَتِ المشبهة في إثبات الصفات، فشَبَّهُوا، والقدرية نَفَاةُ القدر جعلوا العِبَادَ خَالِقِينَ مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوسَ هذه الأمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثَبَتَ خَالِقِينَ، وهم أثبتوا خَالِقِينَ!!

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه<sup>(١)</sup> من الحق بإذنه، والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صراطٍ مستقيم. فكل دليل صحيح يُقِيمُهُ الجبريُّ، فإنما يَدُلُّ على أن الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وأنه على كُلِّ شَيْءٍ قدير، وأن أفعال العباد من جُملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يَدُلُّ على أن العبد ليس بفاعلٍ في الحقيقة ولا مُرِيدٍ ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيم القَدَرِيُّ، فإنما يَدُلُّ على أن العبد فاعلٌ لفعله حقيقةً، وأنه مُرِيدٌ له مختارٌ له حقيقةً، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يَدُلُّ على أنه غَيْرُ مقدورٍ لله تعالى، وأنه واقعٌ بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضُمَّتْ ما مَعَ كُلِّ طائفةٍ منهما من الحق إلى حق الأخرى،

(١) سقطت من (ب).

فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزل، من عُموم قدرة الله ومشيتته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حَقِيقَةً، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يُصَدِّق بعضه بعضاً. ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويُستفاد من دليل كُلِّ فريق بطلان قول الآخرين ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كُلُّ من الفريقين، ثم أُبين أنه لا يَدُلُّ على ما استدِلَّ عليه من الباطل.

الرد على الجبرية  
والمعتزلة في مسألة  
أعمال العباد

فمما استدلت<sup>(١)</sup> به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]. فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبتته لنفسه سبحانه، فدلَّ على أنه لا صُنْع للعبد. قالوا: والجزاء غَيْرُ مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»<sup>(٢)</sup>.

ومما استدل به القدرية، قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

(١) في (ب): استدل.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحد ٢٥٦/٢ من حديث أبي هريرة، وأخرجه عنه أيضاً البخاري (٥٦٧٣) و(٦٣٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠١)، وأحمد ٢٣٥/٢ و٢٥٦ و٢٦٤ و٣٢٦ و٣٤٤ و٣٨٦ و٣٩٠ و٤٥١ و٤٥٢ و٤٦٦ و٤٧٣ و٤٨٢ و٤٨٨ و٤٩٥ و٥٠٩ و٥١٤ و٥١٩ و٥٢٤، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦١)، والبيهقي (٤١٩٢) و(٤١٩٣) و(٤١٩٤). وأخرجه من حديث عائشة البخاري (٦٤٦٤) و(٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨)، وأحمد ١٢٥/٦، والنسائي في الكبرى، كما في (التحفة، ٣٦٩/١٢). وأخرجه من حديث جابر مسلم (٢٨١٧)، وأحمد ٣٣٧/٣ و٣٦٢، والدارمي ٣٠٥/٢ - ٣٠٦، وأخرجه من حديث أبي سعيد الخدري أحمد ٥٢/٣.

الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتيب  
العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾  
[فصلت: ١٧] و [الأحقاف: ١٤] و [الواقعة: ٢٤]. ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ  
الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾<sup>(١)</sup> [الأنفال: ١٧]، فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت  
لرسوله ﷺ رمياً، بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك  
أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتدأه الحذف، وانتهاه الإصابة، وكل  
منهما يُسمى رمياً، فالمعنى حيثئذ - والله تعالى أعلم -: وما أصبت  
إذ حذف، ولكن الله أصاب، وإلا فطرّد قولهم: وما صليت إذ صليت،  
ولكن الله صلى! وما صُمت إذ صمت! وما زينت إذ زينت! وما سَرقت  
إذ سَرقت! وفساد هذا ظاهر.

وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلّت فيه الجبرية والقدرية،

---

(١) قال ابن القيم في «مدارج السالكين» ٤٧٦/٣: هذه الآية نزلت في شأن رمية صلى الله  
عليه وسلم المشركين يوم بدر بقبضة من الحصاة، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته،  
ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه صلى الله عليه وسلم،  
مبدأ الرمي، وهو الحذف، ومن الله سبحانه وتعالى نهايته، وهو الإيصال، فأضاف إليه  
رمي الحذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته، ونظير هذا قوله  
في الآية نفسها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
رَمَى﴾، فأخبر أنه هو وحده الذي تفرد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، كما تفرد  
بإيصال الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه  
سبحانه أقام أسباباً ظاهرة لدفع المشركين، وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير  
الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصر مضافاً إليه وبه،  
وهو خير الناصرين. وانظر «الطبري» ٤٤١/١٣ - ٤٤٥.

وَهَدَى اللَّهُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ، فَإِنَّ الْبَاءَ الَّتِي فِي النَّفْيِ غَيْرُ الْبَاءِ الَّتِي فِي الْإِثْبَاتِ، فَالْمَنْفِيُّ فِي قَوْلِهِ ﷻ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ» بَاءُ الْعَوَضِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ كَالْثَمَنِ لِدُخُولِ الرَّجُلِ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا زَعَمَتِ الْمَعْتَزَلَةُ أَنَّ الْعَامِلَ يَسْتَحِقُّ<sup>(١)</sup> دُخُولَ الْجَنَّةِ عَلَى رَبِّهِ بِعَمَلِهِ! بَلْ ذَلِكَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ. وَالْبَاءُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٧] ونحوها، بَاءُ السَّبَبِ، أَي: بِسَبَبِ عَمَلِكُمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ خَالِقُ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، فَرَجَعَ الْكُلَّ إِلَى مُحَضَّرِ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُ الْمَعْتَزَلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فَمَعْنَى الْآيَةِ: أَحْسَنُ الْمَصُورِينَ الْمُقَدَّرِينَ، وَ«الْخَلْقُ» يُذَكَّرُ وَيُرَادُّ بِهِ التَّقْدِيرُ، وَهُوَ الْمُرَادُّ هُنَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] و[الزمر: ٦٢] أَي: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ، فَدَخَلَتْ أَفْعَالُ الْعِبَادِ فِي عَمُومِ: «كُلِّ» وَمَا أَفْسَدَ قَوْلَهُمْ فِي إِدْخَالِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَمُومِ: «كُلِّ» الَّذِي هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا! وَأَخْرَجُوا أَفْعَالَهُمُ الَّتِي هِيَ مَخْلُوقَةٌ مِنْ عَمُومِ. «كُلِّ»!! وَهَلْ يَدْخُلُ فِي عَمُومِ: «كُلِّ» إِلَّا مَا هُوَ مَخْلُوقٌ؟! فَذَاتُهُ الْمُقَدَّسَةُ وَصِفَاتُهُ غَيْرُ دَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْعَمُومِ، وَدَخَلَ سَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي عَمُومِهَا، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وَلَا نَقُولُ: لِأَنَّ<sup>(٣)</sup> «مَا» مُصْطَرِغِي، أَي:

(١) فِي (ب): مُسْتَحَقٌّ.

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ الرِّسَالَةِ» ص ١٤٦ - ١٥٢ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَ«حَادِي الْأَرْوَاحِ» ص ٦١ لِابْنِ الْقَيْمِ.

(٣) فِي مَطْبُوعَةِ مَكَّةَ: إِنَّ.

خلقكم وعملكم؛ إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى، لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير، وذكر أبو الحسين البصري<sup>(١)</sup> إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري، وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده، ويمتنع عند عدمه ضروري، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء<sup>(٢)</sup> كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة، غير مسلم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨]. فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ إثبات للقدر بقوله: فألهما، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] - إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٣٦/١٦ - ٢٤٤. وأبو الحسين البصري: هوشنج المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية، محمد بن علي بن الطيب، كان فصيحاً بليغاً، عذب العبارة، يتوقد ذكاء، وله اطلاع كبير، له كتاب «المعتمد» في أصول الفقه، توفي سنة (٤٣٦هـ). مترجم في «السير» ١٧ / رقم الترجمة (٣٩٣).

(٢) في (ب): ادعى.



وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقتهم، بل مرقتهم كل مرزق، وهي: أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يُعَذِّبُ المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم<sup>(١)</sup>؟ فأين العذل في تعذيبهم على ما هو خالقُه وفاعله فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروقا في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرُق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم<sup>(٢)</sup> والتعليل، وسدت باب السؤال، وطائفة اثبتت كسبا لا يعقل! جعلت الثواب [والعقاب] عليه، وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين<sup>(٣)</sup>، ومفعول بين فاعلين! وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يُعَذِّبُهم على ما لا يقدرُونَ عليه! وهذا السؤال هو الذي أوجب هذا التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال: إن ما يُبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن<sup>(٤)</sup> كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يُكسِبُ الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يُورِث بعضها بعضاً.

يبقى أن يُقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب. يقال: هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خُلِقَ له، وفُطِرَ عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته،

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة، ٣٢٥/١ - ٣٣٠، ومجموع الفتاوى، ١٤ / ٣٣١ - ٣٣٧.

(٢) في مختصر الصواعق: «الحكمة» وهما بمعنى.

(٣) تحرف في الأصول إلى: «مقدورين قادرين»، والمثبت من مختصر الصواعق، ٣٢٥/١.

(٤) سقطت الواو من (ب).

٢٧١ وتأله، والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. فلما لم يفعل ما خلق له وفطر عليه، من محبة الله وعبوديته، والإنابة إليه، عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعل من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]. وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ \* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤١-٤٢]. والإخلاص: خلوص القلب من تأله ما سوى الله تعالى وإرادته ومحبه، فخلص الله، فلم يتمكن منه الشيطان. وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب<sup>(١)</sup> فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم هذا الإخلاص، وهي محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم من خلقه فيه؟ قيل: هذا سؤال فاسد، فإن العدم كاسمه، لا يقتصر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ في حديث الاستفتاح: «لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَالْشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»<sup>(٢)</sup>.

وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول له الله:

(١) في (ب): حسب.

(٢) قطعة من حديث صحيح تقدم في ص ١٦٢.

يا محمد، فيقول: «لَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولّونه والذين همّ به مشركون، فلما تولّوه دون الله وأشركوا به معه، عوّبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلّو القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهامه البِرّ والتقوى ثمرة هذا الإخلاص. ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلّوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً، عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عديماً، فكيف يُعاقب على العدم المحض؟

قيل: ليس هنا ترك هو كفت النفس ومنعها عما تُريدُه وتُحبُه، فهذا قد يُقال: إنه أمر وجودي، وإنما هنا<sup>(٢)</sup> عدمٌ وخلّو من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلّوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر

(١) قطعة من حديث أخرجه البزار (٣٤٦٢) من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن صلة، عن حذيفة قال: يجمع الناس في صعيد واحد، ولا تكلم نفس، فأول من — أحسبه قال — يتكلم محمد ﷺ، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك، وإليك، ولا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت، فهذا قوله: ﴿عسى أن يعثبك ربك مقاماً محموداً﴾.

قال الهيثمي في «المجمع» ٣٧٧/١٠: رواه البزار عن حذيفة موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في «الأوسط» عنه مرفوعاً، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، وفي وصفه ليث بن أبي سليم بالتدليس وقفة، فلأننا لا نعلم أحداً من أئمة الجرح والتعديل وصفه بذلك، وإنما هو سيء الحفظ. ومن طريق ليث بن أبي سليم أخرجه الحاكم أيضاً ٥٧٣/٤.

(٢) في (ب): هو.

العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تنالُه بعدَ إقامة الحُجَّةِ عليه بالرسَل. فلله فيه عقوبتان:

٢٧٢ إحداهما: جَعَلَهُ مَذْنِباً خَاطِئاً، وهذه عقوبةٌ عدمِ إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يُحسُّ بالمها ومضرَّتها لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعدَ فعله للسيئات، وقد قرَنَ الله تعالى بينَ هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يُمكنُهُم أن يأتوا بالإخلاص والإِنابة والمحبة له وحده من غير أن يُخلَقَ ذلك في قلوبهم، ويَجْعَلَهُم مخلصين له، منيبين إليه، محبين له وحده؟ أم ذلك مَحْضٌ جَعَلَهُ في قلوبهم وإلقائه فيها؟ قيل: لا، بل هُوَ مَحْضٌ مِنِّيهِ وفضله، وهو من أعظم الخير الذي هو بيده، والخيرُ كُلُّهُ في يديه، ولا يَقْدِرُ أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه، ولا يَتَّقِيَ مِنَ الشَّرِّ إلا ما وَقَاه.

فإن قيل: فإذا لم يُخلَقَ ذلك في قلوبهم، ولم يُوقَفُوا له، ولا سَبِيلَ لهم إليه بأنفسهم، عاد السُّؤال، وكان منعُهُم منه ظلماً، ولزمكم القول: بأن العدل هو تصرفُ المالك في ملكه بما يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

قيل: لا يكونُ سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانعُ ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرَّمهُ الربُّ

على نفسه، وأوجبَ على نفسه خلافه، وأما إذا منع غَيْرَه ما ليس بحق له، بل هو محضُ فضله ومنته عليه. لم يكن ظالماً بمنعه، فَمَنَعَ الحقَّ ظلم، وَمَنَعَ الفضل والإحسان عَدْلٌ، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسنُ المتأنُّ بعبثائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق<sup>(١)</sup> إحساناً ورحمةً، فهلاً كان العملُ له والغلبة، كما أن رحمته تغلبُ غَضَبه؟

قيل: المقصودُ في هذا المقام بيانُ أن هذه العقوبة المترتبة على هذا المنع، والمنع المستلزم للعقوبة، ليس بظلم، بل هو محضُ العدل.

وهذا سؤالٌ عن الحكمة التي أوجبت تقديمَ العَدْلِ على الفضل في بعض المَحَالِّ؟ وهلاً سَوَّى بَيْنَ العباد في الفضل؟ وهذا السؤالُ حَاصِلُهُ: لِمَ تَفْضَلُ على هذا وَلَمْ تَفْضَلْ على الآخر؟ وقد تولى الله سبحانه الجوابَ عنه بقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. وقوله: ﴿لَا يَعْزِمُ اللَّهُ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]. ولما سألَه اليهودُ والتصارى عن تخصيصِ هذه الأمة بأَجْرَيْنِ وإعطائهم هُم أجراً أجراً قال: «هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»<sup>(٢)</sup> وليس في الحكمة إطلاعُ كُلِّ فردٍ من أفرادِ الناسِ على

(١) في (ب): التوفيق والعطاء.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٥٧) و(٢٢٦٨) و(٢٢٦٩) و(٣٤٥٩) و(٥٠٢١) و(٧٤٦٧) و(٧٥٣٣)، والترمذي (٢٨٧١)، وأحمد ٦/٢ و١١١ و١٢١ و١٢٩، والرامهرمزي في «الأمثال» ص ٥٩، والطبائسي (١٨٢٠) من حديث ابن عمر.

كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف اللُّهُ عن بصيرة العبد، حتى أبصر طرفاً يسيراً من حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوال مَحَال ذلك، استدَل بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿أَمْؤَلَاءُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنَانٍ؟﴾ قال تعالى مجيباً لهم: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. فتأمل هذا الجواب، تَرَّ في ضمنه أنه سبحانه أَعْلَمُ بالمحل الذي يَصْلُحُ لغرس شجرة النعمة، فتثمر بالشكر من المحل الذي لا يَصْلُحُ لغرسها، فلو غُرِسَتْ فيه لم تثمر، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

العبد فاعل لفعله حقيقة ولكن مخلوق لله  
فإن قيل: إذا حَكَمْتُمْ باستحالة الإيجاد من العبد، فإذا لا يفعل للعبد أصلاً؟ قيل: العبدُ فاعل لفعله حقيقة، وله قُدْرَةٌ حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، وأمثال ذلك.

وإذا ثبت كونُ العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:  
نوعٌ يكون منه من غير اقترانِ قدرته وإرادته، فيكون صِفَةً له، ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.  
ونوعٌ يكون منه مقارناً لإيجادِ قدرته واختياره، فيوصَفُ بكونه صِفَةً وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية. واللَّهُ تعالى هو الذي جَعَلَ العبدَ فاعلاً مختاراً، وهو الذي يَقْدِرُ على ذلك وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له. ولهذا أنكر السلفُ الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع

الإكراه، يقال: للآب ولأية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ<sup>(١)</sup>، أي: ليس له أن يُزوّجها مكرهه.

والله تعالى لا يُوصَفُ بالإجبار بهذا الاعتبار، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد، قَادِرٌ أن يجعله مختاراً، بخلاف غيره. ولهذا جاء في الفاظ الشارع: «الجبل» دون «الجبر»، كما قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلْقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْجَلْمُ وَالْأَنَاءُ» فَقَالَ: أَخْلُقَيْنِ تَخَلَّقْتُ بِهِمَا؟ أَمْ خُلِقَيْنِ جُبِلْتُ عَلَيْهِمَا؟ فَقَالَ: «بَلْ خُلِقَيْنِ جُبِلْتُ عَلَيْهِمَا» فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ [ورسوله]<sup>(٢)</sup> والله تعالى

(١) انظر بسط المسألة في «المغني» ٤٨٧/٦ - ٤٨٩.

(٢) حديث صحيح أخرجه بتملمه أبو داود (٥٢٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٣١٣) من طريق أم أبان بنت الوازع بن زارع، عن جدّها زارع... وروى طرفاً منه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٥)، وفي «التاريخ» ٤٤٧/٣. ورجاله ثقات خلا أم أبان، فإنها لا تُعرف بحرح ولا تعديل. وزارع: هو ابن عامر العبدي من عبد القيس عداده في أعراب البصرة، وفد على النبي ﷺ مع الأشج. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٧) من طريق قيس بن حفص، حدثنا طالب بن حجير العبدي، حدثني هود بن عبد الله بن سعد، سمع جده مزيعة العبدي، قال: جاء الأشج... وسننه حسن في الشواهد، وهو في مسند أبي يعلى ٢/٣١٩، و«معجم الطبراني الكبير» ٨١٢/٢٠، وانظر «مجمع الزوائد» ٣٨٨/٩. وأخرجه أحمد ٢٠٦/٤، وأبو يعلى فيما ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» ١١٧/١ من طريقين، عن يونس بن عبيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن الأشج بن عبد القيس، قال: قال لي رسول الله ﷺ... ولورده الميمني في «المجمع» ٣٨٧/٩ - ٣٨٨ عن أحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح إلا أن ابن أبي بكرة لم يدرك الأشج. وفي حديث ابن عباس الطويل أَنَّ النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلْقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْجَلْمُ وَالْأَنَاءُ» أخرجه مسلم (١٧) (٢٥)، والترمذي (٢٠١١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٦)، وابن منته في «الإيمان» (١٥٢)، والطبراني في «الصغير» ١١/٢، والخطيب في «تاريخه» ٢٧٩/٥، وأخرجه من حديث أبي سعيد =

إنما يُعَذَّبُ عَبْدُهُ عَلَى فِعْلِهِ الْإِخْتِيَارِيِّ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعِقَابِ عَلَى الْفِعْلِ الْإِخْتِيَارِيِّ وَغَيْرِ الْإِخْتِيَارِيِّ مُسْتَقَرٌّ فِي الْفِطْرِ وَالْعَقُولِ.

وإذا قيل: خَلَقَ الْفِعْلُ مَعَ الْعَقُوبَةِ عَلَيْهِ ظُلْمٌ؟! كَانَ بِمَنْزِلَةِ أَنْ يُقَالَ: خَلَقَ أَكَلَ السُّمِّ، ثُمَّ حَصُولُ الْمَوْتِ بِهِ ظُلْمٌ!! فَكَمَا أَنَّ هَذَا سَبَبٌ لِلْمَوْتِ<sup>(١)</sup>، فَهَذَا سَبَبٌ لِلْعَقُوبَةِ، وَلَا ظُلْمٌ فِيهِمَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ فِعْلٌ لَهُ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنَّهُ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَفْعُولٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لَيْسَ هُوَ نَفْسَ فِعْلِ اللَّهِ، فَفَرْقٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ، وَالْخَلْقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: «وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللَّهِ وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ» أَثَبَتْ لِلْعِبَادِ فِعْلًا وَكَسْبًا، وَأَضَافَ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَالْكَسْبُ: هُوَ الْفِعْلُ الَّذِي يَعُودُ عَلَى فَاعِلِهِ مِنْهُ نَفْعٌ أَوْ ضَرَرٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ» [البقرة: ٢٨٦].

قَوْلُهُ: «وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ». وَهُوَ تَفْسِيرُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحْوِيلَ لِأَحَدٍ<sup>(٢)</sup>، وَلَا حَرَكََةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِلَّا بِمُؤْنَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالتَّيَسُّبِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُ الْمَشِئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ،

= الخلدري كذلك، مسلم (١٨)، وأحمد ٢٣/٣. وقول الشيخ ناصر الدين الألباني في تحريجه لرواية الشارح: أخرجه مسلم وغيره عن ابن عباس، وهم منه كما ترى.

(١) في (ب): الموت.

(٢) جملة: «ولا تحول لأحد» سقطت من (ب).



وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، [الأنبياء: ٢٣].

شر: فقلوه: «لَمْ يُكَلِّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ» قال تعالى: التكليف بحسب الطاقة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] و[الأعراف: ٤٢] و[المؤمنون: ٦٢].

وعن<sup>(١)</sup> أبي الحسن الأشعري أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً<sup>(٢)</sup>، ثم تردّد أصحابه أنه: هل ورد به الشرع أم لا؟ واحتج من قال بوروده بأمر أبي لهب بالإيمان، فإنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه<sup>(٣)</sup> سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وهو محال.

والجواب عن هذا بالمنع، فلا نسلم أنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، والاستطاعة التي بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة، فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كلف إلا ما يطيقه كما تقدّم في تفسير الاستطاعة. ولا يلزم قوله تعالى للملائكة: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]. مع عدم علمهم بذلك، ولا للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم»<sup>(٤)</sup>، وأمثال ذلك، لأنه ليس بتكليف طلب فعل يثاب فاعله، ويُعاقب تاركه، بل هو خطاب تعجيز.

(١) في مطبوعة مكة: وعند.

(٢) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ٦٠/١ - ٦٥، و«مجموع الفتاوى» ٣/٣١٨ - ٣٢٦.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٥١) و(٧٥٥٨) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وأخرجهم مسلم (٢١٠٨)، والنسائي ٢١٥/٨، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٦٦/٦، وأحمد =

وكذا لا يَلَزَمُ دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لِأَن تَحْمِيلَ مَا لَا يُطَاقُ لَيْسَ تَكْلِيفًا، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَهُ جِبَالًا لَا يُطِيقُهُ فَيَمُوتُ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَي: لَا تُحَمِّلُنَا مَا يَثْقُلُ عَلَيْنَا أَدَاؤُهُ وَإِنْ كُنَّا مُطِيقِينَ لَهُ عَلَى تَجَسُّمٍ وَتَحْمُلٍ مَكْرُوهٍ، قَالَ: فَخَاطَبَ الْعَرَبَ عَلَى حَسَبِ مَا تَعَقَّلَ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يَقُولُ لِلرَّجُلِ يَتَغَضُّهُ: مَا أُطِيقُ النَّظَرَ إِلَيْكَ، وَهُوَ مُطِيقٌ لِذَلِكَ، لَكِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يُكَلِّفَهُ بِحَمْلِ جَبَلٍ بِحَيْثُ لَوْ فَعَلَ يَثَابُ، وَلَوْ امْتَنَعَ يُعَاقَبُ، كَمَا أَخْبَرَ مَسْبُحَانَهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ لَا يَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَجُوزُ تَكْلِيفُ الْمَمْتَنِعِ عَادَةً، دُونَ الْمَمْتَنِعِ لِدَاثِهِ، لِأَن ذَلِكَ لَا يَتَصَوَّرُ وَجُودُهُ، فَلَا يُعَقَّلُ الْأَمْرُ بِهِ، بِخِلَافِ هَذَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا لَا يُطَاقُ لِلْعَجْزِ عَنْهُ لَا يَجُوزُ تَكْلِيفُهُ، بِخِلَافِ مَا لَا يُطَاقُ لِلِاسْتِغَالِ بِضِلُّهُ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ تَكْلِيفُهُ. وَهَؤُلَاءِ مُوَافِقُونَ لِلْسَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ فِي الْمَعْنَى، لَكِنْ كَوْنُهُمْ جَعَلُوا مَا يَتْرَكُهُ الْعَبْدُ لَا يُطَاقُ لِكُونِهِ تَارِكًا لَهُ مُشْتَغَلًا بِضِلُّهِ، بِدَعْوَةٍ فِي الشَّرْعِ وَاللُّغَةِ، فَإِنْ مَضْمُونُهُ أَنَّ فِعْلًا مَا لَا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ لَا يُطِيقُهُ!.

وَهُمُ التَّزَمُوا هَذَا، لِقَوْلِهِمْ<sup>(١)</sup>: إِنْ الطَّاقَةُ — الَّتِي هِيَ الْإِسْطَاعَةُ وَهِيَ الْقُدْرَةُ — لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ الْفِعْلِ! فَقَالُوا: كُلُّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ فِعْلًا، فَإِنَّهُ

= ٤/٢ و ٢٠ و ٢٦ و ٥٥ و ١٤١. وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٢١٠٥) وَ (٣٢٢٤) وَ (٥١٨١) وَ (٥٩٥٧) وَ (٥٩٦١) وَ (٧٥٥٧)، وَمُسْلِمٌ (٢١٠٧) (٩٦)، وَمَالِكٌ ٩٦٧/٢، وَاحِدٌ ٧٠/٦ و ٨٠ و ١٠١ و ١٢٦ و ١٣٩ و ١٤١ و ٢٢٣ و ٢٤٦، وَابْنُ مَاجَهٍ (٢١٥١)، وَالطَّيَالِسِيُّ (١٤٢٥)، وَالنَّسَائِيُّ ٢١٥/٨ — ٢١٦. (١) فِي (ب): بِقَوْلِهِمْ.

لا يُطِيقُهُ! وهذا خلافُ الكتابِ والسنة وإجماعِ السلف، وخلافُ ما عليه عامة العقلاء، كما تقدّمت الإشارةُ إليه عند ذكر الاستطاعة.

وأما ما لا يَكُونُ إلا مقارناً للفعل، فذاك ليس شرطاً في التكليف، مع أنّه في الحقيقة إنما هناك إرادةُ الفعل. وقد يحتجّون بقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠] ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧، ٧٢، ٧٥]. وليس في ذلك إرادة ما سُمِّره استطاعةً، وهو ما لا يَكُونُ إلا مع الفعل، فإنَّ اللهَ ذمَّ هؤلاء على كونهم لا يستطيعون السَّمْعَ، ولو أراد بذلك المقارن، لكانَ جميعُ الخلقِ لا يستطيعون السَّمْعَ قبل السَّمْعِ! فلم يَكُنْ لتخصيصِ هؤلاء بذلك معنى، ولكن هؤلاء — لبغضهم الحقَّ وثقلِهِ عليهم، إما حسداً لصاحبه، وإما اتباعاً للهوى — لا يستطيعون السَّمْعَ. وموسى عليه السلام لا يستطيع الصَّبْرَ، لمخالفة ما يراه لإظهارِ الشرع، وليس عنده منه عِلْمٌ. وهذه لغة العربِ وسائر الأمم، فمن يَبْغِضُ غيره يقال: إنه لا يَسْتَطِيعُ الإحسانَ إليه، ومن يحبه يقال: إنه لا يستطيعُ عُقُوبَتَهُ، لِشِدَّةِ محبته له، لا لِعجزه عن عقوبته، فيقال ذلك للمبالغة، كما تقول: لأضربنَّه حتى يموت، والمرادُ الضرب الشديد، وليس هذا عذراً، فلولم يأمر العبادُ إلا بما يهونونه، لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

٢٧٦

وقوله: «ولا يُطِيقُونَ إلا ما كُلفهم به» إلى آخر كلامه. أي: ولا يُطِيقُونَ إلا ما أقْدَرَهُمْ عليه. وهذه الطاقة هي التي مِنْ نَحْوِ التوفيق، لا التي مِنْ جهة الصحة والوُسْعِ والتَّمَكُّنِ وسلامةِ الآلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، دليلٌ على إثبات القَدْرِ، وقد فسرها الشيخ بعدها،

ولكن في كلام الشيخ إشكال، فإن التكليف لا يُستعمل بمعنى الإقذار وإنما يُستعمل بمعنى الأمر والنهي، وهو قد قال: «لا يكلفهم إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم» وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد، ولا يصح ذلك، لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به، لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. فلو زاد فيما كلفنا به، لأطقناه، ولكِنَّ تَفْضُلَ عَلَيْنَا وَرَحْمَتًا، وَخَفَّفَ عَنَا، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ<sup>(١)</sup>، ففي العبارة قلق، فتأمل.

وقوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره»، يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

الفرق بين القضاء الشرعي والقضاء الكوني

أما القضاء الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

والقضاء الديني الشرعي، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) في (أ) و (ج) و (د) وهامش (ب) بعد هذا ما نصه: «ويجاب عن هذا الإشكال بما تقدم: أن المراد الطاقة التي من نحو التوفيق، لا من جهة التمكن وسلامة الآلات، لكن، إلا أنه قد أثبت في (أ) فوق كلمة: «ويجاب»: «لا»، وفوق كلمة «لكن»: «إلى»، وهذا اصطلاح منهم على أن ما بين «لا» و «إلى» من الكلام زائد على الأصل، وليس منه.

(٢) انظر «شفاء العليل» ص ٢٧٠ - ٢٨٣

وأما الإرادة الكونية والدينية، فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ:  
ولا يكون إلا ما يريد<sup>(١)</sup>.

وأما الأمر الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، في أحد الأقوال، وهو أقواها<sup>(٢)</sup>.

والأمر الشرعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، الآية [النحل: ٩٠]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمْتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وأما الإذن الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والإذن الشرعي، في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

وأما الكتاب الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والكتاب الشرعي الديني، في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(١) انظر ص ٧٨.

(٢) انظر تفسير الآية في «جامع البيان» ٤٣/١٥، و«زاد المسير» ١٨/٥ - ١٩.

وأما الحُكْمُ الكَوْنِيُّ، ففي قوله تعالى عن ابنِ يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ<sup>(١)</sup> رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].  
والحُكْمُ الشرعي، في قوله تعالى: ﴿أُجِلْتُ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وأما التَّحْرِيمُ الكَوْنِيُّ، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]. ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والتحريم الشرعي، في قوله: ﴿حُرِّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿حُرِّمْتُ عَلَيْكُمُ أَمْهَاتُكُمْ﴾، الآية [النساء: ٢٣].

وأما الكلمات الكونية، ففي قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْتُ كَلِمَةً رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَئِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وفي قوله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل: (قُلْ) على الأمر، وهي قراءة أبي عمرو، وعامة القرلة غير حفص، أي: قل يا محمد: يا رب احكم بالحق وقرأ حفص (قال رب احكم) هو اخبار الله جل وعز عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا رب احكم بالحق. انظر «حجة القراءات» ص ٤٧١.

(٢) قطعة من حديث تقدم تخريجه ص ١٨٩ تعليق (١) رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن خنيس رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وله شاهد من حديث خالد بن الوليد عند الطبراني في «الكبير» (٣٨٣٨) وآخر من حديث عبد الله بن مسعود عند الطبراني في «الصغير» كما في «المجمع» ١٠/١٢٧.

والكلمات الشرعية الدينية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقوله: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وهو غير ظالم، أبدأ، الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد. يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية<sup>(١)</sup>، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقيحاً يكون منه ظلماً وقيحاً، كما تقول القدرية والمعتزلة ونحوهم! فإن ذلك تمثيل لله بخلقه! وقياس له عليهم! هو الربُّ الغنيُّ القادر، وهم العبادُ الفقراء المقهورون. وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم! بل كل ما كان ممكناً، فهو منه — لو فعله — عدل، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منه، والله ليس كذلك، فإن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يُدْلُ الْقَوْلُ لَدِي وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]. وذلك يدل على نقيض هذا القول.

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: «يَا عِبَادِي، إِنِّي خَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالُمُوا»<sup>(٢)</sup>. فهذا دل على شيئين:

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ١٣٧/١٨ - ١٤٥، و«جامع الرسائل» ص ١١٩ - ١٤٢.

و«مختصر الصواعق المرسلة» ٣١١/١ - ٣١٩.

(٢) تقدم تخريجه ص ٩٢ تعليق (٢) وهو صحيح.

أحدهما: أنه حُرِّمَ على نفسه الظُّلْمَ، والممتنعُ لا يُوصَفُ بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حُرِّمَ على نفسه، كما أخبر أنه كَتَبَ على نفسه الرحمة، وهذا يُبَيِّطُ احتجاجَهُم بأنَّ الظلمَ لا يكونُ إلا مِنْ مأمورٍ منهيٍّ، واللَّهَ ليسَ كذلك، فَيُقَالُ لَهُمْ: هو سبحانه كَتَبَ على نفسه الرحمةَ، وَحَرَّمَ على نفسه الظُّلْمَ، وإنما كتب على نفسه، وَحَرَّمَ على نفسه ما هُوَ قَادِرٌ عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

وأيضاً: فإنَّ قولَه: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] قد فسَّرَ السلفُ، بأنَّ الظلمَ: أن تُوضَعَ عليه سيئاتٌ غيره، والهضمُ: أن يُنْقَصَ من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥].

وأيضاً: فإنَّ الإنسانَ لا يَخَافُ الممتنعَ الذي لا يدخل تحتَ القدرة حتى يُؤْمَنَ من ذلك، وإنما يُؤْمَنُ مما يُمكنُ، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ [طه: ١١٢] عَلِمَ أنه ممكنٌ مقدورٌ عليه، وكذا قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨]، إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، لم يَغْنِ بها نفْيَ ما لا يُقدَّرُ عليه، ولا يُمكنُ منه، وإنما نفى ما هو مقدورٌ عليه ممكن، وهو أن يُجزَّوا بغير أعمالهم. فعلى قول هؤلاء: ليس الله منزهاً عن شيءٍ من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يَفْعَلَهُ، بل كُلُّ ممكن، فإنه لا يُنَزَّهُ عن فعله، بل فَعَلَهُ حسن، ولا حقيقة للفعل السُّوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له!!

والقرآنُ يَدُلُّ على نقيض هذا القول في مواضع نَزَّهَ الله نفسه فيها عن فعلٍ ما لا يَصْلُحُ له، ولا ينبغي له، فَعَلِمَ أنه مُنَزَّهٌ مقدسٌ عن فعلِ السُّوء، والفعلِ المعيب المذموم، كما أنه مُنَزَّهٌ مقدسٌ عن وصف السُّوء



والوصف المعيب المذموم، وذلك كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فإنه نَزَّهَ نفسه عن خلق الخلق عَثَاً، وأنكر على مَنْ حَسِبَ ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] إنكارٌ منه على من جَوَّزَ أن يُسَوِّيَ اللَّهُ بين هذا وهذا. وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً<sup>(١)</sup> مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البجائية: ٢١] إنكارٌ على من حَسِبَ أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكمٌ سَيِّئٌ قَبِيحٌ، وهو مما يَنْزُهُ الرَّبُّ عَنْهُ.

وروى أبو داود، والحاكم في «المستدرک»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَآوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) في الأصل: «سواءً» بالرفع، وهي قراءة أبي عمرو، ونافع وابن كثير، وابن عامر وعاصم، وقرأ بالنصب حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، فمن رفع فعل الابتداء، ومن نصب جعله مفعولاً ثانياً لنجعلهم، أو حالاً. «حجة القراءات» ص ٦٦١، انظر «زاد المسير» ٣٦١/٧.

(٢) قطعة من حديث مطول حسن، أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد ١٨٢/٥ - ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٩ من حديث ابن الديلمى، قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء، لعل الله أن يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب... فذكره. فقال: ثم أتيت عبدالله بن مسعود، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن حبان (١٨١٧)، وابن أبي عاصم (٢٤٥)، والآخرى في «الشریعة» ص ١٨٧، والطبراني في «الكبير» (٤٩٤٠)، واللالكائي في «السنن» (١٠٩٣) و (١٢٣٢).

وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية، وأما القدرية، فلا يتأتى على  
 أصولهم الفاسدة! ولهذا قابلوه إما بالتكذيب أو بالتأويل!! ٢٧٩

وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ السَّنَةِ<sup>(١)</sup>، الَّذِينَ قَابَلُوهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَعَلِمُوا  
 مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالِهِ، قَدْرَ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعَدَمَ قِيَامِ  
 الْخَلْقِ بِحَقْقِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، إِمَّا عِزًّا، وَإِمَّا جِهْلًا، وَإِمَّا تَفْرِيطًا  
 وَإِضَاعَةً، وَإِمَّا تَقْصِيرًا فِي الْمَقْدُورِ مِنَ الشُّكْرِ، وَلَوْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ،  
 فَإِنْ حَقَّ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ  
 فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَّرَ فَلَا يُكْفَرُ، وَتَكُونُ قُوَّةُ الْحَبِّ وَالْإِنَابَةِ، وَالتَّوَكُّلِ  
 وَالْمَخْشِيَةِ، وَالْمِرَاقَبَةِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، جَمِيعُهَا مُتَوَجِّهَةً إِلَيْهِ، وَمُتَعَلِّقَةً  
 بِهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْقَلْبُ عَاكِفًا عَلَى مَحَبَّتِهِ وَتَأْلَهُ، بَلْ عَلَى إِفْرَادِهِ بِذَلِكَ،  
 وَاللِّسَانُ مَحْبُوسًا عَلَى ذِكْرِهِ، وَالْجَوَارِحُ وَقْفًا عَلَى طَاعَتِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مَقْدُورٌ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَكِنْ النُّفُوسُ تَشِيعُ بِهِ، وَهِيَ  
 فِي الشُّحِّ عَلَى مَرَاتِبَ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَكْثَرُ الْمُطِيعِينَ تَشِيعُ  
 بِهِ نَفْسُهُ مِنْ وَجْهِهِ، وَإِنْ أَتَى بِهِ مِنْ وَجْهِهِ آخَرُ. فَأَيْنَ الَّذِي لَا تَقَعُ مِنْهُ إِزَادَةٌ  
 تَزَاجِمُ مُرَادَ اللَّهِ، وَمَا يُحِبُّهُ مِنْهُ؟ وَمَنْ الَّذِي لَمْ يَصُدِّرْ مِنْهُ خِلَافَ مَا خُلِقَ  
 لَهُ، وَلَوْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ؟ فَلَوْ وَضَعَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ عَذْلَهُ عَلَى أَهْلِ  
 سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ بِعَدْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ظَالِمًا لَهُمْ.

وِغَايَةُ مَا يُقَدَّرُ تَوْبَةُ الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ، وَاعْتِرَافُهُ، وَقَبُولُ التَّوْبَةِ مُحَضُّ  
 فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِلَّا فَلَوْ عَذَّبَ عَبْدَهُ عَلَى جَنَائِثِهِ، لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا،  
 وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ تَابَ مِنْهَا، لَكِنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ؛ بِمَقْتَضَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ  
 أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ مَنْ تَابَ، وَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، فَلَا يَسَعُ الْخَلَائِقُ

(١) انظر (مختصر الصواعق المرسلة، ١/٣٣١ - ٣٣٦).

إلا رحمته وعفوه، ولا يتلغ غملاً أحداً منهم أن يتنجو به من النار، أو يدخل به الجنة، كما قال أضوع الناس لربه، وأفضلهم عملاً، وأشدّهم تعظيماً لربه وإجلالاً: «لَنْ يُنَجِّي أَحَدٌ مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»<sup>(١)</sup>.

وسأله الصّديقُ دعاء يدعو به في صلاته، فقال: «قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان هذا حال الصّديق، الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فما الظنّ بسواه؟ بل إنما صار صديقاً بتوفية هذا المقام حقّه، الذي يتضمّن معرفة ربه، وحقّه وعظمته، وما ينبغي له، وما يستحقّه على عبده، ومعرفة تفصيله. فسحقاً وبُعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه، ولا يكون به حاجة إليها! وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية!! فإن لم يتيسّع فهمك لهذا، فانزل إلى وطأة النّعم، وما عليها من الحقوق، ووازن بين شكرها وكفرها، فحيث تدّ تعلم أنه سبحانه لو عذب ٢٨٠ أهل سَمَآوَاتِهِ، وأرضه، لعذبهم، وهو غير ظالم لهم.

قوله: «وَفِي دُعَايِ الْأَحْيَاءِ، وَصَدَقَاتِهِمْ منفعة للأموات».

(١) تقدم تخريجه ص ٦٤٠.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤) و (٦٣٢٦) و (٧٣٨٨)، ومسلم (٢٧٠٥)، والترمذي (٣٥٢١) و (٣٨٣٥)، وأحمد ٤/١ و ٧، والنسائي ٥٣/٣، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٩٧/٥، وابن ماجه (٣٨٣٥)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٦٠) و (٦١)، والبيهقي (٦٩٤).

انفعال الأموات من سعي الأحياء  
ش: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين<sup>(١)</sup>: أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دُعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، على نزاع فيما يصل من ثواب الحج، فعن محمد بن الحسن رحمه الله: أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة، والحج للحاج، وعند عامة العلماء: ثواب الحج للمحجج عنه، وهو الصحيح.

واختلف في العبادات البدنية، كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، فذهب<sup>(٢)</sup> أبو حنيفة، وأحمد، وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي، ومالك عَدَم وصولها.

وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عَدَم وصول شيء البتة، لا الدعاء، ولا غيره. وقولهم مردود بالكتاب، والسنة، لكنهم استدلوا بالمشابهة من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]. وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده»<sup>(٣)</sup>. فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه<sup>(٤)</sup> في الحياة،

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٣٠٦/٢٤ - ٣١٣ و ٣٢٤ و ٣٦٦، و«الروح» ص ١٥٩ - ١٩٣ لابن القيم، فقد بسط القول في المسألة.

(٢) في (ب): «فذكر» وهو خطأ.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٣١)، والترمذي (١٣٧٦)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والنسائي ٢٥١/٦، وأحمد ٣٨٢/٢، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٨)، وابن الجارود (٣٧٠) من حديث أبي هريرة.

(٤) في هامش (أ) و (ب): «إليه في الحياة»، وفيها: «وكذا في نسخة المصنف».

وما لم يكن تسبب فيه في الحياة، فهو مقطوع عنه.

واستدل المقتضرون على وصول العبادات انني تدخلها النيابة، كالصدقة والحج بأن النوع الذي لا تدخله النيابة<sup>(١)</sup> بحال، كالإسلام والصلاة والصوم، وقراءة القرآن، يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه، كما أنه في الحياة لا يفعلها أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره، وقد روى النسائي بسنده، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لَا يُضَيُّ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَا يَصُومُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ، وَلَكِنْ يُطْعِمُ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِثْلَ مَنْ جُضِّعَ»<sup>(٢)</sup>. والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه: الكتاب والسنة والإجماع، والقياس الصحيح.

أما الكتاب، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء. وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن، ففي «سنن أبي داود»، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيك»، واسألوا له الثبث، فإنه الآن يسأل<sup>(٣)</sup>.

(١) من قوله: «كالصدقة» إلى هنا مذكور في (أ)، ولكنه مرمج، أمّا في (ب) فقد أُلحق

بالهامش، ولم يرد في (ج) ولا (د) والصواب إثباتها. انظر «الروح» ص ١٦٨.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» ١/٤٣/٤، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٤١/٣ موقوفاً

على ابن عباس، وسنده صحيح، ولا يعرف في المرفوع انظر «الروح» ص ٢٣٩

لابن القيم.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص ١٢٩، والبيهقي في =

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في «صحيح مسلم»، من حديث بُريدة بن الحَصِيب، قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولُوا: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيحه» أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: كَيْفَ تَقُولُ إِذَا اسْتَغْفَرْتَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ<sup>(٢)</sup>؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِقُونَ»<sup>(٣)</sup>.

وأما وُصُولُ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ، ففي «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُمِّي افْتَلَيْتْ نَفْسَهَا، وَلَمْ تُوصِرْ، وَأَظْنُّهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِن تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»<sup>(٤)</sup>.

وفي «صحيح البخاري»، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

---

= «سننه» ٥٦/٤، وفي «إثبات عذاب القبر» (٢١١) و (٢١٢)، والبيهقي (١٥٢٣)، وسنده قوي. حسنه النووي في «الأذكار»، والحافظ في «أماله»، وصححه الحاكم ٣٧٠/١، ووافقه الذهبي.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٩٦.

(٢) في «صحيح مسلم»: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟. وهو برقم (٩٧٤).

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٩٦.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٨) و (٢٧٦٠)، ومسلم (١٠٠٤) ٣/١٢٥٤، والنسائي ٢٥٠/٦، وابن ماجه (٢٧١٧)، ومالك ٧٦٠/٢، والبيهقي (١٦٩٠)، والبيهقي ٦٢/٤، وأخرجه أبو داود (٢٨٨١)، وفيه: أن امرأة... والرجل المبهم هوسعد بن عباد، كما في الحديث الذي بعده. وانظر «الفتح» ٣٨٩/٥.

ان سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ تُوفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي تُوفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنْ حَائِطِي الْبِخْرَافُ<sup>(١)</sup> صَدَقَةٌ عَنْهَا<sup>(٢)</sup>. وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

وأما وُصُولُ ثَوَابِ الصَّوْمِ، ففي «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»<sup>(٣)</sup>. وله نَظَائِرُ في «الصحيح».

ولكن أبرحيفة رحمه الله قال بالإطعام عن الميتِ دُونَ الصَّيَامِ عنه، لحديثِ ابن عباس المتقدم، والكَلَامُ على ذلك معروفٌ في كتب الفروع.

وأما وُصُولُ ثَوَابِ الْحَجِّ، ففي «صحيح البخاري»، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ

(١) البِخْرَافُ - بكسر الميم وسكون الحاء -: المكان المنعمر، سمي بذلك لما يخرف منه أي: يجتنى، تقول: شجرة غِرافٍ مِشَار.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٦) و (٢٧٦٢) و (٢٨٧٠)، وأبو داود (٢٨٨٢)، والترمذي (٦٦٩)، والنسائي ٢٥٢/٦ - ٢٥٣، وأحمد ٣٣٣/١ و ٣٧٠، والطبراني في «الكبير» (١١٦٣٠) و (١١٦٣١) من طريقين، عن عكرمة، عن ابن عباس. وأخرجه مالك (٤٧٢/٢)، والبخاري (٢٧٦١) و (٦٦٩٨) و (٦٩٥٩)، ومسلم (١٦٣٨)، والنسائي ٢٥٣/٦ و ٢٠/٧ - ٢١، وأبو داود (٣٣٠٧)، والترمذي (١٥٤٦)، وابن ماجه (٢١٣٢) من طرق عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس أنه قال: إن سعد بن عبادة استغنى رسول الله ﷺ، فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر ولم تقضيه، فقال رسول الله ﷺ: «اقضه عنها».

(٣) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)، وأخرجه أبو داود (٢٤٠٠)، وأحمد ٦٩/٦، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢١/١٢، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٤٠/٣ - ١٤١، والبيهقي (١٧٧٣)، والبيهقي ٢٥٥/٤.

أُمِّي نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ، فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «[نعم] حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ، أَكُنْتُ قَاضِيَتَهُ؟ أَقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»<sup>(١)</sup>، ونظائره أيضاً كثيرة.

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ قَضَاءُ الدَّيْنِ يُسْقِطُهُ مِنْ ذِمَّةِ الْمَيِّتِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَجْنَبِيٍّ، وَمِنْ غَيْرِ تَرْكْتِهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ، حَيْثُ ضَمِنَ الدِّينَارَيْنِ عَنِ الْمَيِّتِ، فَلَمَّا قَضَاهُمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدَتُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَكُلُّ ذَلِكَ جَارٍ عَلَى قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَهُوَ مَحْضُ الْقِيَاسِ، فَإِنَّ الثَّوَابَ حَقُّ الْعَامِلِ، فَإِذَا وَهَبَهُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، لَمْ يُمْنَعْ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا لَمْ يُمْنَعْ مِنْ هَبَةِ مَالِهِ فِي حَيَاتِهِ، وَإِبْرَائِهِ لَهُ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

وقد نبّه الشَّارِعُ بِوُصُولِ ثَوَابِ الصَّوْمِ عَلَى وَصُولِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ ٢٨٢ ونحوها من العبادات البدنية، يُوضِّحُهُ: أَنَّ الصَّوْمَ كَفُّ النَّفْسِ عَنْ

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢) و(٦٦٩٩) و(٧٣١٥)، وأحمد ٢٧٩/١، والنسائي ١١٦/٥، والطبراني (٢٦٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٤٣) و(١٢٤٤٤)، والبيهقي ٢٥٥/٤.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٣٣٠/٣، والطبراني (١٦٧٣)، والبيهقي ٧٥/٦، والبخاري (١٣٣٤) من حديث جابر بن عبد الله قال: مات رجل منا فغسلناه، وكفنناه، وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنازة عند مقام جبريل، ثم أذن رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا خطي، ثم قال: «لعل على صاحبكم ذنباً؟» قالوا: نعم ديناراً، فتخلف، فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هما عليك، وفي مالك، والميت منها بريء» فقال: نعم، فصلي عليه، فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: «ما فعل الديناران» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتها يا رسول الله، قال: «الآن بردت عليه جلده» وسنده حسن، وصححه الحاكم ٥٨/٢، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٩/٣، ونسبه لأحمد والبخاري، وحسن إسناده.



المفطرات بالنية، وقد نصَّ الشَّارِعُ على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عَمَلٌ ونية؟

والجوابُ عما استدلوا به مِنْ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] قد أَجَابَ العلماءُ بأجوبة<sup>(١)</sup>: أصحُّها ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾  
جوابان:

أحدهما: أن الإنسانَ بسعيه وحُسنِ عشرته اكتسبَ الأصدقاء، وأولَدَ الأولادَ، ونكحَ الأزواجَ، وأسدَى الخيرَ، وتوَدَّدَ إلى الناسِ، فَتَرَحَّمُوا عليه، ودَعَوْا له، وأَمَدُّوا له ثَوَابَ الطاعاتِ، فكان ذلك أَثَرُ سعيه، بل دُخُولُ المسلم مع جملةِ المسلمين في عَقْدِ الإسلامِ من أعظمِ الأسبابِ في وصولِ نفعٍ كُلِّ مِنَ المسلمين إلى صاحبه، في حياته وَبَعْدَ مماته، ودَعْوَةُ المسلمين تُحِيطُ مِنْ ورائهم.

يُوضِّحه: أن الله تعالى جَعَلَ الإيمانَ سبباً لانتفاعِ صاحبه بدُعاءِ إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به، فقد سعى في السَّبَبِ الذي يُوصِلُ إليه ذلك.

(١) مذكورة في «الروح» ص ١٦٩، وقد بين ضعفها ابن القيم، ورجح الجوابين اللذين ذكرهما الشارح هنا، وقال: كان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها.

وفي «مجموع الفتاوى» ٣١٢/٢٤: وأما الآية فللناس عنها أجوبة متعددة، كما قيل: إنها تختص بشرع من قبلنا، وقيل: إنها مخصوصة، وقيل: إنها منسوخة، وقيل: إنها تنال السعي مباشرة وسبباً، والإيمان من سعيه الذي تسبب فيه، ولا يحتاج إلى شيء من ذلك، بل ظاهر الآية حق، لا يخالف بقية النصوص، فإنه قال: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) وهذا حق، فإنه إنما يستحق سعيه، فهو الذي يملكه ويستحقه، كما أنه إنما يملك من المكاسب ما اكتسبه هو، وأما سعي غيره فهو حق، وملك لذلك الغير لا له، لكن هذا لا يمنع أن يتنفع بسعي غيره، كما يتنفع الرجل بكسب غيره.

الثاني : - وهو أقوى منه - أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْفِ انْتِفَاعَ الرَّجُلِ بِسَعْيِ  
غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا نَفَى مِلْكَهُ لَغَيْرِ سَعْيِهِ، وَبَيَّنَّ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْفَرْقِ مَا لَا يَخْفَى،  
فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا سَعْيِهِ، وَأَمَّا سَعْيُ غَيْرِهِ، فَهُوَ مُلْكٌ لِسَاعْيِهِ،  
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَبْدُلَهُ لَغَيْرِهِ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُبْقِيَهُ لِنَفْسِهِ.

وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَزَرُّوا زُرَّتْ وَازِرَّتْ زُرَّتْ أُخْرَى \* وَأَنْ لِّئْسَ لِلْإِنْسَانِ  
إِلَّا مَسْعًى﴾ [النجم: ٣٨ - ٣٩]. آيتان محكمتان، تقتضيان عدل  
الرب تعالى:

فالأولى: تقتضي أنه لا يُعَاقَبُ أَحَدًا بِجُرْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِجَرِيرَةِ  
غَيْرِهِ، كَمَا يَفْعَلُهُ مُلُوكُ الدُّنْيَا.

والثانية: تقتضي أنه لا يُفْلِحُ إِلَّا بِعَمَلِهِ، لِيَقْطَعَ طَمَعَهُ مِنْ نَجَاتِهِ  
بِعَمَلِ آبَائِهِ وَسَلَفِهِ وَمَشَايِخِهِ، كَمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الطَّمَعِ الْكَاذِبِ، وَهُوَ  
سبحانه لم يقل: لا يَنْتَفِعُ إِلَّا بِمَا سَعَى.

وكذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله:  
﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]. عَلَى أَنَّ سِيَاقَ هَذِهِ الْآيَةِ  
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُنْفِيَ عُقُوبَةُ الْعَبْدِ بِعَمَلِ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَالْيَوْمَ  
لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ»<sup>(١)</sup>  
فَاسْتِدْلَالٌ سَاقِطٌ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ انْقَطَعَ انْتِفَاعُهُ، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ انْقِطَاعِ  
عَمَلِهِ، وَأَمَّا عَمَلُ غَيْرِهِ، فَهُوَ لِعَامِلِهِ، فَإِنْ<sup>(٢)</sup> وَهَبَهُ لَهُ، وَصَلَّ إِلَيْهِ ثَوَابُ عَمَلِ

(١) تقدم تخريجه ص ٦٦٣ تعليق (٢).

(٢) سقطت من (ب).

العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالذين يُوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وُقي به الدين.

وأما تفريق مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ العباداتِ المالية والبدنية، فقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت، كما تقدم، مع أن الصوم لا تجري<sup>(١)</sup> فيه النِّيابة، وكذلك حديث جابر رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْأَضْحَى، فَلَمَّا انصَرَفَ، أَتَيْتُ بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهِ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضْحَ مِنْ أُمَّتِي»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي<sup>(٢)</sup>، وحديث الكباشين اللذين قال في أحدهما: «اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعاً»، وفي الآخر: «اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»، رواه أحمد<sup>(٣)</sup>. والقربة في الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

(١) في (ب): تجزى.

(٢) أحمد ٣/٣٥٦ و ٣٦٢، وأبو داود (٢٨١٠)، والترمذي (١٥٢١)، وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/١٧٧ - ١٧٨، والدارقطني ٤/٢٨٥، والبيهقي ٩/٢٦٤ و ٢٨٧ من طريق عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن عبد الله، (وزاد الطحاوي والبيهقي: وعن رجل من بني سلمة) عن جابر بن عبد الله، ورجاله ثقات، وصححه الحاكم ٤/٢٩٩، ووافقه الذهبي، وهو كما قال، فإن المطلب قد صرح بالتحديث في رواية الطحاوي والحاكم، فانتفت شبهة تدليسه، وله طريق آخر بنحوه عند أبي داود (٢٧٩٥)، والدارمي ٢/٧٥ - ٧٦، والطحاوي ٤/١٧٧، والبيهقي ٩/٢٨٥ و ٢٨٧، ومسندها حسن، وصححه ابن خزيمة (٢٨٩٩)، وثالث عند أبي يعلى (١٧٩٢)، والطحاوي، والبيهقي، وسنده حسن، كما قال الهيثمي في «المجمع» ٤/٢٢.

(٣) أخرجه أحمد ٦/٣٩١ - ٣٩٢، والبخاري (١٢٠٨)، والبيهقي ٩/٢٥٩ - ٢٦٠ و ٢٦٨ من طريق أبي عامر العقدي، عن زهير بن محمد العنبري، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن علي بن حسين، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى، اشترى كبشين سميتين أقرنين أملحين، فإذا صلى، وخطب الناس، أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه، فذبحه بنفسه بالمُدية، ثم يقول: «اللهم إنَّ هذا عن =

وكذلك عبادة الحج بدنية، وليس المال ركناً فيه، وإنما هو وسيلة،  
 ٢٨٣ ألا ترى أن المكيَّ يجب عليه الحجُّ إذا قَدَرَ على المشي إلى عرفات من  
 غير شرط المال، وهذا هو الأظهر، أعني أن الحجَّ غيرُ مركبٍ من مال  
 وبدنٍ، بل بدني محض، كما قد نصَّ عليه جماعةٌ من أصحاب  
 أبي حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات: كيف قام فيها البعض عن الباقيين.  
 ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة، كما  
 أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يُعطي أجرته لمن  
 شاء.

الاستئجار على  
 تلاوة القرآن  
 وإهدائه للميت  
 وأما استئجار قومٍ يقرؤون القرآن، ويهدونه للميت. فهذا لم يفعلهُ  
 أحد من السلف، ولا أمر به أحدٌ من أئمة الدين، ولا رخص فيه،  
 والاستئجار على نفس التلاوة غيرُ جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في  
 جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصلُّ إلى الغير.  
 والثواب لا يصلُّ إلى الميت إلا إذا كان العملُ لله، وهذا لم يقع عبادةٌ

= أمي جميعاً عن شهد لك بالتوحيد، وشهد لي بالبلاغ» ثم يؤتى بالآخر، فيذبحه بنفسه،  
 ويقول: «هذا عن محمد وآل محمد» فيطعمهما جميعاً المساكين، ويأكل هو وأهله منها،  
 فمكثنا سنين ليس رجل من بني هاشم يضحى قد كفاه الله المؤنة برسول الله ﷺ  
 والغرم. وسنده حسن، كما قال الهيثمي في «المجمع» ٢٢/٤، وأخرجه الطحاوي في  
 «شرح معاني الآثار» ١٧٧/٤ من طريق علي بن معبد، عن عبيد الله بن عمر، عن  
 عبد الله بن محمد بن عقيل به.

خالصة، فلا يكون ثوابه مما يهدي إلى الموتى ولهذا لم يقل أحد: إنه يكتري مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيُهدي ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن وَيُعَلِّمُهُ ويتعلمه معونة لأهل القرآن عنى ذلك، كن هـ من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفي «الاختيار»<sup>(١)</sup>: لو أوصى بآن يُعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فالوصية باطلة، لأنه في معنى الأجرة، انتهى. وذكر الزاهدي<sup>(٢)</sup> في «القنية»: أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره، فالتعيين باطل.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه، قراءة القرآن وإهداؤها للميت بغير أجرة  
كما يصل ثواب الصوم والحج.

فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا أرشدهم إليه النبي ﷺ؟

فالجواب: إن كان مُورِداً هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء، قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة

(١) ٨٤/٥. وهو شرح «المختار» أحد المتون الأربعة المعتمدة عند المتأخرين من الحنفية، وكلاهما لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصل الحنفى المتوفى سنة ٦٨٣هـ ألف «المختار» في عنوان شبهه صممه أقوال الإمام أبي حنيفة، فتداولته أيدي الطلبة، وصار مرجعاً لهم في الفتوى، فصف شرحاً له، وسماه «الاختيار» أشار فيه إلى علل المسائل ومعانيها، وذكر فروعاً يحتاج إليها، ويعتمد النقل عليها، وقد طبع بحمة أجزاء لطيفة في مصر، وعلق عليه الشيخ محمود أبو دقيقة انظر «الفوائد النبية» ص ١٠٦.

(٢) هو مختار بن محمود بن محمد أبو الرجاء نجم الدين الرازي الغرمي - نسبة إلى غرمين من قصبات خوارزم - الحنفى المتوفى سنة ٦٥٨هـ كان من كبار الأئمة، وأعيان الفقهاء =

القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي العام؟

فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟ قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سألته عن الحج عن ميتته، فأذن له فيه، وهذا سألته عن الصوم عنه<sup>(١)</sup>، فأذن له فيه، ولم يمنعه مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم — الذي هو مجرد نية وإمساك — وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟

فإن قيل: ما تقولون في الإهداء إلى رسول الله ﷺ؟

قيل: من المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه، ولأن النبي ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، لأنه هو الذي دل أمته على كل خير، وأرشدتهم إليه.

ومن قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله، فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين. ولا شك في

٢٨٤

---

= عالماً كاملاً، له اليد الباسطة في الخلاف والمذهب، والباع الطويل في الكلام والمناظرة، وقد ذكر في أول «القنية» أنه استصفاه من «منية الفقهاء» لأستاذه فخر الدين بدیع بن أبي منصور الحنفي، وسماها: «قنية المنية لتتميم البقية» وهذا الكتاب لم يطبع بعد، وابن عابدين الشامي يكثر النقل عنه في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار». انظر «كشف الظنون» ص ١٣٥٧ و ١٨٨٦، و «الفوائد البهية» ص ٥٤ و ٢١٢ — ٢١٣.

(١) سقطت من (ب).

سماعه<sup>(١)</sup>، ولكن انتفاعه بالسماع لا يَصِحُّ، فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة، فإنه عَمَلٌ اختياريٌّ، وقد انقطع بموته، بل ربما يَنْتَصِرُ ويتألم، لكونه لم يمثل أَوَامِرَ الله ونواهيه، أو لكونه لم يَزِدْ مِنْ الخَيْرِ<sup>٢</sup>

واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: اختلاف العلماء في هل تكره، أم لا بأس بها، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟ حكم قراءة القرآن عند القبور

فَمَنْ قال بكراهتها، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية، قالوا: لأنه محدث، لم تَرِدْ به السُّنة، والقراءة تُشِبُّ الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها، فكذلك القراءة.

ومن قال: لا بأس بها، كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية استدلوا بما نُقِلَ عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما: أنه أوصى أن يُقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، ونُقِلَ أيضاً عن بعض

---

(١) قوله: «ولا شك في سماعه» ليس على إطلاقه، لأن الله سبحانه نفى سماع الموق بقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتِ﴾، وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث، وإنما يستثنى من ذلك ما صحت به الأحاديث من سماع الميت سؤال منكر ونكير، وسماعه قرع نعال المشيعين، وسماع قتل بدر كلام الرسول ﷺ، ونحو ذلك مما صح به النص، وما سوى ذلك، فالأصل عدم سماعهم للقرآن وغيره.

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن الميت لا ينتفع بسماع القرآن، وأن من قال بذلك فقد أخطأ. وإنما يقتصر انتفاع الميت بالقراءة إذا أهدي ثوابها له من القاريء. «مجموع الفتاوى» ٢٤/٣٠٠، ٣١٧.

## المهاجرين قراءة سورة البقرة.

وَمَنْ قَالَ: لَا يَأْسَ بِهَا وَقَتَ الدفن فقط — وهو رواية عن أحمد —  
أخذ بما نُقِلَ عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

وأما بَعْدَ ذلك، كالذين يتناوبون القَبْرَ للقراءة عنده، فهذا مكروه،  
فإنه لم تأتِ به السُّنَّةُ، ولم يُنْقَلْ عن أحدٍ من السُّلَفِ مثل ذلك أصلاً،  
وهذا القولُ لعله أقوى من غيره، لما فيه من التوفيق بين الدليلين<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ».

استجابة الله دعاء  
عبده

ش: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].  
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾<sup>(٢)</sup>  
[البقرة: ١٨٦]. والذي عليه أكثرُ الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل  
وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع  
المضار<sup>(٣)</sup>، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مَسَّهُمُ الضُّرُّ في البحر

(١) انظر «المتني» ٥٦٦/٢ — ٥٦٧، و«المجموع» ٣١١/٥، و«رد المحتار» ٢٤٢/٢ —

٢٤٣، و«الروح» ص: ١٧، و«أحكام الجنائز» للألباني: ١٩٢-١٩٣.

(٢) قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر، وورش بإثبات الياء في «الداعي» و«دعاني» في الوصل دون  
الوقف، وقرأ يعقوب بإثبات الياء فيها في الحالين، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين. انظر  
«حجة القراءات» ص ١٢٦ — ١٢٧، و«الكشف» ٣٣٣/١، و«النشر» ١٨٣/٢،  
و«البدور الزاهرة» ص ٤٦.

(٣) انظر «مدارج السالكين» ١٠٢/٣ — ١٠٥ و«الداء والدواء» ص ٧ — ٢١.



دَعَا الله مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ، دَعَاهُ لَجْنِهِ،  
أَوْ قَاعِدًا، أَوْ قَائِمًا. وَإِجَابَةُ اللَّهِ لِدُعَائِهِ الْعَبْدِ، مُسَلِّمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا،  
وَإِعْطَاؤُهُ سُؤْلَهُ، مِنْ جَنْسِ رِزْقِهِ لَهُمْ، وَنَصْرُهُ لَهُمْ، وَهُوَ مَا تُؤْجِبُهُ  
الرَّبُّوبِيَّةُ لِلْعَبْدِ مُطْلَقًا. ثُمَّ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِتْنَةً فِي حَقِّهِ وَمُضِرَّةً عَلَيْهِ،  
إِذَا كَانَ كُفْرُهُ وَفُسُوقُهُ يَقْتَضِي ذَلِكَ، وَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» مِنْ حَدِيثِ  
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ  
يَغْضَبْ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup> وَقَدْ نَظَّمَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى، فَقَالَ:

الرَّبُّ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ      وَيُنِيَّ آدَمَ جِنَّينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ<sup>(٢)</sup>

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٣٨٢٧)، وَأَحْمَدُ (٤٧٧/٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٠٠/١٠)، وَابْنُ  
عَدِي فِي «الْكَامِلِ» ٧/٢٧٥٠، وَالبُغْوِيُّ (١٣٨٩)، بِلَفْظٍ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ غَضِبَ عَلَيْهِ»  
وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٤٢/٢ بِلَفْظٍ: «مَنْ لَا يَسْأَلُهُ يَغْضَبُ عَلَيْهِ» وَهُوَ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ١/٤٩١  
بِلَفْظٍ: «مَنْ لَا يَدْعُ اللَّهَ يَغْضَبُ عَلَيْهِ» كُلُّهُمْ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي صَالِحٍ الْخَوْزَنِيِّ عَنْ  
أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبُو صَالِحٍ الْخَوْزَنِيُّ ضَعُفَ ابْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ أَبُو رُرَّةَ: لَا بَأْسَ بِهِ، وَبَاقِي  
رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَأَقْرَبَهُ الذَّهَبِيُّ، وَقَدْ ظَنَّ الْحَافِظُ ابْنَ كَثِيرٍ  
أَنَّ أَبَا صَالِحٍ هَذَا هُوَ السَّمَانُ. فَجَزَمَ بِأَنَّ أَحْمَدَ تَفَرَّدَ بِتَحْرِيحِهِ، قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»  
٧٩/١١: «وَلَيْسَ كَمَا قَالَ. فَقَدْ جَزَمَ شَيْخُهُ الْمَزِينِيُّ فِي «الْأَطْرَافِ» ٨٤/١١ أَنَّهُ الْخَوْزَنِيُّ،  
وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْبُزَارِ وَالْحَاكِمِ: عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْخَوْزَنِيِّ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَفِي التَّابِ  
مَا يُؤَيِّدُهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٣٥٧٥)، وَطَبْرَايَ (١٠٠٨٨) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَفَعَهُ:  
«سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ» وَهُوَ (٣٥٤٨) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَفَعَهُ. وَإِنْ  
الدُّعَاءُ يَفْعُحُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ، فَعَلَيْكُمْ عِنَادُ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ» وَفِي سَنَدِهِ لَيْسَ، وَأَخْرَجَ  
الطَّبْرَايَ فِي «الدُّعَاءِ» بِسَنَدِ رِجَالِهِ ثِقَاتٍ إِلَّا أَنَّ فِيهِ عِنْدَهُ بَقِيَّةً، عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: «إِنَّ اللَّهَ  
يُحِبُّ الْمُلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ».

(٢) أَوْرَدَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «الْأَزْهَارِ فِيمَا عَقَدَهُ الشُّعْرَاءُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ» لَوْحَةَ (٤٣) نَقْلًا  
عَنِ الْبَيْهَقِيِّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» وَلَمْ يَنْسِبْه لِأَحَدٍ.

قال ابن عقيل<sup>(١)</sup>: قد نَدَبَ اللَّهُ تعالى إلى الدُّعَاءِ، وفي ذلك مَعَانٍ:

- أحدها: الوجودُ، فإن مَنْ ليس بوجود لا يُدْعَى.
- الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يُدْعَى.
- الثالث: السَّمْعُ، فإن الأصم لا يُدْعَى.
- الرابع: الكَرَمُ، فإن البخيل لا يُدْعَى.
- الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يُدْعَى.
- السادس: القدرة، فإن العاجز لا يُدْعَى.

ومن يَقُولُ بالطبائع يعلمُ أن النارَ لا يُقَالُ لها: كُفِّي! ولا النجم يقال له: أَصْلِحْ مزاجي!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فَشَرَعَ الدُّعَاءَ وصلاة الاستسقاء لِيُبَيِّنَ كَذِبَ أَهْلِ الطبائع.

وذهب قومٌ من المتفلسفة، وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة الرد هل من يزعم  
عدم فائدة الدعاء  
فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب، فلا حاجة ٢٨٥  
إلى الدعاء، وإن لم تقتضيه، فلا فائدة في الدعاء!! وقد يَخْصُصُ بعضهم بذلك خَوَاصَّ العارفين! ويجعل الدعاء علّة في مقام الخواص!! وهذا

(١) أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي الظفري المقرئ الفقيه الأصولي الواعظ المتكلم. له تصانيف عدة، منها «كتاب الفنون» وهو أكثر من ثلاث مئة مجلد. قال الإمام الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه، وفي هذا الكتاب فوائد كثيرة جليّة في التفسير والفقه والأصليين واللغة والأخلاق والشعر والتاريخ والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره، توفي سنة ٥١٣هـ. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٩ / رقم الترجمة (٢٥٩).

مِنْ غَلَطَاتِ بَعْضِ الشُّيُوخِ، فَكَمَا أَنَّهُ مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالْاضْطِرَارِّ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ، فَإِنَّ مَنَفْعَةَ الدُّعَاءِ أَمْرٌ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ تَجَارِبُ الْأُمَمِ، حَتَّى إِنَّ الْفَلَاسِفَةَ تَقُولُ: ضَجِيحُ الْأَصْوَاتِ فِي (١) هَيْكَلِ الْعِبَادَاتِ، يَفْنُونِ اللَّغَاتِ، يُحَلِّلُ مَا عَقَدَتْهُ الْأَفْلَاكُ الْمُؤَثِّرَاتِ (٢)، هَذَا وَهُمْ مُشْرِكُونَ.

وَجَوَابُ الشُّبْهَةِ بِمَنْعِ الْمَقْدَمَتَيْنِ: فَإِنَّ قَوْلَهُمْ عَنِ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ، إِمَّا أَنْ تَقْتَضِيهِ أَوَّلًا، ثُمَّ قِسْمٌ ثَالِثٌ (٣)، وَهُوَ: أَنْ تَقْتَضِيَهُ بِشَرَطٍ لَا تَقْتَضِيهِ مَعَ عَدَمِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الدُّعَاءُ مِنْ شَرْطِهِ، كَمَا تُوجِبُ الثَّوَابُ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا تُوجِبُهُ مَعَ عَدَمِهِ، وَكَمَا تُوجِبُ الشُّبْعُ وَالرِّيُّ عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَلَا تُوجِبُهُ مَعَ عَدَمِهَا، وَحَصُولُ الْوَلَدِ بِالْوَطْءِ، وَالزَّرْعُ بِالْبَذْرِ. فَإِذَا قُدِّرَ وَقُوعُ الْمَدْعُوبِ بِهِ بِالْدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: لَا فَائِدَةُ فِي الدُّعَاءِ، كَمَا لَا (٤) يُقَالُ: لَا فَائِدَةُ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْبَذْرِ وَسَائِرِ الْأَسْبَابِ. فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ، كَمَا أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلشَّرْعِ، فَهُوَ مُخَالَفٌ لِلْحَسَنِ وَالْفُطْرَةِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ، مَا قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ: أَنَّ الْإِلْتِفَاتَ إِلَى الْأَسْبَابِ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ، أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا، تَقْصُرُ فِي الْعَقْلِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ قَدْحٌ فِي الشَّرْعِ، وَمَعْنَى التَّوَكُّلِ وَالرَّجَاءِ، يَتَأَلَّفُ مِنْ مُوجِبِ التَّوْحِيدِ وَالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ.

وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ: أَنَّ الْإِلْتِفَاتَ إِلَى السَّبَبِ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ،

(١) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

(٢) فِي (أ) وَ (ب) وَ (ج): الْمَثُورَاتِ، وَالْمَثْبُوتِ مِنْ (د) وَمَطْبُوعَةُ مَكَّةَ.

(٣) انْظُرْ «مَدَارِجَ السَّالِكِينَ» ١١٨/٢ - ١٢٠، وَ«الدَّاءُ وَالِدَوَاءُ» ص ١٨ - ٢٢.

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

ورجاؤه، والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يَسْتَحِقُّ هذا، لأنه ليس بمستقل، ولا بُدُّ له من شُرَكَاء وأضداد ومع هذا كُلُّه، فإن لم يُسَخَّرْ مُسَبَّبُ الأسباب، لم يُسَخَّرْ.

وقولهم: إن اقتضت المشيئة المَطْلُوبَ، فلا حَاجَةَ إلى الدُّعَاءِ قلنا: بل قد تَكُونُ إليه حاجة، من تحصيلِ مصلحةٍ أخرى عاجلةٍ وآجلة، ودَفْعِ مَضَرَّةٍ أخرى عاجلةٍ وآجلة.

وكذلك قَوْلُهُمْ: وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه. قلنا: بَلْ فيه فَوَائِدُ عظيمة، من جَلْبِ منافع، ودَفْعِ مضار، كما ثَبَّه عليه النَّبِيُّ ﷺ، بل ما يُعَجِّلُ للعبد من معرفته برَّبِّه، وإقراره به، وبأنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ قَدِيرٌ عَلِيمٌ رَحِيمٌ، وإقراره بفقره إليه، واضطراره إليه، وما يَتَّبِعُ ذلك من العلوم العَلِيَّةِ، والأحوالِ الزَكِيَّةِ، التي هي مِنْ أعظمِ المطالب.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يُعَقَّلُ من إعطاء المسؤل للسائل، كان السائل قد أثر في المسؤل حتى أعطاه؟ ٢٨٦

قلنا: الربُّ سبحانه هو الذي حَرَّكَ العبدَ إلى دعائه، فهذا الخيرُ منه، وتَمَامُهُ عليه، كما قال عمر رضي الله عنه: إني لا أَحْمِلُ هَمَّ الإجابة، وإنما أَحْمِلُ هَمَّ الدعاء، ولكن إذا أُلْهِمْتُ الدعاء فإن الإجابة معه. وعلى هذا قَوْلُهُ تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [فصلت: ٥]. فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بالتدبير، ثم يَصْعَدُ إليه الأمرُ الذي دَبَّرَهُ، فالله سبحانه هو الذي يَقْدِفُ في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً لِلْخَيْرِ

الذي يُعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وَقَفَ العبد للتوبة، ثم قَبَلَهَا، وهو الذي وَقَفَ للعمل ثم أثابه، وهو الذي وَقَفَ للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يَقَعُّه سبباً لما يَقَعُّه، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير، أَخَذُ أئمة التابعين<sup>(١)</sup>: نظرتُ في هذا الأمر، فَوَجَدْتُ مبدأه من الله، وتمامه على الله، وَوَجَدْتُ مَبْلَكَ ذلك الدعاء.

وهنا سؤال معروف، وهو: أن من<sup>(٢)</sup> الناس مَنْ قد يسأل الله شيئاً فلا يعطى، أو يُعْطَى غيرَ ما سأل، وقد أُجِيبَ عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة:

بيان الحكمة في أن  
الداعي قد  
لا يعطى شيئاً  
أو يعطى غير  
ما سأل

أحدها: أن الآية لم تَتَضَمَّنْ عَظِيَّةَ السؤال مطلقاً، وإنما تضمنت<sup>(٣)</sup> إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل، وإجابة الداعي أعم من إعطاء السائل. ولهذا قال النبي ﷺ: وَيَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟<sup>(٤)</sup>.

فَفرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بالعموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام، ثم الخاص، ثم الأخص. وإذا عَلِمَ العبادُ أنه قريب، يُجِيبُ دَعْوَةَ الداعي، علموا قُرْبَهُ منهم، وَتَمَكَّنَهُمْ مِنْ سؤاله. وعلموا عِلْمَهُ

(١) كان إماماً، قدوة، فقيهاً، عابداً، مجاب الدعوة، توفي سنة ٩٥هـ. مترجم في «السير» ١٨٧/٤ - ١٩٥.

(٢) «من» كتبت في (د) فوق كلمة: الناس، وقد أخلت بها باقي الأصول.

(٣) في (ب): تتضمن.

(٤) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه ص ٢٦٩.

ورحمته وقدرته، فدَعَوْهُ دُعَاءُ العِبَادَةِ في حال، ودُعَاءُ المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدُّعَاءُ اسمٌ يجمع<sup>(١)</sup> العِبَادَةَ والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] بالدُّعَاءِ الذي هو العِبَادَةُ، والدُّعَاءُ الذي هو الطَّلَبُ، وقوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] يؤيدُ المعنى الأول.

الجواب الثاني: أنَّ إجابةَ دعاء السؤال أَعْمُ من إعطاء عَيْنِ المسؤول<sup>(٢)</sup>، كما فسره النبي ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه»، أنَّ النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْتِمَانٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، أَوْ يُدْخِرَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَهَا، أَوْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»<sup>(٣)</sup>. فقد أخبر الصادقُ

(١) في (ب): لجميع.

(٢) في (ب): السؤال.

(٣) في (ب) و (ج): «أكبر»، وهو تصحيف، وليس هو في «صحيح مسلم» كما ظن الشارح، وإنما هو في «المسند» ١٨/٣، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠)، والبخاري (٣١٤٣) و (٣١٤٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٧٥/١، وأبي يعلى في «مسنده» (١٠١٩)، وأبي نعيم في «الحلية» ٣١١/٦، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري، وصححه الحاكم ٤٩٣/١، ووافقه الذهبي، وهو كما قال، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٠/١٤٨ — ١٤٩: ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي، وهو ثقة. وفي الباب عن عبادة بن الصامت عند الترمذي (٣٥٧٣)، وأحمد ٣٢٩/٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٧٥/١، والبخاري (١٣٨٧)، وأبي نعيم في «الحلية» ١٣٧/٥. وعن جابر عنده أيضاً (٣٣٨١)، ولمسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «وَلَا يَزَالُ يَسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِيْتِمَانٍ، أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ» قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت، فلم أَرِ يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء». وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٥)، والبخاري (١٣٩٠).

المصدق أنه لا بُدَّ في الدُّعْوَة الخالية عن العُدْوَانِ من إعطاء السُّوْل مُعْجَلًا، أو مثله من الخير مُؤَجَّلًا، أو يُصَرَّف عنه مِنَ السَّوء مثله.

الجواب الثالث: أنَّ الدُّعَاء سببٌ مقتضٍ لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه، حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره. وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار الماثورة المعلق عليها جلبُ منافع أو دفعُ مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. ونُصِّص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر: من هذا الباب. وكثيراً ما تجد أدعية دعا بها قوم، فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدُّعَاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنه، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك، فأجيب دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدُّعَاء، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواءً نافعاً في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كافٍ<sup>(١)</sup> في حصول المطلوب، فكان غلطاً.

وكذا قد يدعو باضطراب عند قبر، فيجأ، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطراب وصدق اللجأ إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

(١) في الأصول: كافياً، وهو خطأ.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا يحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً، والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً، والمانع مفقوداً: حصلت به النكايّة في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير.

فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة: لم يحصل الأثر.

قوله: «وَيَمْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرَفَةً عَيْنٍ، وَمَنْ اسْتَفْنَى عَنِ اللَّهِ طَرَفَةً عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ».

ش: كلام حق ظاهر لا خفاء فيه. والحين، بالفتح: الهلاك.

قوله: «وَاللَّهُ يَغْضِبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى».

ش: قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] [المجادلة: ٢٢] غضب الله ورضاه  
و[البينة: ٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾  
[الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾  
[المائدة: ٦٠]. ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]. ﴿وَبَاءُوا﴾<sup>(١)</sup>  
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ [البقرة: ٦١]. ونظائر ذلك كثيرة.

(١) قال أبو جعفر الطبري ١٣٨/٢: يعني بقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾: انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: «بَاءُوا» إلا موصولاً إما بخير، وإما بشر، يقال منه: «باء فلان بذنبه، يَبُوءُ بِهِ بَؤْءاً وبِؤَاءً»، ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ يعني: تنصرف متحملهما، وترجع بهما قد صارا عليك دوني. فمعنى الكلام إذا: ورجعوا منصرفين متحملين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليهم منه سخط. وانظر «جامع البيان» ١٨٨/١ - ١٨٩.



ومذهب السلف<sup>(١)</sup> وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى،  
والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي  
ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يضرها عن حقائقها الثلاثة  
بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر  
الصفات، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية  
وتأويل كل معنى يُضاف إلى الربوبية، ترك التأويل، ولزوم التسليم،  
وعليه دين المرسلين».

وانظر إلى جواب الإمام مالك رضي الله عنه في صفة الاستواء  
كيف؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وروي أيضاً<sup>(٢)</sup> عن أم  
سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: «من لم يتوق النفي  
والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه». ويأتي في كلامه: «أن الإسلام بين الغلو  
والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل».

فقول الشيخ رحمه الله: «لا كأحد من الوري» نفي التشبيه،  
ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا  
نفي للصفة. وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحب، ويرضاه،  
وإن كان لا يريدُه ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويغضه،  
ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاء وأراده، فقد يجب عندهم،  
ويرضى ما لا يريدُه، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده.

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ٣/ ٣٨٠ - ٣٨٥.

(٢) سقطت من: (ب).

(٣) لا يصح في المرفوع، وقد تقدم الكلام عليه، فانظر ص ٣٧٣.

ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لِمَ تأوَلتَ ذلك؟ فلا بُدَّ أن يَقُولَ: لأنَّ الغَضَبَ غليَانُ دَمِ القلبِ، والرَّضَى المِيلُ والشهوة، وذلك لا يَلِيقُ بالله تعالى! فيقال له: غليَانُ دَمِ القلبِ في الأدمي أمرٌ ينشأ عن صفة الغَضَبِ، لا أَنَّهُ هو الغَضَبُ. ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشية فينا، هي مِثْلُ الحيِّ إلى الشيءِ أو إلى ما يلائمه ويتناسبه، فإنَّ الحيَّ مِنَّا لا يُريدُ إلا ما يَجْلِبُ له منفعة، أو يدفع عنه مَضَرَّةً، وهو محتاجٌ إلى ما يُريده، ومفتقرٌ إليه، يَزْدَادُ<sup>(١)</sup> بوجوده، وَيَنْقُصُ<sup>(٢)</sup> بعدمه. فالمعنى الذي صرفتَ إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا، جاز ذاك، وإن امتنع هذا، امتنع ذاك.

٢٨٩ فإن قال: الإرادة التي يوصفُ اللهُ بها مُخَالَفَةُ الإرادة التي يوصفُ بها العبد، وإن كان كُلُّ منهما حقيقةً، قيل له: فَقُلْ: إنَّ الغَضَبَ والرَّضَى الذي يوصفُ الله به مخالفٌ لما يوصفُ به العبد، وإن كان كُلُّ منهما حقيقةً. فإذا كان ما يقوله في الإرادة يُمكنُ أن يُقالَ في هذه الصفات، لم يَتَعَيَّنِ التَّأْوِيلُ، بل يَجِبُ تَرْكُهُ، لأنَّكَ تَسَلِّمُ من التَّنَاقُضِ، وتسلم أيضاً مِن تعطيل معنى أسماءِ الله تعالى وصفاته بلا موجب. فإنَّ صَرَفَ القرآنِ عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حَرَامٌ، ولا يَكُونُ الموجِبُ للمُصَرِّفِ ما دلَّه عليه عقله، إذ العُقُولُ مختلفة، فَكُلُّ يَقُولُ: إنَّ عقله دلَّه على خلافِ ما يَقُولُه الآخر!

وهذا الكلامُ يُقالُ لِكُلِّ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صفاتِ الله تعالى، لامتناعِ مَسْمَى ذلك في المخلوق، فإنَّه لا بُدَّ أن يُثَبَّتَ شيئاً لله تعالى

(١) في (ب): ويزداد.

(٢) في (ب): وينقص.

على خلاف ما يتعهد حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود الباري تعالى كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سُمي به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته، مثل الحي والعليم والقدير، أو سُمي به بعض صفاته، كالغضب والرضى، وسمى به بعض صفات عبادته، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضاً معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلّي لا يوجد مشتركاً إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصاً. فثبت في كل منهما كما يليق به. بل لو قيل: غضب مالك خازن النار، وغضب غيره من الملائكة: لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية غضب آدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم<sup>(١)</sup> ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك!!

وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت. كما قال في حديث الشفاعة: «إن

٢٩٠

(١) في (ب): جهنم.

رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ؟ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَجِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>.

فيستدل به على أنه يُجِلُّ رِضْوَانَهُ في وقتٍ دُونَ وقتٍ، وأنه قد يُجِلُّ رِضْوَانَهُ ثُمَّ يَسْخَطُ، كما يُجِلُّ السَخَطُ ثُمَّ يَرْضَى، لكن هؤلاء أحلُّ عليهم رِضْوَانًا لا يتعقبه سَخَطٌ.

وَهُمْ قَالُوا: لَا يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَلَا يَضْحَكُ إِذَا شَاءَ، وَلَا يَغْضَبُ إِذَا شَاءَ، وَلَا يَرْضَى إِذَا شَاءَ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَجْعَلُوا الرِّضَى والغَضَبَ والْحُبَّ والبغْضَ هو الإِرادَةُ، أَوْ يَجْعَلُوهَا صِفَاتٍ أُخْرَى، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ، فَلَا يَتَعَلَّقُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَا بِمَشِيئَتِهِ وَلَا بِقُدْرَتِهِ، إِذْ لَوْ تَعَلَّقَتْ بِذَلِكَ، لَكَانَ مُحَلًّا لِلْحَوَادِثِ!! فَنفى هؤلاء الصِّفَاتِ الفَعْلِيَّةِ الدَّائِيَّةِ بهذا الأَصْلَ، كَمَا نفى أولئك الصِّفَاتِ مُطْلَقًا بقولهم: لَيْسَ مُحَلًّا لِلْأَعْرَاضِ. وَقَدْ يُقَالُ: بَلْ هِيَ أَفْعَالٌ وَلَا تُسَمَّى حَوَادِثَ، كَمَا سُمِّيَتْ

(١) قطعة من حديث الشفاعة المطول، وقد تقدم تخريجه ص ٩٦.

(٢) البخاري (٦٥٤٩) و (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩)، وأخرجه الترمذي (٢٥٥٨)، وأحمد (٨٨/٣)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٤٠٥/٣، والبغوي (٤٣٩٤)، وابن نعيم في «الحلية» ١٨٤/٨، وابن منده في «الإيمان» (٨١٩).

تلك صفات، ولم تُسمَّ أعراضاً. وقد تقدَّمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكنَّ الشيخ رحمه الله لم يَجْمَعْ الكلام في الصِّفَات في المختصر في مكانٍ واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب.

وأحسن ما يُرتَّب عليه كتاب أصول الدِّين تَرْتِيبُ جواب النَّبِيِّ ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سألَه عن الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ»<sup>(١)</sup>، الحديث، فيبدأ بالكلام على التَّوْحِيد والصِّفَات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على المَلَائِكَةِ، ثم، إلى آخره<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَقْرُطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَنُبْغِضُ مَنْ يَبْغِضُهُمْ، وَنُبْغِضُ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ».

ش: يُشير الشيخ رحمه الله إلى الرُّدِّ على الرُّوافض والنُّواصب. وقد أثنى الله على الصحابة هو ورسولُهُ، ورضيَ عنهم، ووعدهم ما ورد من النصوص في الثناء على الصحابة الحُسنى<sup>(٣)</sup>.

كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥٦.

(٢) في هامش (أ) ما نصه: بلغ مقابلة وتصحيحاً على نسخة المؤلف رحمه الله تعالى.

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ١٥٢/٣ - ١٥٣ و ١٥٧ و ٣٠٥ و ٤٠٥ - ٤٠٩ و ٣٩٨/٤ - ٤٥٢، ٤٥٣ - ٤٦٥ و ٢٢٢/١١ و ٥٨/٣٥ - ٦٤.

٢٩١ تَجْرِي تَحْتَهَا<sup>(١)</sup> الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿  
[التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ  
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ  
الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾  
[الأنفال: ٧٢]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ  
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ  
الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ  
وَأَمْوَالِهِمْ يَتَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ  
الصُّنْدُقُونَ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ  
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ  
بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوَفِّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَالَّذِينَ جَاءُوا  
مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ

(١) قرأ ابن كثير: «من تحتها» بزيادة «من»، وكذلك هي في مصحف أهل مكة، وقرأ الباقر  
بغير «من»، وهي في مصاحف جميع الأمصار غير مكة كذلك. انظر «حجة القراءات»  
ص ٣٢٢، و«الكشف» ٥٠٥/١، و«زاد المسير» ٤٩١/٣.

في قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿[الحشر: ٨ - ١٠]﴾.

وهذه الآيات تتضمنُ الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ لَا يَجْعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ غِلًا لَهُمْ، وتتضمنُ أَنَّ هؤلاء هُمُ المستحقُّون للفيء، فمن كان في قلبه غِلٌّ للذين آمنوا، ولم يَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لا يستحق في الفيء نصيباً بنص القرآن.

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَذْرَكَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(١)</sup>. انفرد مسلمٌ بذكر سبِّ خالد لعبد الرحمن، دون البخاري.

فالنَّبِيُّ ﷺ يقول لخالد ونحوه: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»، يعني عبدَ الرحمن وأمثاله، لأنَّ عبدَ الرحمن ونحوه هُمُ السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وَهُمْ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَهُمْ أَفْضَلُ، وَأَخْصُ بِصَحْبَتِهِ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ<sup>(٢)</sup>، وَهُمْ الَّذِينَ

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأخرجه أبو داود (٤٦٥٨)، والترمذي (٣٨٦٠)، وأحمد في «المسند» ١١/٣، وفي «فضائل الصحابة» (٥) و(٦) و(٧) و(٦٥٤) و(١٧٣٥)، والطيالسي (٢١٨٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١٢٢/٢، والبخاري (٣٨٥٦)، والخطيب في «تاريخه» ١٤٤/٧، وابن أبي عاصم (٩٨٨). وأخرجه مسلم أيضاً (٢٥٤٠)، وابن ماجه (١٦١) من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ورواه البزار (٢٧٦٨) من طريق زائدة عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وذكر فيه قصته. وانظر «الفتح» ٣٥/٧ - ٣٦، فقد نقل عن غير واحد من أئمة النقد أن الصحيح رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، وأن رواية أبي صالح عن أبي هريرة شاذة.

(٢) من قوله: «فهم أفضل»، إلى هنا سقط من (ب).

أسلموا بعد الحُدَيْبِيَّةِ، وَبَعَدَ مَصَالِحَةُ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ، وَمِنْهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَهَؤُلَاءِ أَسْبَقُ مِمَّنْ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُمْ إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ، وَسُمُّوا الطُّلَقَاءَ، مِنْهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَابْنَاهُ يَزِيدُ وَمَعَاوِيَةُ.

٢٩٢ والمقصودُ أنه نهى مَنْ لَهُ صَحْبَةٌ آخِرًا أَنْ يَسُبَّ مَنْ لَهُ صَحْبَةٌ أَوَّلًا، لَا مَتَازَهُمْ عَنْهُمْ مِنَ الصَّحْبَةِ بِمَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشْرَكَوَهُمْ فِيهِ، حَتَّى لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُهُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ فَكَيْفَ حَالُ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِحَالٍ مَعَ الصَّحَابَةِ؟! رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، هُمُ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلُوا، وَأَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ كُلُّهُمْ مِنْهُمْ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِثَّةٍ.

وَقِيلَ: إِنَّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ صَلَّى إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ إِلَى الْقِبْلَةِ الْمَنْسُوخَةِ لَيْسَ بِمَجْرَدِ فَضِيلَةٍ، لِأَنَّ النِّسْخَ لَيْسَ مِنْ فَعْلِهِمْ، وَلَمْ يَدُلَّ عَلَى التَّفْضِيلِ بِهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، كَمَا دَلَّ عَلَى التَّفْضِيلِ بِالسَّبْقِ إِلَى الْإِنْفَاقِ وَالْجِهَادِ وَالْمُبَايَعَةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

وَأَمَّا مَا يُرَوَّى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»<sup>(١)</sup> - فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، قَالَ الْبَزَّازُ<sup>(٢)</sup>: هَذَا حَدِيثٌ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» ٩١/٢، وَابْنُ حَزْمٍ فِي «الْإِحْكَامِ» ٨٢/٦ مِنْ طَرِيقِ سَلَامِ بْنِ سَلِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ غَصِينٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ» وَسَلَامُ بْنُ



لا يَصِحُّ عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة.

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، قال: قيل لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ نَاسًا يَتَنَاولُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ! فَقَالَتْ: وَمَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا! انْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَمَلُ، فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُمْ الْأَجْرُ<sup>(١)</sup>.

وروى ابن بطة<sup>(٢)</sup> بإسناد صحيح، عن ابن عباس، أنه قال: «لا تُسَبِّحُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةٌ - يَعْنِي مَعَ

---

= سليم جمع على ضعفه، وكذبه ابن حراش، وقال ابن حبان: روى أحاديث موضوعه، والحاثر بن غصين مجهول، وأخرج الخطيب في «الكفاية في علم الرواية» ص ٤٨ من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن جوير، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس مرفوعاً: «مهما أوتيت من كتاب الله، فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة مني ماضية، فإن لم يكن سنة ماضية، فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيا أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة» وسليمان بن أبي كريمة ضعيف الحديث، وجوير - وهو ابن سعيد الأزدي - متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس، وروى من حديث عمر وابنه، وكلامهما لا يصح.

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير أحمد بن عمرو بن عبدالحق البصري صاحب «المسند الكبير» الذي تكلم على أسانيده، المتوفى سنة ٢٩٢هـ، مترجم في «السير» ١٣ / رقم الترجمة (٢٨١)، وقد جرد زوائده على الكتب الستة الحافظ الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، وسماه «كشف الأستار عن زوائد البزار» وقد تم نشره في أربع مجلدات في مؤسسة الرسالة بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي.

(١) لم نجده في «مسلم» بعد البحث، ولا في المصادر الأخرى التي بين أيدينا.

(٢) هو الإمام العلامة شيخ العراق، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان الكُتَيْبِيُّ الحنبلي، أبو عبد الله ابن بطة، صاحب كتاب «الإبانة الكبرى» كان - فيما قيل - مستجاب الدعوة، توفى سنة (٣٨٧هـ). مترجم في «السير» ١٦ / رقم الترجمة (٣٨٩).

النَّبِيِّ ﷺ - خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(١)</sup> وفي رواية وكيع: «خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ عُمَرَهُ».

وفي «الصحيحين» من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَغَيْرِهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَذْرِي: أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، الْحَدِيثُ<sup>(٢)</sup>.

(١) الأثر بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٢٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن نسرين ذعلوق، قال: سمعت ابن عمر يقول... ورواية وكيع أخرجها ابن ماجه (١٦٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» رقم (١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦) من طريق وكيع، عن سفيان به، وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير نسرين ذعلوق وهو ثقة، وثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان، وقال ابن عبد البر: هو عندهم من ثقات الكوفيين، وقد تصحف في المطبوع من «السنة» لابن أبي عاصم إلى يسرين ذعلوق، فقال محققه: لم أعرفه!

وفي «فضائل الصحابة» لأحمد رقم (١٨) من طريق أبي معاوية قال: وأخبرنا رجل عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون. وانظر «منهاج السنة» لشيخ الإسلام ١٤/٢، فقد نسب إلى ابن بطة، وصحح إسناده من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن أبي معاوية به. وأخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر أن النبي ﷺ قال لهم يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض» قال الحافظ: وهذا صريح في فضل أصحاب الشجرة، فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما، وعند أحمد بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان بالحديبية قال النبي ﷺ: «لا توقدوا ناراً بليل» فلما كان بعد ذلك، قال: «أوقدوا واصطنعوا، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم».

(٢) أخرجه من حديث عمران بن الحصين البخاري (٢٦٥١) و (٣٦٥٠) و (٦٤٢٨) و (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥)، والترمذي (٢٢٢١) و (٢٢٢٢) و (٢٣٠٣)، وأبو داود (٤٦٥٧)، وأحمد ٤٢٦/٤ و ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٤٠، والنسائي ١٧/٧ - ١٨، وابن حبان (٢٢٨٥)، والحاكم ٤٧١/٣، والطحاوي (٨٥٢)، والطحاوي في «المشكّل» =

وقد ثبت في «صحيح مسلم»، عن جابر رضي الله عنه، أن  
النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَاتَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (١).

= ١٧٦/٣ و ١٧٧، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٥٢٦) و (٥٢٧) و (٥٢٨) و (٥٢٩) و (١٤٦٩) و (١٤٧٠) و (١٤٧١) و (١٤٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٧٨/٢ و ٣٩١/٨. وأخرجه من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٢٦٥٢) و (٣٦٥١) و (٦٤٢٩) و (٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١٢)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢)، وأحمد ١/ ٣٧٨ و ٤١٧ و ٤٣٤ و ٤٣٨ و ٤٤٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٩٢/٧، والطالسي (٢٩٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٧٦/٣، وابن أبي عاصم (١٤٦٦) و (١٤٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٣٧) و (١٠٣٣٨)، والخطيب في «تاريخه» ٥٣/١٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٧٨/٢. وأخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (٢٥٣٤) (٢١٣)، وأحمد ٢/ ٢٢٨ و ٤١٠ و ٤٧٩، والطالسي (٢٥٥٠)، وأخرجه من حديث عمر بن الخطاب الترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، والبزار (٢٧٦٤)، والطحاوي في «المشكّل» ١٧٥/٣ - ١٧٦، والطبراني في «الصغير» ١٢٨/١، وأخرجه من حديث النعمان بن بشير أحمد ٢٦٧/٤ و ٢٧٦ و ٢٧٧، والبزار (٢٧٦٧)، والطحاوي ١٧٧/٣، وأبو نعيم ٧٨/٢ و ١٢٥/٤، وابن أبي عاصم (١٤٧٧). وأخرجه من حديث بريدة الأسلمي أحمد ٣٥٠/٥ و ٣٥٧، وابن أبي عاصم (١٤٧٣) و (١٤٧٤)، وأبو نعيم ٧٨/٢.

(١) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣٨٥٩)، وأبوداود (٤٦٥٣)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٤٠/٢، وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر بن عبد الله قال: أخبرني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ أَصْحَابُ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايعُوا تَحْتَهَا» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» فقال النبي ﷺ: «وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نَنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنُذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاءً﴾». وهو في «المسند» ٣٦٢/٦ و ٤٢٠، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٠٤/١٣، وابن سعد ٨/ ٤٥٨، وابن أبي عاصم (٨٦١)، والطبراني في «الكبير» ٢٥/ (٢٦٦) و (٢٦٩). وأخرجه من حديث جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أحمد ٦/ ٢٨٥، والبيهقي (٣٩٩٤)، وابن أبي عاصم (٨٦٠)، وابن ماجه (٤٢٨١)، والطبراني ٢٣/ (٣٥٨) و (٣٦٣)، وفيه: «مَنْ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ»، وأخرجه أحمد ٣٩٦/٣ من حديث جابر بلفظ: «لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ».

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، الآيات.

ولقد صدّق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم،  
 ٢٩٣ حيث قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فاصطفاه لنفسه، وابتعته برسالته<sup>(١)</sup>، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَرَرَاءَ نَبِيِّهِ<sup>(٢)</sup>، يَقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنًا، وَمَا رَأَوْهُ سَيِّئًا، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئًا<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر. وتقدّم<sup>(٤)</sup> قول ابن مسعود: من كان منكم مستنّاً فليستنّ بمن قد مات... إلخ، عند قول الشيخ: «وتتبع السنة والجماعة».

فمن أضلّ ممّن يكون في قلبه غلٌّ لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟! بل قد فضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قالوا: أَصْحَابُ مُوسَى، وقيل للنصارى: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قالوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وقيل للرافضة: مَنْ شَرُّ

(١) في (ب): لرسالته.

(٢) في الأصول: «دينه»، والمثبت من «المسند».

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/١، وفي «فضائل الصحابة» (٥٤١)، والطبراني (٨٥٨٢) و(٨٥٨٣) و(٨٥٩٣)، والطبراني (٢٤٦)، والبخاري (١٠٥)، والبيهقي (١٣٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» ١٦٦/١ - ١٦٧، وسنده حسن، وصححه الحاكم ٧٨/٣، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٧٧/١ - ١٧٨، وقال: رواه أحمد والبيهقي، ورجاله موثقون.

(٤) ص ٥٤٦.

أهل مِلَّتِكُمْ؟ قالوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ!! لم يستنوا منهم إلا القليل، وفيمن سَبُّوهُم مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَنَوْهُم بِأَصْعَابٍ مُضَاعَفَةٍ.

وقوله: «وَلَا تُقْرِطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ» أي: لا تتجاوز الحد في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، كما تفعل الشيعة، فتكون مِنَ المعتدين، قال تعالى: ﴿يَنَاقِلُ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله: «وَلَا تَنْبَرَأْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ» كما فعلتِ الرَّافِضَةُ! فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أَهْلُ الْبَيْتِ حتى يتبرا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!! وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤَالِنُهُمْ كُلَّهُمْ، وَيُتْرَلُونَهُمْ مَنْزِلَهُمُ الَّتِي يَسْتَحِقُّونَهَا، بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، لَا بِالْهَوَى وَالْتَعَصُّبِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْبَغْيِ الَّذِي هُوَ مُجَاوِزُهُ الْحَدَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَنِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧]. وهذا معنى قول مَنْ قَالَ مِنَ السُّلَفِ: الشَّهَادَةُ بِدَعَةٍ، وَالْبَرَاءَةُ بِدَعَةٍ، يُرَوَّى ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السُّلَفِ، مِنَ الصُّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، مِنْهُمْ: أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ<sup>(١)</sup>، وَالضُّحَّاكُ، وَغَيْرُهُمْ.

ومعنى الشهادة: أَنْ يَشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ أَنَّهُ كَافِرٌ، بِدُونِ الْعِلْمِ بِمَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِهِ.

وقوله: «وَجِبُهُمُ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ» لَأَنَّهُ امْتَثَالَ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهَا تَقَدَّمَ مِنَ النَّصُوصِ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ

(١) هو الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، اليماني، ثم الكوفي، المتوفى سنة ٩٦ هـ. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٤ / رقم الترجمة (٢١٣).

غَرَضاً [بَعْدِي]، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبُحْبِي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ<sup>(١)</sup>.

وتسمية حُبِّ الصحابة إيماناً مشكلاً على الشيخ رحمه الله، لأن الحُبَّ عَمَلُ الْقَلْبِ، وليس هو التصديق، فيكون العملُ داخلًا في مُسَمَّى الإيمان، وقد تقدّم في كلامه: «أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ»، ولم يجعل الْعَمَلَ داخلًا في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروف من مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكونَ هذه التسمية مجازاً.

وقوله: «وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ»: تقدّم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظيرُ الكفر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقد تقدم الكلام في ذلك.

قوله: «وَتُبِّتُ<sup>(٢)</sup> الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ».

ش: اختلف أهل السُّنَّةِ في خلافة الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل كانت نبوت الخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسنُ البصريُّ وجماعةٌ من أهل الحديث بالنص

(١) الترمذي (٣٨٦٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» ٨٧/٤ و ٥٤/٥ و ٥٧، وفي «فضائل الصحابة» (١) و (٢) و (٣) و (٤)، وابن أبي عاصم (٩٩٢)، والخطيب في «تاريخه» ١٢٣/٩، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٨٧/٨، والبخاري في «تاريخه» ١٣١/٥. وفي سننه عبدالله بن عبد الرحمن، وقيل: عبد الرحمن بن زياد، وقيل: عبد الرحمن بن عبدالله، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال ابن معين: لا أعرفه. قال الذهبي: لا يعرف. ومع ذلك فقد حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٢٢٨٤).

(٢) في (ب): وثبت.

إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي.  
 وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.  
 والدليل على إثباتها بالنص أخبار:

من ذلك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم رضي الله عنه،  
 قال<sup>(١)</sup>: أتت امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن  
 جئت فلم أجذك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجدني فأني  
 أبابكر»<sup>(٢)</sup>. وذكر له سياقاً آخر<sup>(٣)</sup>، وأحاديث أخر. وذلك نص على  
 إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا  
 بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر»، رواه أهل السنن<sup>(٤)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت:  
 دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئ فيه، فقال: «ادعي لي  
 أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً»، ثم قال: «يأبى الله  
 والمسلمون إلا أبابكر».

وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع».

(١) تحرفت في (ب) إلى: «قالت».

(٢) البخاري (٣٦٥٩) و (٧٢٢٠) و (٧٣٦٠)، وأخرجه مسلم (٢٣٨٦)، وأحد ٨٢/٤  
 و ٨٣، والطائسي (٩٤٤)، وابن أبي عاصم (١١٥١)، والبغوي (٣٨٦٨).

(٣) انظر الحديث رقم (٧٣٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) و (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، وأحد ٢٨٢/٥ و ٣٨٥  
 و ٣٩٩ و ٤٠٢، وابن أبي شيبة ١١/١٢، والحميدي (٤٤٩)، وابن أبي عاصم  
 (١١٤٨) و (١١٤٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٨٣/٢ - ٨٤ و ٨٤ و ٨٥،  
 وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٥/٢. وسنده حسن، وصححه الحاكم ٧٥/٣، ووافقه  
 الذهبي، وصححه ابن حبان (٢١٩٣) من طريق آخر.

وفي رواية: قال: «ادعي لي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، لِأَخْتَبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يُخْتَلَفُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَخْتَلِفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَبِي بَكْرٍ»<sup>(١)</sup>.

وأحاديثٌ تَقْدِيمُهُ فِي الصَّلَاةِ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَصَلَّى بِهِمْ مَدَّةَ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٧)، وأحمد ٤٧/٦ و ١٠٦ و ١٤٤، والطبراني (١٥٠٨)، وابن سعد ١٨٠/٣، وابن أبي عاصم (١١٥٦) و (١١٦٣)، والبخاري (١٤١١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٥/٢، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤٣/٦، وأخرجه البخاري (٥٦٦٦) و (٧٢١٧) بلفظ: «هممتُ— أو أردتُ— أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول القائلون، أويتنق المتؤمنون، ثم قلت: يابى الله ويدفع المؤمنين أو يدفع الله ويابى المؤمنين».

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦٦٤) و (٦٧٩) و (٧١٢) و (٧١٣) و (٧١٦) و (٣٣٨٣) و (٧٣٠٣)، والدارمي ٣٩/١، وأحمد في «المسند» ٩٦/٦ و ١٥٩ و ٢٠٢ و ٢١٠ و ٢٢٤، وفي «فضائل الصحابة» (٨٨) و (٥٨٩)، ومالك ١٧٠/١ — ١٧١، والترمذي (٣٦٧٢)، والنسائي ٩٩/٢ — ١٠٠، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٩٢/١١ و ١٩٤/١٢، وابن ماجه (١٢٣٢)، والبخاري (١٥٣)، وابن أبي عاصم (١١٦٧)، وابن سعد ٧٩/٣، و ١٧٩ — ١٨٠، والبيهقي ٨١/٣ من حديث عائشة رضي الله عنها. وأخرجه من حديث أبي موسى الأشعري البخاري (٦٧٨) و (٣٣٨٠)، ومسلم (٤٢٠)، وأحمد ٤١٢/٤ — ٤١٣، وابن أبي عاصم (١١٦٤)، وابن سعد ١٧٨/٣، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٠) و (٥٨٢)، وأخرجه من حديث ابن عمر البخاري (٦٨٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٤١/٥، وأخرجه من حديث العباس أحمد في «المسند» ٢٠٩/١، وفي «فضائل الصحابة» (٧٩) و (٨٠)، وصححه ابن حبان (٢١٧٤).



وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، عَلَيْهَا ذَلُورٌ، فَتَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَتَزَعَهَا مِنْهَا ذَنْوِبًا أَوْ ذَنْوَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّ أَرَّ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَغْرِى فَرِيَّهُ، حَتَّى ٢٩٥ ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطْنِ<sup>(٢)</sup>».

(١) هذه رواية البخاري في موضعين من «صحيحه» (٣٦٦٤) و (٧٠٢١)، ورواية مسلم (٢٣٩٢)، ولفظه في بعضها: «ثُمَّ أَخَذَهَا عَمْرٌ، فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا» ولفظ بعضها من حديث ابن عمر: «ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا».

(٢) البخاري (٣٦٦٤) و (٧٠٢١) و (٧٠٢٢) و (٧٤٧٥)، ومسلم (٢٣٩٢)، وأخرجه أحمد ٣٦٨/٢ و ٤٥٠، وابن أبي شيبة ٢١/١٢ - ٢٢، والبيهقي (٣٨٨١) و (٣٨٨٢) و (٣٨٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤٤/٦، كلهم من حديث أبي هريرة. وأخرجه من حديث ابن عمر البخاري (٣٦٣٣) و (٣٦٧٦) و (٣٦٨٢) و (٧٠١٩) و (٧٠٢٠)، ومسلم (٢٣٩٣)، والترمذي (٢٢٨٩)، وأحمد ٢٧/٢ و ٢٨ و ٣٩ و ٨٩ و ١٠٤ و ١٠٧، وابن أبي شيبة ٢١/١٢.

وقوله: «على قليب» أي: على بئر، وقوله: «ذَنْوِبًا أَوْ ذَنْوَيْنِ» الذنوب: الدلو الممتلئة. قال الشافعي في «الأم»: ومعنى قوله: «وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ»: قصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والازدياد الذي بلغه عمر في طول مدته.

وقوله: «ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا» الغرب - بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء -: الدلو العظيم يسقى به البعير، فهي أكبر من الذنوب، أي تحولت من الصغر إلى الكبير. وقوله: «فَلَمَّ أَرَّ عَبْقَرِيًّا يَغْرِى فَرِيَّهُ» العبقرى، قال أبو عمرو الشيباني: عبقرى القوم: سيدهم وقويم وكبيرهم، وقال الفارابي: العبقرى من الرجال الذي ليس فوقه شيء، وذكر الأزهري أن «عبقر» موضع بالبادية، وقيل: بلد كان ينسج فيه البسط الموشية، فاستعمل في كل شيء جيد، وفي كل شيء فائق، وقال الفراء: العبقرى: السيد وكل فاخر من حيوان وجوهر وبساط وضعت عليه، وأطلقوه في كل شيء عظيم في نفسه.

وقوله: «يَغْرِى فَرِيَّهُ» بفتح الفاء وكسر الراء وتشديد التحتانية المفتوحة، وروي بسكون الراء، والتخفيف، ومعناه: يعمل عمله، ويقطع قطعه، وقوله: «حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطْنِ»، العطن - بفتح المهملة وآخره النون -: هو ما يعد للشرب حول البئر من مبارك =

وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال على منبره: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لَا يَبْقَيْنُ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ، إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي «سنن أبي داود» وغيره، من حديث الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكر، أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ [كَأَنَّ] مِيزَانًا أَنْزَلَ<sup>(٢)</sup> مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنَتْ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ [الْمِيزَانُ]، فَرَأَيْتُ الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

فَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ وَلَايَةَ هَؤُلَاءِ خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكٌ.

وليس فيه ذكرٌ عليّ رضي الله عنه، لأنه لم يَجْتَمِعِ النَّاسُ فِي

= الإبل، والمراد بقوله: «ضَرَبَ» أي: ضَرَبَتِ الإبلُ بَعْطَنَ: بركت، والعَطَنُ للإبل كالوطن للناس، لكن غلب على مبركها حول الخوض، ووقع في رواية أبي بكر بن سالم، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عند أبي بكر بن أبي شيبة ٦٢/١١ و ٢١/١٢: «حتى روي الناس وضربوا بَعْطَنَ».

(١) تقدم تخريجه ص ١٦٤.

(٢) سقطت من (ب)، وفي المطبوع من سنن أبي داود: «نزل» وفي «المسند» وابن أبي عاصم: دُنِيَ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٣٤) و (٤٦٣٥)، والترمذي (٢٢٨٧)، وأحمد ٤٤/٥ و ٥٠، وابن أبي عاصم (١١٣٥)، وابن أبي شيبة ١٨/١٢، والحاكم ٧٠/٣ - ٧١، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤٨/٦ من حديث أبي بكر، وهو صحيح دون قوله: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ» فإنها ضعيفة لتفرد علي بن زيد بن جدعان بها، وهو ضعيف، لكن يشهد لها حديث سفينة الآتي، فهي صحيحة به.

زمانه، بل كانوا مختلفين، لم يَتَّظَم فيه خلافة النبوة ولا الملك<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود أيضاً عن جابر رضي الله عنه، أنه كان يحدث، أن رسول الله ﷺ قال: «رأى<sup>(٢)</sup> الليلة رجُلٌ صالحٌ أن أبا بكرٍ يَظُت برسولِ الله ﷺ، ويَظُت عُمرُ بابي بكرٍ، ويَظُت عُثمانُ بعُمَرَ، قال جابر: فَلَمَّا قَمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا الْمَنُوطُ<sup>(٣)</sup> بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ، فَهُمُ وَلَاؤُهُ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ<sup>(٤)</sup>».

وروى أبو داود أيضاً عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دَلَّتِي مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِعَرَائِقِهَا، فَشَرِبَ شَرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمرُ فَأَخَذَ بِعَرَائِقِهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ

(١) ويرد على ما فهمه الشارح من الحديث ما سيأتي في حديث سفينة رضي الله عنه، وفيه: «خلافة النبوة ثلاثون سنة» فإن خلافة أبي بكر ستان، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين، فيكون المجموع ثلاثين سنة، فهو داخل في خلافة النبوة مع الثلاثة رضي الله عنهم، وعن جميع صحابة رسول الله. وانظر «دلائل النبوة» ٦/٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) في «سنن أبي داود»: أرى.

(٣) في سنن أبي داود: «أما تَنُوطُ».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٣٦)، وابن أبي عاصم (١١٣٤)، وأحمد ٣/٣٥٥، والحاكم ٣/٧١ - ٧٢، وصححه هو والذهبي مع أن عمرو بن أبان راويه عن جابر لم يوثقه غير ابن حبان ٧/٢١٦، وقال: روى عن جابر، فلا أدري أسمع منه أم لا. وقال أبو داود بإثره: ورواه يونس وشعيب لم يذكرهما عمرو بن أبان، قال الخطابي في «معالم السنن» ٤/٣٠٥ - ٣٠٦: قوله: «يَظُت» معناه: عَلَّقَ، والنوط: التعليق، ومنه المثل: «عاطٍ بغير أنواط» قال الميداني في «مجمع الأمثال» ٢/٢٤: العطر: التناول، والأنواط: جمع نوط، وهو كل شيء معلق. يقول: هو يتناول، وليس هناك معاليق، يشرب لمن يدعي ما ليس بملكه.

جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشِطَتْ مِنْهُ، فَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ<sup>(١)</sup>.

وعن سعيد بن جهمان، عن سفيينة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ أَوْ الْمَلِكُ»<sup>(٢)</sup>.

واحتج من قال: لم يَسْتَخْلِفْ بالخبر المأثور، عن عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: إن أَسْتَخْلِفَ، فقد استخلف مَنْ هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يَسْتَخْلِفْ مَنْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧)، وأحمد ٢١/٥، وابن أبي عاصم (١١٤١)، والطبراني في «الكبير» (٦٩٦٥). وفي سننه عبد الرحمن الجرمي، لم يوثقه غير ابن حبان وما حدث عنه سوى ولده الأشعث. وقوله: «ثُلِّيَ مِنَ السَّهَاءِ» يريد: أرسل، يقال: أدليت الدلو، إذا أرسلتها، ودلوها: إذا نزعته. و«العراقي»: أعواد يخالف بينها، ثم تشد في عرى الدلو، ويعلق بها الحبل، واحدها عرقوة. «معالم السنن» ٣٠٦/٤، وقوله: فانتشطت منه: أي: جذبت منه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣١٣/٤، وأحمد ٢٢٠/٥ - ٢٢١ في «المسند»، وفي «فضائل الصحابة» (٧٨٩) و (٧٩٠) و (١٠٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٦٢/٢، والطبراني في «الكبير» (١٣) و (١٣٦) و (٦٤٤٢)، والطيالسي (١١٠٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤١/٦، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٥٢) من طرق عن سعيد. وسنده حسن، وحسنه الترمذي (٢٢٢٦). وصححه ابن حبان (١٥٣٤) و (١٥٣٥)، والحاكم ٧١/٣ و ١٤٥، ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث أبي بكر التقي، وفي سننه ابن جدعان، وهو ضعيف، وقد تقدم قريباً، وآخر من حديث جابر بن عبد الله عند الواحدي في تفسيره «الوسيط» ٢/١٢٦، وفي سننه من لا يعرف، فيصح الحديث بهما. وزاد الترمذي وغيره: قال سفيينة: أمسك خلافة أبي بكر رضي الله عنه ستين، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين.

هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، يَعْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وبما رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ من كان رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْلِفًا لو استخلف<sup>(٢)</sup>؟

والظاهر — والله أعلم — أن المراد أنه لم يستخلف بِعَهْدٍ مكتوب، ولو كَتَبَ عهداً، لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثُمَّ تركه، وقال: وأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر<sup>(٣)</sup>.

فكان هذا أَبْلَغَ مِنْ مُجَرِّدِ العهد، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دُلَّ المسلمون ٢٩٦ على استخلاف أبي بكر، وأرشدَهم إليه بأمرٍ متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبرَ بِخِلافَتِهِ إخباراً راضٍ بذلك، حامداً له، وعَزَمَ على أن يكتب بذلك عهداً، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ المسلمِينَ يجتمعون عليه، فَتَرَكَ الْكِتَابَ اكتفاءً بذلك، ثُمَّ عَزَمَ على ذلك في مَرَضِهِ يومَ الخميس، ثُمَّ لما حَصَلَ لِبَعْضِهِمْ شَكٌّ: هل ذلك القولُ من جِهَةِ العرضِ؟ أو هو قولٌ يجب

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٨)، وأحمد ٤٣/١، والترمذي (٢٢٢٥)، ورواه أحمد ٤٧/١، ومسلم (١٨٢٣)، وأبو داود (٢٩٣٩)، فزادوا فيه: قال (القاتل عبدالله بن عمر): فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مستخلف. لفظ أحمد.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨٥) من طريق ابن أبي مليكة قال: سمعتُ عائشة وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا. وانظر «المسند» ٦/٦٣، وابن سعد ٣/١٨١ وفي «الكنى» للدولابي ٢/٣٩، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٢٠٣) و(٢٠٤) و(١٢٨٦).

(٣) تقدم تخريجه ص ٦٩٨.

اتباعه<sup>(١)</sup>؟ تَرَكَ الْكِتَابَةَ، اكتفاءً بما عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ.

(١) أخرج البخاري (٧٣٦٦) ومسلم (١٦٣٧) (٢٢) من طريق معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: لما حُضِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْبَيْتِ رَجُلٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلُمَّ (وَفِي رِوَايَةٍ: إِيْتُونِي بِكِتَابٍ) أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ» فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِيبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّفْظَ وَالْاِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُومُوا عَنِّي» قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: نَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اِخْتِلَافِهِمْ وَلَغْطِهِمْ. وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (١١٤) وَ(٣٠٥٣) وَ(٣١٦٨) وَ(٤٤٣١) وَ(٤٤٣٢) وَ(٥٦٦٩) وَ(٧٣٦٦). وَفِي بَعْضِهَا وَمُسْلِمٌ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِيْمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ٢٠٨/١ - ٢٠٩: وَكَانَ حَقُّ الْمَأمُورِ أَنْ يَبَادِرَ لِلْامْتِثَالِ، لَكِنْ ظَهَرَ لِعُمَرَ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ مَعَ طَائِفَةٍ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْوُجُوبِ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِرْشَادِ إِلَى الْأَصْلَحِ، فَكَرِهُوا أَنْ يَكْلِفُوهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ اسْتِحْضَارِهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ) وَلِهَذَا قَالَ عُمَرُ: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، وَظَهَرَ لَطَائِفُهُ أُخْرَى أَنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يَكْتُبَ لَهَا فِيهِ مِنْ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيضَاحِ، وَدَلَّ أَمْرُهُ لَهُمْ بِالْقِيَامِ عَلَى أَنَّ أَمْرَهُ الْأَوَّلَ كَانَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ، وَلِهَذَا عَاشَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيَّامًا، وَلَمْ يَعَاوِدْ أَمْرَهُمْ بِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ وَاجِبًا لَمْ يَتْرَكْ لاختلافهم، لِأَنَّهُ لَمْ يَتْرَكِ التَّبْلِيغَ لِمُخَالَفَةٍ مِنْ خَالَفَ، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يَرَاجِعُونَهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَا لَمْ يَجِزْ بِالْأَمْرِ، فَلِذَا اعْتَزَمَ امْتِثَالُهَا. قَالَ الْحَافِظُ: وَاخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِالْكِتَابِ، فَقِيلَ: كَانَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابًا يَنْصَحُ فِيهِ عَلَى الْأَحْكَامِ لِيَرْتَفَعَ الْاِخْتِلَافُ، وَقِيلَ: بَلْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ عَلَى أَسْمَاءِ الْخُلَفَاءِ بَعْدَهُ حَتَّى لَا يَقَعَ بَيْنَهُمُ الْاِخْتِلَافُ، قَالَهُ سَفِيَّانُ بْنُ عَيْنَةَ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أَوَائِلِ مَرَضِهِ وَهُوَ عِنْدَ عَائِشَةَ: «ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مَتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَاتِلٌ، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٨٧) وَلِلْمُصَنِّفِ (أَيِ الْبُخَارِيِّ) مَعْنَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكْتُبْ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ، لِقَوْلِ عُمَرَ: كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا، أَيْ: كَافِيْنَا، مَعَ أَنَّهُ يَشْمَلُ الْوَجْهَ الثَّانِي؛ لِأَنَّهُ بَعْضُ أَفْرَادِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة، لبيته بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين، وفهموا ذلك، حصل المقصود، ولهذا قال عمر رضي الله عنه، في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيّدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، ولم يُذكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم يُنازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير، ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه.

ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عباد، لكونه<sup>(٢)</sup> هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط: إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع!

وروى ابن بطة بإسناده: أن عمر بن العزيز بعث محمد بن الزبير الحنفلي<sup>(٣)</sup> إلى الحسن، فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أوفي شكّ صاحبك؟ نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوَّب عليها.

(١) هي في البخاري، وسيذكرها الشارح قريباً.

(٢) في (ب): لكونه كان هو الذي يطلب.

(٣) ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، في حديثه إنكار، وقال البخاري: منكر الحديث، وفيه نظر، وكان شعبة لا يرضاه، وقال ابن عدي: بصري كوفي الأصل، قليل الحديث، والذي يرويه غرائب وأفراد. مترجم في «تهذيب التهذيب»، ١٦٧/٩.

وفي الجملة: فجميع من نُقِلَ عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة دينية شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه، وحب رسول الله ﷺ له، ففي «الصحيحين» عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر» وعد رجلاً<sup>(١)</sup>.

وفيهما أيضاً، عن أبي الدرداء، قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: «أما صابجكم، فقد غامر»، فسلم، وقال: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر»، ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أنتم هو<sup>(٢)</sup>؟ فقالوا: لا، فأتى النبي ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتعمر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاجبي؟» مرتين، فما أوديت بعدها<sup>(٣)</sup>.

٢٩٧

(١) تقدم تخريجه ص ٣٩٧.

(٢) في البخاري: أنتم أبو بكر.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦١) و (٤٦٤٠)، ولم يخرج مسلم، وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» ٢/ ٢٨٨، ورواه باختصار ابن أبي عاصم (١٢٢٣).



ومعنى: غامر: غاضب وخاصم<sup>(١)</sup>، ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله.

وفي «الصحيحين» أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنح<sup>(٢)</sup> - فذكرت الحديث - إلى أن قالت: واجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ، في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: مِنَّا أميرٌ، ومِنكُم أميرٌ فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: واللَّهِ ما أزدتُ بذلك إلا أني هياتُ في نفسي كلاماً قد أعجبني، خَشِيتُ أن لا يُلغَ أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ<sup>(٣)</sup> الناس، فقال في كلامه: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فقال حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لا واللَّهِ لا<sup>(٤)</sup> نَفْعُ لَنا، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فقال أبو بكر: لا وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، هم أَوْسَطُ الْعَرَبِ، وَأَعَزُّهُمْ أَحْسَاباً، فبايعوا عُمَرَ أَوْ<sup>(٥)</sup> أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فقال عمر: بل نُبَايعُكَ، فَأَنْتَ

(١) الفتح ٢٥/٧ أي: دخل في غمرة الخصومة، والغامر، الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره، وقيل: من الغمر بكسر المعجمة، وهو الخقد، أي: صنع أمراً اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه.

(٢) السُّنح - بضم السين وسكون النون ويجوز ضمها -: طرف من أطراف المدينة بعماليها، كان بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل، وكان بها منزل أبي بكر الصديق.

(٣) نصب: «أبلغ» على الحالية، ويجوز رفعه على أنه فاعل، أي: تكلم رجل هذه صفته، وقال السهيلي: النصب أوجه؛ ليكون تأكيداً لمدحه وصرف الوهم عن أن يكون أحد موصوفاً بذلك غيره، وفي رواية ابن عباس: قال: قال عمر: والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديتي، أو مثلها أو أفضل حتى سكت. انظر «سيرة ابن هشام»، ٣٠٩/٤ - ٣١٠.

(٤) (أ) و (ج): ما.

(٥) في (ب): «و»، وهو خطأ.

سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَاحِبَّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدًا<sup>(١)</sup>، فَقَالَ عُمَرُ: قَتَلَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>.

وَالسُّنْحُ: الْعَالِيَةُ، وَهِيَ حَدِيقَةٌ مِنْ حَدَائِقِ الْمَدِينَةِ مَعْرُوفَةٌ بِهَا.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

ش: أَيِ وَثِّبَتْ<sup>(٣)</sup> الْخِلَافَةُ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَذَلِكَ بِتَفْوِضِ أَبِي بَكْرٍ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ، وَاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ عَلَيْهِ. وَفَضَائِلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ تُنْكَرَ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَوْ مَا تَعْرِفُ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ عَثْمَانُ فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٤)</sup>.

خلافة عمر  
الغاروق رضي الله  
عنه

وَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ ﷺ: «اقْتُلُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَغْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي الْبُخَارِيِّ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٦٨)، وَلَمْ نَجِدْهُ فِي مُسْلِمٍ.

(٣) فِي (ب): وَثِّبَتْ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٧١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٦٢٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ١٢/١٢، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (١٢٠٤) وَ (١٢٠٦)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٨٧١) وَهُوَ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» لِأَحْمَدَ (١٣٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَدَامَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (الْقَائِلُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَدَامَةَ، هُوَ الْقَطِيعِيُّ، وَلَيْسَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَلَا ابْنُهُ فَإِنْ وَفَاةُ أَحْمَدَ ٢٤١هـ وَوفاةُ ابْنِهِ ٢٩٠هـ) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ، حَدَّثَنَا الْفَرَاتُ بْنُ خَالِدٍ وَسَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ مَنْذَرِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ... فَهُوَ مِنْ زِيَادَاتِ الْقَطِيعِيِّ.

(٥) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ ص ٦٩٧.

وفي «صحيح مسلم»، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:  
 ٢٩٨ وَضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ، وَيُثَنِّونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ  
 قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرْعِنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ  
 وَرَائِي، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَ: مَا خَلَفْتُ  
 أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمِ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ  
 لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُ  
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ  
 وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأَظُنُّ أَنْ  
 يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا»<sup>(١)</sup>.

وَتَقَدَّمَ<sup>(٢)</sup> حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي رُؤْيَا رَسُولِ  
 اللَّهِ ﷺ، وَنَزَعَهُ مِنَ الْقَلِيبِ، ثُمَّ نَزَعَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَحَالَتِ الدَّلُؤُ  
 غَرَبًا، فَاخْذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرْ عَبْرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ،  
 حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ.

وفي «الصحيحين»، من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ: قال:  
 اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ  
 قُرَيْشٍ، يُكَلِّمَنَّهُ، عَالِيَةً أَصَوَاتُهُنَّ، الْحَدِيثُ... وَفِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:  
 «إِيهَآ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا

(١) أخرجه من حديث ابن عباس البخاري (٣٦٧٧) و (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩)،  
 وابن ماجه (٩٨)، وابن أبي عاصم (١٢١٠)، والبيهقي (٣٨٩١)، والنسائي في  
 «فضائل الصحابة» (١٤)، وأحمد ١/١١٢، وفي «فضائل الصحابة» (٣٢٧)، وابن  
 شبة في «تاريخ المدينة» ٩٤١/٣.

(٢) انظر ص ٧٠١ ت (٢).

فَجَأَ إِلَّا سَلَكَ فَجَأَ غَيْرَ فُجْكَ»<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيحين» أيضاً، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن وهب: تفسير محدثون: مُلْهِمُونَ<sup>(٣)</sup>.  
قوله: «ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

ش: أي: وثبتت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان في «صحيحه»، فأحييت أن أسردها كما رواها بسنده: عن عمرو بن ميمون، قال: رَأَيْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ

خلالة عثمان  
رضي الله عنه

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٤) و(٣٦٨٣) و(٦٠٨٥)، ومسلم (٢٣٩٦)، وأحمد ١٧١/١ و١٨٢ و١٨٧، وفي «الفضائل» (٣٠١) و(٣٢٦)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٢٨) وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧)، والبيهقي (٣٨٧٤)، وابن أبي عاصم (١٢٥٣) و(١٢٥٤)، وابن أبي شيبة ٣٠/١٤. و«إيها» بكسر الهمزة متوناً منصوباً، ومعناها: لا تبدئنا بحديث، وفي رواية: «إيه» بالكسر والتنوين، ومعناه: حدثنا ما شئت، والفتح: الطريق الواسع، ومنه قوله سبحانه: ﴿سَبِيلًا فَجَاجًا﴾ أي: طرقاً واسعة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) و(٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، وابن أبي شيبة ٢٢/١٢، وأحمد في «المسند» ٣٣٩/٢، والبيهقي (٣٨٧٣)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٩) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن عائشة عند مسلم (٢٣٩٨)، والترمذي (٣٦٩٣)، وأحمد ٥٥/٦ في «المسند» وفي «الفضائل» (٥١٦) و(٥١٧)، والقسوي في «تاريخه» ٤٥٧/١ و٤٦١، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٨)، والحميدي (١٢٥٣)، والحاكم ٨٦/٣.

(٣) قال ابن الأثير في جامع «الأصول» ٦١٠/٨ الطبعة الشامية: أراد بقوله: «محدثون» أقواماً يصيرون إذا ظنوا وحّدسوا، فكانهم قد حدثوا بما قالوا، وقد جاء في الحديث تفسيره: «أنهم ملهمون» والمّلهم: الذي يُلْقَى في نفسه الشيء، فيخبر به حدساً وظناً وفراصة، وهو نوع يختص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر رضي الله عنه.

بالمدينة بأيام<sup>(١)</sup>، ووقف على حُذيفة بن اليمان، وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ اتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تُطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مُطيقَة، ما فيها كثير<sup>(٢)</sup> فضلٍ، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تُطيق؟ قالا: لا، فقال عُمرُ: لئن<sup>(٣)</sup> سلّمني الله، لأدعن أرايمل أهل العراق لا يَخْتَجَنَ إلى رجلٍ بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه أربعة<sup>(٤)</sup> حتى أصيب.

قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مرّ بين الصّفيّين قال: استروا، حتى إذا لم يرَ فيهنَّ<sup>(٥)</sup> خللاً تقدّم [فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر<sup>(٦)</sup>]، فسَمِعَتْهُ يَقُولُ: قتلني، أو أكلني الكلب، حين<sup>(٧)</sup> طعنه، فطَارَ العِلْجُ بسكين ذاتِ طرفين، لا يمرُّ على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طَعَنَ ثلاثةَ عَشَرَ رجلاً، مات منهم سبعةٌ، فلما رأى ذلك رجُلٌ من المسلمين، طرح عليه ٢٩٩ بُرُتْساً، فلما ظنَّ أنه مأخوذٌ، نَحَرَ نفسه، وتناول عُمرُ يدَ عبد الرحمن بن عوف، فقدمه، فَمَنُ يلي عُمرَ، فقد يرى<sup>(٨)</sup> الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فَقَدُوا صَوْتَ عمر، وهم يقولون:

(١) في البخاري: بأيام بالمدينة.

(٢) في البخاري: «كثير».

(٣) في الأصول: «إن»، والمثبت من البخاري.

(٤) في البخاري: فما أتت عليه إلا أربعة.

(٥) في البخاري: فيهم.

(٦) ما بين حاصرتين من البخاري.

(٧) في (ب): «حتى»، وما في (أ) موافق لرواية البخاري.

(٨) في البخاري: رأى.

سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، فصلَّى بهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ صلاةً خفيفةً<sup>(١)</sup>، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس أنظر مَنْ قتلني؟ فجال ساعةً، ثم جاء، فقال: عَلَامُ الْمُغِيرَةِ، قال: الصَّنْعُ<sup>(٢)</sup>؟ قال: نَعَمْ، قال: قاتله اللَّهُ، فلقد أَمَرْتُ به معروفًا! الحمدُ لِلَّهِ الذي لم يجعل منيتي<sup>(٣)</sup> بِيدِ رَجُلٍ يَدْعِي الإسلامَ، قد كُنْتَ أَنْتَ وأبوك تُجَبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بالمدينة، وكان العباسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا، فقال: إِنْ شِئْتُ فَعَلْتُ، أي: إِنْ شِئْتُ، قَتَلْنَا، فقال: كَذَبْتَ<sup>(٤)</sup>، بعد ما تكلَّموا بلسانكم، وَصَلُّوا قِبَلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ! فَاحْتَمِلْ إِلَى بَيْتِهِ، فَانْطَلِقْنَا مَعَهُ، وَكَانَ النَّاسُ لَمْ تُصِبْهُمْ مَصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمِئِذٍ، فَقَاتِلْ يَقُولُ: لَا بَأْسَ عَلَيْهِ، وَقَاتِلْ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأَتَيْ بَنِيئِ<sup>(٥)</sup> قَسْرِبِهِ، فَعَجَرَ مِنْ جَوْفِهِ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ أَتَيْ بَلْبَنٍ قَسْرِبِهِ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ.

(١) في رواية أبي إسحاق عند ابن سعد وابن أبي شيبة: «بأقصر سورتين في القرآن: إنا أعطيناك الكوثر»، وإذا جاء نصر الله والفتح» وزاد في رواية ابن شهاب الزهري عند عبد الرزاق (٩٧٧٥): «فأخبرني عبد الله بن عباس، قال: فاحتملنا عمر أنا ونفر من الأنصار حتى أدخلناه منزله، فلم يزل في غشية واحدة حتى أسفر، فقال رجل: إنكم لن تفزعوه بشيء إلا بالصلاة، قال: فقلنا: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: ففتح عينه، ثم قال: أصل الناس؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه لاحظ في الإسلام لأحد ترك الصلاة. ثم صلى وجرحه يثعب دماً.

(٢) الصنع - بفتح المهملة والنون -: الماهر الحاذق في الصناعة، وفي رواية ابن فضيل عن حصين عند ابن أبي شيبة ٥٧٥/١٤، وابن سعد: «الصناع» بتخفيف النون، قال أهل اللغة: رجل صَنَعَ اليد واللسان، وامرأة صَنَاعُ اليد، وحكى أبو زيد: الصناع، والصنع يقعان معاً على الرجل والمرأة. وفي المثل: «تحسبها خرقاء وهي صناع».

(٣) في البخاري: ميتي.

(٤) أهل الحجاز يقولون: «كذبت» في موضع «أخطأت».

(٥) هو نقيع التمر كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء.

(٦) قال الحافظ: في رواية الكشميهني: من جرحه، وهي أصوب.

فدخلنا عليه، وجاء الناس يُثَنُّونَ عليه، وجاء رجلٌ شابٌّ، فقال: أَبَشِّرْ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَدِّمْ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَعَدَلْتُ، ثُمَّ شَهَادَةٌ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَانَ<sup>(١)</sup> كِفَافًا، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ<sup>(٢)</sup> يَمَسُّ الْأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوْا عَلَيَّ الْغُلَامَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتَقَى لِرُبِّكَ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا، فَحَسْبُوه، فوجدوه سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَنَحْوَهُ<sup>(٣)</sup>، قَالَ: إِنَّ<sup>(٤)</sup> وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عَمْرٍو، [فَأَذَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ]، وَإِلَّا فَسَلَّ فِي بَنِي عَدِيٍّ بَيْنَ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ<sup>(٥)</sup>، فَسَلَّ فِي قَرِيشٍ، وَلَا تَعُدُّهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَذُّ عَنِي هَذَا الْمَالَ. انْطَلَقَ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلَّ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ [عَمَرُ] السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُذْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فوجدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكَ عَمَرُ [بِالْخَطَّابِ] السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُذْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَا وَثْرَتُهُ<sup>(٦)</sup> بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَمْسَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، قَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ

(١) سقطت من (ب)، ولفظ البخاري: وددت أن ذلك كفاف.

(٢) في الأصول: رداءه، والمثبت من البخاري.

(٣) في البخاري: «أو نحوه».

(٤) «إن» سقطت من (أ) و(ب) و(ج).

(٥) في الأصول زيادة: «والا».

(٦) في البخاري: ولا وثرته.

المؤمنين، أَذْنَتْ، قال: الحمدُ لِلَّهِ، ما كان شيءٌ<sup>(١)</sup> أَحَبَّ<sup>(٢)</sup> إِلَيَّ من ذلك، فإذا أنا قَضَيْتُ، فاحملوني، ثم سَلَّمْ، فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذْنَتْ لِي، فادخلوني، وإن ردتني، فردوني<sup>(٣)</sup> إلى مقابر المسلمين. وجاءت أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسْرُبُ<sup>(٤)</sup> معها فلما رأيناها، قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً<sup>(٥)</sup>، واستأذن الرَّجُلُ، فولجت داخلاً لهم، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا من الداخل، فقالوا: أَوْصِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، استخلف، قال: ما أَجِدُ<sup>(٦)</sup> أَحَقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط، الذين تُؤَفِّي رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فَسَمِيُّ عَلِيًّا، وعثمان<sup>(٧)</sup>، والزَّيَّيرُ، وطلحة، وسعداً، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وقال: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرأةُ سعداً فذاك<sup>(٨)</sup>، وإلا فَلْيُسْتَعِنْ به أَيْكُمْ ما أَمَر، فإني<sup>(٩)</sup> لم أَعْزِلْهُ مِنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ.

وقال: أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ: أَنْ يَعْرِفَ

(١) تحرفت في الأصول إلى: «شيئاً». (٢) في البخاري: ما كان من شيءٍ أهم.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) أي: تمضي، وفي البخاري: تسير.

(٥) ذكر ابن سعد ٣/٣٦١ بإسناد صحيح عن المقدم بن معد يكرب أنها قالت: يا صاحب

رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين، فقال عمر لابن عمر: يا عبد الله اجلسني، فلا صبر لي على ما أسمع، فأسندته إلى صدره، فقال لها: إِنِّي أَحْرَجُ عَلَيْكَ بما لي عليك من الحق أن تنديني بعد مجلسك هذا، فأما عينك فلا أملكها.

(٦) في (ب): أحد.

(٧) في (ب): «عثماناً»، وهو خطأ.

(٨) في البخاري: فهو ذاك.

(٩) في (أ) و (ب) و (ج): «فإنه»، والمثبت من (د) والبخاري.



لهم حقهم، ويحفظ لهم حُرْمَتَهُمْ، وأوصيه بالانصارِ خيراً، الذين تبؤوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم، أن يَقْبَلَ مِنْ محسنهم، ويتجاوز<sup>(١)</sup> عن سيئهم، وأوصيه بأهلِ الأمصارِ خيراً، فإنهم رِدءُ الإسلامِ، وجُباةُ الأموالِ، وَغَيْظُ العدو، أن<sup>(٢)</sup> لا يُؤْخَذَ منهم إلا فضلهم. عن رضاهم، وأوصيه بالأعرابِ خيراً، فإنهم أصلُ العَرَبِ، ومَادَّةُ الإسلامِ، أن يُؤْخَذَ من حواشي أموالهم، وأن يُرَدَّ على فقرائهم، وأوصيه بدميةِ الله ودميةِ رسوله أن يُوفَى لهم بعهدهم، وأن يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، ولا يَكْلَفُوا [إلا طاقتهم].

فلما قُبِضَ خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأَدْخِلْ، فَوَضِعَ هُنَاكَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فلما قُورِعَ مِنْ دَفْنِهِ، اجتمع هؤلاءِ الرُّهْطُ، فقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: اجعلوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ مِنْكُمْ، قال الزبير: قد جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ، وقال [طلحة]: قد جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وقال سَعْدٌ: قد جعلت أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا<sup>(٣)</sup> تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَنَجْعَلَهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ<sup>(٤)</sup> لِيَنْظُرَنَّ أَفْضَلُهُمْ<sup>(٥)</sup> فِي نَفْسِهِ، فَاسْكَبَتْ الشَّيْخَانِ، فقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفْتَجْعَلُونَهُ<sup>(٦)</sup> إِلَيَّ؟ وَاللَّهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلَوْ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، [فقال]:

(١) في البخاري: يُعْفَى.

(٢) في البخاري: وَأَنْ.

(٣) في الأصول: أَيُّكُمْ، والمثبت من البخاري.

(٤) بالرفع فيها، والخبر محذوف، أي: عَلَيْهِ رَقِيبٌ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

(٥) في الأصول: «أَفْضَلُ مَنْ» والمثبت من البخاري.

(٦) تحرف في (أ) و (ج) إلى: «أَفْتَجْعَلُونَهُ».

لك<sup>(١)</sup> قرابة [من] رسول الله ﷺ والقدّم في الإسلام ما قد علمت، فبالله عليك، لئن أمرتكَ لتَعْدِلَنَّ، ولئن أمرتُ عَلَيْكَ لتسمعَنَّ [و] لتطيعَنَّ، ثم خلا بالأخِر، فقال له مثل ذلك، فلما أَخَذَ المِيثَاقَ، قال: ارفع يدك يا عُثْمَانُ، فبايعه، وبايع له عليٌّ، وَوَلَّجَ أَهْلَ الدارِ، فبايعوه<sup>(٢)</sup>.

وعن حميد بن عبد الرحمن: أن المِسُورَ بْنَ مَخْرَمَةَ [أخبره]: أن الذين ولّاهم عُمَرُ، اجتمعوا وتشاوروا، قال لهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لستُ الذي أَنَا فُسُكُم عن<sup>(٣)</sup> هذا الأمر، ولكنكم إن شِئْتُمْ اخترتُ لكم مِنْكُمْ؟ فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلما وَلَّوْا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أمرهم، مَالِ النَّاسِ إِلَى<sup>(٤)</sup> ٣٠١

(١) تحرفت في الأصول إلى: «إلى».

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٧٠٠)، وفيه مقتل عمر رضي الله عنه من طريق موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن ميمون، وهو عنده مختصراً (١٣٩٢) و (٣٠٥٢) و (٤٨٨٨)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/٣٣٧ - ٣٣٩، وابن أبي شيبة ١٤/٥٧٤ - ٥٧٨، كلاهما من طريق محمد بن فضيل، عن حصين بن عبد الرحمن بهذا الإسناد، ورواه عن عمرو بن ميمون أبو إسحاق السبيعي، أخرجه من طريقه ابن أبي شيبة ١٤/٥٧٨، وابن سعد ٣/٣٤٠ - ٣٤٢، وفي روايته زوائد ليست في رواية حصين. قال الحافظ في «الفتح» ٧/٦٢: وروى بعض قصة مقتل عمر أيضاً أبو رافع؛ وروايته عند أبي يعلى وابن حبان، وجابر؛ وروايته عند مسلم (٥٦٧)، وابن أبي شيبة ١٤/٥٧٩، وأبي يعلى (١٨٤)، وأحمد ١/١٥ و ٢٧ - ٢٨، والنسائي ٢/٤٣، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر. قال الحافظ في «الفتح» ٧/٦٣: وفي قصة عمر من الفوائد: شفقته على المسلمين، ونصيحته لهم، وإقامته السنة فيهم، وشدة خوفه من ربه، واهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه، وأن النبي عن المدح في الوجه مخصوص بما إذا كان فيه غلو مفرط أو كذب ظاهر، ومن ثم لم ينه عمر الشاب عن مدحه له مع كونه أمره بتشجير إزاره، والوصية بأداء الدين، والاعتناء بالدفن عند أهل الخير، والمشورة في نصب الإمام، وتقديم الأفضل، وأن الإمامة تتعقد بالبيعة.

(٣) في البخاري: على.

(٤) في البخاري: على.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَتَّى مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتَّبِعُ أَوْلَئِكَ الرُّهْطَ، وَلَا يَطْلُ  
عَقِيَّةً<sup>(١)</sup>، وَمَالَ النَّاسُ إِلَى<sup>(٢)</sup> عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُونَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي، حَتَّى إِذَا  
كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَصْبَحْنَا فِيهَا<sup>(٣)</sup>، فَبَايَعَنَا عُثْمَانُ، قَالَ الْمِسُورِيُّ  
مَخْرَمَةً: طَرَفَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ مَجْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَضَرَبَ الْبَابَ حَتَّى  
اسْتَيْقَظْتُ، فَقَالَ: أَرَاكَ نَائِمًا؟! فَوَاللَّهِ<sup>(٤)</sup> مَا اكْتَحَلْتُ هَذِهِ الثَّلَاثَ بِكَبِيرٍ  
نَوْمٍ، انْطَلِقْ، فَادْعُ لِي الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا، فَدَعَوْتُهُمَا [لَهُ]، فَشَاوَرَهُمَا ثُمَّ  
دَعَانِي، فَقَالَ: ادْعُ لِي عَلِيًّا، فَدَعَوْتُهُ، فَتَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارُ<sup>(٥)</sup> اللَّيْلِ، ثُمَّ قَامَ  
عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَى طَمَعٍ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ  
شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عُثْمَانَ، [فَدَعَوْتُهُ] فَتَاجَاهُ حَتَّى قَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمُؤَذِّنُ  
بِالصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ<sup>(٦)</sup> الصُّبْحَ، وَاجْتَمَعَ أَوْلَئِكَ الرُّهْطُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ،  
أُرْسِلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، [وَأُرْسِلَ] إِلَى أَمْرَاءِ  
الْأَجْنَادِ، وَكَانُوا وَافِقُوا<sup>(٧)</sup> تِلْكَ الْحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ، إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ،  
فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا<sup>(٨)</sup>، فَقَالَ

(١) أَي: يَمُوتُ خَلْفَهُ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْإِعْرَاضِ. (٢) فِي الْبُخَارِيِّ: عَلَى.

(٣) فِي الْبُخَارِيِّ: مِنْهَا.

(٤) فِي (ب): «فَقَالَ: وَاللَّهِ».

(٥) ابْهَارُ اللَّيْلِ: انْتَصَفَ، وَبِهَرَةُ كُلِّ شَيْءٍ: وَسَطُهُ، وَقِيلَ: مَعْظَمُهُ.

(٦) فِي الْبُخَارِيِّ: لِلنَّاسِ.

(٧) فِي الْبُخَارِيِّ: وَافَقُوا.

(٨) قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ١٩٧/١٣: أَي: مِنَ الْمَلَامَةِ إِذَا لَمْ تَوَافِقِ الْجَمَاعَةَ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي  
أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمْ يَتَرَدَّدْ عِنْدَ الْبَيْعَةِ فِي عُثْمَانَ، لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي رَوَايَةِ عَمْرُو بْنِ مَيْمُونٍ  
التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ بَدَأَ بِعَلِيٍّ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْقَدَمُ فِي  
الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ وَاللَّهِ عَلَيْكَ لَنْ أَمْرَتَكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَنْ أَمَرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ  
وَلَتَطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخِرِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ، قَالَ: أَرْفَعُ بِكَ =

لِعِثْمَانَ: أَبَايُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ و[سنة] رسوله، والخليفتين<sup>(١)</sup> مِنْ بَعْدِهِ،  
فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ  
وَالْمُسْلِمُونَ<sup>(٢)</sup>.

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة: كَوْنُهُ خَتَنَ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وفي «صحيح مسلم»، عن عائشة، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
مُضْطَجِعاً فِي بَيْتِهِ، كَاشِفاً عَنْ فَخِذَيْهِ أَوْ سَاقِيهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ  
وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ  
الْحَالَةِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَوَّى ثِيَابَهُ،  
فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْشُ<sup>(٤)</sup>

= يا عثمان فبايعه، وبايع له علي. وطريق الجمع بينهما، أن عمرو بن ميمون حفظ  
ما لم يحفظه الآخر، ويحتمل أن يكون الآخر حفظه، لكن طوى بعض الرواة ذكره،  
ويحتمل أن يكون ذلك وقع في الليل لما تكلم معها واحداً بعد واحد، فأخذ على كل  
منها العهد والميثاق، فلما أصبح، عرض على علي، فلم يوافق على بعض الشروط،  
وعرض على عثمان فقبل.

(١) استدل بعضهم بهذا على جواز تقليد المجتهد، وأن عثمان وعبد الرحمن كانا يريان ذلك  
وأجاب من منعه - وهم الجمهور - بأن المراد بالسيرة ما يتعلق بالعدل  
ونحوه، لا التقليد في الأحكام الشرعية.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٢٠٧) من طريق مالك عن الزهري، أن حميد بن  
عبد الرحمن أخبره... وهو في «مصنف عبد الرزاق» ٤٧٧/٥.

(٣) وهما رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما. وانظر ترجمتهما في «السير» ٢ / رقم الترجمة (٢٩)  
و (٣٠).

(٤) من المشاشة، وهي طلاقة الوجه، وحسن اللقاء، يقال منه: هَشَّ يَهْشُ «بفتح الهاء»،  
كَشَمَّ يَشُمُّ، وأما الهش الذي هو خيط الورق من الشجر، فيقال منه: هَشَّ يَهْشُ  
«بضمهما»، قال الله تعالى: (وَأَهْشُهَا عَلَى غَنَمِي).

له، ولم تُبَالِه، ثم دَخَلَ عُمَرُ، فلم تَهْشُ لَهُ، ولم تُبَالِه، ثم دَخَلَ عُثْمَانُ، فجلست وسوَّيتُ ثيابَكَ؟ فقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيح»: لما كان يومُ بيعة الرضوان، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي<sup>(٢)</sup> ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمين: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»، فضرب بها على يده، فقال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «ثُمَّ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

ش: أي: وثبتت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما. لما قُتِلَ عُثْمَانُ وبايع الناسُ عليّاً، صار إماماً حقّاً، وَاجِبُ الطاعة، وهو الْخَلِيفَةُ في زمانه خِلافةً نُبُوَّةً، كما دَلَّ عليه حَدِيثُ سَفِينَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ، أنه قال:

عَلَانَةً عَلِيٍّ  
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ وَفَضْلَهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٢)، وأحمد في «المسند» ١٥/٦ و ٦٢ و ١٥٥، وفي «فضائل الصحابة» (٧٦٠) و (٧٩٣) و (٧٩٤)، والبيهقي (٤٨٩٩)، وفي الباب عن حفصة عند أحمد ٢٨٨/٦، و«فضائل الصحابة» (٧٤٨)، وابن أبي عاصم (١٢٨٤).

(٢) في (ب): بعثه رسول الله.

(٣) أخرجه من حديث ابن عمر البخاري (٣٦٩٨) و (٤٠٦٦)، والترمذي (٣٧٠٦)، وأحمد في «المسند» ١٠١/٢، وفي «الفضائل» (٧٣٧). وكان النبي ﷺ قد بعث عثمان ليعلم قريباً أنه إنما جاء معتمراً لا محارباً، وفي غيبة عثمان شاع عندهم أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين، فاستعد المسلمون للقتال، وبايعهم النبي ﷺ حيثئذ تحت الشجرة على أن لا يفروا، وذلك في غيبة عثمان، وقيل: بل جاء الخبر بأن عثمان قتل، فكان ذلك سبب البيعة، وكانت عدة من بايع أكثر من ألف وأربع مئة، وفيهم نزل قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وهذه الشجرة كانت شجرة بأرض الحديبية، وهي قرية متوسطة على تسعة أميال من مكة، وكان ذلك في سنة ست من الهجرة. انظر «زاد المعاد» ٢٨٦/٣ - ٣١٦.

٣٠٢ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

وكانت خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ سِتِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَخِلَافَةُ عُمَرَ عَشَرَ<sup>(٢)</sup> سِنِينَ وَنِصْفًا، وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةُ عَلِيٍّ أَرْبَعَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَخِلَافَةُ الْحَسَنِ ابْنِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَأَوَّلُ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ خَيْرُ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُ إِنَّمَا صَارَ إِمَامًا حَقًّا لَمَّا قُوِّضَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْخِلَافَةَ، فَإِنَّ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَايَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ، ثُمَّ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، قُوِّضَ الْأَمْرُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَظَهَرَ<sup>(٣)</sup> صِدْقُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٤)</sup>. وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ فِي مَوْضِعِهَا.

فَالْخِلَافَةُ ثَبَتَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِمُبَايَعَةِ الصَّحَابَةِ، سِوَى مُعَاوِيَةَ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ.

(١) تقدم تخريجه ص ٧٢٢، وهو حسن.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): فظهر.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) و (٣٦٢٩) و (٣٧٤٦) و (٧١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٥)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والنسائي ١٠٧/٣، وفي «فضائل الصحابة» (٦٣)، وفي «اليوم والليلة» (٢٥١)، وأحمد ٤٩/٥، والحاكم ١٧٤/٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤٤٢/٦ و ٤٤٣، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٥/٢.

والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قُتِلَ، كَثُرَ الكَذِبُ والافتراء على عثمان، وعلى مَنْ كان بالمدينة من أكابر الصحابة، كعلي، وطلحة، والزبير، وعُظُمَتِ الشبهة عند من لم يُعرف الحال، وقويت الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت دأره من أهل الشام، ومحبي عثمان تظنُّ<sup>(١)</sup> بالأكابر ظنونَ سوء. وبلغ عنهم أخباراً<sup>(٢)</sup>، منها ما هو كَذِبٌ، ومنها ما هو مُحَرَّفٌ، ومنها ما لم يُعرف وجهه، وانضمَّ إلى ذلك أهواء قومٍ يُجسِّونَ العلو في الأرض، وكان في عسكر علي رضي الله عنه - من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان - من لم يُعرف بعينه، ومن تنصَّر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم يتنصَّر للشهيد المظلوم، ويُقَمِّع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل<sup>(٣)</sup> على غير اختيار من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صفين<sup>(٤)</sup> لراي، وهوان أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم، وهم كافون، حتى يجتمع أمر الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في

(١) في مطبوعة مكة: ويحكي الله عثمان أن يظن.

(٢) في مطبوعة مكة: ويبلغه عنهم أخبار.

(٣) في سنة ٣٦هـ. انظر تفصيل خبر هذه الواقعة في «الطبري» ٤/٤٥٥ - ٥٤٠، وابن الأثير ٣/٢٢١ - ٢٦٤، وابن كثير ٧/٢٤١ - ٢٥٨.

(٤) في سنة ٣٧هـ، وصفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات. انظر الطبري ٤/٥٦٣ - ٥٧٥ و ٥/٥٤ - ٦٣. وابن الأثير ٣/٢٧٦ - ٣٢٦، وابن كثير ٧/٢٦٤ - ٢٩٥.

العسكر، كما طَفَّوْا<sup>(١)</sup> على الشهيد المظلوم، وعلي رضي الله عنه هو الخليفة الراشد المهدي الذي تَجِبُ طاعته، ويجب أن يَكُونَ الناس مجتمعين عليه، اعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين<sup>(٢)</sup> عليهم تَحْصُلُ بقتالهم، بطلب إمام أن لو أصر عليهم بما اعتقد أنه يَحْصُلُ به أداء الواجب<sup>(٣)</sup>، ولم يَتَقَيَّدْ أن التأليف لهم كتأليف المؤلف قلوبهم على عهد النبي ﷺ والخليفين مِنْ بعده مما<sup>(٤)</sup> يَسُوغُ، فحمله<sup>(٥)</sup> ما رآه - من أن الذين إقامة الحَدِّ عليهم ومنعهم من الإثارة، دُونَ تأليفهم -: على القتال، وَقَعَدَ عن القتالِ أَكْثَرُ الأكابرِ لما سمعوه من النصوص في الأمرِ بالعودة في الفتنة، وَلَمَّا رَأَوْه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها، والقول في الجميع بالحسن: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

والفَتْنُ التي كانت في أَيَّامِهِ قد صَانَ اللهُ عنها أَيْدِينَا، فنسألُ اللهَ

(١) في (أ) و (ب) و (ج): كما ظفروا، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٢) في الأصول: الواجبين، والمثبت من مطبوعة مكة.

(٣) في مطبوعة مكة، وعنها نقل الشيخ أحمد شاکر: فيطلب إمام، فاعتقد أنه يحصل به أداء الواجب. وفي مطبوعة المكتب الإسلامي بدمشق: بطلب الواجب عليهم بما اعتقد أنه...

(٤) في الأصول: بما، وكذا هو في مطبوعة مكة، وقد نبه الشيخ أحمد شاکر على أنه تحريف فيها يرى، وأثبت مكانه «بما».

(٥) في (أ): بحمله، وفي (ب): بحمله، وفي (ج): تحمله، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.



ان يَصُورُنْ عنها أَلَسْتَنَا، بِمَنَّهُ وَكْرَمِهِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما في «الصحيحين»، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ يوم خيبر: «لَأَعْطِيَنَّ الرَّأْيَةَ [غَدًا] رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»، قال: فتطاولنا لها، فقال: «ادْعُوا لِي غُلِيًّا، فَأَتِيَنِي بِهِ

- 
- (١) انظر «مجموع الفتاوى» ٧٠/٣٥ - ٧٤ و«محتاج السنة» ٢٠٢/٢ - ٢٠٣ و ٢١٩ و ٢٢٤.  
 (٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦) و (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٦٤) و (٣٧٣١)، وأحمد في «المستد» ١٧٠/١ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢، وفي «فضائل الصحابة» له (٩٥٦) و (٩٥٧) و (١٠٤١) و (١٠٤٥)، وابن أبي شيبة ٦٠/٢ و ٦١ - ٦٢، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٣٥) و (٣٦) و (٣٧) و (٣٨) و (٣٩)، و«خصائص علي» (٩) و (١٠)، وابن ماجه (١١٥) و (١٢١)، وعبدالرزاق (٢٠٣٩٠)، وابن أبي عاصم (١٣٣١) و (١٣٣٢) و (١٣٣٣) و (١٣٣٤) و (١٣٣٥) و (١٣٤١)، والحميدي (٧١)، وأبو يعلى (٦٩٨) و (٧٠٩) و (٧١٨) و (٧٣٨) و (٨٠٩)، وابن سعد ٢٤/٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٠٩/٢، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٨٠/١، وفي «الحلية» ١٩٥/٧ و ١٩٦ و ١٩٧، والخطيب في «تاريخه» ٣٢٥/١ و ٢٠٤/٤ و ٥٣/٨ و ٣٦٥/٩ و ٤٣٢/١١، والطالبي (٢٠٥) و (٢٠٩) و (٢١٣)، والطبراني في «الصغير» ٢٢/٢، والحاكم ١٠٨/٣، والبيهقي (٣٩٠٧). وفي الباب عن جابر عند الترمذي (٣٧٣٢)، والخطيب ٢٨٩/٣، وعن أسماء بنت عميس عند ابن أبي شيبة ٦٠/١٢ - ٦١، والخطيب ٤٠٦/٣ و ٤٣/١٠ و ٣٢٣/١٢، وعن زيد بن أرقم عند ابن أبي شيبة ٦١/١٢، وابن سعد ٢٤/٣ - ٢٥، وعن علي عند الخطيب ٧١/٤، وعن حبش بن جنادة عند أبي نعيم في «الحلية» ٣٤٥/٤، وفي «أخبار أصبهان» ٢٨١/٢، والطبراني في «الصغير» ٥٣/٢ - ٥٤، وعن ابن عباس عند أبي نعيم في «أخبار أصبهان» ٣٢٨/٢، وعن أبي سعيد عند أبي نعيم في «الحلية» ٣٠٧/٨، والخطيب ٣٨٣/٤.

أَرَمَدَ<sup>(١)</sup>، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

ولما نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»<sup>(٣)</sup>.

قوله: «وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون».

ش: تقدّم<sup>(٤)</sup> الحديث الثابت في «السنن»، وصحّحه الترمذی، عن الخلفاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون العرياض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة، ذرّفت

(١) تحرف في (أ) و (ب): إلى: أرسد.

(٢) أخرجه من حديث سهل بن سعد البخاري (٣٠٠٩) و (٣٧٠١) و (٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦)، وأحمد في «المسند»، ٣٣٣/٥، وفي «الفضائل»، (١٠٣٧)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٤٦) وفي «خصائص الإمام علي»، (١٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية»، ٦٢/١، والبغوي (٣٩٠٦)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٦) و (٥٩٥٠) و (٥٩٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٤) (٣٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أنا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله، خلّفنتي مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي»، وسمعه يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله» قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي علياً» فأتى به أرمَد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هَؤُلَاءِ أَهْلِي». وأخرجه الترمذی (٣٧٢٤)، وأحمد ١٨٥/١، والنسائي في «خصائص الإمام علي» (٩)، وصحّحه الحاكم ١٠٨/٣ - ١٠٩ على شرط الشيخين، فنعقبه الذهبي بأنه على شرط مسلم فقط.

(٤) في الصفحة ٥٤٥.

منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كُنْ هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ ٣٠٤ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ»<sup>(٢)</sup>، وفرق بين أتباع سُنَّتِهِم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السُّنَّةِ.

وقد تقدّم قول عبد الرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنهما: إني قد نظرتُ في أمرِ الناس فلم أَرَهُمْ يَعْدِلُونَ بعثمان.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وأحمد ١٢٦/٤ و ١٢٧، وابن ماجه (٤٢)، والدارمي ٤٤/١ - ٤٥، والأجري في الشريعة، ص ٤٦ و ٤٧، وابن عبد البر في جامع بيان العلم، ٢٢٢/٢ و ٢٢٤، والطبراني في الكبير، ١٨ / رقم (٦١٧) و (٦١٨) و (٦١٩) و (٦٢٠) و (٦٢٢) و (٦٢٣) و (٦٢٤)، والبيهقي في مناقب الشافعي، ١٠/١ - ١١، والحاكم في المدخل، ١/١، وأبونعيم في الخلية، ٢٢٠/٥ - ٢٢١ و ١١٤/١٠ - ١١٥، والخطيب في الفقيه والمتفقه، ١٧٦/١. وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٥)، والحاكم ٩٥/١ - ٩٦ و ٩٧، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٩٧، وهو صحيح.

وقال أيوب السُّخْتِيَانِي<sup>(١)</sup>: من لم يُقَدِّم عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَدْ  
أَزْرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

وفي «الصحيحين» عن ابنِ عُمَرَ، قال: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ<sup>(٢)</sup>.

قوله: «وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَشَّرَهُم بِالْجَنَّةِ،  
نَشَّهَدُ لَهُم بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ،  
وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ،  
وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ  
الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ».

ش: تقدم ذُكِرَ بعض فضائل<sup>(٣)</sup> الخلفاء الأربعة. وَمِنْ فضائل السُّنَّةِ  
الباقين من العشرة رضي الله عنهم أجمعين ما رواه مسلمٌ: عن عائشةَ  
رضي الله عنها: أَرَقَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، [فَقَالَ]: «لَيْتَ رَجُلًا  
صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السَّلَاحِ،  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

العشرة المبشرون  
بالجنة

(١) تحرف في الأصول إلى: «السجستاني». وهو الإمام الحافظ الثقة، أبو بكر أيوب بن  
أبي تيمية العنزي، مولا هم، البصري، المتوفى سنة (١٣٩هـ) بالبصرة زمن الطاعون.  
مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٥/٦ - ٢٦.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٧) وهو من أفراد، وليس هو في «مسلم» كما ظن الشارح،  
وأخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٢، و«فضائل الصحابة» (٥٢) و(٥٣) و(٥٤)  
و(٥٥) و(٥٦) و(٥٧) و(٥٨)، وابن أبي عاصم (١١٩٠) و(١١٩١) و(١١٩٢)  
و(١١٩٣) و(١١٩٤) و(١١٩٥)، وابن أبي شيبة ٩/١٢، وأبو داود (٤٦٢٧)،  
والترمذي (٣٧٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٣١) و(١٣١٣٢) و(١٣١٨١)  
و(١٣٣٠١).

(٣) سقطت من (ب).

جِئْتُ أَخْرُسُكَ. وفي لفظ آخر: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَخْرُسُهُ، فدعا له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ<sup>(١)</sup>.

وفي «الصحيحين»: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وقاصٍ  
أَبُوهُ يَوْمَ أَحُدٍ، فَقَالَ: «أَزِمِ، فِذَاكَ أَبِي وَأُمِّي»<sup>(٢)</sup>.

وفي «صحيح مسلم»، عن قيس بن أبي حازم، قال: رَأَيْتُ يَدَ  
طَلْحَةَ الَّتِي رَقِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أَحُدٍ قَدْ شَلَّتْ<sup>(٣)</sup>.

وفيه أيضاً عن أبي عثمان التَّهْدِي<sup>(٤)</sup>، قال: لم يَتَّقِ مع رسولِ  
اللَّهِ ﷺ في بعضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ غَيْرَ<sup>(٥)</sup> طَلْحَةَ  
وَسَعْدِ<sup>(٦)</sup>.

(١) هو في صحيح مسلم (٢٤١٠)، وأخرجه البخاري (٢٨٨٥) و(٧٢٣١)، والترمذي  
(٣٧٥٧)، وأحمد في «المسند» ١٤١/٦، وفي «فضائل الصحابة» (١٣٠٥)، وابن  
أبي عاصم (١٤١١)، والنسائي في «الفضائل» (١١٣)، والحاكم ٥٠١/٣ من حديث  
عائشة، رضي الله عنها

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) و(٤٠٥٨) و(٤٠٥٩) و(٦١٨٤)، ومسلم (٢٤١١)،  
والترمذي (٣٧٥٦)، وابن أبي شيبة ٨٦/١٢ - ٨٧، وأحمد ٩٢/١، وفي «الفضائل»  
(١٣٠٤)، وابن ماجه (١٢٩)، وابن أبي عاصم (١٤٠٥)، وابن سعد ١٤١/٣ من  
حديث علي رضي الله عنه. وفي الباب عن عائشة بنت سعد عند أحمد في «الفضائل»  
(١٣٠٢)، والفسوي ٦٥٩/٢. وعن سعد عند البخاري (٤٠٥٦) و(٤٠٥٧)،  
والنسائي في «الفضائل» (١١١) و(١١٢)، وابن أبي عاصم (١٤٠٦) و(١٠٤٧).

(٣) هو في «صحيح البخاري» (٣٧٢٤) و(٤٠٦٣)، وليس هو في «صحيح مسلم» كما ذكر  
الشارح. وأخرجه أحمد في «المسند» ١٦١/١، وفي «الفضائل» (١٢٩٢)، وابن ماجه  
(١٢٨)، والطبراني (١٩٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» ٣٣١/٢/٣، والبيهقي  
(٣٩١٧). وشلَّتْ، بفتح الشين: هي اللغة الفصحى، ويضمها: لغة رديئة. قال  
ابن الأثير: يقال: شَلَّتْ يَدُهُ تَشْلُ شَلًّا، وَلَا تَضُمُ الشَّيْنِ.

(٤) تحرفت في الأصول إلى: الهندي، وقد جاءت على الصواب في هامش (د).

(٥) تحرفت في الأصول إلى: عن، وجاءت على الصواب في هامش (د).

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٢٤) و(٤٠٦٠)، ومسلم (٢٤١٤).

وفي «الصحيحين»، واللفظ لمسلم، عن جابر بن عبد الله قال: نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَاَتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَاَتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَاَتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيُّ<sup>(١)</sup> الزُّبَيْرِ»<sup>(٢)</sup>.

وفيهما أيضاً عن الزبير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَيَأْتِيَنِي بِخَيْرِهِمْ؟ فَأَنْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ، جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبُوهُ، فَقَالَ: «فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي»<sup>(٣)</sup>.

وفي «صحيح مسلم»، عن أنس بن مالك، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنْ أَمِينَنَا أَيْتَهَا الْأُمَّةُ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»<sup>(٤)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قال: جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ

(١) قال القاضي عياض: اختلف في ضبطه، فضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء كمصرخي، وضبطه أكثرهم بكسرهما، والحواري: الناصر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٦) و (٢٨٤٧) و (٢٩٩٧) و (٣٧١٩) و (٤١١٣) و (٧٢٦١)، ومسلم (٢٤١٥)، والترمذي (٣٧٤٥)، وابن ماجه (١٢٢)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٠٧)، وأحمد ٣٠٧/٣ و ٣١٤ و ٣٣٨ و ٣٦٥، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٦٤)، وابن سعد ١٠٥/٣ و ١٠٦، والطبراني في «الكبير» (٢٢٧)، والبيهقي (٣٩١٨)، وابن أبي عاصم (١٣٩٣)، والحميدي (١٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦)، والترمذي (٣٧٤٣)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٠٩) و (١١٠)، وفي «اليوم والليلة» (١٩٩) و (٢٠٠) و (٢٠١) و (٢٠٢)، وابن سعد ١٠٦/٣، وابن أبي عاصم (١٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٤٤) و (٤٣٨٢) و (٧٢٥٥)، ومسلم (٢٤١٩)، وأحمد ١٢٥/٣ و ١٣٣ و ١٤٦ و ١٧٥ و ١٨٩ و ٢١٢ و ٢٤٥ و ٢٨١ و ٢٨٦، وابن سعد ٤١٢/٣، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩٦)، والبيهقي (٣٩٢٨) و (٣٩٢٩)، والترمذي (٣٧٩٠) و (٣٧٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٧٥/٧، وابن أبي شيبه ١٣٥/١٢.

إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا<sup>(١)</sup> [رجلاً] أميناً، فقال: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا آمِينًا حَقَّ آمِينٍ»<sup>(٢)</sup>، [قال]: فاستشرف لها النَّاسُ، قال<sup>(٣)</sup>: فبعث أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ<sup>(٤)</sup>.

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال<sup>(٥)</sup>: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ»، ولو شئتُ لسميتُ العائِشَ، قال: فقالوا: مَنْ هُوَ؟ قال: سعيد بن زيد، قال: لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَغْبِرُّ مِنْهُ وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ، وَلَوْ عَمَرَ عُمَرُ نُوحٌ<sup>(٦)</sup>. رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وصححه، ورواه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف.

(١) في (ب) و (ج): لنا.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٤٥) و (٤٣٨٠) و (٤٣٨١) و (٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذي (٣٧٥٩). وأحد ٣٨٥/٥ و ٤٠١، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٧٦)، وابن ماجه (١٣٥)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩٤)، وابن سعد ٤١٢/٣، والطبراني (٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٧٦/٧، والبيهقي (٣٩٢٩).

(٥) في (ب): فقال.

(٦) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) و (٤٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٨) و (٣٧٥٧)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحد ١٨٧/١ و ١٨٨ و ١٨٩، وفي «فضائل الصحابة» (٨٧) و (٩٠) و (٢٢٥)، وابن أبي عاصم (١٤٢٨) و (١٤٣١) و (١٤٣٣) و (١٤٣٦)، والحاكم ٤٤٠/٤، والنسائي في «الفضائل» (٨٧) و (٩٠) و (٩٢) و (١٠٦)، وأبو نعيم ٩٥/١.

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُيَيْتَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

رواه الإمام أحمد في «مسنده»، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ م فِيهِ عَثْمَانُ عَلَى عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِرَاءٍ<sup>(٣)</sup>، هُوَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَ الصُّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». رواه مسلم والترمذي وغيرهما<sup>(٤)</sup> وَرَوَيْ مِنْ طَرُقٍ.

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٤٨)، وأحمد ١/١٩٣، وفي «الفضائل» (٢٧٨)، والنسائي في «الفضائل» (٩١)، والبغوي (٣٩٢٥) وسنده صحيح.

(٢) في (ب): «ابن خيثمة» وهو خطأ. وأبو بكر هذا هو الحافظ الحجة الإمام أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة النسائي، ثم البغدادي، صاحب التاريخ الكبير، المتوفى سنة ٢٧٩هـ. قال الخطيب: كان ثقة عالمًا متقنًا حافظًا بصيرًا بأيام الناس، راوية للأدب، أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعلم النسب عن مصعب الزبيري، وأخذ أيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي، وله «كتاب التاريخ» الذي أحسن تصنيفه، وأكثر فائدته، فلا أعرف أغزر فوائد منه. «السير» ١١ / رقم الترجمة (١٣١).

(٣) جراء - بالكسر والمد -: جبل من جبال مكة، معروف، ومنهم من يؤنثه ولا يصرفه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤١٧) والترمذي (٣٦٩٦)، وأحمد ٢/٤١٩، وفي «فضائل الصحابة» (٢٤٨) و (٦٤١)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٠٣)، والبغوي (٣٩٢٤)، وابن أبي عاصم (١٤٤١) و (١٤٤٢).



وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديبهم، لما  
اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، ومن أجهل بمن يكره التكلم بلفظ  
العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة!! لكونهم يُغضون خيار الصحابة،  
وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستنون منهم علياً رضي الله  
عنه! فَمِنَ العجب: أنهم يُوالون لفظ التسعة! وهم يُغضون التسعة من  
العشرة! وَيُغضُونَ سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين الذين  
بايعوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تحت الشجرة<sup>(١)</sup>، وكانوا ألفاً وأربع مئة<sup>(٢)</sup>، وقد  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ  
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه

(١) تحرفت في (ب) إلى: العشرة.

(٢) في البخاري (٤١٥٢)، ومسلم (١٨٥٦) (٧٢) (٧٣) من حديث جابر: أنهم كانوا ألفاً  
وخمس مئة، وفيها أيضاً: البخاري (٤١٥٤) و (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦) أنهم كانوا  
ألفاً وأربع مئة، وفيها: البخاري (٤١٥٥)، ومسلم (١٨٥٧) عن عبدالله بن  
أبي أوفى: «كنا ألفاً وثلاث مئة»، وأخرج البخاري (٤١٥٣) من طريق يزيد بن زريع،  
عن سعيد، عن قتادة، قلت لسعيد بن المسيب: بلغني أن جابر بن عبدالله كان يقول:  
كانوا أربع عشرة مئة، فقال لي سعيد: حدثني جابر كانوا خمس عشرة مئة الذين بايعوا  
النبي ﷺ يوم الحديبية، ورواه الإسماعيلي كما في «الفتح» ٣٤١/٧ من طريق عمرو بن  
علي الفلاس، عن أبي داود الطيالسي، حدثنا قرة عن قتادة قال: قلت لسعيد بن  
المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مئة، قال: قلت: فإن  
جابر بن عبدالله قال: كانوا أربع عشرة مئة، قال: يرحمه الله أوهم، هو حدثني أنهم  
كانوا خمس عشرة مئة، وفي صحيح مسلم (١٨٥٨) عن معقل بن يسار: ونحن أربع  
عشرة مئة، وفي البخاري (٤١٥٠) من حديث البراء: كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة  
مئة، وفي رواية (٤١٥١): كانوا ألفاً وأربع مئة أو أكثر. وانظر الجمع بينها في «الفتح»  
٤٤٠/٧، و«زاد المعاد» ٢٨٧/٣ - ٢٨٨. نشر مؤسسة الرسالة.

قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَاتَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» أيضاً، عن جابر: أَنَّ غُلامَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ»<sup>(٢)</sup> شَهِدَ بَذْرًا وَالحُدَيْيَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

والرافضة يبرؤون من جمهور هؤلاء، بل يبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إِلَّا مِنْ نَفَرٍ قَلِيلٍ، نَحْوُ بَضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا!! ومعلوم أنه لو فُرضَ في العالم عشرة من أكفر الناس، لم يجب هَجْرُ هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه لما قال: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]، لم يجب هَجْرُ اسم التسعة مطلقاً، بل اسم العشرة قد مدح الله مُسَمَّاهُ في مواضع من القرآن: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. ﴿وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١ - ٢].

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان<sup>(٤)</sup>.

(١) تقدم تخريجه ص ٦٩٣.

(٢) في (أ): كذبت إنه...

(٣) هو في صحيح مسلم (٢٤٩٥)، وأخرجه أحمد ٣/٣٢٥ و ٣٤٩، والترمذي (٣٨٦٤)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٩١)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٢٥/٧، وابن أبي شيبة ١٢/١٥٥، والحاكم ٣/٣٠١.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢)، وأبو داود (٢٤٦٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٢/٦١، والترمذي (٧٩٠)، وأحمد ٦/٥٠ و ٩٢ و ١٦٨ و ٢٣٢ و ٢٧٩، وفي الباب عن ابن عمر عند البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١٧١)، وأبي داود (٢٤٦٥)، وأحمد ٢/١٣٣، وعن أنس عند الترمذي (٨٠٣)، وعن أبي بن كعب عند أبي داود (٢٤٦٣)، وابن ماجه (١٧٧٠)، وأحمد ٥/١٤١، وعن أبي هريرة عند البخاري (٢٠٤٤) و (٤٩٩٨)، وأبي داود (٢٤٦٦)، وابن ماجه =

وقال في ليلة القدر: «الْتِمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»<sup>(١)</sup>.  
وقال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ  
الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»<sup>(٢)</sup>. يعني عشر ذي الحجة.

والرافضة تُوالي بَدَلَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، الْاِثْنِي عَشَرَ إِمَامًا،  
وَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُ وَصِيُّ النَّبِيِّ ﷺ  
دَعَا مُجَرَّدَةً عَنِ الدَّلِيلِ، ثُمَّ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ  
الْبَاقِرُ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ<sup>(٥)</sup>، ثُمَّ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ  
الْكَاطِمُ<sup>(٦)</sup>، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرُّضَى<sup>(٧)</sup>، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوَادُ<sup>(٨)</sup>.

الأئمة الاثنا عشر  
عند الإمامية

= (١٧٦٩)، والترمذي (٧٩٠)، وأحمد ٢٨١/٢ و ٣٣٦ و ٣٥٥ و ٤٠١ و ١٦٩/٦ من  
حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) أخرجه من حديث عائشة البخاري (٢٠١٧) و (٢٠١٩) و (٢٠٢٠)، ومسلم  
(١١٦٩)، والترمذي (٧٩٢)، والبعوي (١٨٢٢) و (١٨٢٤)، وأحمد ٥٠/٦ و ٥٦  
و ٧٧ و ٢٠٤، وابن أبي شيبة ٧٥/٣. وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم  
(١١٦٦)، وأحمد ٢٩١/٢ و ٥١٩.

(٢) في (أ) و (ج) و (د): من أيام العشر. والحديث أخرجه البخاري (٩٦٩)، والترمذي  
(٧٥٧)، والطبراني في «مسنده» (٢٦٣١)، وأبو داود (٢٦٣٨)، وأحمد ٢٢٤/١  
و ٣٣٨، والبعوي (١١٢٥)، وابن ماجه (١٧٢٧)، وابن حبان (٣٢٤)، والدارمي  
٢٥/٢، والطبراني (١١١٦)، و (١٢٣٢٦)، و (١٢٣٢٧) و (١٢٣٢٨) و (١٢٤٣٦).

(٣) المتوفى سنة أربع وتسعين. مترجم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١٥٧).

(٤) المتوفى سنة (٨١١٤هـ). مترجم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١٥٨).

(٥) المتوفى سنة (٨١٤٨هـ). مترجم في «السير» ٦ / رقم الترجمة (١١٧).

(٦) المتوفى سنة (٨١٨٣هـ). مترجم في «السير» ٦ / رقم الترجمة (١١٨).

(٧) المتوفى سنة (٨٢٠٣هـ). مترجم في «السير» ٩ / رقم الترجمة (١٢٥).

(٨) المتوفى سنة (٢٢٠هـ). مترجم في «تاريخ بغداد» ٥٤/٣، و«منهاج السنة» ١٢٧/٢،  
و«وفيات الأعيان» ١٧٥/٤.

ثم علي بن محمد الهادي<sup>(١)</sup>، ثم الحسن بن علي العسكري<sup>(٢)</sup>، ثم محمد بن الحسن<sup>(٣)</sup> وَيَتَغَالَوْنَ فِي مَحَبَّتِهِمْ، وَيَتَجَاوِزُونَ الْحَدَّ! ولم يأت ذِكْرُ الْأَثَمَةِ الْإِثْنِي عَشَرَ، إِلَّا عَلَى صِفَةٍ تَرُدُّ قَوْلَهُمْ وَيُبْطِلُهُ، وهو ما خرجاه في «الصحيحين»، عن جابر بن سَمُرَةَ، قال: دخلتُ مع أبي علي النبي ﷺ، فسمعتُه يقول: «لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا»، ثم تَكَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَلِمَةٍ خَفِيَتْ عَنِّي فَسَأَلْتُ أَبِي: ماذا قال النبي ﷺ؟ قال: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

وفي لفظ: «لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً».

وفي لفظ: «لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ عَزِيزًا إِلَى اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً»<sup>(٤)</sup>.

وكان الأُمَرَاءُ كما قال النبي ﷺ، والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ<sup>(٥)</sup>، وأولاده

(١) المتوفى سنة (٢٥٤هـ). مترجم في «تاريخ بغداد» ٥٦/١٢، و«وفيات الأعيان» ٢٧٢/٣.

(٢) المتوفى سنة (٢٦٠هـ). مترجم في «وفيات الأعيان» ٩٤/٢.

(٣) انظر الصفحة: ٥٥٦.

(٤) أخرجه البخاري (٧٢٢٢) و(٧٢٢٣)، ومسلم (١٨٢١)، والترمذي (٢٢٢٤)، وأحمد ٨٦/٥ و ٨٧ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ والطبراني (١٧٩١) - (١٨٠١).

(٥) وفاته سنة (٨٦هـ). مترجم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (٨٩).

الأربعة<sup>(١)</sup>، وبينهم<sup>(٢)</sup> عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثم أخذ الأمر في الانحلال<sup>(٣)</sup>.

وعند الرفض أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منقوصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أدل من اليهود!! وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر.

قوله: «وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلِ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ، فَقَدْ بَرِيَءَ مِنَ النِّفَاقِ».

ش: تقدم بعض ما ورد في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

وفي «صحيح مسلم»، عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، بماء يدعى: خُماً<sup>(٤)</sup>، بين مكة والمدينة، فقال: «أما بعد، أيها الناس، إنما أنا بشرٌ يوشِكُ أن يأتيني رسولُ ربِّي، فأجيب ربِّي، وإني تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتابُ اللهِ، فيه الهدى والنور،

(١) وهم الوليد ت (٩٦هـ)، سليمان ت (٩٩هـ)، ويزيد ت (١٠٥هـ)، وهشام ت (١٢٥هـ). انظر تراجمهم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١٢٠) و ٥ / رقم (٧٤)، ورقم (٥٣)، ورقم (١٦٢).

(٢) أي بين سليمان ويزيد. انظر «السير» ٥ / رقم الترجمة (٤٨).

(٣) انظر «فتح الباري» ١٣ / ٢١١ - ٢١٥.

(٤) خُمْ: اسم لغضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدير مشهور يضاف إلى الغيضة، فيقال: غدير خم.

فَخَذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، ثَلَاثًا»<sup>(١)</sup>.

وَخَرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَلِنَّمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَقَدْ بَرَّيْءٌ مِنَ النِّفَاقِ» لِأَنَّهُ أَصْلُ الرُّفُضِ. إِنَّمَا أَحَدُهُ مَنَافِقُ زَنْدِيقٍ، قَصْدُهُ إِبْطَالُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَدْحُ فِي الرَّسُولِ ﷺ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، فَإِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ سَبَأٍ<sup>(٣)</sup> لَمَّا أَظْهَرَ

أصل الرفض  
أحدته منافق  
زنديق

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤٠٨)، وَاحْمَدُ (٣٦٦/٤)، وَالتَّحَاوِي فِي «مَشْكَلِ الْأَثَارِ» ٣٦٨/٤، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «السَّنَةِ» (١٥٥٠)، وَالدَّارِمِيُّ ٤٣١/٢ - ٤٣٢ مِنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ أَبِي حَيَّانٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ٣٧١/٤، وَفِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (٩٦٨)، وَالتَّحَاوِي (٥٠٤٠)، وَالتَّحَاوِي ٣٦٨/٤ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ وَهُوَ دَاخِلٌ عَلَى الْمُخْتَارِ أَوْخَارَاجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِترَتِي. قَالَ: نَعَمْ. وَلِلْحَدِيثِ طَرُقٌ أُخْرَى عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ (٤٩٦٩) وَ (٤٩٧١) وَ (٤٩٨٠) وَ (٤٩٨٢) وَ (٥٠٤٠)، وَ«الْمُسْتَدْرَكُ» ١٠٩/٣ وَ ١٤٨ وَ ٥٣٣. قَالَ التَّوْرِيْشِيُّ فِي مَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْقَارِي فِي «مَرْقَاةِ الْمَفَاتِيحِ» ٦٠٠/٥: عَتَرَةُ الرَّجُلِ: أَهْلُ بَيْتِهِ وَرَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ، وَلَا سَتَمَالَهُمْ «الْعَتَرَةُ» عَلَى أَنْحَاءٍ كَثِيرَةٍ، بَيْنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَهْلُ بَيْتِي» لِيَعْلَمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ نَسْلَهُ وَعَصَابَتَهُ الْأَدْنَوْنَ وَأَزْوَاجَهُ. وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ فِي «مَشْكَلِ الْأَثَارِ» ٣٦٨/٤: وَعَتَرَتُهُ: هُمُ أَهْلُ بَيْتِهِ الَّذِينَ عَلَى دِينِهِ، وَعَلَى التَّمَسُّكِ بِأَمْرِهِ. وَقَالَ عَلِيُّ الْقَارِي: إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ غَالِبًا يَكُونُونَ أَعْرَفَ بِصَاحِبِ الْبَيْتِ وَأَحْوَالِهِ، وَهَذَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ مُقَابَلًا لِكِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧١٣) وَ (٣٧٥١). وَارْقُبُوا مِنَ الْمَرَاقِبَةِ لِلشَّيْءِ، وَهُوَ الْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِ، يَقُولُ: احْفَظُوهُ فِيهِمْ، فَلَا تُؤْذُوهُمْ، وَلَا تَسْتِثْوُوا إِلَيْهِمْ.

(٣) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِهِ» ٤٣١/٧: تَهْذِيبُ بَدْرَانَ: عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ الطَّائِفَةُ السَّبْيِيَّةُ، وَهُمْ الْغَلَاةُ مِنَ الرَّافِضَةِ، أَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، فَأَظْهَرَ =

الإسلام، أراد أن يُفَسِّدَ دِينَ الإسلامِ بمكره وخبثه، كما فعل بولص<sup>(١)</sup> بدين النصرانية، فأظهر التَّنَسُّكَ، ثم أظهر الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قَدِمَ عليُّ الكوفة، أظهر الغُلُوَّ في عليٍّ والتصرُّ له، لِيَتِمَّكَزَ بذلك من أغراضه<sup>(٢)</sup>، وبلغ ذلك عليًّا، فطلب قتله، فَهَرَبَ منه إلى قرقيسيا<sup>(٣)</sup>، وخبره معروف في التاريخ. وتقدم أنه مَنْ فَضَّلَهُ على أبي بكرٍ وعمرَ جَلَدَهُ جَلَدَ المفتري. وبقيت في نفوس المبطلين خَمَائِرُ بدعة الخوارج، من الحرورية والشيعة، ولهذا كان الرُّفْضُ بَابَ الزندقة، كما حكاه القاضي أبو بكر بن ٣٠٨

= الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويلقي بينهم الشر، وكان قد بدأ أولاً بالحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم دخل دمشق أيام عثمان بن عفان، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، وأظهر مقالته بينهم، وكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب برجوع عمده وقد قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَوْكَ إِلَى مَعَادٍ) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، وأكمل نبي وصي، ثم قال: عمده خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، وكان يلقب بابن السوداء لسواد أمه.

وقال الذهبي في «الميزان» ٤٢٦/٢: عبدالله بن سبأ من غلاة الرنادقة، صال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار. وانظر «مقالات الإسلاميين» ص ١٥، و«الملل والنحل» ١٧٤/٦.

(١) هو يهودي كان اسمه العبري: «شاوول»، ثم تسمى بـ«بولص»، راجع سفر «أعمال الرسل» ٩: ١٣، ادعى أن المسيح ظهر في دمشق، وهو الذي وضع للنصرانية عقيدة بنوة عيسى المسيح لله، وكذلك عقيدة الفداء.

(٢) في الأصل: «اعتراضه».

(٣) بلد على نهر الخابور قرب رجة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصب الخابور في الفرات، فهي في مثلث بين الخابور والفرات. «معجم البلدان» ٤/٣٢٨.

الطيب<sup>(١)</sup> عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام، قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعلهم الحسين، والتبري من تيم وعدي، وبني أمية وبني العباس، وأن علياً يعلم الغيب! يفوض<sup>(٢)</sup> إليه خلق العالم!! وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، إلى أن قال: فإذا أنست<sup>(٣)</sup> من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، رضي الله عنهم. انتهى.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ؛ إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء الفاعلين الصانعين.

قوله: «وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير السبيل».

ش: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. فيجب على كل مسلم<sup>(٤)</sup> بعد موالاة الله ورسوله موالاة

وجوب موالاة المؤمنين وبخاصة أهل العلم

(١) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، المتوفى سنة (٤٠٣هـ). مترجم في «السير» ١٧ / رقم الترجمة (١١٠).

(٢) في (أ) و (ب): «يعرض» والمثبت من (ج) و (د) ومطبوعة مكة.

(٣) تصحفت في (ب) إلى: «أيت».

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٠ / ٢٣١ - ٢٣٣.



المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم وديارتهم. بِذِكْرِ أُمَّةٍ قَبْلَ مَبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، علماؤها شراؤها إلا المسلمين، فَإِنَّ<sup>(١)</sup> علماءهم خيارهم، فإنهم<sup>(٢)</sup> خلفاء الرسول من أمته، والمُحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقينياً<sup>(٣)</sup> على وجوب اتباع الرسول ﷺ. ولكن إذا وجد بواجبٍ منهم قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه: فلا بُدَّ له في تركه من عذر.

وَجَمَاعُ الْأَعْدَارِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

أَحَدُهَا: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ [أَنَّ] النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ.  
والثاني: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ أَرَادَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ.  
والثالث: اعْتِقَادُهُ<sup>(٤)</sup> أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ مَنْسُوخٌ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبلغ ما أُرْسِلَ به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٣٠٩

قوله: «وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيُّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ».

(١) في (أ) و (ب) و (ج): «وَأَنَّ» وهو خطأ.

(٢) في الأصول: «فَإِنَّ» والمثبت من «مجموع الفتاوى» ٢٠/٢٣٢.

(٣) في (ب): يقيناً.

(٤) في (ب): «عدم اعتقاده»، وهو خطأ.

لا يفضل أحد من  
الأولياء على أحد من  
الأنبياء

ش: يُشِيرُ الشَّيْخُ رحمه الله تعالى إلى الرَّدِّ على الاتِّحَادِيَّةِ وَجَهْلَةِ  
الْمَتَصَوِّفَةِ<sup>(١)</sup>، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْإِسْتِقَامَةِ يُوصُونَ بِمَتَابَعَةِ الْعِلْمِ، وَمَتَابَعَةِ  
الشَّرْعِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ مَتَابَعَةَ الرَّسْلِ<sup>(٢)</sup>، قَالَ تَعَالَى:  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
جَاؤُوكَ﴾ [النساء: ٦٤]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ  
ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال أبو عثمان النيسابوري<sup>(٣)</sup>: مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا،  
نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ، نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً مِنَ السُّنَّةِ إِلَّا لِكِبَرٍ<sup>(٤)</sup> فِي نَفْسِهِ.

وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُتَّبِعاً لِلأَمْرِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ،  
كَانَ يَعْمَلُ بِإِرَادَةِ نَفْسِهِ، فَيَكُونُ مُتَّبِعاً لِهَوَاهُ، بَغِيرَ هُدَى مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا  
غِشٌّ<sup>(٥)</sup> النَّفْسِ، وَهُوَ مِنَ الْكِبَرِ، فَإِنَّهُ<sup>(٦)</sup> شُعْبَةٌ مِنْ قَوْلِ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ  
حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾  
[الأنعام: ١٢٤].

(١) انظر «جامع الرسائل» ص ٢٠٥ - ٢٠٧، و«الفرقان» ص ٧١ - ٧٤، و«مجموع  
الفتاوى» ٢/٢١٩ - ٢٤٧، و ١١/٢٢٥ - ٢٢٩، و«درء تعارض العقل» ٤/٥.

(٢) في (ب): الرسول.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، وقد تقدم في الصفحة ٢٦٩.

(٤) في (أ): الكبر.

(٥) تصحف في (أ) و (ج) و (د) إلى: «غيش».

(٦) في (أ) و (ب) و (ج): «فلان»، وفي مطبوعة مكة: فإنه شبه بقول.

وكثير من هؤلاء يَظُنُّ<sup>(١)</sup> أنه يصل<sup>(٢)</sup> برياسته واجتهاده في العبادة<sup>(٣)</sup>، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم!

ومنهم من يَظُنُّ أنه قد صار أفضل من الأنبياء!!

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكُليَّة، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مُثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود<sup>(٤)</sup> الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهولما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة خُيِّمَتْ، لكن الولاية لم تُختم! وأدعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ فَوْقَ<sup>(٥)</sup> الرُّسُولِ وَدُونَ الزُّلِيِّ<sup>(٦)</sup>!!

(١) في الأصول: «لا يظن» بزيادة «لا»، وهو خطأ.

(٢) تصحفت في الأصول الثلاثة إلى: «يفضل»، والمثبت من (د).

(٣) تحرفت في الأصول إلى: «العادة».

(٤) في الأصول الثلاثة: الموجود، والمثبت من (د).

(٥) في الأصول الثلاثة: «فوق»، وهو خطأ، وجاء على الصواب في (د).

(٦) رواية البيت في الفتوحات المكية، ٢/٢٥٢:

بين السَّوَابِ والرسالة برزخ فيه النبوة حُكْمُهَا لَا يُجْهَلُ

=

ولفظه في «لطائف الأسرار» لابن عربي ص ٤٩:

وهذا قلبٌ للشريعة، فإن الولاية ثابتةٌ للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. والنبوةُ أخصُّ من الولاية، والرسالةُ أخصُّ من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي أيضاً في «فصوصه»<sup>(١)</sup>: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبّن، فرآها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، وأما خاتم الأولياء، فلا بُدَّ له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع [تينك] اللبتين، فيكمل الحائط<sup>(٢)</sup>!! والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، واللينة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه<sup>(٣)</sup>، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بُدَّ أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن! فإنه يأخذ من المعدين

---

= سماء النبوة في برزخ دوين الولي وفوق الرسول  
ورواية الشارح لم نجدها إلا عند شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل»  
٢٠٤/١، و«جامع الرسائل» ٢٠٩/١.

(١) ٦٣/١.

(٢) النص في «الفصوص»: وأما خاتم الأولياء، فلا بُدَّ له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ، ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضة، فيرى اللبتين اللتين تنقص الحائط عنهما، وتكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة. فلا بُدَّ أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبتين فيكمل الحائط.

(٣) النص في «الفصوص»: والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام. كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة متبع فيه.

الذي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلِكُ الَّذِي يُوحَى إِلَيْهِ إِلَى الرَّسُولِ<sup>(١)</sup>، قَالَ: فَإِنْ فَهِمْتُ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ، فَقَدْ حَصَلَ نِكَ الْعِلْمِ النَّافِعُ!!

فَمَنْ أَكْفَرُ مِمَّنْ ضَرَبَ لِنَفْسِهِ الْمَثَلَ بِلَبَنَةِ ذَهَبٍ، وَلِلرَّسُولِ الْمَثَلَ بِلَبَنَةِ فِضَّةٍ، فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ أَعْلَى وَأَفْضَلَ مِنَ الرَّسُولِ؟! تِلْكَ أَمَانِيَّتُهُمْ: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبَرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]. وَكَيْفَ يَخْفَى كُفْرُ مَنْ هَذَا كَلَامُهُ؟! وَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَمْثَالُ هَذَا، وَفِيهِ مَا يَخْفَى مِنْهُ الْكُفْرُ، وَمَنْ مَا يَظْهَرُ، فَلِهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَاقِدٍ<sup>(٢)</sup> جَيِّدٍ، لِيُظْهِرَ زَيْفَهُ، فَإِنْ مِنَ الزُّغْلِ مَا يَظْهَرُ لِكُلِّ نَاقِدٍ، وَمَنْ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا لِلنَّاقِدِ الْحَاقِظِ الْبَصِيرِ، وَكُفْرُ ابْنِ عَرَبِي وَأَمْثَالُهُ فَوْقَ كُفْرِ الْقَائِلِينَ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى بِمَثَلٍ مَّا أَوْتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وَلَكِنْ ابْنُ عَرَبِي وَأَمْثَالُهُ مُنَافِقُونَ زَنَادِقَةٌ، اتِّحَادِيَّةٌ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَالْمُنَافِقُونَ يُعَامِلُونَ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ، لِإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ، كَمَا كَانَ يُظْهِرُهُ الْمُنَافِقُونَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيُطِّبُّونَ الْكُفْرَ، وَهُوَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا يَظْهَرُ مِنْهُمْ، فَلَوْ أَنَّهُ ظَهَرَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا يُطِّبُّنُهُ مِنَ الْكُفْرِ، لَأَجْرَى عَلَيْهِ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ، وَلَكِنْ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ خِلَافٌ، وَالصُّبْحِيُّ عَدَمُ قَبُولِهَا، وَهِيَ رِوَايَةُ مُعْلَى<sup>(٣)</sup> عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

قَوْلُهُ: «وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّحَ عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ».

(١) فِي «الْفُصُوصِ»: الَّذِي يُوحَى بِهِ إِلَى الرَّسُولِ...

(٢) تَحَرَّفَ فِي الْأَصُولِ إِلَى: «نَقْلٍ» وَفِي هَامِشٍ (د) صَوَابُهُ: «نَاقِدٌ جَيِّدٌ».

(٣) هُوَ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ الْقَفِيهِ أَبُو يَعْلَى مُعْلَى بْنُ مَنْصُورِ الْحَنْفِيِّ، مَرِيْلٌ بَغْدَادِيٌّ وَفَقِيهٌ، حَدَّثَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانَ ثِقَةً صِدْقًا، وَهُوَ صَاحِبُ حَدِيثٍ وَرَأْيٍ وَفَقْهِ وَوَرَعٍ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ أَبِي يُوسُفَ وَمُحَمَّدٍ، وَمِنْ ثِقَاتِهِمْ فِي النُّقْلِ وَالرِّوَايَةِ، رَوَى عَنْهَا الْكُتُبُ وَالْأَمَالِي وَالنُّوَادِرُ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَمِثْنَيْنِ. مُتَرَجِّمٌ =

ثبوت كرامات  
الأولياء

ش: المعجزة<sup>(١)</sup> في اللغة تَعَمُّ كُلَّ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ وفي<sup>(٢)</sup> عُرِفَ اثْمَةٌ  
أهل العلم المتقدمين، [كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونهم الآيات]  
ولكن كثير من المتأخرين يُفَرِّقُونَ في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة  
للنبي والكرامة للولي، وجماعهما<sup>(٣)</sup> الأمرُ الخارقُ للعادة.

٣١١

فصِفَاتُ الكَمَالِ ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة  
لا تَصْلُحُ على [وجه] الكمال إلا لِلَّهِ وَحْدَهُ، فإنه الذي أحاط بِكُلِّ شيءٍ علماً،  
وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ  
أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ  
وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يَوْحَى إِلَيَّ﴾  
[الأنعام: ٥٠].

وكذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أولُّ أولي العزم، وأوّل رسول  
بعثه الله إلى أهل الأرض، وهذا خاتمُ الرسل، وخاتمُ أولي العزم،  
وكلاهما تَبَرَّأَ مِنْ ذَلِكَ، وهذا لِأَنَّهُمْ يُطَالِبُونَهُمُ:  
تارةً بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ  
مُرْسَلُهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

وتارةً بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا  
مِنْ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].  
وتارةً يَعْيبُونَ عليهم الحاجةَ البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا  
الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ الآية [الفرقان: ٧].

= في سبر أعلام النبلاء، ٣٦٥/١٠ - ٣٧٠.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ٣١١/١١ - ٣٣٥، فالنص منقول عنه، وما بين حاصرتين منه.

(٢) كذا في الأصول والفتاوى، وفي طبعة أحمد شاكِر: «وكذلك الكرامة في عرف...».

(٣) في الأصول: وجماعها، والمثبت من «مجموع الفتاوى».

فَأَمَرَ الرُّسُولُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَنَالُ مِنْ تِلْكَ  
الْثَلَاثَةِ بِقَدْرِ مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ، فَيَعْلَمُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ<sup>(١)</sup>، وَيَقْدِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُ  
عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْنِي عَمَّا أَغْنَاهُ عَنْهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَخَالِفَةِ لِلْعَادَةِ الْمُطَرِدَّةِ، أَوْ لِعَادَةِ  
غَالِبِ النَّاسِ، فَجَمِيعُ الْمَعْجَزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ مَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ.  
ثُمَّ الْخَارِقُ: إِنْ حَصَلَ بِهِ فَائِدَةٌ مَطْلُوبَةٌ فِي الدِّينِ، كَانَ مِنْ  
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا دِينًا وَشَرْعًا، إِمَّا وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ، وَإِنْ  
حَصَلَ بِهِ أَمْرٌ مُبَاحٌ، كَانَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي تَقْتَضِي شُكْرًا، وَإِنْ  
كَانَ عَلَى وَجْهِهِ يَتَضَمَّنُ مَا هُوَ مُنْهَيٌّ عَنْهُ نَهْيٌ تَحْرِيمٌ، أَوْ نَهْيٌ تَنْزِيهِ، كَانَ  
سَبَبًا لِلْعَذَابِ أَوْ الْبُغْضِ، كَالَّذِي أُوتِيَ الْآيَاتِ فَانْسَلَخَ مِنْهَا بِلْعَامِ بَنٍ  
بَاعُورًا<sup>(٢)</sup>، لِاجْتِهَادٍ أَوْ تَقْلِيدٍ، أَوْ نَقْصِ عَقْلِ أَوْ عِلْمٍ، أَوْ غَلْبَةِ حَالٍ،  
أَوْ عَجْزٍ أَوْ ضَرُورَةٍ.

المحمود من  
الحوارق والمدموم  
والمباح

فَالْخَارِقُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: مَحْمُودٌ فِي الدِّينِ، وَمَذْمُومٌ، وَمُبَاحٌ، فَإِنْ  
كَانَ الْمُبَاحُ فِيهِ مَنْفَعَةٌ كَانَتْ نِعْمَةً، وَإِلَّا فَهُوَ كَسَائِرِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا مَنْفَعَةَ  
فِيهَا. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَوْزَجَانِي: كُنْ طَالِبًا لِلِاسْتِقَامَةِ، لَا طَالِبًا لِلْكَرَامَةِ، فَإِنَّ  
نَفْسَكَ مَتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَرُبُّكَ يَطْلُبُ مِنْكَ الْإِسْتِقَامَةَ.  
قَالَ الشَّيْخُ الشُّهْرَوَزْدِي<sup>(٣)</sup> فِي «عَوَارِفِهِ»<sup>(٤)</sup>: وَهَذَا أَصْلُ كَبِيرٍ فِي<sup>(٥)</sup>

(١) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

(٢) بِلْعَامِ بْنِ بَاعُورًا: كَانَ مِنْ عِبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، رَجَاهُ قَوْمُهُ  
أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى وَقَوْمِهِ، فَاسْتَجَابَ بَعْدَ الْحَاجِ، فَسَلَخَهُ اللَّهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ. رَاجِعْ  
كِتَابَ التَّصْرِيفِ: سُورَةُ الْأَعْرَافِ / الْآيَةُ ١٧٥.

(٣) هُوَ شَهَابُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشُّهْرَوَزْدِي الصُّوفِي الْبَغْدَادِي، صَاحِبُ  
التَّصَانِيفِ، أَلْتَفَتَ فِي سَنَةِ ٦٣٢ هـ. مُتَرَجِمٌ فِي «السِّرِّ» ٢٢/٢٣٩.

(٤) «عَوَارِفُ الْمَعَارِفِ» ص ٥٤.

(٥) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي طَبْعَةِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ: «وَهَذَا ضَلَّ كَثِيرٌ فِي»، وَهِيَ: أَوْجُهُ.

الباب، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَعَبِّدِينَ سَمِعُوا سَلَفَ الصَّالِحِينَ  
الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمَا مَنَحُوا بِهِ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فَفَنَسُوهُمْ  
لَا تَزَالُ تَتَطَّلَعُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَيُجِبُونَ أَنْ يُرْزَقُوا شَيْئًا مِنْهُ، وَلَعَلَّ  
أَحَدَهُمْ يَبْقَى مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ، مُتَّهِمًا لِنَفْسِهِ فِي صِحَّةِ عَمَلِهِ، حَيْثُ  
لَمْ يَحْصُلْ لَهُ خَارِقٌ، وَلَوْ عَلِمُوا بِسِرِّ ذَلِكَ، لَهَانَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، فَيَعْلَمُ أَنَّ  
اللهَ يَفْتَحُ عَلَى بَعْضِ الْمُجَاهِدِينَ الصَّادِقِينَ مِنْ ذَلِكَ بَابًا، وَالْحِكْمَةُ فِيهِ أَنْ  
يَزْدَادَ بِمَا يَرَى مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ وَأَمَارَةٍ<sup>(١)</sup> الْقُدْرَةِ يَقِينًا، فَيَقْوَى عَزْمُهُ  
عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْخُرُوجِ عَنْ دَوَاعِي الْهَوَى، فَسَبِيلُ الصَّادِقِ مَطَالِبَةُ  
النَّفْسِ بِالِاسْتِقَامَةِ، فَهِيَ<sup>(٢)</sup> كُلُّ الْكَرَامَةِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ لِلْقُلُوبِ مِنَ التَّأْثِيرِ أَعْظَمَ مِمَّا<sup>(٣)</sup> لِلْأَبْدَانِ، لَكِنْ إِنْ  
كَانَتْ صَالِحَةً كَانَ تَأْثِيرُهَا صَالِحًا، وَإِنْ كَانَتْ فَاسِدَةً، كَانَ تَأْثِيرُهَا فَاسِدًا.  
فَالْأَحْوَالُ يَكُونُ تَأْثِيرُهَا مُحِبُّوًّا لِلَّهِ تَعَالَى تَارَةً، وَمَكْرُوهًا لِلَّهِ أُخْرَى.

وَقَدْ تَكَلَّمَ الْفُقَهَاءُ فِي وَجُوبِ الْقَوْدِ عَلَى مَنْ يَقْتُلُ غَيْرَهُ فِي الْبَاطِنِ،  
وَهَؤُلَاءِ يَشْهَدُونَ بِبَوَاطِنِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ الْأَمْرَ الْكُونِي، وَيَعُدُّونَ مُجَرَّدَ خَرْقِ  
الْعَادَةِ لِأَحَدِهِمْ أَنَّهُ كَرَامَةٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا  
الْكَرَامَةُ لُزُومُ الْإِسْتِقَامَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُكْرِمْ عَبْدًا بِكَرَامَةٍ أَعْظَمَ مِنْ  
مُؤَافَقَتِهِ فِيمَا يُجِبُّهُ وَبِرِضَاهُ، وَهُوَ طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَمُؤَالَاةُ أَوْلِيَائِهِ،  
وَمُعَادَاةُ أَعْدَائِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ  
اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

(١) فِي «الْعَوَارِفِ»: آثَار.

(٢) فِي (ب): وَهِيَ.

(٣) فِي الْأَصُولِ: مَا.



وأما ما يتلى الله تعالى به عبده من الشراء بخرق العادة أو غيرها  
أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد  
سعد بها قوم إذ<sup>(١)</sup> أطاعوه، وشقي<sup>(٢)</sup> بها قوم إذ<sup>(٣)</sup> عصوه، كما قال تعالى:  
﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (٣) \*  
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (٤) \* كَلَّا (٥)﴾  
[الفجر: ١٥-١٧].

ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجاتهم  
بخرق العادة، وقسم يتعرضون بها لعذاب الله، وقسم يكون في حقهم  
بمنزلة المباحات، كما تقدم.

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله، وكلمات الله  
نوعان: كونية ودينية<sup>(٤)</sup>.

فكلماته الكونية: هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أَعُوذُ  
بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ»<sup>(٥)</sup> بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ<sup>(٦)</sup>، قال تعالى:

(١) في الأصول: «إذا»، وهو خطأ.

(٢) في (ب): ويشقى.

(٣) (أكرمني) (أهانني) قرأها البزي بياء في الوصل والوقف، وقرأها نافع بياء في الوصل  
خاصة، وروي عن أبي عمرو أنه خير في إثباتها في الوصل أو حذفها، والمشهور عنده  
الحذف، وإن كان الوجهان عنه صحيحين، وقرأ الباقر بحذفها في الموضعين. انظر  
«الكشف عن وجوه القراءات» ٣٧٤/٢، و«حجة القراءات» ص ٧٩٤، و«النشر»  
١٩١/٢، و«زاد المسير» ١١٩/٩، و«البدور الزاهرة» ص ٣٤٢.

(٤) انظر «شفاء العليل» ص ٢٨٢، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وبين أولياء الشيطان»  
ص ١١٨ وما بعدها، و«مجموع الفتاوى» ٢٧٠/١١ - ٢٧١.

(٥) في الأصول: «لا يتجاوزهن»، والمثبت من موارد الحديث.

(٦) صحيح، وقد تقدم ص ١٨٩.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ<sup>(١)</sup> رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]. والكُونُ كُلُّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَسَائِرِ الْخَوَارِقِ.

والنوع الثاني: الْكَلِمَاتُ الدِّينِيَّةُ، وَهِيَ الْقُرْآنُ وَشَرْعُ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ، وَهِيَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ وَخَبَرُهُ، وَحَظُّ الْعَبْدِ مِنْهَا الْعِلْمُ بِهَا، وَالْعَمَلُ، وَالْأَمْرُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، كَمَا أَنَّ حَظَّ الْعِبَادِ عَمُومًا وَخُصُوصًا الْعِلْمُ بِالْكُونِيَّاتِ وَالتَّأثيرِ فِيهَا، أَي: بِمُوجِبِهَا، فَالْأُولَى تَدْبِيرِيَّةٌ كُونِيَّةٌ، وَالثَّانِيَّةُ شَرْعِيَّةٌ دِينِيَّةٌ، فَكَشَفُ الْأُولَى الْعِلْمُ بِالْحَوَادِثِ الْكُونِيَّةِ، وَكَشَفُ الثَّانِيَةِ الْعِلْمُ بِالْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَقُدْرَةُ الْأُولَى التَّأثيرُ فِي الْكُونِيَّاتِ، إِمَّا فِي نَفْسِهِ، كَمُشْيِهِ عَلَى الْمَاءِ، وَطَيْرَانِهِ فِي الْهَوَاءِ، وَجُلُوسِهِ فِي النَّارِ، وَإِمَّا فِي غَيْرِهِ، بِإِصْحَاحِ وَإِهْلَاكِ، وَإِغْنَاءِ وَإِفْقَارِ.

وَقُدْرَةُ الثَّانِيَةِ التَّأثيرُ<sup>(٢)</sup> فِي الشَّرْعِيَّاتِ، إِمَّا فِي نَفْسِهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَإِمَّا فِي غَيْرِهِ بِأَنْ يَأْمُرَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيَطَاعَ فِي ذَلِكَ طَاعَةً شَرْعِيَّةً.

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ عَدَمَ الْخَوَارِقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً لَا تَضُرُّ الْمُسْلِمَ فِي دِينِهِ، فَمَنْ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَغِيبَاتِ، وَلَمْ يُسَخَّرْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْكُونِيَّاتِ، لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ فِي مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ

(١) فِي الْأَصْلِ: (كَلِمَات) عَلَى الْجَمْعِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو، وَنَافِعٍ، وَابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةً وَالْكَسَاثِي وَيَعْقُوبُ: (كَلِمَةً) عَلَى التَّوْحِيدِ. انْظُرْ «الْكَشَفُ» عَنْ وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ٤٤٧/١، وَ«حِجَةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٢٦٨، وَ«زَادَ الْمَسِيرُ» ١١٠/٣.

(٢) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

عَدَمُ ذَلِكَ أَنْفَعَ لَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ اقْتَرَنَ بِهِ الدُّيْنُ وَلَا هَلْكَ صَاحِبُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْخَارِقَ قَدْ يَكُونُ مَعَ الدُّيْنِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ عَدَمِهِ، أَوْ فَسَادِهِ، أَوْ نَقْصِهِ.

فَالْخَوَارِقُ النَّافِعَةُ تَابِعَةٌ لِلدُّيْنِ، خَادِمَةٌ لَهُ، كَمَا أَنَّ الرِّيَاسَةَ النَّافِعَةَ  
 هِيَ التَّابِعَةُ لِلدُّيْنِ، وَكَذَلِكَ الْمَالُ النَّافِعُ، كَمَا كَانَ<sup>(١)</sup> السُّلْطَانُ وَالْمَالُ  
 النَّافِعُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَمَنْ جَعَلَهَا هِيَ الْمَقْصُودَةَ،  
 وَجَعَلَ الدُّيْنَ تَابِعاً لَهَا، وَوَسِيلَةً إِلَيْهَا، لَا لِأَجْلِ الدُّيْنِ فِي الْأَصْلِ،  
 فَهُوَ شَبِيهُ مَنْ يَأْكُلُ الدُّنْيَا بِالدُّيْنِ، وَلَيْسَتْ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ تَذِيذُ خَوْفِ  
 الْعَذَابِ، أَوْ رَجَاءِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَهُوَ عَلَى سَبِيلِ نَجَاتٍ،  
 وَشَرِيعَةٍ صَحِيحَةٍ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ كَثِيراً مِمَّنْ يَزْعَمُ أَنَّ هَمَّهُ قَدْ ارْتَفَعَ عَنْ أَنْ يَكُونَ خَوْفاً  
 مِنَ النَّارِ، أَوْ طَلِباً لِلْجَنَّةِ، يَجْعَلُ هَمَّهُ بِدِينِهِ أَذْنَى خَارِقٍ مِنَ خَوَارِقِ  
 الدُّنْيَا!! ثُمَّ إِنَّ الدُّيْنَ إِذَا صَحَّ عِلْماً وَعَمَلًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُوجِبَ خَرَقَ  
 الْعَادَةِ، إِذَا احتَاجَ إِلَى ذَلِكَ صَاحِبُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].  
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: ٢٩]. وَقَالَ  
 تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيئاً \* وَإِذَا  
 لَأَتَيْنَاهُم مِّنْ لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً \* وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرْطاً مُّسْتَقِيماً﴾  
 [النساء: ٦٦-٦٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ  
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

(١) تَكَرَّرَتْ وَكَانَ، فِي (أ) وَ (ج).

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ». ثم قرأ قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] رواه الترمذي مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى فيما يروي<sup>(٢)</sup> عنه رَسُولُهُ ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمَحَارِبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ، حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي، لِأَعْطِيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي، لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي فِي نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>. فظهر أَنَّ الاستقامة حَظُّ الرَّبِّ، وَطَلَبُ الْكِرَامَةِ حَظُّ النَّفْسِ. وبالله التوفيق.

وقولُ المعتزلة في إنكارِ الكرامة ظاهرُ البطلان، فإنه بمنزلة إنكارِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧)، وابن جرير ٣٠/١٤، وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف. وأخرجه الطبراني (٧٤٩٧) من طريق عبدالله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». وعبدالله بن صالح - وهو كاتب الليث - سيء الحفظ، ومع ذلك فقد حسن الهيثمي إسناده في «المجمع» ٢٦٨/١٠، ولعله لشواهده. وفي الباب عن ابن عمر وثوبان عند ابن جرير ٣٢/١٤، وفي الأول فرات بن السائب وهو متروك، وفي الثاني مؤمل بن سعيد الرحبي وهو منكر الحديث. وعن أنس بن مالك عند البزار (٣٦٢٠) بلفظ: «إن الله عباداً يعرفون الناس بالتوسم» وذكره الهيثمي في «المجمع»، وزاد نسبته إلى الطبراني في «الأوسط» وقال: إسناده حسن، وحسنه أيضاً السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٢٠، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤/٤٦١.

(٢) في (ب): يرويه.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٠٩.

المحسوسات، وقولهم<sup>(١)</sup>: لو صحت، لاشتبهت بالمعجزة<sup>(٢)</sup>، فيؤدي إلى التباس النبي<sup>(٣)</sup> بالولي، وذلك لا يجوز. وهذه الدُّعوى إنما تصحُّ إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة، لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدّم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ، عند قول الشيخ: «وإن محمداً عبده المُنَجِّبِي، ونبيه المصطفى».

ومما ينبغي التنبيه عليه ها هنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع<sup>(٤)</sup>:

أنواع الفراسة

إيمانية: وسببها نورٌ يُقَدِّفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطِرٌ يَهْجُمُ<sup>(٥)</sup> على القلب، يثبُّ عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها<sup>(٦)</sup>، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، فهو أحرَدُ فِرَاسَةً، قال أبو سليمان الداراني<sup>(٧)</sup> رحمه الله: الفِرَاسَةُ مكاشفة النفس ومُعَايَنَةُ الغيب، وهي مِنْ مقامات الإيمان. انتهى.

وفراسة رياضية: وهي التي تَحْصُلُ بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجرّدت عن العوائق، صار لها من الفِرَاسَةِ والكشف بحسب تجرّدها، وهذه فِرَاسَةٌ مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدلُّ على إيمان، ولا على ولاية، ولا تَكْشِفُ عن حقٍّ نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل

(١) في الأصول: وقوله.

(٢) في (أ) و (ج) و (د): المعجزة.

(٣) تحرفت في الأصول إلى: «التي».

(٤) انظر «مدارج السالكين» ٢/ ٤٨٤ - ٤٨٧.

(٥) تحرفت في (أ) و (ب) و (ج) إلى «يجر» والمثبت من (د) و «المدارج».

(٦) في (أ) و (د): «استغالها». وفي (ب) و (ج): «اشتغالها».

(٧) هو عبدالرحمن بن أحمد الداراني، ولد في حدود الأربعين ومئة، وهو من كبار الزهاد.

مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٠ / رقم الترجمة ٣٤.

كَشَفُهَا مِنْ جَنْسِ فِرَاسَةِ الْوَلَاةِ، وَأَصْحَابِ عِبَارَةِ الرُّؤْيَا<sup>(١)</sup> وَالْأَطْبَاءِ وَنَحْوِهِمْ.

وفِرَاسَةُ خَلْقِيَّةٌ: وَهِيَ الَّتِي صَنَّفَ فِيهَا الْأَطْبَاءُ وَغَيْرُهُمْ، وَاسْتَدَلُّوا بِالْخُلُقِ عَلَى الْخُلُقِ، لِإِمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ الْارْتِبَاطِ، الَّذِي<sup>(٢)</sup> اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ، كَالِاسْتِدْلَالِ<sup>(٣)</sup> بِصِغَرِ الرَّأْسِ الْخَارِجِ عَنِ الْعَادَةِ عَلَى صِغَرِ الْعَقْلِ، وَبِكِبَرِهِ<sup>(٤)</sup> عَلَى كِبَرِهِ، وَسَعَةِ الصَّدْرِ عَلَى سَعَةِ الْخُلُقِ، وَبُضِيقِهِ عَلَى ضِيقِهِ، وَبِجَمُودِ الْعَيْنَيْنِ وَكَلَالِ نَظَرِهِمَا عَلَى بِلَادَةِ صَاحِبِهَا، وَضَعْفِ حَرَارَةِ قَلْبِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا».

ش: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ [مِنْ] أَدَمَ، فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ<sup>(٥)</sup> [يَأْخُذُ] فِيكُمْ كَقُعَاصِ<sup>(٦)</sup>»

الإيمان بأشراط الساعة

(١) فِي الْأَصُولِ: الرُّؤْسَاءُ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ».

(٢) فِي الْأَصُولِ: «الَّتِي»، وَالْمَثْبُتُ مِنْ «الْمَدَارِجِ» وَمَطْبُوعَةُ مَكَّةَ.

(٣) فِي الْأَصُولِ: «فَالِاسْتِدْلَالِ»، وَالْمَثْبُتُ مِنْ «الْمَدَارِجِ» وَمَطْبُوعَةُ مَكَّةَ.

(٤) الْهَاءُ، سَقَطَتْ مِنَ الْأَصُولِ.

(٥) بَضَمَ الْمِيمَ وَسَكُونُ الْوَاوِ، قَالَ الْقَزَازُ: هُوَ الْمَوْتُ، وَقَالَ شَيْرُهُ: هُوَ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوَقُوعُ، وَيُقَالُ بِالضَّمِّ لُغَةً تَمِيمٌ، وَغَيْرُهُمْ يَفْتَحُونَهَا، وَيُقَالُ لِلْبَلِيدِ: مَوْتَانُ الْقَلْبِ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوَازِيِّ: يَفْلُطُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ، فَيَقُولُ: «مَوْتَانُ» يَفْتَحُ الْمِيمَ وَالْوَاوِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْمُ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تُغَيَّ بِالزَّرْعِ وَالْإِصْلَاحِ. انْظُرْ «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» ٨٦/٤ لِأَبِي عُبَيْدٍ، وَ«الْفَائِقُ» ٥٣/٣.

(٦) بَضَمَ الْقَافَ وَتَخْفِيفَ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةَ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ صَادَ الْمَهْمَلَةَ، (وَضَبَطَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» بِتَقْدِيمِ الْعَيْنِ عَلَى الْقَافِ، وَهُوَ خَطَأً). وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْغَنَمَ لَا يُلَبِّسُهَا أَنْ تَمُوتَ، =

الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتَفَاضَهُ<sup>(١)</sup> الْمَالَ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيُظْلُ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةُ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هَذَنَةُ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا. وروى «راية»<sup>(٢)</sup>، بالراء والغين، وهما بمعنى<sup>(٣)</sup>. رواه البخاري<sup>(٤)</sup> وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني.

وعن حذيفة بن أسيد، قال: أطلع<sup>(٥)</sup> النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم

= ومنه أخذ الإقصاص في القتل، يقال: رميت الصيد، فأقصته: إذا مات مكانه. «غريب الحديث»، ٨٦/٤.

(١) تحرفت في الأصول إلى: استقامة.

(٢) هي عند أبي داود (٤٤٩٢) من حديث ذي بخير، وقال ابن الجوزي: رواه بعضهم: «غاية» بالباء الموحدة، وهي الأجمة، شبه كثرة الرماح للعسكر بها، فاستعيرت له. «عمدة القاري»، ١٥/١٠٠.

(٣) قال الجواليقي: غاية وراية واحد؛ لأنها غاية المتبع إذا وقفت، وقف، وإذا مشت تبعها. (٤) رقم (٣١٧٦) من طريق الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبدالله بن العلاء بن زبر، قال: سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك... ورجال إسناده كلهم شاميون إلا الحميدي شيخ البخاري، فإنه مكّي. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٤٢) من طريق عبدالرحمن بن إبراهيم، عن الوليد بن مسلم به. ورواه الطبراني في «الكبير» ٤٠/١٨ (٧٠) من طريق دحيم، عن الوليد بن مسلم به، إلا أنه زاد بين عبدالله بن العلاء وبين بسر بن عبيد الله زيد بن واقد، فهو من المزيدي في متصل الأسانيد نبه عليه الحافظ في «الفتح» ٢٧٧/٦. ورواه مختصراً أبو داود (٤٢٩٣) عن مؤمل بن الفضل، وابن ماجه (٤٠٩٥) عن عبدالرحمن بن إبراهيم، ثلاثتهم عن الوليد بن مسلم. ورواه مطولاً أحمد ٢٥/٦، والطبراني (٧٢) من طريقين، عن صفوان، حدثنا عبدالرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك، وزاد في آخره: «فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: الغوطة في مدينة يقال لها: دمشق» وللحديث طرق أخرى عند الطبراني، انظر رقم (٩٨) و(١١٩) و(١٢٢) و(١٥٠).

(٥) في (ب): اطلع علينا.

(٦) في مسلم: ما تذكرون.

حَتَّى تُرَى<sup>(١)</sup> عَشْرُ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، والدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَثَلَاثَةُ خَسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ. رواه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصحيحين»، واللفظُ للبخاري، عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ عَيْنِ الْيَمَنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الدَّجَالَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ فَ ر»<sup>(٤)</sup>، فسرّه في رواية: «أي: كافر».

وروى البخاريُّ وَغَيْرُهُ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ

(١) في مسلم: حتى ترون قبلها.

(٢) مسلم برقم (٢٩٠١)، وأخرجه أحمد ٦/٤، وأبوداود (٤٣١١)، وابن ماجه (٤٠٥٥)، والترمذي (٢١٨٣)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٠/٣، والطيلاسي (١٠٦٧)، وابن أبي شيبة ١٥/١٣٠ - ١٣١، والطبراني (٣٠٢٨) و (٣٠٢٩) و (٣٠٣٤)، والبغوي (٤٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) و (٣٤٤١) و (٥٩٠٢) و (٦٩٩٩) و (٧٠٢٦) و (٧١٢٨)، ومسلم (١٦٩) ٤٠٩/٢٢٤٧، وأبوداود (٤٧٥٧)، والترمذي (٢٢٣٥) و (٢٢٤١)، وأحمد ٣٧/٢ و ١٣١، وابن أبي شيبة ١٥/١٢٨، والبغوي (٤٢٥٥) و (٤٢٥٦).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٣١) و (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، والترمذي (٢٢٤٥)، وأبوداود (٤٣١٦)، والطيلاسي (١٩٦٣).



حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصُّلْبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضُ  
الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.  
ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَؤُوا<sup>(١)</sup> إِنَّ شِئْنَكُمْ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا  
لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَسَوْفَ الْقِيَامَةُ بِكُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ ٣١٦  
[النساء: ١٥٩]<sup>(٢)</sup>.

وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم عليه السلام، يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ  
وَيَقْتُلُهُ، ويخرج ياجوج ومأجوج في أيامه بَعْدَ قَتْلِهِ الدَّجَالَ، فَيُهْلِكُهُمْ  
اللَّهُ أَجْمَعِينَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ بِبِرْكَه دُعَائِهِ عَلَيْهِمْ، يَضِيقُ هَذَا  
المختصر عن بسطها<sup>(٣)</sup>.

وأما خروج الدَّابَّةِ وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا  
وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا  
بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ  
أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا  
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتظِرُوا إِنَّا  
مُنتظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

(١) في (ب): فاقروا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٢٢) و(٢٤٧٦) و(٣٤٤٨) و(٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥)،  
والترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨)، وأحمد ٢٤٠/٢ و٢٧٢ و٢٩٠ و٣٩٤ و  
٤٠٦ و٤١١ و٤٨٢ و٤٩٤ و٥٣٨، والطيالسي (٢٢٩٧).

(٣) انظر «النهاية» للحافظ ابن كثير ١١٨/١ - ١٨٤.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٢٠/٦ - ٢٢٤، والنهاية ١٩٠/١، و«روح المعاني»  
٢٠/٢٤ - ٢٥.

وروى البخاريُّ عند تفسير الآية، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»<sup>(١)</sup>.

وروى مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: حَفِظْتُ<sup>(٢)</sup> من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما<sup>(٣)</sup> ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»<sup>(٤)</sup>.

أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج ياجوج وماجوج، كل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل<sup>(٥)</sup> غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات. وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة، أول الآيات السماوية.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٣٥) و(٤٦٣٦) و(٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧)، وأبوداود (٤٣١٢)، وابن ماجه (٤٠٦٨)، والنسائي في الكبرى، كما في «التحفة» ٤٤٢/١٠، والبيهقي (٤٢٤٣).

(٢) في (ب): حدث.

(٣) في الأصول: «فأيتها»، والمثبت من صحيح مسلم.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وأبوداود (٤٣١٠)، وابن ماجه (٤٠٦٩)، والطبراني (٢٢٤٨)، وأحمد ٢٠١/٢، والبيهقي (٤٢٩١).

(٥) في (ب): بشكل.

وقد أفرد النَّاسُ أحاديثَ أشرطِ الساعةِ [في] مصنفاتٍ مشهورةٍ،  
يُضَيِّقُ عن بسطها هذا المختصر.

قوله: «وَلَا نَصَلِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدْعِي شَيْئًا يُخَالِفُ  
الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ».

ش: روى مسلم والإمام أحمد عن صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ، عن بعض  
أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ،  
لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»<sup>(١)</sup>.

٣١٧  
كذب الكاهن  
والعراف

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى  
مُحَمَّدٍ»<sup>(٢)</sup>.

والمُنْجَمُ<sup>(٣)</sup> يَدْخُلُ في اسم «العراف» عند بعض العلماء، وعند  
بعضهم هو في معناه، فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

وفي «الصحاحين» و«مسند الإمام أحمد»، عن عائشة، قالت:  
سَأَلَ<sup>(٤)</sup> رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، فَقَالُوا:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ فَيَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ

(١) أخرجه أحمد ٦٨/٤ و ٣٨٠/٥، ومسلم (٢٢٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٤٠٦/١٠ -  
٤٠٧، وفي «أخبار أصبهان» ٢٣٦/٢.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤١.

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ١٩٣/٣٥ - ١٩٥.

(٤) في (ج): سئل.

اللَّهُ ﷻ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجَنِيُّ فَيَقْرُؤُهَا»<sup>(١)</sup> فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلُطُونَ مَعَهَا»<sup>(٢)</sup> [أَكْثَرَ مِنْ] مِائَةِ كَذْبَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وفي «الصحيح» عنه ﷻ أنه قال: «ثَمَنُ الْكَلْبِ خَيْبٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَيْبٌ، وَحُلْوَانُ الْكَاهِنِ خَيْبٌ»<sup>(٤)</sup>.

وحُلْوَانُهُ: الذي<sup>(٥)</sup> تسميه العامة حلاوته.

ويدخل في هذا المعنى ما يُعطاه المُنَجَّمُ وصَاحِبُ الْأَزْلَامِ التي يُسْتَقْسَمُ بها، مثل الخشبية المكتوب عليها «أب ج د» والضارب بالحصى، والذي يَخْطُ في الرمل، وما يُعطاه هؤلاء حَرَامٌ، وقد حَكَى

(١) يقرؤها: يُرَدِّدُهَا، وهي رواية للبخاري، ورواه البخاري ومسلم وغيرهما بلفظ: «فَيَقْرُؤُهَا» بفتح الياء والقاف وتشديد الراء، أي: يصبها، تقول: قررت على رأسه دلوا: إذا صبيته، فكأنه صب في أذنه ذلك الكلام، قال القرطبي: ويصح أن يقال: المعنى: ألقاها في أذنه بصوت، يقال: قر الطائر: إذا صوت.

(٢) في صحيح مسلم: فيها.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١٠) و (٥٧٦٢) و (٦٢١٣) و (٧٥٦١)، وعلقه برقم (٣٢٨٨)، ومسلم (٢٢٢٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٨٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١١٤/٣ - ١١٥، والبيهقي (٣٢٥٨).

(٤) أخرجه مسلم (١٥٦٨) (٤١) من حديث رافع بن خديج بلفظ: «ثمن الكلب خيب، ومهر البني خيب، وكسب الحجام خيب». وأخرجه البخاري (٢٢٣٧) و (٢٢٨٢) و (٥٣٤٦) و (٥٧٦١)، ومسلم (١٥٦٧)، ومالك ٦/٢٠٦، وأحمد ٤/١١٨ - ١١٩ و ١٢٠، والشافعي (١٢٢٤)، وأبو داود (٣٤٢٨)، والترمذي (١٢٧٦)، والنسائي ٣٠٩/٧، وابن ماجه (٢١٥٩)، وابن الجارود (٥٨١)، والبيهقي (٢٠٣٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٥١/٤ من حديث أبي مسعود الأنصاري أن رسول الله ﷺ: «نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن».

(٥) تحرف في الأصول إلى: «التي».

الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء، كالبيهقي والقاضي عياض وغيرهما.

وفي «الصحيحين» عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَدِيثِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَمَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكُوكِبِ، وَمَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنَوَاءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكُوكِبِ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» و«مسند الإمام أحمد»، عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَزْبَعَ فِي أُمِّي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرَكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاِسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ، وَالنِّيَاحَةُ»<sup>(٢)</sup>.

والتَّصْوُصُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَسَائِرِ الْأُئِمَّةِ، بِالنَّهْيِ عَنِ

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦) و(١٠٣٨) و(٤١٤٧) و(٧٥٠٣)، ومسلم (٧١)، وأبو داود (٣٩٠٦)، والنسائي ١٦٤/٣ - ١٦٥، ومالك ١٩٢/١، وأحمد ١١٧/٤، والبيهقي ٣٥٧/٣ - ٣٥٨، والطبراني (٥٢١٣) و(٥٢١٤) و(٥٢١٥) و(٥٢١٦)، والحميدي (٨١٣)، وعبد الرزاق (٢١٠٠٣)، وابن حبان (١٨٨). قال البيهقي في «شرح السنة» ٤٢٠/٤: كانت العرب تقول في الجاهلية: إذا سقط نجم وطلع آخر لا بد من أن يكون عند ذلك مطر، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى النجم؛ فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وهذا التغليب فيمن يرى ذلك من فعل النجم، فأما من قال: مطرنا بنوء كذا، وأراد سقانا الله تعالى بفضل في هذا الوقت، فذلك جائز.

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤)، وأحمد ٣٤٢/٥ - ٣٤٣، وعبد الرزاق (٦٦٨٦)، وأبو يعلى (١٥٧٧)، والحاكم ٣٨٣/١، والبيهقي ٦٣/٤. وروايته عند الجميع: «والاستسقاء بالنجوم» غير عبد الرزاق، فقد رواه: «بالأنواء» كلفظ الشارح.

ذلك، أكثر من أن يتسع هذا الموضع لذكرها.

وَصِنَاعَةُ التَّنْجِيمِ - التي مضمونها الإحكام والتأثير<sup>(١)</sup>، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمزيج بين القوى الفلكية والغوائل الأرضية - : صِنَاعَةٌ مُحَرَّمَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى لِسَانِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطُّغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ: الْجِبْتُ: السُّحْرُ.

وفي «صحيح البخاري»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يَأْكُلُ مِنْ خَرَجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: تَذَرِي مِمَّ هَذَا؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ<sup>(٢)</sup>، إِلَّا أَنِي خَدَعْتُهُ، فَلَقِينِي<sup>(٣)</sup>، فَأَعْطَانِي ٣١٨

(١) ولا يصح في نظر العقل السليم ما يزعمه البعض من أن للكواكب تأثيراً في حصول الأحوال النفسانية من الذكاء والبلاهة، والسعادة والشقاوة، وحسن الخلق، وقبحه، والغنى والفقر، والهم والسرور، واللذة والألم، وقد توسع العلامة ابن القيم في بيان جهل من يقول بذلك وضلاله، ويعدده عن هدي الإسلام وتعاليمه أيما توسع في كتابه العظيم «مفتاح دار السعادة» ١٢٦/٢ - ٢٤٢. وقد أثبت الوقائع أنهم يكذبون في دعاوهم تلك أكثر مما يصدقون لأنهم يعتمدون على مجرد الاتفاق والمصادفة والظنون والأوهام، وهي لا تغني في باب الحق شيئاً.

(٢) الكهانة - بكسر الكاف -: هي الإخبار بالغيب من غير طريق شرعي، وكان كثيراً في الجاهلية لاسيما قبل البعثة، وكان منهم من يزعم أن له رايئاً من الجن يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يدعي أنه يستدرك ذلك بفهم أعطيه.

(٣) في الأصول: «ولقيني»، والثبت من مطبوعة مكة.

بذلك، فهذا الذي أَكَلْتُ منه، فأدخل أبو بكر يده، ففاء كُلُّ شيءٍ في بطنه<sup>(١)</sup>.

والواجبُ على ولي الأمر، وكُلُّ قَادِرٍ أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكُهَّانِ والعُرافين وأصحاب الضُّرْبِ بالرمل والحصى والقرع والفلات، ومنعهم من الجلوس في الحوائِثِ أو الطُرُقَاتِ، أو أن يَدْخُلُوا على النَّاسِ في منازلهم لذلك، ويكفي من يَعْلَمُ تحريم ذلك، ولا يسمى في إزالته، مع قدرته على ذلك؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]. وهؤلاء المَلَاعِينُ يقولون الإِثْمَ<sup>(٢)</sup>، ويأْكُلُونَ السُّحْتَ بإجماع المسلمين، وثبت في «السُّنَنِ» عن النَّبِيِّ ﷺ برواية الصُّدِّيقِ عنه، أنه قال: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأَفْعَالِ الْخَارِجَةَ عن الكتاب والسنة أنواع:

نوع منهم: أَهْلُ تَلْبِيسٍ وَكُذِّبٍ وَخِدَاعٍ الذين يُظْهِرُ أَحَدَهُمْ طَاعَةً

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤٣)، في مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) أخرجه أحمد ٢/١ و ٥ و ٧ و ٩، والترمذي (٢١٦٨) و (٣٠٥٧)، وأبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» ٣٠٣/٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٦٢/٢ و ٦٣ و ٦٤، وأبو يعلى في «مسنده» (١٢٨) و (١٢٩) و (١٣٠) و (١٣١) و (١٣٢)، والحميلي (٣)، والروزي في «مسند أبي بكر» (٨٦) و (٨٧) و (٨٨) و (٨٩)، والبغوي (٤١٥٣) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أنه سمع أبا بكر الصديق... وإسناده صحيح، وصححه الترمذي، وابن حبان (١٨٣٧) وغيرهما.

الجن له، أو يدعي الحال من أهل المَحَال، من المشايخ النصَّابين،  
والفقراء الكذَّابين، والطَّرِيقَةِ المَكَّارِينَ، فهؤلاء يستحقُّون العُقُوبَةَ البليغةَ  
التي تَرَدُّعُهُمْ وأمثالهم عن الكذب والتَّلبِيس، وقد يكونُ في هؤلاء مَنْ  
يستحقُّ القَتْلَ، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخُزعبلات، أو يَطْلُبُ تغييرَ  
شيءٍ من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوعٌ: يتكلَّمُ في هذه الأمور على سبيل الجدِّ والحقيقة، بأنواع  
السحر. وجمهورُ العلماء يُوجبون قتلَ الساحر، كما هو مذهبُ أبي حنيفة  
ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثورُ عن الصحابة، كعمر  
وابنه، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم، ثم اختلف هؤلاء: هل (١)  
يُستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يُقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟  
وقالت طائفة: إن قَتَلَ بالسَّحَر قَتْلًا، وإلَّا عُوقِبَ بدون القتل، إذا لم يكن في  
قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قولٌ في مذهب  
أحمد رحمهما الله (٢).

التنازع في حقيقة  
السحر وأنواعه  
وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون:  
إنه قد يُؤثِّرُ في موت المسحور ومريضه من غير وصول شيء ظاهر إليه،  
وَرَزَعَمَ بعضهم أنه مجردُ تخيل (٣).

واتفقوا كُلُّهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة،  
أو غيرها، أو خطابها، أو السُّجُود (٤) لها، والتَّقَرُّبُ إليها بما يُناسِبُها من  
اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك، فإنه كُفْرٌ، وهو من أعظم أبواب

(١) تحرفت في الأصول إلى: «فيل». (٢) انظر «مجموع الفتاوى» ٣٤٦/٢٨ و ٣٨٤/٢٩.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص ٥٧١ - ٥٧٣.

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): «والسجود»، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.



الشرك، فيجب غلقه، بل سدّه، وهوين جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ \* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿[الصفات: ٨٨ - ٨٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦]، الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم، أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يُعرف معناه لا يُتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يُعرف. ولهذا قال النبي ﷺ: ولا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً<sup>(١)</sup>.

ولا يجوز الاستعاذة<sup>(٢)</sup> بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك<sup>(٣)</sup>، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فبيت في أمن وجوار حتى يصبح: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ يعني: الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً، أي إثمًا وطفياناً وجراءة وشرّاً، وذلك، أنهم قالوا: قد سُدنا الجن والإنس! فالجن<sup>(٤)</sup> تعاطف في أنفسها، وتزداد كفرًا إذا عاملتها الإنس بهذه

(١) أخرجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي مسلم (٢٢٠٠)، وأبوداود (٣٨٨٦)، البخاري في «التاريخ الكبير» ٥٦/٧، والطبراني ١٨/ (٨٨).

(٢) في الأصول: الاستعاذة.

(٣) انظر «التفسير القيم» ص ٥٤٢.

(٤) تحرفت في الأصول إلى: «الحق»، وقد جاءت على الصواب في هامش (د).

المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ \* قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿[سبا: ٤٠ - ٤١]. فهؤلاء<sup>(١)</sup> الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم: ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرِ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨] فاستمتع<sup>(٢)</sup> الإنسي بالجنّي: في قضاء حوائجه، وامثال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتع الجنّ بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانته به، واستغاثته، وخضوعه له.

ونوع منهم [يتكلم] بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبة رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء ٣٢٠ من يُعِينُ المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم [على] ثلاثة أحزاب:

حزبٌ يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عن عاينهم، أوحده الثقات بما راوه، وهؤلاء إذا رأوهم، وتيقنوا وجودهم، خضعوا لهم.

(١) في (ب): وهؤلاء.

(٢) تحرفت في الأصول إلى: «فاستمتع».

وَجَزَبَ عَرَفُوهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَى الْقَدَرِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ تَمَّ فِي الْبَاطِنِ طَرِيقاً إِلَى اللَّهِ غَيْرَ طَرِيقَةِ الْأَنْبِيَاءِ!

وَجَزَبَ مَا أَمَكْنَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا وَلِيًّا<sup>(١)</sup> خَارِجاً عَنْ دَائِرَةِ الرَّسُولِ، فَقَالُوا: يَكُونُ الرَّسُولُ هُوَ مُبْدَأً لِلطَّائِفَتَيْنِ، فَهَؤُلَاءِ مُعْظَمُونَ لِلرَّسُولِ جَاهِلُونَ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ<sup>(٢)</sup> أَتْبَاعِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنَّ رِجَالَ الْغَيْبِ هُمُ الْجِنُّ، وَيُسَمَّوْنَ رِجَالاً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وَإِلَّا فَالْإِنْسُ يُؤْنَسُونَ، أَيْ يَشْهَدُونَ وَيُرَوْنَ، وَإِنَّمَا يَحْتَجِبُ الْإِنْسِي أحياناً، لَا يَكُونُ دَائِماً مُحْتَجِياً عَنْ أَبْصَارِ الْإِنْسِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ مِنَ «الْإِنْسِ» فَمِنْ غَلْطِهِ وَجْهَلِهِ، وَسَبَبُ الضَّلَالِ فِيهِمْ، وَافْتِرَاقُ هَذِهِ الْأَحْزَابِ الثَّلَاثَةِ عَدَمُ الْفَرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ.

وَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: الْفُقَرَاءُ يُسَلِّمُ إِلَيْهِمْ حَالَهُمْ! وَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، بَلِ الْوَاجِبُ عَرْضُ أَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ، فَمَا وَافَقَهَا قُبِلَ، وَمَا خَالَفَهَا رُدَّ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٣)</sup>.

(١) فِي (ب): أَوْلِيَاءِ.

(٢) سَقَطَتْ مِنْ: (ب).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ (٢٦٩٧)، وَعَلَّقَهُ فِي مَوْضِعَيْنِ فِي «صَحِيحِهِ» ٣٥٥/٤ وَ ٣١٧/١٣، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧١٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٦٠٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٤)، وَالتَّيَالِسِيُّ (١٤٢٢)، وَأَحْمَدُ ٢٧٠/٦، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١١٩/١٠)، وَالدَّارِقُطْنِيُّ فِي «سُنَنِهِ» ٢٢٤/٤ وَ ٢٢٥ وَ ٢٢٧، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٣٥٩)، وَابْنُ حِبَانَ (٢٦) وَ (٢٧).

وفي رواية: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقة، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد<sup>(١)</sup> من الخلق بعده<sup>(٢)</sup> إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا باتباعه باطناً وظاهراً.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُصَدِّقًا فِيمَا أَخْبَرَ، ملتزماً لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان: لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الجيب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل!! فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحذور، إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبيدة لصاحبها عن الله تعالى، المقررة إلى سخطه وعذابه، لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رُفِعَ عنهم القلم، فلا يُعاقَبُونَ، ٣٢١ وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه<sup>(٣)</sup> باطناً وظاهراً ما يكونون<sup>(٤)</sup> به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً لأبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ<sup>(٥)</sup> بِإِيمَانٍ الْحَقُّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

(١) في (أ) و(ج) و(د): «أحد»، والمثبت من (ب) ومطبوعة مكة.

(٢) ومن الخلق بعده سقطت من (ب).

(٣) تحرفت في الأصول إلى: «يقراه» والتصويب من «الفتاوى» ٤٣١/١٠.

(٤) في الأصول: يكون: والمثبت من «الفتاوى».

(٥) قرأ أبو عمرو: ﴿واتبعناهم﴾ بالنون والالف، و﴿ذرياتهم﴾ جمعاً في الموضعين بكسر التاء.

وقرأ نافع: ﴿واتبعناهم﴾ بالتاء والتشديد، و﴿ذرياتهم﴾ بغير ألف ورفع التاء، ﴿الحقنا بهم ذرياتهم﴾ بالالف وكسر التاء. وقرأ ابن عامر: ﴿واتبعناهم﴾ بالتشديد، و﴿ذرياتهم﴾ بالالف =

كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿[الطور: ٢١].

فَمَنْ اعتقدَ في بعض البُلْه أو المولعين - مع تركه لمتابعة الرسول  
في أقواله وأفعاله وأحواله - أَنَّهُ مِنْ أولياء الله، وَيُقَضُّلُهُ على متبعي طريقة  
الرسول ﷺ، فهو ضالٌ مبتدع، مخطيء في اعتقاده، فإن ذاك الأَبْلَه، إما  
ان يَكُونُ شيطاناً زنديقاً، أو زُوكاريّاً<sup>(١)</sup> مُتَحَيِّلاً، أو مجنوناً معذوراً! فكيف  
يُقَضُّلُ على مَنْ هُوَ مِنْ أولياء الله، المتبعين لرسوله؟! أو يساوى به؟!  
ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للتابع في  
الظاهر؟ فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجبُ مُتَابَعَةُ الرسول ﷺ ظاهراً  
وباطناً. قال يونسُ بْنُ عَبْدِالْعَلَى الصَّدْفِي<sup>(٢)</sup>: قلت للشافعي: إن صاحبنا  
الليث<sup>(٣)</sup> كان يقول: إذا رأيْتُم الرَّجُلَ يمشي على الماء، فلا تعتبرُوا به  
حتى تَعْرِضُوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي: قَصِّرَ الليثُ رحمه  
الله، بل إذا رأيْتُم الرَّجُلَ يمشي على الماء، وَيَطِيرُ في الهواء، فلا تعتبرُوا  
به حتى تَعْرِضُوا أمره على الكتاب والسنة.

وأما ما<sup>(٤)</sup> يقولُه بَعْضُ الناس عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال: «اطْلَعْتُ

= ورفع الثناء، «الحقنا بهم ذرياتهم» جماعة وكسر التاء. وقرأ أهل الكوفة وأهل مكة:  
«وَأَتَّبَعْتُهُمْ» بالتشديد، «ذريتهم» على واحد، وارتفعت «الذرية» بفعلها «الحقنا بهم  
ذريتهم» على التوحيد أيضاً، وهي مفعوله. وانظر «الكشف» ٢/٢٩٠ - ٢٩١،  
و«حجة القراءات» ص ٦٨١ - ٦٨٢، و«زاد المسير» ٨/٥٠.

(١) قال المرتضى في «شرح القاموس» ٣/٢٤٠: الزواكرة: من يتليس فيظهر النسك  
والعبادة، ويطن الفسق والفساد. نقله المقرئ في «نفع الطيب».

(٢) المصري المقرئ الحافظ التوفي سنة ٢٦٤ هـ مترجم في «السير» ١٢/٣٤٨.

(٣) تحرف في: (أ) و (ج) و (د) إلى: الكتب.

(٤) سقطت من: (أ) و (ب) و (د).

عَلَى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْبَلَّةُ<sup>(١)</sup> فهذا لا يَصِحُّ عن رسول الله ﷺ، ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خُلِقَتْ لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عُقُولُهُم وألبأهم إلى الإيمان بالله وملائكته وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه، فلم يذكر في أوصافهم البلة الذي هُوَ ضَعْفُ العقل<sup>(٢)</sup>، وإنما قال النَّبِيُّ ﷺ: «أُطْلِعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءُ»<sup>(٣)</sup>. ولم يَقُلْ الْبَلَّةُ!

(١) حديث ضعيف أخرجه الكلاباذي في «مفتاح المعاني» ١/٢٧٥، وابن عساكر ١٢/٣٤٥، وفي سنده مصعب بن مهران، وهو كثير الخطأ، وأحمد بن عيسى الحشاب، قال الدارقطني: ليس بالقوي، وكذبه ابن طاهر، وقال ابن حبان في «الضعفاء» ١/١٤٦: يروي عن المجاهيل الأشياء المنكير، وعن المشاهير الأشياء المقلوبة، لا يجوز عندي الاحتجاج بما انفرد به من الأخبار، وأورد ابن عدي في «الكامل» ١/١٩٤ هذا الحديث في ترجمته، فقال: وهذا حديث باطل بهذا الإسناد. وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» ٤/١٢١، والبخاري والديلمي في «مسنديهما»، والبيهقي في «الشعب»، والخلعي في «فوائده»، كلهم من حديث سلامة بن روح، عن عقيل بن خالد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أكثر أهل الجنة البلة» وسلامة بن روح قال فيه أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي عمله عندي محل الغفلة، وقد عد هذا الحديث من منكراته، ثم هو لم يسمع من جد أبيه، إنما أخذ من كتبه. ونقل أبو جعفر الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران أن البلة المرادين فيه هم البلة عن محرم الله تعالى لا مَنْ سواهم ممن به نقص العقل بالبلة.

(٢) في (ب): القلب.

(٣) أخرجه من حديث ابن عباس مسلم (٢٧٣٧)، والترمذي (٢٦٠٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٥/١٩٢، وأحمد ١/٢٣٤ و ٣٥٩ و ٤/٤٢٩، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/٣٠٨، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٦٥) و (١٢٧٦٦) و (١٢٧٦٧) و (١٢٧٦٨) و (١٢٧٦٩)، والطيالسي (٨٣٣)، وأخرجه من حديث عمران بن حصين البخاري (٣٢٤١) و (٥١٩٨) و (٦٤٤٩) و (٦٥٤٦)، والترمذي (٢٦٠٣)، والنسائي =

والطائفة الملامية، وهُم الذين يفعلون ما يُلامون عليه، ويقولون: نحن مُتَّبِعُونَ فِي الْبَاطِن، وَيَقْصِدُونَ إِخْفَاءَ الْمُرَاتِين! ردوا باطلهم بباطل آخر!! والصراط المستقيم بين ذلك.

وكذلك الذين يَصْعَقُونَ عند سماعِ الأنغام الحسنة، مبتدعون تبسيع من يصق عند سماع الأنغام الحسنة ٣٢٢ ضالون! وليس للإنسان أن يَسْتَدْعِيَ ما يكون سببَ زوالِ عقله! ولم يكن في الصحابة والتابعين مَنْ يفعل ذلك، ولو عند سماعِ القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْعُلَمَاءُ بِخَيْرٍ مِنْ عُقْلَاءِ الْمَجَانِينِ، فأولئك كان فيهم خَيْرٌ، ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء أنه إذا حَصَلَ في جنونهم<sup>(١)</sup> نوعٌ من الصُّحُوحِ، تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهذون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف غيرهم ممن يتكلم إذا حَصَلَ لهم نوعٌ إفاقةٍ بالكُفْرِ والشُّرْكِ، ويهذون بذلك في حال زوال عقلهم، ومن كان قَبْلَ جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حُدُوثُ جنونه مُزيلاً

= في «الكبرى» كيا في «التحفة» ١٩٨/٨، وأحمد ٤٢٩/٤ و ٤٣٧ و ٤٤٣، وأبو نعيم ٣٠٨/٣، والخطيب ١٥٩/٥، وعبدالرزاق (٢٠٦١٠)، والطبراني في «الكبرى» ٢١٠/١٨ و (٢٧٥) و (٢٧٨) و (٢٧٩) و (٢٩٠)، والطيالسي (٨٣٣).

(١) في (أ) و (ج): «حياتهم»، وفي (ب): «حيرتهم»، والتبث من (د) و «الفتاوى» ٤٤٢/١٠.

لما ثبت مِنْ كفره أو فسقه، وكذلك مَنْ جُنَّ من المؤمنين المتقين، يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزَوَالَ العقل بجنون أو غيره، سواء سُمِّيَ صاحبه مُؤَلَّهاً أو مُتَوَلَّهاً<sup>(١)</sup> لا يُوجِبُ مزيدَ حال صاحبه من الإيمان والتقوى، بل يبقى على ما كَانَ عليه مِنْ خيرٍ وشرٍّ، لا أَنَّهُ يَزِيدُهُ أو يَنْقُصُهُ، ولكن جنونه يَحْرِمُهُ الزيادة من الخير، كما أَنَّهُ يَمْنَعُ عَقُوبَتَهُ على الشرِّ، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

وما يَحْصُلُ لبعضهم عند سَمَاعِ الأنغام المطربة<sup>(٢)</sup> من الهَذْيَانِ، والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه!! فذلك شيطانٌ يتكَلَّمُ على لسانه، كما يَتَكَلَّمُ على لسانِ المصروع، وذلك كُلُّهُ من الأحوال الشيطانية! وكيف يَكُونُ زَوَالَ العقل سبباً أو شرطاً أو تَقَرُّباً إلى ولاية الله، كما يظنه كَثِيرٌ من أهل الضلال؟! حتى قال قائلهم:

هُمْ مَعَشَرٌ خَلُّوا النَّظَامَ وَخَرَقُوا الدَّ  
مَجَانِينُ إِلَّا أَنَّ سِرَّ جُنُونِهِمْ عَزِيزٌ عَلَى أَبْوَابِهِ يَسْجُدُ<sup>(٣)</sup> الْعَقْلُ

وهذا كلام ضال، بل كافر، يَظُنُّ أن للجنون<sup>(٤)</sup> سرّاً يَسْجُدُ الْعَقْلُ على بابه!! لِمَا رآه مِنْ بعض المجانين مِنْ نوع مكاشفة، أو تَصَرُّفٍ عَجِيبٍ خارقٍ للعادة، وَيَكُونُ ذلك بسبب ما اقترنَ به من الشياطين، كما يكون للسحرة والكُهان! فيظن هذا الضالُّ أن كل من

(١) في (ب): مولعاً.

(٢) في (ب): الطيبة.

(٣) في الأصول: مسجد، والتصويب من «الفتاوى».

(٤) في الأصول: «الجنون»، والتصحيح من «الفتاوى».



كاشف أو خرقَ عادةً<sup>(١)</sup> كان ولياً لله!! ومن اعتقد هذا، فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ \* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. فكل من تنَزَّل عليه الشياطين لا بد أن يكونَ عنده كَذِبٌ وفُجُورٌ.

وأما الذين يتعبّدون بالرياضاتِ والخلوات، ويتركونَ الجُمعَ والجماعات، فهم من الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبونَ أنهم يحسنون صنْعاً قد طَبَعَ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ، كما قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوَنًا مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ، طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ»<sup>(٢)</sup>. وكلُّ مَنْ عَدَلَ عَنْ اتِّبَاعِ [سُنَّةِ] الرُّسُولِ، إِنْ

(١) في (ب): العادة.

(٢) حديث صحيح، لكنه ليس في «الصحيح» كما ذكر الشارح. فقد أخرجه من حديث أبي الجعد الترمذي (٥٠٠)، وأحمد ٤٢٤/٣، وأبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٨٨/٣، وابن ماجه (١١٢٥)، والدارمي ٣٦٩/١، وابن الجارود (٢٨٨)، والدولابي في «الكنى» ٢١/١ و ٢٢، والبيهقي ١٧٢/٣ و ٢٤٧، والطبراني في «الكبير» ٢٢/٩١٥ و (٩١٦) و (٩١٧) و (٩١٨)، والبخاري (١٠٥٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٣٠/٤، وسنده حسن، وصححه ابن خزيمة (١٨٥٧)، وابن حبان (٥٥٤)، والحاكم ٢٨٠/١، ووافقه الذهبي. وله شاهد من حديث جابر عند ابن ماجه (١١٢٦)، وأحمد ٣٢٣/٣، والحاكم ٢٩٢/١، والطحاوي ٢٣٠/٤، ونسبه المزي في «تحفة الأشراف» ٢٠٩/٢ إلى النسائي، وليس هو في المطبوع، وصححه الحاكم وحسنه الحافظ، وقال البوصيري في «مصابيح الزجاجة» ورقة ٧٤: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وفي الباب عن أسامة بن زيد عند الطبراني (٤٢٢) بلفظ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ، كَتَبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ»، وفي سنده جابر بن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، وعن ابن عباس وابن عمر عند النسائي ٨٨/٣ - ٨٩، وعن ابن عمر وأبي هريرة عند مسلم (٨٦٥)، والبخاري (١٠٥٤)، والدارمي ٣٦٩/١، ولفظه عندهم: «لَيْتَهُنَّ أَنْوَامٌ عَنْ وُدِّهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ». وعن كعب بن مالك عند الطبراني ١٩/١٩٧ وحسن إسناده الهيثمي ١٩٤/٢، وعن أبي قتادة عند أحمد ٣٠٠/٥، وسنده حسن، وصححه الحاكم.

كان عالماً بها، فهو مَغْضُوبٌ عليه، وإِلا فَهُوَ ضَالٌّ، ولهذا شَرَعَ اللهُ لنا أن نسأله في كُلِّ صلاة أن يَهْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما من<sup>(١)</sup> يتعلَّقُ بقصة موسى مع الْخَضِرِ عليهما السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بِالْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ، الذي يدَّعيه بَعْضُ من عَدِمَ التوفيق: فهو مُلْجَدٌ زنديق، فإن موسى عليه السلام لم يكن مبعوثاً إلى الْخَضِرِ، ولم يكن الْخَضِرُ مأموراً بمتابعته<sup>(٢)</sup>، ولهذا قال له: أَنْتَ موسى بني إسرائيل؟ قال: نَعَمْ، ومحمد ﷺ مبعوثٌ إلى جميع الثقلين، ولو<sup>(٣)</sup> كان موسى وعيسى خَيَيْنَ، لكانا من أتباعه، وإذا نَزَلَ عيسى عليه السلام إلى الأرض، إنما يحكم بشرية محمد صلى الله عليه وسلم، فَمَنْ ادَّعى أنه مَعَ محمد ﷺ كَالْخَضِرِ مع موسى، أَوْجُوزُ<sup>(٤)</sup> ذلك لأحد من الأمة: فليُجَلِّدْ إسلامه، وليُشْهَدْ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ مُفَارِقٌ لِدِينِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ فضلاً عن أن يكون مِنْ أولياء الله، وإنما هو مِنْ أولياء الشيطان، وهذا الموضعُ مفرقٌ بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة، فحرِّكْ تَرَةً.

وكذا مَنْ يَقُولُ بَأَنَّ الْكَعْبَةَ تَطُوفُ بِرِجَالِ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا!! فهلا خَرَجْتَ الْكَعْبَةُ إِلَى الْحَذِيثَةِ فَطَافَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُحْصِرَ عَنْهَا، وهو يَوَدُّ مِنْهَا نَظْرَةً؟! وهؤلاء لهم شَبَهٌ بِالَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ

(١) في (ب): ما.

(٢) تحرفت في (أ) و(ب) و(ج) إلى: «بمنا بعضه»، والمثبت من (د).

(٣) سقطت من (أ) و(ج).

(٤) في (أ) و(ب) و(ج): أجوز، والمثبت من (د).

يقول: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾  
[المدثر: ٥٢]، إلى آخر السورة.

قوله: «وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا».  
ش: قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾  
[آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ  
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].  
زيع الجماعة حق والفرقة

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ  
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾  
[هود: ١١٨ - ١١٩]. فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا  
فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ٧٦].

وقد تقدّم قوله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ  
وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، يَعْنِي  
الْأَهْوَاءَ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ  
وَأَصْحَابِي». فَبَيَّنَ أَنَّ عَامَةَ الْمُخْتَلِفِينَ هَالِكُونَ إِلَّا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ،  
وَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ.

(١) حديث صحيح. تقدم تخريجه ص ٣٤٠ ت (٤).

وروى الإمام أحمد، عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ<sup>(١)</sup> ذُتِبَ الْإِنْسَانِ كَذِثِبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّارِدَةَ الْقَاصِيَةَ، فَيَأْتِيَكُمْ وَالشُّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَالْعَامَّةِ، وَالْمَسْجِدِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: أنه قال لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: «أَعُوذُ بِرُوحِكَ»، «أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ» قال: «أَعُوذُ بِرُوحِكَ» «أَوْ يَلْسَنُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» [الأنعام: ٦٥] قال: «هَاتَانِ أَهْوَنُ»<sup>(٣)</sup>.

فدلَّ على أنه لا بُدَّ أَنْ يَلْسَنَهُمْ شَيْعًا، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جَاهِلِيَّةٍ، ولهذا قال الزُّهري: وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ كُلُّ دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ فَرْجٍ<sup>(٤)</sup> أُصِيبَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ: فَهُوَ هَذَرٌ، أَنْزَلُوهُمْ مِنْزَلَةَ الْجَاهِلِيَّةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) في الأصول بياض، وأثبتنا كلمة: «الشيطان» من «المسند».

(٢) أخرجه أحمد ٢٣٢/٥ - ٢٣٣ من طريق روح، حدثنا سعيد، عن قتادة، حدثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل، وهذا سند صحيح، إلا أن العلاء بن زياد روايته عن معاذ مرسله، وأخرجه أحمد أيضاً ٣٤٣/٥ من طريق قتادة، عن العلاء بن زياد، عن رجل حدثه يثق به، عن معاذ بن جبل، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٢/٢٤٧، والطبراني في «الكبير» ٢٠/٣٤٤ و(٣٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) و(٧٣١٣) و(٧٤٠٦)، وأخرجه الترمذي (٣٠٦٥)، وأحمد ٣/٣٠٩، والبغوي (٤٠١٦)، والحميدي (١٢٥٩)، وأبو يعلى (١٨٢٩) و(١٩٦٧) و(١٩٨٢) و(١٩٨٣) من حديث جابر بن عبد الله. وليس هو في «مسلم»، كما ظن الشارح.

(٤) في (أ) و(د): «قرح»، وهو تصحيف.

(٥) انظر «المصنف» (١٨٥٨٤)، و«سنن سعيد بن منصور» رقم (٢٩٥٣)، و«سنن البيهقي» ١٧٥/٨.

وقد روى مالك بإسناده الثابت، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية، يعني قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَوْصِلُوا بَيْنَهُمَا﴾<sup>(١)</sup> [الحجرات: ٩]، فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك، صارت فتنة وجاهلية.

وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول والفروع - إذا لم تُرد إلى الله والرسول - لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله، أقر بعضهم بعضاً، ولم يتغير بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقرر بعضهم بعضاً، ولا يعتدي<sup>(٢)</sup> ولا يعتدى عليه، وإن لم يُرحموا، وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل تكفيره وتفسيره، ٣٢٥ وإما بالفعل، مثل حبسه وضربه وقتله. والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إما عادِلون وإما ظالمون، فالعادِل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء،

(١) وفي «سنن البيهقي» ١٧٢/٨ من طريق محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة من هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا فَأَوْصِلُوا بَيْنَهُمَا﴾، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله.

(٢) «ولا يعتدي» سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

ولا يَظْلِمُ غَيْرَهُ، والظالم: الذي يعتدي على غيره، وَأَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا يَظْلَمُونَ مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]. وإلا فلو سَلَكُوا مَا عَلِمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ، أَقْرَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَالْمَقْلُدِينَ لِأُثْمَةِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، فَجَعَلُوا أَثْمَتَهُمْ نَوَابًا عَنِ الرَّسُولِ، وَقَالُوا: هَذِهِ غَايَةُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، فَالْعَادِلُ مِنْهُمْ لَا يَظْلِمُ الْآخَرَ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَيْهِ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، مِثْلُ أَنْ يَدَّعِي أَنْ قَوْلٌ مَقْلُودُهُ هُوَ الصَّحِيحُ بِلَا حُجَّةٍ يُبْدِيهَا، وَيُذَمُّ مَنْ يُخَالِفُهُ مَعَ أَنَّهُ مَعْدُورٌ.

ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد:

الاختلاف نوعان:  
اختلاف تنوع  
واختلاف تضاد

وَاخْتِلَافُ التَّنَوُّعِ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْهُ مَا يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ أَوْ الْفَعْلَيْنِ حَقًّا مُشْرُوعًا، كَمَا فِي الْقَرَاءَاتِ الَّتِي اخْتَلَفَتْ فِيهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَتَّى زَجَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «كَلَّا كَمَا مُحْسِنٌ»<sup>(١)</sup>. ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أَرْجَحَ أَوْ أَفْضَلَ.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك! وهذا عين المحرم، وكذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه: ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ.

(١) قطعة من حديث صحيح. تقدم تخريجه ص ٤٢٨.

ومنه ما يكون كُلٌّ مِنَ القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يَخْتَلِفُ كثيرٌ من الناس في ألفاظِ الحُدُودِ، وضَوْغٌ<sup>(١)</sup> الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك. ثم الجهلُ أو الظُّلُمُ يَحْمِلُ على حَمْدِ<sup>(٢)</sup> إحدى المقاتلين، وذمُّ الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، ٣٢٦ وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: المَصِيبُ واحدٌ، والخَطْبُ في هذا أشدُّ، لأن القولين يتنافيان، لكن نَجِدُ كثيراً من هؤلاء قد يكون القولُ الباطلُ الذي مع منازعه فيه حَقٌّ ما، أو معه دليل يقتضي حَقًّا ما، فَيُرَدُّ الحقُّ مع الباطلِ، حتى يبقى هذا مُبْطَلًا في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، وهذا يجري كثيراً لأهل السنة.

وأما أهل البدعة، فالأمرُ فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هدايةً ونوراً، رأى من هذا ما يُبين<sup>(٣)</sup> له منفعة ما جاء في الكتابِ والسنة مِنَ النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوبُ الصحيحة تُنْكِرُ هذا، لكن نورٌ على نور.

والاختلاف الأول الذي هو اختلافُ التنوع: الذمُّ فيه واقعٌ على مَنْ بغى على الآخر فيه، وقد ذُلَّ القرآن على حَمْدِ<sup>(٢)</sup> كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغى، كما في قوله تعالى:

(١) في هامش (ب): صيغ.

(٢) في (ب): حمل، وهو تحريف.

(٣) في (ب): تبين.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾  
[الحشر: ٥]. وقد كانوا يختلفوا في قطع الأشجار، فَقَطَعَ قَوْمٌ، وترك  
آخرون<sup>(١)</sup>.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ  
إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا  
ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا<sup>(٢)</sup> [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، فَخَصَّ سليمان بالفهم،  
وأثنى عليهما، بالحكم والعلم.

وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صَلَّى العصر في  
وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة<sup>(٣)</sup>.

(١) في البخاري (٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦) من طريق ليث، عن نافع، عن ابن عمر  
رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع - وهي البؤيرة - فأنزل  
الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.  
واللينة: هي النخل كله ما خلا البرني والمعجوة، قال الزجاج: أهل المدينة يسمون جميع  
النخل: الألوان ما خلا البرني والمعجوة. وأصل «لينة» لونة، فقلبت الواو ياء لانكسار  
ما قبلها.

(٢) في «تفسير الطبري» ٣٨/١٧ من طريق المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن  
مرة، عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ  
الْقَوْمِ﴾ قال: كَرُمٌ قد أنبت عناقيله، فافسده، قال: ففَضَى داود بالغنم لصاحب  
الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى  
صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب  
منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها،  
فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. ومعنى نفست: رعت ليلاً، يقال: نفست الغنم  
بالليل، وهي إبل تَفْسُ وَتُفَاشُ، وتُفَاشُ، والواحد نَفَاشٌ، وسرحت وسربت بالنهار،  
وقال قتادة: النفس بالليل، والمَهْلُ بالنهار، وقال ابن السكيت: النفس: أن تنتشر الغنم  
بالليل ترعى بلا راع. «زاد المسير» ٣٧١/٥.

(٣) أخرجه البخاري (٩٤٦) و(٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، والبيهقي (٣٧٩٨) من حديث  
ابن عمر.



وكما في قوله ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ، فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup> ونظائر ذلك.

والاختلاف الثاني: هو ما حُجِمَ فيه إحدى الطائفتين، ودُئِمَ الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾<sup>(٢)</sup> [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) أخرجه من حديث عمرو بن العاص البخاري (٧٣٥٣)، ومسلم (١٧١٦)، وابن ماجه (٢٣١٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٥٨/٨، وأحمد ١٩٨/٤ و ٢٠٤ و ٢٠٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٢٦/١، والخطيب في «تاريخه» ٢٣٥/٤ – ٢٣٦، والبيهقي (٢٥٠٩)، والشافعي في «الرسالة» ص ٤٩٤، وفي «المستد» ١٣٩/٢، وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، والترمذي (١٣٢٦)، والنسائي ٢٢٣/٨ – ٢٢٤، وأحمد ٢٠٤/٤ – ٢٠٥، وأبو داود (٣٥٧٤)، وابن ماجه (٢٣١٤)، وأخرجه ابن عبدالحكم في «فتوح مصر» ص ٢٢٧ – ٢٢٨ من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة.

(٢) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى في «جامع البيان» ٣٨٠/٥ عند تفسير هذه الآية: يعني – تعالى ذكره – بذلك: ولو أراد الله ما اقتل الذين من بعدهم، يعني من بعد الرسل الذين وصفهم بأنه فضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وبعد عيسى ابن مريم، وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه. ويعني بقوله: ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيل، ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتلوا، فاقتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتال والاختلاف وبعد ثبوت الحجة عليهم بوحداية الله ورسالة رسله، ووحى كتابه، فكفر بالله وآياته بعضهم، وآمن بذلك بعضهم، فأخبر تعالى ذكره أنهم أنفوا ما أنفوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ تعمداً منهم للكفر بالله وآياته.

قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴿١﴾ [الحج: ١٩]، الآيات.

وَأَكْثَرُ الاختلافِ الذي يزُولُ إلى الأهواءِ بَيْنَ الأمةِ، من القسمِ الأولِ، وكذلك إلى سَفَكِ الدماءِ، واستباحَةِ الأموالِ والعداوةِ والبغضاءِ، لأنَّ إحدى الطائفتينِ لَا تَعْتَرِفُ لِلْأُخْرَى بما معها مِنَ الْحَقِّ، وَلَا تُنْصِفُهَا، بَلْ تَزِيدُ عَلَى مَا مَعَ نَفْسِهَا مِنَ الْحَقِّ زِيَادَاتٍ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْأُخْرَى كَذَلِكَ. ولذلك جعلَ اللَّهُ مَصْدَرَهُ الْبَغْيِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]. لَأَنَّ الْبَغْيَ مُجَاوِزَةٌ الْحَدِّ، وَذَكَرَ هَذَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

(١) ثبت في البخاري (٤٧٤٣)، ومسلم (٣٠٣٣) من حديث أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي ذر أنه كان يقسم فيها قسماً أن هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر. لفظ البخاري عند تفسيرها، ثم قال البخاري: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أباي قال: حدثنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يمجو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم الأنبياء، فنحن أولى بالله منكم، فألج الله الإسلام على من ناواه، وأنزل: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ وكذا روى العوفي عن ابن عباس. وقال الحسن وعطاء ومجاهد: إنها في جميع المؤمنين والكفار، واختاره ابن جرير، وقال: ولا يخالف المروي عن علي وأبي ذر، لأن الذين تبارزوا ببدر كانوا فريقين مؤمنين وكفار، إلا أن الآية إذا نزلت في سبب من الأسباب لا يمتنع أن تكون عامة في نظير ذلك السبب. انظر «جامع البيان» ٩٩/١٧ - ١٠٠، و«زاد المسير» ٤١٦/٥ - ٤١٧، و«تفسير ابن كثير» ٤٠١/٥ - ٤٠٢، و«فتح الباري» ٤٤٤/٨.

وقريبٌ مِنْ هَذَا البابِ ما خرجاهُ في «الصحيحين»، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»<sup>(١)</sup>.

فأمرهم بالإمساكِ عما لم يُؤْمَرُوا به، معللاً بأن سَبَبَ هلاكِ الأولين إنما كان كثرةُ السؤالِ ثم الاختلافُ على الرسلِ بالمعصية.

ثم الاختلافُ في الكتابِ، من الذين يُقَرَّونَ به — على نوعين: الاختلاف في الكتاب

أحدهما: اختلافٌ في تنزيله.  
والثاني: اختلافٌ في تأويله، وكلاهما فيه إيمانٌ ببعضِ دُونِ بعض.

فالأولُ كاختلافهم في تَكْلُمِ الله بالقرآنِ وتنزيله، فطائفةٌ قالت: هذا الكلامُ حصل بقدرته ومشيئته، لكنه مخلوق في غيره لم يَقُمْ به، وطائفةٌ قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يَتَكَلَّمُ

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم ١٨٣١/٤ (١٣١)، وأحمد ٢٥٨/٢، وهو من طرق أخرى عن أبي هريرة في «المسند» ٢٤٧/٢ و ٣١٣ و ٤٢٨ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٦٧ و ٤٨٢ و ٤٩٥ و ٥٠٨ و ٥١٧، والترمذي (٢٦٧٩)، والنسائي ١١٠/٥ - ١١١، والبيهقي (٩٨) و (٩٩)، وابن ماجه (٢)، ومسلم (١٣٣٧)، والطبراني (١٢٨٠٥)، والدارقطني ٢٨١/٢، والبيهقي ٣٢٥/٤ - ٣٢٦. وذكر مسلم سبب هذا الحديث من رواية محمد بن زياد، فقال: عن أبي هريرة، خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحُجُّوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لوقلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذُرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ...» وأخرجه الدارقطني ٢٨٢/٢ مختصراً، وزاد فيه: فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم».

بمشيئته وقدرته. وكلٌّ من الطائفتين جَمَعَتْ في كلامها بين حقٍّ وباطل، فأمنت<sup>(١)</sup> ببعض الحقِّ، وكذَّبَتْ بما تقولُه الأخرى من الحقِّ، وقد تقدمت الإشارةُ إلى ذلك.

وأما الاختلافُ في تأويله، الذي يَتَضَمَّنُ الإيمانَ ببعضه دُونَ بعضٍ، فكثير، كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصِمُونَ في القدر، هذا يَنْزِعُ بآية وهذا يَنْزِعُ بآية، فكانما فُقِيَءٌ في وجهه حُبُّ الرُّمَانِ، فقال: «أَبْهَذَا أُبْرِئْتُمْ؟ أَمْ بِهَذَا وَكَلْتُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِعُضَّةٍ يَبْغُضُ؟ انْظُرُوا مَا أُبْرِئْتُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، وَمَا نُهَيْتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «يَا قَوْمُ بِهَذَا ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَضُرْبِهِمُ الْكِتَابَ بِعُضَّةٍ يَبْغُضُ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزَلْ لِتَضْرِبُوا بِعُضَّةٍ يَبْغُضُ، وَلَكِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا تَشَابَهَ، فَأَمِنُوا بِهِ».

وفي رواية: «فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا، وَإِنَّ الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُفْرًا». وهو حديثٌ مشهور، مُخَرَّجٌ في «المساند»<sup>(٣)</sup> و«السنن».

وقد روى أصل الحديث مسلمٌ في «صحيحه»، من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو<sup>(٤)</sup> قال: هَجُرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يوماً، فسمِعَ أصواتَ رجلين اختلفا في آية، فَخَرَجَ عَلَيْنَا ٣٢٨

(١) تحرفت في (ب) إلى: «وقامت».

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٣٠.

(٣) في (ب): المسانيد.

(٤) تحرف في الأصول إلى: «عمر».

رسول الله ﷺ يُعَرِّفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>.

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله، مؤمنون ببعضه دون بعض، يُقَرِّونَ بما يُوافِقُ رَأْيَهُمْ من الآيات، وما يُخَالِفُهُ، إما أن يتأولوه تأويلاً يُحَرِّفُونَ فِيهِ الْكَلِمَ عن مواضعه، وإما أن يَقُولُوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدون ما أنزله الله من معانيه، وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾<sup>(٢)</sup> [الجمعة: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً﴾<sup>(٣)</sup> [البقرة: ٧٨]، أي: إلا تلاوة من

(١) تقدم تخريجه ص ٢٣٠.

(٢) شبه الله سبحانه من حمله كتابه ليؤمن به، ويتدبره، ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف كل ذلك، واقتصر على حفظه واستظهاره بالحمار الذي يحمل على ظهره زاملة أسفار لا يعقل ما فيها، ولا ينتفع بها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أن هذا المثل، وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن، فترك العمل به، ولم يؤده حقه، ولم يرعه حق رعايته. انظر «زاد المسير» ٢٦٠/٨، و«روح المعاني» ٩٥/٢٨، و«جامع البيان» ٦٣/٢٨.

(٣) في معنى الكلام ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الأكاذيب، قال ابن عباس: «إلا أمانِي» يريد: إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً. وهذا قول مجاهد، واختيار الفراء أن بعض العرب قال لابن داب وهو يحدث (وكان يضع الشعر وأحاديث السمن): أهذا شيء رويته أم شيء تمنيته؟ يريد: افتعلته.

والثاني: أن الأمانِي: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتل عليهم. وهذا قول الكسائي والزجاج.  
والثالث: أنها أمانِيهم على الله. قاله قتادة.

غَيْرِ فِهْمٍ مَعْنَاهُ. وَلَيْسَ هَذَا كَالْمُؤْمِنِ الَّذِي فَهِمَ مَا فَهِمَ مِنَ الْقُرْآنِ فَعَمِلَ بِهِ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ بَعْضُهُ، فَوَكَّلَ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ، كَمَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»<sup>(١)</sup>، فَامْتَثِلْ أَمْرَ نَبِيِّهِ ﷺ.

قَوْلُهُ: «وَدِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آل عمران: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَى: «وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣]. وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ.

الإسلام هو دين الله وهو واحد في الأرض والسماء ش: ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينَنَا وَاحِدٌ»<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: «وَمَنْ يَتَّبِعْ

= ورجح الطبري الأول، فقال: وأولى ما رويناه في تأويل قوله: «إلا أمانى» بالحق، وأشبهه بالصواب الذي قاله ابن عباس الذي رواه عنه الضحاك، وقول مجاهد: إن الأمين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيئاً، ولكنهم يتخرصون الكذب، ويقولون الأباطيل كذباً وزوراً. انظر «جامع البيان» ٢/٢٦٢، و«زاد المسير» ١/١٠٥ - ١٠٦، و«معاني القرآن» ١/٤٩ - ٥٠ للفراء، و«معاني القرآن» ١/١٣٢ للزجاج.

(١) قطعة من الحديث السابق، وهو رواية لأحد ١٨١/٢.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ١٩/١٠٦ - ١١٦ و ١٨٠ - ١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥) بلفظ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وأخرجه أحمد ٢/٤٠٦ و ٤٣٧ بلفظ: «الأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ دينهم واحد، وأمهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كان رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل...». وهو في «المسند» ٢/٣١٩، و«شرح السنة» (٣٦١٩).

غَيَّرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿[آل عمران: ٨٥] عَامٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَلَكِنَّ الشَّرَائِعَ تَتَوَعَّدُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فَدِينُ الْإِسْلَامِ: هُوَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَأَصُولُ هَذَا الدِّينِ وَفُرُوعُهُ مَرُوثَةٌ عَنِ الرُّسُلِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ غَايَةٌ الظُّهُورِ، يُمَكِّنُ كُلَّ مَمِيزٍ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَفَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ، وَذَكِيٍّ وَبَلِيدٍ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ بِأَقْصَرِ زَمَانٍ، وَإِنَّهُ يَقَعُ الْخُرُوجُ مِنْهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ إِنْكَارِ كَلِمَةٍ، أَوْ تَكْذِيبِ، أَوْ مَعَارِضَةٍ، أَوْ كَذِبٍ عَلَى اللَّهِ، أَوْ أَرْتِيَابٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ، أَوْ رَدٍّ لِمَا أُنْزِلَ، أَوْ شَكٍّ فِيْمَا نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الشُّكَّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ.

فَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى ظُهُورِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَسَهُولَةِ تَعَلُّمِهِ، سَهُولَةِ تَعَلُّمِ الْإِسْلَامِ وَأَنَّهُ يَتَعَلَّمُهُ الْوَاقِدُ، ثُمَّ يُؤَلِّي فِي وَقْتِهِ. وَاخْتِلَافُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ بِحَسَبِ مَنْ يَتَعَلَّمُ، فَإِنْ كَانَ بَعِيدَ الْوَطَنِ، كَضِمَّامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ<sup>(١)</sup> وَالنَّجْدِيِّ<sup>(٢)</sup>، وَوَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ<sup>(٣)</sup>، عَلَّمَهُمْ مَا لَا يَسْعُهُمْ جَهْلُهُ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ دِينَهُ سَيَتَشَرُّ فِي الْأَفَاقِ، وَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ مِنْ يُفْقَهُهُمْ فِي سَائِرِ ٣٢٩

(١) السَّعْدِيُّ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، أَرْسَلَهُ قَوْمُهُ وَاقِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ ثَمَانٍ، كَمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَغَيْرُهُمَا. وَانْظُرْ خَبْرَهُ فِي ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٣/٢ - ٥٧٥، وَابْنِ سَعْدٍ ٢٩٩/١، وَاحِدٌ (٢٣٨٢)، وَالْحَاكِمُ ٥٤/٣، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٨٧)، وَابْنُ الْبَخَارِيِّ (٦٣)، وَمُسْلِمٌ (١٢).

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ (٤٦) وَ(١٨٩١) وَ(٢٦٧٨) وَ(٦٩٥٦)، وَمُسْلِمٌ (١١) وَمَالِكٌ ١٧٥/١: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَحْدِ نَائِرِ الرَّاسِ...

(٣) خَبَرُ قَدُومِهِمْ فِي «الصَّحِيحِينَ»: الْبَخَارِيُّ (٥٣)، وَمُسْلِمٌ (١٧)، وَأَوْرَدَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «زَادِ الْمَعَادِ» ٦٠٥/٣ - ٦٠٩، وَذَكَرَ مَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ.

ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن، يُمكنه الإتيان كُل وقت، بحيث يتعلَّم على التدريج، أو كان قد علم فيه أنه قد عَرَفَ ما لا بُدَّ منه، أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدلُّ قرينته حال السائل، كقوله: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ»<sup>(١)</sup>.

وأما مَنْ شرع ديناً لم يأذن به الله، فمَعْلُومٌ أن أَصُولَه المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق.

وقوله: «بين الغلو والتقصير» قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ \* وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرِّ؟ فقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُ أَحَدُهُمْ كَذًا وَكَذَا؟! لَكِنِّي<sup>(٢)</sup> أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنَامُ وَأَقُومُ، وَأَكُلُ اللَّحْمَ،

(١) أخرجه أحمد ٤١٣/٣ و ٣٨٥/٤، ومسلم (٣٨)، والترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، والطبراني (١٢٣١)، والدارمي ٢ / ٢٩٨، والبيهقي (١٦)، والطبراني (٦٣٩٦) و (٦٣٩٧) و (٦٣٩٨)، وابن حبان (٢٥٤٣)، والخطيب ٣٧٠/٢ و ٣٣٤/٩ و ٤٥٤ و ٧٨/١١. وابن أبي عاصم (٢١).

(٢) في (ب): ولكني.



وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(١)</sup>.

وفي غير «الصحيحين»: «سألوا عن عبادته في السر، فكانهم تقالوها»<sup>(٢)</sup>.

وذكر في سبب نزول الآية الكريمة: عن ابن جريج، عن عكرمة أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنهم في أصحابه - تَبَتَّلُوا، فَجَلَسُوا فِي الْبُيُوتِ، وَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ، وَلَبَسُوا الْمُسُوحَ، وَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، إِلَّا مَا يَأْكُلُ وَيَلْبَسُ أَهْلُ السِّيَاحَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهَمُّوا بِالِاخْتِصَاءِ، وَاجْتَمَعُوا لِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَصِيَامِ النَّهَارِ، فَتَزَلَّتْ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» [المائدة: ٨٧].

يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يُريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما هموا

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك بهذا اللفظ مسلم (١٤٠١)، وأحمد ٢٤١/٣ و ٢٥٩ و ٢٨٥، والنسائي ٦٠/٦، وابن سعد ٣٧١/١ - ٣٧٢، والبيهقي ٧٧/٧، وهو في البخاري (٥٠٦٣)، والبخاري (٩٦) بنحوه. وأخرج البخاري (٦٦٠١) و (٧٣٠١)، ومسلم (٢٣٥٦)، وأحمد ٤٥/٦، والنسائي في «اليوم والليلة» كما في «التحفة»، ٣٢٠/١٢، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٦)، والبخاري (١٠٠) من حديث عائشة قالت: صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكانهم كرهوه وتزهدوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيباً، فقال: «ما بال أقوام بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتزهدوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدّهم له خشية».

(٢) أخرجه البيهقي ٧٧/٧ بلفظ: «يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها»، ولفظ أحمد ٢٥٩/٣: «سألوا عن عبادته في السر، والبخاري (٥٠٦٣) بلفظ: «فلما أخبروا كأنهم تقالوها»، وتقدم لفظ مسلم: «سألوا عن عمله في السر».

٣٣٠ به من الاختصاص، فنزلت فيهم، فبعث النبي ﷺ إليهم، فقال: «إِنَّ لَأَنْفُسِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَإِنَّ لَأَعْيُنِكُمْ حَقًّا، صُومُوا وَأَفْطِرُوا، وَصَلُّوا وَنَامُوا، فَلَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ سُتْنَانَا»، فقالوا: اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا وَاتَّبِعْنَا مَا أَنْزَلْتَ<sup>(١)</sup>.

وقوله: «وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ» تقدّم أن الله سبحانه وتعالى يُجِبُّ<sup>(٢)</sup> أن يُوصَفَ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تشبيه، فلا يُقال: سَمِعَ كسَمِعِنَا، ولا بَصَرَ كبَصَرِنَا، ونحوه، ومن غير تعطيل، فلا يُنفَى عنه ما وَصَفَ به نفسه، أو وصفه به أَعَرَفُ الناس به: رَسُوْلُهُ ﷺ، فإن ذلك تَعْطِيلٌ، وقد تقدّم الكلام في هذا المعنى.

ونظيرُ هذا القول قوله فيما تقدّم: «ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زُلَّ ولم يُصِبِ التزيه». وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]. فقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» رد على المشبهة، وقوله: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» رد على الْمُعْطَلَّة.

وقوله: «وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ» تقدّم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأن العبدَ غَيْرُ مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأنها [لَيْسَتْ] بمنزلة حركات المرتعش، وَحَرَكَاتِ الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعبد، بل هي فِعْلُ العبد وكسبه، وخلق الله تعالى.

وقوله: «وَبَيْنَ الْأَمَنِ وَالْإِيَّاسِ» تقدّم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وهو بين الأمن واليأس

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» برقم (١٢٣٤٨) من طريق القاسم عن الحسين، عن حجاج، عن ابن جريج عن عكرمة، قال ابن كثير بعد أن أورده عن ابن جرير: وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسلة، ولها شاهد في «الصحيحين» من حديث عائشة يريد الحديث الذي ذكره المؤلف قبل هذا. وانظر «الدر المنثور» ٣٠٧/٢ - ٣٠٨. (٢) في (أ): يجب.

وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عَذَابِ رَبِّهِ، راجياً رحمته، وإن الخَوْفَ والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

قوله: «فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَنَحْنُ بُرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيُخَيِّمَ لَنَا بِهِ، وَيَعِصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَرَءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبَّهَةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا الْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضَلَالٌ وَأَرْدِيَاءٌ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ».

ش: الإشارة بقوله: «فَهَذَا» إلى كُلِّ ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا. البراءة من الفرق الضالة  
والمشبهة: هم الذين شَبَّهُوا الله سبحانه وتعالى بالخلق في صِفَاتِهِ، وَقَوْلُهُمْ عَكْسُ قولِ النصارى، فَإِنَّ النصارى شَبَّهُوا المخلوق - وهو عيسى عليه السلام - بالخالقِ تعالى، وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شَبَّهُوا ٣٣١ الخالقَ بالمخلوق، كداود الجواربي وأشباهه.

والمعتزلة: هم عمرو بن عُثَيْدٍ، وواصل بن عطاء الغَزَال<sup>(١)</sup> وأصحابُهما، سُمُّوا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت<sup>(٢)</sup> الحسن

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي، مولاهم البصري الغَزَال، رأس المعتزلة، كان بليغاً، مفوهاً، صموتاً، توفي سنة (٣٣١). مترجم في «السير» ٥/ رقم الترجمة (٢١٠).  
(٢) جاء في حاشية (أ) و (ب) مانصه: صوابه: اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله، لأنهم اعتزلوا بعد موته؛ كما في الكتاب. وانظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص ١١٧ - ١١٨، و«الملل والنحل» للشهرستاني ١/ ٦٤، و«التبصير في الدين» =

البصري رحمه الله تعالى، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيَقُولُ قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصولَ مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمنَ هارون الرشيد، صَنَّفَ لهم أبو الهذيل كتابين، وبَيَّنَ مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سَمَّوْهَا: العَدْلُ، والتَّوْحِيدُ، وإِنْفَادُ الوَعْدِ، والمُتَزَلَّةُ بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولَبَّسُوا فيها الحَقَّ بالباطل، إذْ شَأْنُ البِدْعِ هذا، اشتمالها على حَقٍّ وباطل.

أصول المعتزلة الخمسة

وهم مشبَّهَةُ الأفعال، لأنهم قاسُوا أفعالَ الله تعالى على أفعالِ عباده، وجعلُوا ما يَحْسُنُ مِنَ العبادِ يَحْسُنُ منه، وما يَقْبُحُ مِنَ العبادِ يَقْبُحُ منه! وقالُوا: يجب عليه أن يَفْعَلَ كذا، ولا يجوز له أن يَفْعَلَ كذا، بمقتضى ذلك القياسِ الفاسد!! فإنَّ السيدَ من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يَمْنَعُهُمْ من ذلك، لَعُدَّ إما مستحسناً للقبیح، وإما عاجزاً، فكيف يَصِحُّ قِيَّاسُ أفعاله سبحانه وتعالى على أفعالِ عباده؟! والكلامُ على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

فأما العَدْلُ: فستروا تحتَه نَفْيَ القَدَرِ، وقالُوا: إن الله لا يَخْلُقُ الشرَّ، ولا يقضي به، إذ لو خلقه، ثم يَعْذِبُهُمْ عليه يكون ذلك جوراً!! والله تعالى عَادِلٌ لا يَجُورُ، ويلزمهم على هذا الأصلِ الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يُرِيدُهُ، فيُريدُ الشيءَ ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك.

= للإسفرابي ص ٤٠ - ٤١، و«مفتاح السعادة» ٣٢/٢ لطاش كيري زاده، و«وفيات الأعيان» ٨٥/٤، و«الرد على أهل الأهواء والبدع» ص ٤٠ - ٤١ لأبي الحسن الطرأفي الملقب بالشافعي المتوفى سنة ٣٣٧.

وأما التَّوْحِيدُ، فستروا نَحْتَهُ الْقَوْلَ بخلق القرآن، إذ لو كان غَيْرَ مخلوقٍ، لزم تعدُّد القدماء!! ويلزمهم على هذا القولِ الْفَاسِدُ أن عِلْمَهُ وَقُدْرَتُهُ وسائر صفاته مخلوقة، أو التناقض!

وأما الْوَعِيدُ: فقالوا: إذا أَوْعَدَ بَعْضُ عبيده وعيداً، فلا<sup>(١)</sup> يجوزُ أن لا يُعَذِّبَهُمْ وَيُخْلِفَ وَعِيدَهُ، لأنه لا يُخْلِفُ الميعاد، فلا يعفو عمن يَشَاءُ، ولا يَغْفِرُ لمن يُريدُ عندهم!!

وأما المنزلَةُ بَيْنَ المنزلتين: فعندهم أن مَنْ ارتكب كَبِيرَةً يَخْرُجُ من الإيمانِ، ولا يَدْخُلُ في الكفر!!

وأما الْأَمْرُ بالمعروف، وهو أَنَّهُم قالوا: علينا أن نَأْمُرَ غَيْرَنَا بما أَمَرْنَا به، وأن نُلْزِمَهُ بما يلزمنا، وذلك هُوَ الْأَمْرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يَجُوزُ الخروجُ على الأئمةِ بِالْقِتَالِ إذا جَارُوا!! وقد تقدم جوابُ هذه الشُّبُهَةِ الخمسِ في مواضعها.

٣٣٢

وعندهم أن التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ من الْأُصُولِ العقلية التي لا يُعْلَمُ صِحَّةُ السَّمْعِ إِلَّا بَعْدَهَا، وإذا استدلوا على ذلك بأدلةٍ سمعيةٍ، إنما يذكرونها للاعتضادِ بها، لا للاعتمادِ عليها، فهم يقولون: لا تَثْبُتُ هذه بالسَّمْعِ، بل الْعِلْمُ بها مُتَقَدِّمٌ على العلم بصحة النقل! فمنهم من لا يَذْكُرُهَا في الْأُصُولِ، إذ لا فَايِدَةَ فيها عندهم، ومنهم مَنْ يَذْكُرُهَا لِيُبَيِّنَ موافقة السَّمْعِ للعقل، وإيناس الناس بها، لا للاعتماد عليها! وَالْقُرْآنُ والحديثُ فيه عندهم بمنزلة الشهودِ الزائدين على النصاب! والمدد اللَّاحِقُ بعسكر مستغن عنهم! وبمنزلة من يَتَّبِعُ هواه، واتفق أن الشرعَ

(١) في الأصول: لا.

ما يهواه!! كما قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويُخَالِفُهُ إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تُثَابُ على ما وافقته من الحق، وتُعَاقِبُ على ما تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في المَوَاضِعَيْنِ. وكما أن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فلا اعتقاد القوي يتبع أيضاً علم ذلك وتصديقه، فإن كان ذلك تابعاً للإيمان، كان من الإيمان، كما أن العمل الصالح إذا كان عن نيّة صالحة، كان صالحاً، وإلا فلا؛ فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان، كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح. وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

الجهمية وأصل  
مذهبهم

والجهمية: هم المنتسبون إلى جَهم بن صفوان الترمذي وهو الذي أظهر نفى الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعدي بن درهم، الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مّضحّ بالجعدي<sup>(١)</sup> بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعدي علواً كبيراً! ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح<sup>(٢)</sup> رحمهم الله تعالى.

وكان جَهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس،

(١) في (أ) و (ب) و (ج): على الجعد.

(٢) في هامش (أ) و (ب): وكانوا من كبار التابعين. وقد تقدم ذكر هذه الحادثة، والتعليق عليها ص ٣٩٥ ت (٣).

بَعْدَ أَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً شَكّاً فِي رَبِّهِ! وَكَانَ ذَلِكَ لِمَنَاظَرَتِهِ قَوْماً  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لَهُمُ السُّمْنِيَّةُ<sup>(١)</sup>، مِنْ فَلَاسِفَةِ الْهِنْدِ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ  
مِنَ الْعِلْمِ مَا سِوَى الْجِسِّيَّاتِ، قَالُوا لَهُ: هَذَا رَبُّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ، هَلْ يُرَى  
أَوْ يُشَمُّ أَوْ يُدَاقُ أَوْ يُلَمَسُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالُوا: هُوَ مَعْدُومٌ!! فَبَقِيَ أَرْبَعِينَ  
يَوْماً لَا يَعْبُدُ شَيْئاً، ثُمَّ لَمَّا خَلَا قَلْبُهُ مِنْ مَعْبُودِ يَالِهَةٍ، نَقَشَ الشَّيْطَانُ ۳۳۳  
اعْتِقَاداً نَحْتَهُ فِكْرُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ!! وَنَفَى جَمِيعَ الصِّفَاتِ،  
وَاتَّصَلَ بِالْجَعْدِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ قِيلَ: إِنْ الْجَعْدُ<sup>(٣)</sup> كَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِالصَّابِئَةِ الْفَلَاسِفَةِ مِنْ أَهْلِ  
حَرَآنَ، وَأَنَّهُ أَيْضاً أَخَذَ شَيْئاً عَنْ بَعْضِ الْيَهُودِ الْمُحَرِّفِينَ لِدِينِهِمْ،  
الْمُتَّصِلِينَ بِلَبِيدِ بْنِ الْأَعَصِمِ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُتِلَ جَهَنَّمُ  
بِخَرَّاسَانَ، قَتَلَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ<sup>(٤)</sup>، وَلَكِنْ كَانَتْ قَدْ فَشَتْ مَقَالَتُهُ فِي  
النَّاسِ، وَتَقَلَّدَهَا بَعْدَهُ الْمُعْتَزَلَةُ. وَلَكِنْ كَانَ الْجَهَنَّمُ أَدْخَلَ فِي التَّعْطِيلِ  
مِنْهُمْ، لِأَنَّهُ يُنْكِرُ الْأَسْمَاءَ حَقِيقَةً، وَهَمْ لَا يُنْكِرُونَ الْأَسْمَاءَ بَلِ الصِّفَاتِ.

وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي الْجَهْمِيَّةِ: هَلْ هُمْ مِنَ الثَّانِيَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً  
أَمْ لَا؟ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلَانِ: وَمِمَّنْ قَالَ إِنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الثَّانِيَيْنِ وَسَبْعِينَ  
فِرْقَةً عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ<sup>(٥)</sup>.

(١) بضم السين المهملة، وفتح الميم: قوم في الهند دھريون، يمجّدون الإله.

(٢) في (ب): بجعد.

(٣) في (ب): جعداً.

(٤) في هامش (أ) و(ب): وكان ذلك في زمن صغار التابعين. وقد أَرخ الطبري قتله

سنة ١٢٨هـ.

(٥) الزاهد، من سادات المشايخ، له مواعظ وجمكم. مترجم في السير ٩/ (٥٠).

ولإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد ابن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إماراة المأمون قُوروا وكُثُرُوا، فإنه كان قد أقام بخُرَاسَانَ مدةً، واجتمع بهم ثم كَتَبَ بالمحنة مِن طَرَسُوسَ سَنَةَ ثمان عشرة ومائتين وفيها مات، ورَدُّوا الإمامَ أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سَنَةِ عشرين، وفيها كانت مِحْنَتُهُ مع المعتصم ومناظرته لَهُم بالكلام، فلما رَدَّ عليهم ما احتجُّوا به عليه، ويَبَيَّن أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُم فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَأَن طَلَبَهُم مِنَ النَّاسِ أَن يُوَفِّقُوهُمْ وامتحانهم إِيَّاهُمْ، جَهْلٌ وَظُلْمٌ، وَأَرَادَ الْمُعْتَصِمُ إِطْلَاقَهُ، أَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ أَشَارِ بَأَن الْمَصْلَحَةَ ضَرَبَهُ، لِثَلَا تَنْكِيْسُرُ حُرْمَةُ الْخِلَافَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ! فلما ضربوه، قامت الشَّاعَةُ فِي الْعَامَةِ، وَخَافُوا فَأَطْلَقُوهُ، وَقِصَّتُهُ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ<sup>(١)</sup>.

ومما انفرد به جهنم: أَن الْجَنَّةَ وَالنَّارَ تَفْنِيَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ فَقَطْ، وَالْكَفْرُ هُوَ الْجَهْلُ فَقَطْ، وَأَنَّهُ لَا فِعْلَ لِأَحَدٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ أَفْعَالُهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، كَمَا يُقَالُ: تَحَرَّكَ الشَّجَرَةُ، وَدَارَ الْفَلَكَ، وَزَالَتِ الشَّمْسُ! وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

عَجِبْتُ لِشَيْطَانٍ دَعَا النَّاسَ جَهْرَةً إِلَى النَّارِ وَاشْتَقَّ اسْمُهُ مِنْ جَهَنَّمَ

وقد نُقِلَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، سَثَلَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ؟ فَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ، هُوَ فَتَحَ عَلَى النَّاسِ الْكَلَامَ فِي هَذَا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» ٢٣٢/١١.

(٢) انظر آراء جهنم الكلامية في «مقالات الإسلاميين» ص ٢٧٩ — ٢٨٠ وص ١٣٢ و ١٤١ و ١٥٢ و ٤٧٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٤ و ٤٧٤ و ٥٤٢ و ١٨١ و ٥١٨ و ٢١٢ و ٤٩٤ و ٦٣٦ و ٥٨٩.



والجبرية: أصل قولهم من الجهم<sup>(١)</sup> بن صفوان، كما تقدّم، وأن الجبرية أصل قولهم  
فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نُسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سُميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مُرجأ لأمر الله إما يُعَذِّبُهُمْ وإما يَتُوبُ عَلَيْهِمْ. وقد ٣٣٤  
تُسمى الجبرية «قدرية» لأنهم غلّوا في إثبات القدر، كما يُسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلّون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزم بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمُعَيَّن. وكانت المرجئة الأولى يُرجّثون عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!

وقد ورد في ذم القدرية أحاديث في «السنن»: منها ما روى أبو داود في «سننه»، من حديث عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مَرَضُوا فَلَا تَعُودُواهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>. ورؤي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في «الصحيح» وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرهما. ولكن مشابهتهم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين، والقدرية اعتقدوا خالقين!!

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة، كما ذكر

(١) في (ب): جهم.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٥٦.

البخاري في «صحيحه»، عن سعيد بن المسيب<sup>(١)</sup>، قال: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان<sup>(٢)</sup>، فلم تُبقِ مِنْ أصحاب بدرٍ أحداً، ثم وقعت الفتنة [يعني الحرة]<sup>(٣)</sup> فلم تُبقِ من أصحاب الحُدَيْيَةِ أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع<sup>(٤)</sup> وللناس طَبَاخٌ<sup>(٥)</sup>، أي: عقل وقوة.

(١) هو الإمام العلم أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه المتوفى سنة ٩٤ هـ. له ترجمة حافلة في «السير» ٤ / رقم الترجمة (٨٨).

(٢) في هامش (أ) و (ب): وكان مقتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين زيادة من البخاري، وفي هامش (أ) و (ب) تعليقا على قوله: «والمرجعة» في الفتنة الثانية ما نصه: وهي الحرة، وكانت سنة ثلاث وستين.

(٤) في هامش (أ) و (ب): قالوا: صوابه: ولو قد وقعت الفتنة الثالثة لم ترتفع إلى آخره. وقد علق الحافظ في «الفتح» على قوله: «ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع» فقال: كذا في الأصول، ووقع في رواية أبي خيثمة: «ولو قد وقعت الثالثة» ورجحها الدماطي بناء على أن يحيى بن سعيد قال ذلك قبل أن تقع الثالثة، ولم يفسر الثالثة كما فسر غيرها، وزعم الداودي أن المراد بها فتنة الأزارقة، وفيه نظر، لأن الذي يظهر أن يحيى بن سعيد أراد بالفتنة التي وقعت بالمدينة دون غيرها، وقد وقعت فتنة الأزارقة عقب موت يزيد بن معاوية، واستمرت أكثر من عشرين سنة. وذكر ابن التين أن مالكاً روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: «لم تُترك الصلاة في مسجد النبي ﷺ إلا يوم قتل عثمان ويوم الحرة» قال مالك: ونسيت الثالثة. قال ابن عبدالحكم: هو يوم خروج أبي حمزة الخارجي. قلت: كان ذلك في خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة ثلاثين ومئة، وكان ذلك قبل موت يحيى بن سعيد بمدة. ثم وجدت ما أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» بإسناد صحيح إليه عن يحيى بن سعيد نحو هذا الأثر، وقال في آخره: «وإن وقعت الثالثة لم ترتفع وبالناس طباخ». وأخرجه ابن أبي خيثمة بلفظ: «ولو وقعت» وهذا بخلاف الجزم بالثالثة في حديث الباب. ويمكن الجمع بأن يكون يحيى بن سعيد، قال هذا أولاً ثم وقعت الفتنة الثالثة المذكورة، وهو حي، فقال ما نقله عنه الليث بن سعد.

(٥) أورده البخاري بإثر حديث (٤٠٢٤)، فقال: وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب... قال الحافظ: لم يقع لي هذا الأثر من طريق الليث، وصله أبو نعيم في «المستخرج» من طريق أحمد بن حنبل، عن يحيى بن سعيد القطان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري نحوه.

فَالْخَوَارِجُ<sup>(١)</sup> وَالشَّيْعَةُ حَدَّثُوا فِي الْفِتْنَةِ الْأُولَى، وَالْقَدْرِيَّةُ وَالْمَرْجِئَةُ فِي الْفِتْنَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ وَنَحْوَهُمْ بَعْدَ الْفِتْنَةِ الثَّلَاثَةِ، فَصَارَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً يُقَابِلُونَ الْبِدْعَةَ بِالْبِدْعَةِ، أَوْلَئِكَ غَلَوْا فِي عَلَيٍّ، وَأَوْلَئِكَ كَفَرُوا! وَأَوْلَئِكَ غَلَوْا فِي الْوَعِيدِ، حَتَّى خَلَدُوا بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْلَئِكَ غَلَوْا فِي الْوَعْدِ، حَتَّى نَفَوْا بَعْضَ الْوَعِيدِ أَغْنَى الْمَرْجِئَةُ! وَأَوْلَئِكَ غَلَوْا فِي التَّنْزِيهِ حَتَّى نَفَوْا الصُّفَاتِ، وَهَؤُلَاءِ غَلَوْا فِي الْإِثْبَاتِ، حَتَّى وَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ! وَصَارُوا يَتَدَعُونَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْمَسَائِلِ مَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ، وَيُعْرِضُونَ عَنِ الْأَمْرِ الْمَشْرُوعِ، وَفِيهِمْ مَنْ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالصَّابِئِينَ، فَإِنَّهُمْ قَرَأُوا كِتَابَهُمْ، فَصَارَ عِنْدَهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ مَا أَدْخَلُوهُ فِي مَسَائِلِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ، وَغَيَّرُوهُ فِي اللَّفْظِ تَارَةً، وَفِي الْمَعْنَى أُخْرَى، فَلَبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَكَتَمُوا حَقّاً جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَتَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا، وَتَكَلَّمُوا حَيْثُ شَاءَ فِي الْجِسْمِ ٣٣٥ وَالْعَرَضِ وَالتَّجْسِيمِ، نَفياً وَإِثْبَاتاً.

وَسَبَبُ ضَلَالِ هَذِهِ الْفِرَقِ وَأَمْسَالِهِمْ، عُذُولُهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَوُحِدَ لَفْظُ: «صِرَاطُهُ» وَ«سَبِيلُهُ»، وَجُمِعَ: «السُّبُلُ» الْمَخَالَفَةُ لَهُ.  
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَطُّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطّاً،

(١) فِي (ب): وَالْخَوَارِجُ.

وقال: «هذا<sup>(١)</sup> سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خطوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾» [الأنعام: ١٥٣] <sup>(٢)</sup>.

ومن ها هنا يُعلم أن اضطرارَّ العَبْدِ إلى سؤال هداية الصِّرَاطِ المستقيم فوق كُلِّ ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصَّلَاةِ قراءةً أُمُّ القرآن في كُلِّ ركعة، إما فرضاً أو إيجاباً، على حَسَبِ اختلافِ العلماء في ذلك، لاحتياجِ العَبْدِ إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرفِ المطالبِ وأجلِّها. فقد أمرنا الله تعالى أن نَقُولَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. وقد ثبت عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «اليهودُ مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالُّون» <sup>(٣)</sup>.

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتَسْبُحُنَّ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟!» <sup>(٤)</sup>.

(١) في (ب): هذه.

(٢) أخرجه الدارمي ٦٧/١، وأحمد ٤٣٥/١ و ٤٦٥، والطبري (١٤١٦٨) وسنده حسن، وصححه الحاكم ٣١٨/٢، وأقره الذهبي.

(٣) قطعة من حديث مطول أخرجه الترمذي (٢٩٥٤) و (٢٩٥٥)، وأحمد ٣٧٨/٤، والطيالسي (١٠٤٠) من حديث عدي بن حاتم وسنده حسن، وصححه ابن حبان (١٧١٥) و (٢٢٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) و (٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، وأحمد ٨٤/٣ و ٨٩ و ٩٤، والطيالسي (٢١٧٨)، وابن أبي عاصم (٧٤)، والبغوي (٤١٩٦) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى =

قال طائفةٌ مِنَ السَّلَفِ: من انحرف مِنَ العُلَمَاءِ، ففيه شَبَهٌ مِنَ اليهود، ومن انحرف مِنَ العُبَادِ، ففيه شَبَهٌ مِنَ النصارى. فلِهَذَا تَجِدُ أَكْثَرَ المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم فيه شَبَهٌ مِنَ اليهود، حتى إن علماء اليهود يقرؤون كُتُبَ شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا شيوخُ المعتزلة يميلون إلى اليهود، وَيُرَجِّحُونَهُمْ عَلَى النصارى، وَأَكْثَرَ المنحرفين مِنَ العُبَادِ، مِنَ المتصوفة ونحوهم فيهم شَبَهٌ مِنَ النصارى، ولِهَذَا يميلون إلى نوعٍ مِنَ الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك. وشيوخُ هؤلاء يذمون الكَلَامَ وأهلَهُ، وشيوخ أولئك يعيرون طريقة هؤلاء، وَيُصَنِّفُونِ فِي ذَمِّ السَّمَاعِ وَالْوَجْدِ وكثير من الزُّهْدِ والعبادة التي أحدثها هؤلاء<sup>(١)</sup>.

وَلِيفْرَقِ الضَّلَالُ فِي الْوَحْيِ طَرِيقَتَانِ<sup>(٢)</sup>: طَرِيقَةُ التَّجْدِيلِ، وطريقة لفرق الضلال التجهيل، أما أهل التبديل، فهم نوعان: أهل الوهم والتخيل، وأهل التحريف والتأويل.

فأهل<sup>(٣)</sup> الوهم والتخيل: هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن ٣٣٦

---

= لودخلوا جحر ضب تبعثوهم... وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٤)، وأحمد ٣٢٧/٢ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧، وابن أبي عاصم (٧٢)، والحاكم ٣٧/١، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة بلفظ: «لتبعن سنن من كان قبلكم باعاً ببيع وذراعاً بذراع، وشبراً بشبر حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتم فيه...» وأخرجه البخاري (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع...» وأخرجه أحمد ١٢٥/٤ من حديث شداد بن أوس بلفظ: «ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلقوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة».

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٣٢/٢.

(٢) في الأصول: طريقان.

(٣) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ٨/١ - ٩.

اللّه واليوم الآخر والجنة والنار بأمورٍ غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبواهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تُعَاد، وأن لهم نعيماً محسوساً، وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذباً، فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

وأما أهل التحريف والتأويل<sup>(١)</sup>: فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال<sup>(٢)</sup> ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يُراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حَقِيقَةُ قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالّون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصّف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبريل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾ [ص: ٧٥]

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ١/ ١٢ - ٢٠.

(٢) في (أ): «إلا ما» بزيادة إلا، ولم ترد في (ب) وقد اختلفت أصول تعارض العقل والنقل بعضها اثبتها، وبعضها الآخر حذفها، ويغلب على الظن أن حذفها أولى.

وهو لا يَعْرِفُ معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دَلَّتْ عليه لا يَعْرِفُهُ إِلَّا  
اللَّهُ تعالى!! ويظنون أن هذه طريقة السلف!!

ثم منهم مَنْ يَقُولُ: إن المرادَ بها خلافُ مدلولها الظاهر المفهوم،  
ولا يعرفه أحدًا كما لا يَعْلَمُ وَقْتُ الساعة. ومنهم مَنْ يَقُولُ: بل تُجْرَى  
على ظاهرها وتُحْمَلُ على ظَاهِرِها!! ومع هذا، فلا يَعْلَمُ تأويلها إِلَّا  
اللَّهُ، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلًا يُخَالِفُ ظَاهِرَها، وقالوا مع هذا:  
إنها تحمل على ظاهرها وهؤلاء مشتركون في القولِ بأنَّ الرسولَ لم يُبَيِّنِ  
المرادَ بالنصوصِ التي يجعلونها مُشْكِلَةً أو متشابهةً، ولهذا يَجْعَلُ كُلُّ  
فريقٍ المشكل من نصوصه غيرَ ما يَجْعَلُهُ الْفَرِيقُ الْآخَرُ مشكلًا.

ثم منهم مَنْ يَقُولُ: لم يَعْلَمَ معانيها أيضًا! ومنهم مَنْ يَقُولُ: عَلِمَهَا  
ولم يُبَيِّنْها، بل أحالَ في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى مَنْ يَجْتَهِدُ في  
العلم بتأويل تلك النصوص!! فهم مشتركون في أن الرسولَ لم يَعْلَمِ  
أولم يَعْلَمِ، بل نحن عرفنا الحَقَّ بعقولنا، ثم اجتهدنا في حَمْلِ كلام  
الرسول على ما يُوَافِقُ مَعْقُولَنَا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يَعْرِفُونَ  
العقلية!! ولا يَقْهَمُونَ السمعيات!! وكلُّ ذلك ضلالٌ وتضليلٌ عن سواءِ ٣٣٧  
السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية  
بقائلها إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون  
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

□ □ □





## الفهارس

- (١) فهرس الآيات القرآنية.
- (٢) فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- (٣) فهرس الشعر.
- (٤) فهرس الأعلام.
- (٥) فهرس الملل والنحل.
- (٦) فهرس الأماكن.
- (٧) فهرس الكتب.
- (٨) فهرس الموضوعات.



( ١ )

## فهرس الآيات القرآنية

### سورة الفاتحة

٤٣/(١) ، ١٨٥ ، ٤٣/(٢) و ١٨٥ - ٤٣/(٣) و ١٨٥ و ٦٠٠ - ٤٣/(٤) و ١٨٥ - ٤٣/(٥) و ٥١٩ و ٧٩٦ - ٤٣/(٦) و ٥١٩ و ٨٠٠ - ٤٣/(٧) و ٥١٩ و ٨٠٠ .

### سورة البقرة

٢٠٥/(١) - ٢٠٥/(٢) - ٢٥٨/(١٠) - ٦٨/(٢٠) - ٣٧/(٢١) - ١٣٩/(٢٣) - ٥٧١/(٢٨) - ٦١٤/(٣٠) - ٤١٥/(٣١) و ٦٥٣ - ١٩٨/(٣٤) - ٤٤٨ و ٣٤٩/(٤٠) - ٤٤٨ و ٣٤٩/(٤١) - ٤٤٨ و ١٦/(٤٢) - ٤٨٤ و ٥٩١/(٧٣) - ٣٣٨/(٦٩) - ٦٨٤/(٦١) - ٣٩٩/(٤٩) - ١٨٩/(٤٣) - ٥٠٤/(٧٥) - ٧٧٥/(٧٦) - ٥٠٤/(٧٨) و ٧٨٥ - ٥٠٤/(٧٩) - ٦٢٥/(٨٠) - ٦٢٥/(٨١) - ٢١٤/(٩٥) - ٤٨٤/(٩٨) - ٦٥٧/(١٠٢) - ٤٠٠/(١٢٤) و ٦٥٩ - ٥٥/(١٣٠) - ٥٥/(١٣١) - ٣١٥/(١٣٣) - ٥١٢/(١٣٦) - ٤٤٥/(١٤٣) - ٥٨٦/(١٥٤) - ٤٥١/(١٦٠) - ٧٣/(١٦٣) - ٦٢٩/(١٦٧) - ٣١٦/(١٧٠) - ١٨٦/(١٧٦) - ٤٠١/(١٧٧) و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٥٠٨ - ٤٤٢/(١٧٨) - ٦٠١/(١٨١) - ٦٥٧/(١٨٣) - ٨٠/(١٨٥) و ٦٥٦ - ٦٧٦/(١٨٦) - ٧٣٤/(١٩٦) - ٣٣٩/(٢٠٠) - ٣٢٥/(٢٠٥) - ٤٢٥/(٢١٣) و ٧٨٢ - ٤٤٩/(٢١٨) و ٤٥٦ - ١٦٥/(٢٢٢) - ١٨٢/(٢٢٤) - ٤٨٤/(٢٣٨) - ٨٠/(٢٥٥) و ١٠٦ و ١٥٩ و ٤١٢ و ٧٨١ - ٥٨/(٢٥٥) و ٦٨ و ٨٤ و ٨٩ و ٩١

ملاحظة: الرقم الأول الذي هو بين قوسين للآية، والرقم الثاني هو للصفحة الموجودة فيها.

و ٣٦٩ و ٣٨٢ - ٥٠٥/(٢٥٧) - ٤٦٨/(٢٦٠) و ٥٩٠ - ٤٥٢/(٢٧١) و ٤٩٣ -  
١١٧/(٢٨٤) - ٤٠١/(٢٨٥) و ٤٠٩ - ٦٣٣/(٢٨٦) و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٦٤ و ٦٦٩ .

### سورة آل عمران

٨٩/(١) و ٢٠٥ و ٤٢٥ - ٨٩/(٢) و ٢٠٥ و ٤٢٥ - ٨٩/(٣) و ٢٠٥ -  
٢٥٤/(٧) و ٢٥٥ - ٤٠٩/(١٨) - ٧٧٨/(١٩) و ٧٨٦ - ١٦٩/(٢٠) -  
٢٦٥/(٢٨) - ١٥٨/(٣١) و ٢٤٢ و ٤٩٥ و ٥٤٤ و ٧٤٢ - ٣٩٩/(٣٣) و ٤١٩ -  
٣٨١/(٥٥) - ٧٢٦/(٦١) و ٤٢/(٦٤) و ١٥٦ و ٥١٢ - ١٦٥/(٧٦) -  
١٧٨/(٧٧) - ٤٩٠/(٨٥) و ٧٨٧ - ٣٧٢/(٩٧) - ٧٧٥/(١٠٣) - ٧٧٥/(١٠٤) -  
٥٤٤/(١٠٥) و ٧٧٥ - ٣٠١/(١٢٠) - ٦١٥/(١٣١) - ٦١٥/(١٣٣) -  
١٦٥/(١٣٤) - ٤٨/(١٣٨) - ١٤٩/(٣٩) - ١٢٧/(١٤٥) - ٣٠١/(١٥٤) -  
٥٤٣/(١٦٥) - ٤٧٩/(١٦٧) - ٥٨٦/(١٦٩) - ٤٧٩/(١٧٣) - ٤٤٨/(١٧٥) -  
٤٩/(١٨٣) - ٥٠/(١٨٤) - ٦١٩/(١٨٥) .

### سورة النساء

٤٤/(١٨) - ٤٤/(١٩) - ٦٥٨/(٢٣) - ٦٣٤/(٢٥) - ٨٠/(٢٦) -  
٨٠/(٢٧) - ٨٠/(٢٨) و ٦٥٦ - ٥٢٦/(٣١) - ٤٥٤/(٤٠) -  
٤٥٠/(٤٨) و ٤٥٥ و ٥٢٤ - ٧٦٢/(٥١) - ٦٥٧/(٥٨) - ٢٥٣/(٥٩) و ٥٤٠ -  
٥٤٢ و ٧٤٢/(٦٤) - ٢٤٢/(٦٥) و ٥١٣ و ٧٤٢ - ٧٥١/(٦٦) -  
٧٥١/(٦٧) - ٢٠/(٦٩) و ٣٦١ - ٥١٥/(٧٨) و ٥١٧ - ١٦٩/(٧٩) و ٥١٥ -  
٥٤٣ و ٥١٦ - ٢٤٢/(٨٠) - ٤٢٥/(٨٢) - ٢٠٥/(٨٧) - ٦٨٤/(٩٣) -  
٥٤٤/(١١٥) - ٤٥٠/(١١٦) و ٤٥٥ و ٥٢٤ - ٤٥٤/(١٢٣) - ٣٩٤/(١٢٥) -  
٣٧٤/(١٢٦) - ٣١٥/(١٣٥) - ٤٠١/(١٣٦) - ٥٢٣/(١٥٠) - ٥٢٣/(١٥١) -  
٣٨١/(١٥٨) - ٢٢٦/(١٦٣) - ١٧٦/(١٦٤) و ٣٩٤ و ٤٢٣ - ٣١٢/(١٦٥) -  
٥٨/(١٦٦) و ٥٦/(١٧١) و ٦٩٧ و ٧٨٨ - ٤٢٠/(١٧٢) .

### سورة المائدة

٦٥٨/(١) - ٤٩/(٣) و ٤١١ و ٧٨٦ - ٤٩٠/(٥) - ٨٠/(٦) - ٤٤٥/(٨) -  
٢٣٢/(١٥) - ٦٥٨/(٢٦) - ٦٢٩/(٣٧) - ٣٤٩/(٤٤) و ٤٣٩ و ٤٤٨ و ٦٩٨ -

— ٦٨٤/(٦٠) — ٥٠٦/(٥٦) — ٥٠٦/(٥٥) — ٧٨٧ و ٤٨٥/(٤٨) — ٦٥٧/(٤٥)  
 — ٧٨٨/(٨٨) — ٧٨٥ و ٧٨٨/(٨٧) — ٤٨٣/(٨١) — ٧٦٣/(٧٩) — ٥٦/(٧٧)  
 — ٢٦٥/(١١٦) — ٤٤٧/(٩٣) — ٤٨٤ و ٤٨/(٩٢) — ٤٩٣ و ٤٥٢/(٨٩)  
 . ٦٨٤/(١١٩)

### سورة الأنعام

٣٧٥/(١٨) — ٦٢٨/(١٥) — ٩٢/(١٤) — ٢٢٠/(٨٠) — ٤٨٤ و ١٨٢/(١)  
 — ٣٢٤ و ١٣٨ و ١٣٣/(٣٩) — ١٣٢/(٢٨) — ١٦٩ و ٣٧/(١٩) — ٣٨١ و  
 — ٢٦٥/(٥٤) — ٦٣٢/(٥٣) — ٧٤٦ و ٤٢١ و ٤١٨/(٥٠) — ٦٤٨/(٤٤)  
 — ٧٧٦/(٦٥) — ٥٦٢ و ٣٨١ و ٣٧٥/(٦١) — ٥٦٦ و ١٢٥/(٦٠) — ١٢٥/(٥٩)  
 — ٥٦٥/(٩٣) — ١٥٥/(٩١) — ٥٤/(٩٠) — ٧٦٥/(٨٢) — ٧٦٥/(٧٦)  
 — ٣٩٤/(١١٠) — ٢٢٥ و ٢١٥ و ٢١٢ و ٦٨/(١٠٣) — ٢٠٩/(٩٩) — ٥٨/(٩٥)  
 — ٧٥٠/(١١٥) — ١٩٦/(١١٤) — ٢٥١ و ١٣٣/(١١٢) — ١٣٣/(١١١)  
 ٣٢٤ و ١٣٣ و ٨٠/(١٢٥) — ٧٤٥ و ٧٤٢ و ٦٣٢/(١٢٤) — ٣٦٠/(١٢٢)  
 ١٣٤/(١٤٨) — ١٦٨/(١٣٠) — ٥٤٣/(١٢٩) — ٧٦٦ و ٦٢٦/(١٢٨) — ٦٣٦ و  
 — ٧٥٧/(١٥٨) — ٨٠٠ و ٧٩٩ و ٥٤٤/(١٥٣) — ٦٥٣/(١٥٢) — ١٣٥ و  
 ٦٠٠/(١٦٠) — ٧٧٥ و ٥٤٥/(١٥٩)

### سورة الأعراف

— ٤١٨/(٢٠) — ٣٧٩/(١٧) — ٢٤٢/(١٢) — ٢٠٥/(٢) — ٢٠٥/(١)  
 ٥٧٥/(٤٠) — ٢٣٠/(٣٣) — ٥٩٠/(٢٥) — ٥٩٠/(٢٤) — ١٦٢/(٢٣)  
 — ٣٦٤ و ١٢١ و ٩٦/(٥٤) — ٣٧٢ و ٢٥٣/(٥٣) — ٦٥٣/(٤٢) — ٦٢٩ و  
 — ٢١/(٨٥) — ٢١/(٧٣) — ٢١/(٦٥) — ٢١/(٥٩) — ٢٩٦/(٥٥)  
 ١٨١ و ١٨٧ و ١٧٧/(١٤٣) — ٧٣٤/(١٤٢) — ٦٥٨/(١٣٧) — ٥٢٩/(١٢٦)  
 — ٦٢٨ و ٥٩١ و ١٩٣/(١٥٦) — ١٧٥/(١٤٨) — ٢٢٠ و ٢١٣ و ٢١٢ و  
 — ٣١٤/(١٧٤) — ٣١٣/(١٧٣) — ٣١٢ و ٣٠٣/(١٧٢) — ١٦٩/(١٥٨)  
 — ٤٦٩/(٢٠٢) — ٤٦٨/(٢٠١) — ٤١/(١٩١) — ٢٠٩/(١٨٥) — ٦٣٠/(١٧٩)  
 ٤١٠ و ٣٨٣/(٢٠٦) — ١٩٢/(٢٠٤)

### سورة الأنفال

٤٧٩/(٢) و ٤٨٣ و ٤٩٨ و ٥١٣ و ٧٧١ - ٤٩٨/(٣) - ٤٩٨/(٤) - ٦٤٢ و ٦٤١/(١٧) - ١٣٢/(٢٣) - ٧٥١/(٢٩) - ٤٥٢/(٣٣) - ٥٠٥/(٧٢) و ٥٠٦ و ٣١٧/(٧٥)

### سورة التوبة

١٩٤/(٦) - ٤٦/(١٧) - ٤٧/(٣١) - ٥٠٢/(٣٣) - ٦٣٣/(٤٣) - ٣٣٣/(٤٦) - ٣٣٣/(٤٧) - ٥١٥/(٥١) - ٤٧٢/(٦١) - ٥٠٥/(٧١) - ٦٣٤/(٩٣) - ٦٣٤/(٩١) - ٦٨٨/(١٠٠) - ٦٩٦/(١١٧) - ٤٧٩/(١٢٤) و ٢٥٨/(١٢٥) - ٤٧٩ و ٥٨/(١٢٨)

### سورة يونس

٢٠٥/(١) - ١٦٩/(٢) و ٥٠٢ - ١٧٢/(٥) - ٦٢٣/(١٦) - ٣٢/(١٨) - ٥٥٧/(٢١) - ٢١٠/(٢٦) و ٢١١ - ٢٠٥/(٣٨) و ٢٠٦ - ٥٩٢/(٤٥) - ١٢٧/(٤٩) - ٥٩١/(٥٣) - ٣٦٣/(٥٧) و ٤٢٦ - ٤٨٩/(٦٢) و ٥٠٥ و ٥٠٨ - ٧٤٤ و ٧٤٨ و ٧٥١ - ٤٨٩/(٦٣) و ٥٠٥ و ٥٠٨ - ٧٤٤ و ٧٥١ - ٤٧٢/(٨٣) - ١٣٣/(٩٩) و ٣٢٤ و ٧٥١

### سورة هود

٢٥٧/(١) - ١١٢/(٧) و ٣٦٨ - ٢٠٣/(١٣) و ٢٠٥ - ٦٥٤/(٢٠) - ٦٢٨/(٢٦) - ١٣٣/(٣٤) و ١٣٦ - ٢١٣/(٤٦) - ٥٠/(٥٣) - ٥٠/(٥٤) - ٥٠/(٥٥) - ٥٠/(٥٦) - ٦٠٧/(٥٨) - ٦٠٧/(٦٦) - ٢١/(٨٨) - ٦٢٦/(١٠٦) - ٦٢٦/(١٠٧) - ٦٢٢/(١٠٨) و ٦٢٦ - ٤٤٣/(١١٤) و ٤٥٣ - ٧٧٥/(١١٨) - ٧٧٥/(١١٩)

### سورة يوسف

٤٨/(١) - ٢٣٢/(٢) - ٤٧١/(١٧) - ٦٤٦/(٢٤) - ٤١٨/(٣١) - ٣١٥/(٣٨) - ٣٨٨/(٣٩) - ٥٨/(٥١) - ٥٦٩/(٥٣) - ٦٠/(٦٨) - ٢١٤/(٨٠) و ٦٥٨ - ٢٥٣/(١٠٠) - ٥٢٩/(١٠١) - ٥٠٧/(١٠٦) و ٧٩٩/(١٠٨) - ٦٧/(١١١) و ٢٣٣

### سورة الرعد

٥٥٧/(١١) و ٥٥٩ و ٥٦٠ - ١٤٢/(١٦) و ١٧٨ و ١٨١ و ٦٤٣ - ٦٢٣/(٣٥) -  
١٣١/(٣٨) و ١٣٢ - ١٣١/(٣٩) و ١٣٢ و ٣٥٢

### سورة إبراهيم

٢٣٢/(٤) - ٢٦/(١٠) و ٣٣ و ٣١٤ - ٥٩٠/(٤١) - ٦٠١/(٤٨)

### سورة الحجر

٤٨/(١) - ٥٦٢/(٢٩) و ٥٦٣ - ٤٦١/(٣٦) و ٥٢٨ - ١٣٤/(٣٩) و ٤٦١ -  
٦٤٥/(٤١) - ٦٤٥/(٤٢) - ٦٢٣/(٤٨) و ٦٢٩ - ٤١٩/(٧٠) - ١٨٢/(٩١) و  
٢٦٦

### سورة النحل

٤٠٧/(٥) - ٤١/(١٧) و ١١٠ - ١٣٤/(٣٥) و ٢٣٢ و ٤٢٣ - ٢١/(٣٦) -  
٥٩٢/(٣٨) - ٥٩٢/(٣٩) - ٤٩/(٤٣) - ٤٨/(٤٤) و ٤٩ - ٣٧٥/(٥٠) -  
٣٨١ - ٤٧/(٥١) - ٨٧/(٦٠) و ١١٩ - ٦٥/(٧٨) - ٤٢٤/(٨٢) -  
٢٣٣/(٨٩) - ٦٥٧/(٩٠) - ١٨٢/(٩١) - ١٩٥/(١٠٢) و ١٩٦ و ٣٨٢ -  
٤٧١/(١٠٦) - ٢٥١/(١٢٥)

### سورة الإسراء

١٣٩/(١) و ٢٧٦ - ٦٦٠/(١٥) - ٦٥٧/(١٦) - ٤٧/(٢٣) و ٦٥٦ -  
١٨٢/(٢٩) - ١٨٩/(٣٢) - ٢٣٠/(٣٦) و ٥٣٩ - ٣٢٥/(٣٨) - ١٨٢/(٣٩) -  
٤١/(٤٢) - ٥٩٣/(٤٩) - ٥٩٣/(٥٠) - ٥٩٣/(٥١) - ٥٩٣/(٥٢) -  
١٥٩/(٥٥) و ٤١٣ - ٤٤٨/(٥٧) - ٤١٤/(٦٢) و ٤١٥ - ١٩١/(٧٨) -  
٣٦٣/(٨٢) - ٥٦٢/(٨٥) و ٦١٤ - ٦٢٣/(٨٦) - ٢٠٣/(٨٨) و ٢٠٥ -  
٧٤٦/(٩٠) - ٥٩٢/(٩٧) - ٥٩٢/(٩٨) - ٥٩٢/(٩٩) - ٢٦/(١٠٢) و ٤٦٠ -  
١٩٦/(١٠٦) - ٥٠٦/(١١١)

### سورة الكهف

٦٣٦/(١٧) - ٥٩٧/(٢١) - ٥٤٩/(٢٢) - ٥٤٩/(٢٦) - ٦٨/(٤٥) -  
٦٠١/(٤٨) - ٦٨/(٤٩) و ٦٠١ و ٦٥٩ - ٦٣٥/(٦٧) و ٦٥٤ - ٦٣٥/(٧٢)

و ٦٥٥ - ٦٥٥/(٧٥) - ٢٥٣/(٧٨) - ٥٨/(٧٩) - ٢٥٣/(٨٢) - ٣٧٧/(٩٧) - ٦١٠/(١٠٥) - ١٠٦/(١٠٩) و ١٩٠

### سورة مريم

(٩)/٧٥ و ١١٨ و ٥٦٣ - ٤٥١/(٦٠) - ٣١٧/(٦٤) و ٤١١ - ٦٠٦/(٧١) - ٦٠٦/(٧٢) - ٤٧٩/(٧٦) - ١٦٦/(٩٦)

### سورة طه

(٥)/٣٦٤ و ٣٨٧ و ٨٠٢ - ٥٩٠/(١٥) - ٥٩٠/(١٦) - ٢٦٥/(٤١) - ٦٣٠/(٥٠) - ٧٦٢/(٦٩) - ٣٨٨/(٧٣) - ١٧٥/(٨٩) - ٨٤/(١١٠) و ٢٢٥ و ٢٤٤ - ٨٩/(١١١) - ٦٣١/(١١٢) و ٦٥٩ و ٦٦٠ - ٩/(١٢٦ - ١٢٣)

### سورة الانبياء

(١)/٥٩٢ - ٣٨٣/(١٩) و ٤٠٨ - ٤٠٨/(٢٠) - ٢٨/(٢٢) و ٤٠ - ٣٢٠/(٢٣) و ٦٥٣ - ٢١/(٢٥) - ١٣٩/(٢٦) و ٤١٠ - ٤٠٧/(٢٧) و ٤١٨ - ٤٠٧/(٢٨) - ١٨٢/(٣٠) - ١٨٢/(٣١) - ٦٠٩/(٤٧) - ٧٨٠/(٧٨) - ٧٨٠/(٧٩) - ١٦١/(٨٧) - ١١٢/(١٠٥) و ٦٥٧ - ٦٥٨/(٩٥) - ١٥٦/(١٠٧) - ٦٥٨/(١١٢)

### سورة الحج

(١)/١١٨ - ٢٣٣/(٣) و ٥٤٨ - ٢٣٣/(٤) و ٥٤٨ - ٥٩٧/(٥) - ٥٩٧/(٧) - ٢٣٤/(٨) - ٢٣٤/(٩) - ٧٨٢/(١٩) - ٥٧٥/(٣١) - ٦٢٨/(٥٥) - ٦٥٦/(٧٨)

### سورة المؤمنون

(١١)/٥٩٧ - ٥٩٧/(١٢) - ٦٤٢/(١٤) و ٦٤٣ - ٥٩٧/(١٦) - ٤٤٨/(٥٨) - ٤٤٨/(٥٩) - ٤٤٨/(٦٠) و ٤٤٩ - ٤٤٨/(٦١) - ٦٥٣/(٦٢) - ٢٩/(٨٤) - ٥٢٨ و ٢٩/(٨٥) - ٣٩/(٩١) - ٦٠٩/(١٠٢) - ٦٠٩/(١٠٣) - ١٧٨/(١٠٨) - ٥٩٦/(١١٥) و ٦٦١



### سورة النور

٤٢٤ و ٢٣٢/(٥٤) - ٣٤٩/(٥٢) - ٤٩٩/(٤٠) - ٤٩٩/(٣٩) - ٦٠٠/(٢٥)  
٤٨٣/(٦٢) - ٥٦٨/(٦١) - ٥٤٤ و

### سورة الفرقان

٤٢١ و ٣٥٢/(٧) - ٣٥٩ و ٣٥٥ و ٣٢١ و ١٢٦/(٢) - ٤١٩ و ١٦٩/(١)  
- ٦٢٩ و ١٦٥/(٦٥) - ٨٩/(٥٨) - ٢٣٥/٤٣ - ٧٦/(٣٣) - ٧٤٦ و  
٤٥١/(٧٠)

### سورة الشعراء

- ١٥١/(٦٧) - ٢١٥/(٦٢) - ٢١٥/(٦١) - ٢٦/(٢٨) - ٢٦/(٢٤)  
- ٥٦٨ و ٤٣٢/(١٩٣) - ٤١٩/(١٦٥) - ٧٧/(٧٦) - ٧٧/(٧٥) - ١٥١/(٦٨)  
- ٧٧٣ و ١٤٢/(٢٢١) - ١٩٣/(١٩٦) - ٤٣٢ و ١٩٦/(١٩٥) - ٤٣٢/(١٩٤)  
- ١٤٢/(٢٢٥) - ١٤٢/(٢٢٤) - ١٤٢/(٢٢٣) - ٧٧٣ و ١٤٢/(٢٢٢)  
١٤٢/(٢٢٦)

### سورة النمل

- ٧٣٤/(٤٨) - ٣٦٤/(٢٦) - ٣٦٦ و ١٨١/(٢٣) - ٤٦٠ و ٢٦/(١٤)  
- ٧٥٧/(٨٢) - ٥٩٢/(٦٦) - ٣٧/(٦١) - ٣٧/(٦٠) - ٣٨٨ و ٣٧/(٥٩)  
٦٠٠/(٩٠) - ٦٠٠/(٨٩)

### سورة القصص

- ١٩٦/(٤٩) - ١٨٢/(٣٠) - ٨٢/(٢٠) - ١٦٢/(١٦) - ١٨٣/(٣)  
٥٧٠ و ٢٦٤ و ٤٧/(٨٨) - ٦٠٠/(٨٤) - ١٣٧/(٥٦) - ٥٤٨ و ٢٣٤/(٥٠)  
٦٢٠ و ٦١٩ و

### سورة العنكبوت

٥٣/(٥١) - ٢٠٣/(٤٩) - ٤٧١/(٢٦) - ١٤٩/(٢) - ١٤٩/(١)

### سورة الروم

٥٨/(١٩) - ١٢١/(٢٦) - ١١٩/(٢٧) - ١٢١ و ٦٤٦ - ٣٢/(٣٠) - ٦٤٦ - ٣١) -  
٣٢/(٣٦) - ٢٩٤/(٤٧) - ٥٩/(٥٤)

### سورة لقمان

٢٩/(٢٥) و ٣١٣ - ١٠٦/(٢٧) و ١٩٠ - ٣٤٣/(٣٤)

### سورة السجدة

٥٦٢/(١١) - ١٣٨/(١٣) و ١٩٥ و ٣٢٤ - ٥٨/(١٥) - ٤٥٧/(١٦) -  
٦٠٠/(١٧) - ٥٨/(١٨) - ٥٠٠/(٣٦) - ١٩٦/(٤٢)

### سورة الأحزاب

٤٢٤/(٧) و ٤٨٤ - ٢٥٨/(٣٢) - ٨٠/(٣٣) - ٤٩٢/(٣٥) و ٤٩٣ -  
١٢٦/(٣٨) و ١٥٦/(٤٠) و ٣١٧ - ٤٠٩/(٤٣) - ٢٢١/(٤٤)

### سورة سبأ

٦٨/(٣) و ٥٩١ - ٤٢٦/(٦) - ٣٨٢/(٢٣) - ١٦٩/(٢٨) و ١٧٠ - ٤٠) -  
٧٦٦/(٤١)

### سورة فاطر

٢٤٤/(١٠) و ٨٠٢ - ٥٨/(١١) و ١٣١ و ٦٥٧ - ٩٢/(١٥) و ٣٧٢ -  
٤٨٧/(٣٢) - ٦٢٩/(٣٦) - ٦٨/(٤٤) و ٧٢

### سورة يس

٧٧/(٣٩) - ٦٦٤/(٥٤) و ٦٧٠ - ١٧٧/(٥٨) و ٣٧٦ و ٣٨٦ -  
١٧٥/(٦٥) - ٢٦٥/(٧١) - ٥٩٤/(٧٨) - ٥٩٤/(٧٩) - ٥٩٥/(٨١) -  
١١٨/(٨٢) و ٦٥٧ و ٧٥٠ - ٥٩٦/(٨٣)

### سورة الصافات

— ٦٤٣/(٩٦) — ٧٦٥/(٨٩ — ٨٨) — ٤١٠/(٨) — ٤٠٧/(٣ — ١)  
١١/(١٨٢) ، (١٨٠) — ٤٧/(١٥٤ — ١٥١) — ٥٨/(١٠١)

### سورة ص

— ٧٩) — ٨٠٢ و ٤١٦ و ٢٦٥ و ٢٦٤/(٧٥) — ٦٦١/(٢٨) — ٣٧/(٥)  
٦٤٦ و ٥٢٨/(٨٣) — ٦٤٦ و ٥٢٨ و ٤٦١/(٨٢) — ٥٩٠/(٨١)

### سورة الزمر

— ٤٥٧/(٩) — ٣٢٥/(٧) — ١٩٧/(٦) — ٤٢/(٣) — ٣٨٢ و ١٩٦ و ١٩٥/(١)  
— ٤٥٢/(٥٤) / ٥٢٨ و ٤٥٢/(٥٣) — ٥٦٥ و ٥٦٢/(٤٢) — ٧٧١/(٢٣)  
— ٥٩١/(٧١) — ٢٦٤/(٦٧) — ١٦٣/(٦٥) — ٦٤٣ و ٥٦٣/(٦٢) — ٥١٧/(٦١)  
٤١٠ و ٣٦٤/(٧٥)

### سورة غافر

٣٦٤/(٧) — ٤٨٥ و ٤٤٨/(٣) — ٤٤٨ و ٣٨٢ و ١٩٦/(٢) — ٤٤٨ و ١٩٦/(١)  
٦٠١/(١٧) — ٦٠١/(١٦) — ٦٠١ و ٣٦٤/(١٥) — ٥٧١/(١١) — ٦٢٨ و ٤٠٩  
— ٣٨٥/(٣٧) — ٣٨٥/(٣٦) — ٥٤٨ و ٥٨/(٣٥) — ٥٩٠/(٣٣ — ٣٢)  
— ١٣٦/(٥٥) — ٥٨٢ و ٥٧٢ و ٣٩٩/(٤٦) — ٥٧٢/(٤٥) — ٥٩١/(٣٩)  
— ٨٩/(٦٥) — ٦٨٢ و ٦٧٦/(٦٠) — ٥٩٢/(٥٩) — ٥٩٥/(٥٧) — ٧٤٥/(٥٦)  
٤٢٣/(٧٨)

### سورة فصلت

— ٦٤٣ و ٦٤٢/(١٧) — ٦٥٦/(١٢) — ٦٨٠/(٥) — ٣٨٢ و ١٩٦/(٢)  
٣٨٢/(٤٢) — ٤٢٦/(٤١) — ٤١٠/(٣٨) — ٧/(٢٤) — ١٧٩ و ١٧٥/(٢١)  
٣٧٤/(٥٤) — ٥١/(٥٣) — ٥١/(٥٢) — ٤٢٦ و ٣٦٣/(٤٤) — ٤٢٦ و

### سورة الشورى

٥٧/(١١) و ٧١ و ٨٥ و ٨٧ و ١١٨ و ١٢١ و ١٩٧ و ٢٠٦ و ٢٤٤ و ٢٥٩ و ٢٦٠  
 و ٥٠٣ و ٧٩٠ - ٤٢٤/(١٣) - ٥٠/(١٧) - ٥٩٢/(١٨) - ١٥٤/(٢٤)  
 و ٦٢٣ - ٥١٦/(٣٠) و ٥٤٣ و ٦٣١ - ٣٨٢/(٥١) - ٧/(٥٢) و ٥٦٨ -  
 ٧/(٥٣)

### سورة الزخرف

٤٨/(٢ - ١) و ٢٣٢ - ١٨٢/(٣) - ٤٥/(١٩) و ١٨٢ - ١٣٤/(٢٠)  
 و ٢٣٤/(٥٨) - ٦٤٢/(٧٢) - ٦٢٩/(٧٥) - ٦٥٩/(٧٦) - ٢١٤/(٧٧)  
 ٤٥/(٨٦) - ٥٥٧/(٨٠)

### سورة الدخان

٢٣٢/(١) و ٣٨٢ - ٢٣٢/(٢) و ٣٨٢ - ١٩٦/(٣) و ٣٨٢ - ١٩٦/(٤)  
 و ٣٨٢ - ١٩٦/(٥) و ٣٨٢ - ٤١٩/(٣٢) - ٥٧١/(٥٦)

### سورة الجاثية

٦٩٧/(١٧) - ٦٦١/(٢١) - ٥٥٧/(٥٩)

### سورة الاحقاف

٧٧/(١١) - ٦٠٠/(١٤) و ٦٤٢ - ١٨١/(٢٥) - ١٦٨/(٣٠) - ١٦٧/(٣١)  
 ١٦٢/(٣٥) - ٥٩٥/(٣٣)

### سورة محمد

٥٠٥/(١١) - ٥٣٦/(١٩) - ١٤٣/(٣٠) و ١٤٤ - ٩٢/(٣٨)

### سورة الفتح

٤٧٩/(٤) - ٦٨٤/(١٨) و ٦٩٠ - ٤٩٦/(٢٧) و ٤٩٧ - ٦٩٠/(٢٩)

### سورة الحجرات

٦٣٦/(٧) - ٤٤٢/(٩) و ٧٧٧ - ٤٤٢/(١٠) - ٥٣٩/(١١) - ٥٣٩/(١٢)  
 و ٥١/(١٣) - ٤٩٠/(١٤) و ٤٩١ و ٥٠٧ - ٤٨٣/(١٥) و ٤٩١ و ٤٩٨ و ٥١٣

### سورة ق

١٧ - ١٨ / (٥٥٧) - ٢٨ / (٦٦٠) - ٢٩ / (٦٥٩) و ٦٦٠ - ٣٥ / (٢١٠) - ٣٨ / (٦٨)

### سورة الذّاريات

٤ - (٤٠٥) - ٢٨ / (٥٨) - ٣٥ - (٣٦ - ٤٩٣) - ٥٦ / (٩٢) و ١٣٣ - ٥٧ / (٩٢) - ٥٨ / (٩٢)

### سورة الطُّور

٣ - (١٩٣) - ٢١ / (٧٦٩) - ٣٠ - (٣١ - ١٥٤) - ٣٥ / (٧٦) - ٤٥ - (٤٧ - ٥٧٣)

### سورة النجم

٥ - (٨ - ٢٧٦) - ١٠ / (١٣٩) - ١١ - (٢٧٦) - ١٣ / (٢٧٦) و ٦١٥ - ١٤ / (٦١٥) - ١٥ / (٦١٥) - ٢٣ / (٤٢٧) - ٣٨ / (٦٧٠) - ٣٩ / (٦٦٣) و ٦٦٩ و ٦٧٠

### سورة القمر

١ - (٥٩٢) - ٣٤ / (٣٩٩) - ٤٩ / (١٢٦) و ٣٢١

### سورة الرّحمن

١٠ / (٨٩) - ٢٢ / (١٦٨) - ٢٦ / (٧٨) و ٥٧٠ - ٢٧ / (٧٨) و ٢٦٥ - ٢٩ / (٣٥٢) - ٥٧٠

### سورة الواقعة

٢٤ / (٦٠٠) و ٦٤٢ - ٧٨ / (١٩٣)

### سورة الحديد

٣ / (٧٥) و ٣٧٧ - ١٠ / (٦٩٠) - ١٣ / (٢٠٩) - ٢١ / (٤٨٩) و ٦١٥ و ٦٤٩ - ٢٥ / (٤٩) - ٢٩ / (٦٤٩)

سورة المجادلة

٣٧٩/(١) - ٤٥٢/(٤) و ٦٣٤ - ٥٦٨/(٢٢) و ٦٨٤

سورة الحشر

٦٥٧/(٥) و ٧٨٠ - ٦٩١/(٨) - ٦٩١/(٩) - ٦٩١/(١٠) و ٦٩١ و ٧٢٤ -  
٨٤/(٢٤) - ٨٤ و ٥٣/(٢٣)

سورة الممتحنة

٦٥٨/(١٠)

سورة الصّٰف

٥٤٧/(٤) - ٣٩٤/(٥)

سورة الجمعة

٧٨٥/(٥)

سورة المنافقون

٤٩١/(١)

سورة التّٰغابن

١٣٨/(٢) - ٥٩١/(٧) - ٤٢٦/(٨) - ٤٢٤/(١٢) - ٦٣٤/(١٦)

سورة الطّٰلاق

٣٥١/(٣ - ٢) و ٧٥١

سورة التّٰحریم

٦١٩/(١١)

سورة الملك

٩٣/(٢) و ١٣٣ - ١٢٤/(١٤) و ٣٥٣

### سورة القلم

١٦٢/(٤٨) - ٤٨/(٣٦) - ٦٦١ و ٤٨/(٣٥) - ٣٤٦/(٢ - ١)

### سورة الحاقة

٦٠١/(١٥) - ٦٠١/(١٦) - ٣٦٤/(١٧) و ٣٦٨ و ٦٠١ - ١٨٣/(٤٠) و ٤٣٢ -  
٥٢/(٤٤) - ٤٣٢/(٤١)

### سورة المعارج

٣٨١/(٤) - ٥٩٢/(٧ - ٦) - ٥٩٢/(٢ - ١)

### سورة نوح

٢٩/(٢٣) - ٥٩٠/(١٨ - ١٧)

### سورة الجن

٣٤٣/(٢٦) - ٢٣٤/(٢٣) - ١٣٩/(١٩) - ٥١٨/(١٠) - ٧٦٧ و ٧٦٥/(٦)  
٣٤٣/(٢٧) - ٣٦٤ و

### سورة المذثر

٢٨٩/(٤٨) - ٤٧٩ و ١٣٨/(٣١) - ١٧٢/(٢٦) - (٢٥)،  
٧٧٥/(٥٢) - ٣٤٩/(٥٦)

### سورة القيامة

٥٩٦/(٤٠ - ٣٦) - ٢٠٨ و ٢٠٧/(٢٣ - ٢٢) - ٥٦٩/(٢)

### سورة الدهر

١١٨/(١) و ٥٦٣ - ٥٨/(٢) و ٦٣٠ - ٦٣٠/(٣) - ٤١/(٢٩) و ١٣٣ -  
٣٢٤/(٣٠)

### سورة النبأ

٦٢٩/(٣٠) - ٦٠٠/(٢٦) - ٦٢٨ و ٦٢٦/(٢٣) - ٦١٥/(٢٢ - ٢١)

### سورة النازعات

٤٠٧/(١) - ٤٠٧/(٢) - ٤٠٧/(٣) - ١٨٣/(٤) و ٤٠٧ - ٤٠٥/(٥) - ٧٤٦/(٤٢)

### سورة عبس

٢١٩/(٣١) - ٤١٠/(١٦) - ٢٠٣/(١٤ - ١٣)

### سورة التكويد

١٨٣/(١٩) و ٤٣٢ - ٤٣٢/(٢٠) - ٤٣٢/(٢١) - ١٣٣/(٢٩) و ٣٢٤

### سورة الانفطار

٥٥٧/(١٠) - ٥٥٧/(١١) - ٥٥٧/(١٢) و ٥٦١ - ٤١٠/(٣٨)

### سورة المطففين

٢١١/(١٥) و ٢١٢ - ٤١٠/(٢١)

### سورة الانشقاق

٦٠١/(١٥ - ٦)

### سورة البروج

١٠٦/(١٥) و ١١٠ و ٣٦٤ - ١٠٦/(١٦) و ١١٠ - ٣٧٤/(٢٠) - ٣٤٤/(٢١) - ١٩٣/(٢٢) و ٣٤٤

### سورة الأعلى

١٢٦/(٣ - ٢)

### سورة الفجر

٧٣١/(٢ - ١) - ٥١٠/(١٥) و ٧٤٩ - ٧٤٩/(١٦) - ٧٤٩/(١٧) - ٥٦٦/(٢٧) و ٥٦٩ - ٥٦٦/(٢٨) - ٥٦٦/(٢٩) - ٥٦٦/(٣٠)



سورة البلد

٦٥/(٨ - ٩)

سورة الشمس

٦٤٤/(٩ - ١٠) ، (٧ - ٨)

سورة البينة

٦٨٤ و ٦٢٩/(٨)

سورة الفيل

٢٤٩/(١)

سورة الكافرون

٥١٢/(١)

سورة الإخلاص

٢٥٩/(١) و ٥١٢ - ٢٥٩/(٢) - ٢٥٩/(٣) - ١٣٨/(٤) و ٢٥٩

سورة الفلق

٥١٧/(٢)

\* \* \*



( ٢ )

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

٥١٢ - ٤٨٦	آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله
٤١٦	ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار
٧٥٢	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
٥٤٩	اتهموا الرأي في الدين (عمر)
١٤٢	اخساً فلن تعدو قدرك
٦٩٩	ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً
٧٠٠	ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتاباً
١٤٠	اذهبوا إلى محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
٧٣٨	ارقبوا محمداً في أهل بيته [أبو بكر]
٧٢٩	ارم فداك أبي وأمي
٦٦٥	استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل
٣٠١	اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء
٧٧٠	اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله
٧٧٠	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء
٧٥٤	اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس
٣١٨	اعملوا فكل ميسر لما خلق له
٧١٠ - ٦٩٩	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
٧٣٥	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان
٧٣٢	اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد
٧٣٢	أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة
٧٨٤	أبهذا أمرتم، أم بهذا وكلتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض
٧٦١	أتدرون ماذا قال ربيكم الليلة
٢٨٣	أتى رسول الله ﷺ يلحم

٦٥٣	..... أحيا ما خلقتم
٥٤٢	..... إذا بويح لخليفين فاقتلوا الآخر منها
٧٨١	..... إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران
٣٨٩	..... إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله (أثر)
٣٥٠	..... إذا أحب الله العبد نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً
٢١١	..... إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد
٤٧٠	..... إذا زنى العبد نزع منه الإيمان فإن تاب أعيد إليه
٣٦٦	..... إذا سألتهم الله الجنة، فسلوه الفردوس
٥٣٧	..... إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء
٥٧٧	..... إذا قبر الميت - أو قال الإنسان - أتاه ملكان أسودان
٢٩١	..... إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض [حديث الشفاعة]
٦٧٠ - ٦٦٤	..... إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
٤٣٧	..... إذا مت فاسحقوني ثم ذروني
٥٨	..... إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة
٣٦٨	..... أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل
١٤٣	..... أرى عرشاً على الماء (ابن صياد)
٧٦١	..... أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركهن
٥٠٧ - ٤٤٠	..... أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن
٢٩٥	..... أسألك بحق ممشي هذا وبحق السائلين عليك
٥٤	..... أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد
٦٩٢	..... أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
١٦٩	..... أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي
١٨٩	..... أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك
١٨٩ - ٩٨	..... أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر
١٨٩	..... أعوذ بعظمتك أن تغتال من تحتنا
١٠٠	..... أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق
٧٤٩ - ٦٥٨ - ١٨٩	..... أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
٥٧٣	..... أعوذ بالله من عذاب القبر... إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال
١٠٢	..... أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات
٧٧٦	..... أعوذ بوجهك... هاتان أهون

- أغفى رسول الله ﷺ إغفاءً ..... ٢٧٩
- أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ..... ٤٧٥
- ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: أمرني ألا أدع قبراً مشرقاً إلا سويته ..... ٣٠
- ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة ..... ٧٢١
- أما إني لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف .. ٢٠٣
- أما بعد، أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي ..... ٧٣٧
- أما صاحبكم فقد غامر ..... ٧٠٨
- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ٢٢ - ٤٩٢
- أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك ...
- أن تؤمن بالله وملائكته ..... ٣٥٥
- أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..... ٥١٢ - ٣٥٥
- إن أعمال العباد تصعد إلى السماء ..... ٩٥
- أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسّح ..... ٧٠٩
- أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ..... ٤٥٥
- إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني ..... ٧٠٤
- إن لم تجدني فأتني أبا بكر ..... ٦٩٩
- أنا أول شفيع في الجنة ..... ٢٩٠
- أنا أول من تنشق عنه الأرض ..... ٦٠٣
- أنا سيد الناس يوم القيامة ... «حديث الشفاعة» ..... ١٥٨ - ٢٨٣
- أنا سيد ولد آدم ولا فخر ..... ١٥٩
- أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر ..... ١٥٨
- أنا فرطكم على الخوض من زرده شرب منه، ومن شرب منه لم يظماً أبداً .. ٢٨٠
- أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ... ٥٤٣
- أنا من الرّاسخين في العلم (عبدالله بن عباس) ..... ٢٥٤
- أنت الأول فليس قبلك شيء ..... ٣٧٧
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ..... ٧٢٢
- إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ..... ١٦٥
- إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ..... ٧٧٢
- إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ..... ٣٣٤ - ٣٣٨
- إن أحذكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ..... ٦١٥

- ٣١٩ ..... إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة
- ٥٩٩ ..... إن الأرض تمطر مطراً كمنيّ الرجال
- ٧٧٥ - ٥٤٥ - ٣٤٠ ..... إن أهل الكتائب افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة
- ٧٥٨ ..... إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها
- ٣١ ..... إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنو على قبره مسجداً
- ٥٤٠ ..... إن خليلي أوصاني، أن أسمع وأطيع ولو لحبشي كان رأسه زبيبة
- ٦٨٨ - ٩٦ ..... إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله
- ٤٨٨ ..... إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة
- ٣١٨ ..... إن الرجل لعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار
- ٥٦٦ ..... إن الروح إذا قبض تبعه البصر
- ٤٠٨ ..... إن السماء أطّت
- ٧٧٢ ..... إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاردة القاصية
- ٢٠٠ ..... إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس
- ٣٦٥ ..... إن عرشه على سمواته كهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة
- ٥٧٦ ..... إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم
- ٤٧٨ ..... إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد
- ٦٥١ ..... إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة
- ٢٧٨ ..... إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن
- ٣٩٦ - ١٦٤ ..... إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً
- ١٥٨ ..... إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة
- ٣٠٣ ..... إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان - يعني عرفة -
- ٢٠١ ..... إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به
- ٦٨٨ ..... إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك
- ٤٦٤ ..... إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله
- ٣٠٤ ..... إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية، فقال
- ٣٤٤ ..... إن الله خلق لوطاً محفوظاً من ذرة بيضاء صفحتها يا قوتة حمراء
- ٦٠٩ ..... إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة
- ٤١١ ..... إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها
- ٥٦٦ ..... إن الله قبض أرواحكم حين شاء
- ٣٢٥ ..... إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال

- ٧٥٦ ..... إن الله لا يخفى عليكم وإن الله ليس بأعور
- ٢٢٤ ..... إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام
- ..... إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد
- ٦٩٦ ..... [عبد الله بن مسعود]
- ٢٠١ ..... إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة
- ٣٢٥ ..... إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤق معصيته
- ٣٨٤ ..... إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا
- ٧٩٠ ..... إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا
- ٧٣٠ ..... إن لكل أمة أميناً، وإن أميناً أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح
- ٢٨١ ..... إن لكل نبي حوضاً، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأجلها
- ١٥٧ ..... إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي
- ٥٥٨ ..... إن معكم من لا يفارحكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمواهم
- ٤١٧ ..... إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها
- ٣١ ..... إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد
- ٤٨٦ ..... إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرتة، ورجا ثوابها
- ٦١٤ - ٤٥٥ ..... إن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار
- ٥٨٧ ..... أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة
- ٧٦٣ ..... إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه
- ٦٠٢ ..... إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض
- ٦٠٢ ..... إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق
- ١٩٢ ..... إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف
- ..... إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة
- ١٤٥ ..... (النجاشي)
- ٥٨١ ..... إن هذه الأمة تنبت في قبورها
- ٧٨٦ ..... إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد
- ٢٢٦ ..... إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون الشمس
- ٢٤٩، ٢٢٦، ٢١٦ ..... إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر
- ١٨٤ ..... إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرء ما نوى
- ١٨٤ ..... إنه ﷺ رآه بعينه
- ٦١٧ ..... إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة

- ٧٨٥ ..... إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب
- ١٣٠ ..... إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل
- ٦١٠ ..... إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة . .
- ٢٧٩ ..... إنه نزلت عليّ آنفاً سورة . . . . .
- ٩٤ ..... إنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن والعمل القبيح على أقبح صورة . . .
- ٩٤ ..... إنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون . . . . .
- ٩٣ ..... إنه يؤث بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار . . .
- ٩٤ ..... أنها توضع في الميزان (الأعمال) . . . . .
- ٩ ..... إنها ستكون قتن . . . كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم . . . . .
- ٣٧٨ ..... إنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله
- ٥٧٦ ..... إنها ليعذبان، وما يعذبان في كبير . . . . .
- ٣٩٦ - ١٦٥ ..... إني أبرأ إلى كل خليل من خلته . . . . .
- ٦١٧ ..... إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلت منه . . . . .
- ١٤٤ ..... إني قد خشيت على نفسي . . . . .
- ٤٩٦ ..... إني لأرجو أن أكون أخشاكم الله . . . . .
- ١٦٢ ..... أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد  
أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى
- ٧٢٧ - ٥٤٥ ..... اختلافاً كثيراً . . . . .
- ٦٣٠ ..... أو غير ذلك يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً . . . . .
- ٤٩٣ ..... أو مسلماً . . . . .
- ٣٤٤ ..... أول ما خلق الله تعالى القلم . . . . .
- ٤٩٤ ..... أي الإسلام أفضل . . . . .
- ١٤٦ ..... أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول . . . . .
- ٧١١ ..... إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً . . . . .
- ٢٨٠ ..... إني فرطكم على الحوض، من مرّ علي شرب . . . . .
- ٢٨٠ ..... إني الله . . . . .



٦٦٨	..... الآن بردت عليه جلده
٣٧٢	..... الاستواء معلوم والكيف مجهول (مالك بن أنس)
٢١٥ - ٣٥٥	..... الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
٤٨٧	..... الإسلام علانية والإيمان في القلب
٤٧٤	..... الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله
٣٨٥	..... أين الله؟ (حديث الجارية)
٥٤٩	..... الله أعلم بما كانوا عاملين
٦٩٧	..... الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي
٣٨٤	..... اللهم أشهد
١٢٧	..... اللهم أمتعي بزوجي رسول الله (أم حبيبة)
١٦٢	..... اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك
١١٤	..... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء
٧١	..... اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
١٠١	..... اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة... وأعوذ بعظمتك
٣٢٧ - ١٠١	..... اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك
٢٩٨	..... اللهم إنا كنا إذ أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا (عمر بن الخطاب)
١٢٩، ٥٩	..... اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي
٢٤٨	..... اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض
٤٠٠	..... اللهم صلّ على آل أبي أوفى
٢٥٤	..... اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
٤٨٩	..... اللهم لك أسلمت، وبك آمنت
٦٧١	..... اللهم هذا عن أمتي جميعاً
٦٧١	..... اللهم هذا عن محمد وآل محمد
٧٢٦	..... اللهم هؤلاء أهلي
	أي ساء تظلني وأي أرض تقلني
٥٥٠ - ٢١٩	..... إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (أبو بكر)
٤٧٥	..... البذاعة من الإيمان

- بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا عني وعن من أمتي ..... ٦٧١
- بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة ..... ٤٤١
- بيننا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو ..... ٧٠١
- بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم .. ٣٨٦-٣٧٦-١٧٧
- بيننا جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه ..... ٤٠٤
- بيننا أنا جالس، إذ جاء جبريل فوكز بين كتفي ..... ٤٢٢
- بيننا ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأوو إلى غار ..... ٨٨
- تخلقوا بأخلاق الله ..... ٨٨
- تراني قد رضيت، وتأبى ..... ٥٤٩
- ترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب ..... ٢٥٠
- تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو إثنتين وسبعين فرقة ..... ٣٤٠
- تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزيا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي ..... ٦٠٨
- تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا (ابن عباس) ... ٩
- تلك محض الإيمان ..... ٣٣٧
- توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ..... ٥٣٨
- توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ..... ٦١٠
- ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه  
مما سواهما ..... ٥٤٧
- ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث ..... ٧٦٠
- ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر مقعده فيها حتى تقوم الساعة ..... ٥٨٢
- ثنتان في أمتي هما كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت ..... ٤٤٢
- جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ..... ٧١١
- جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب ..... ٢١٧
- الجنة .. إلا الدين سارني به جبريل آنفاً ..... ٥٨٥
- حجابه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه ..... ٢٦٥
- الحياء من الإيمان ..... ٤٧٥
- خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء ..... ٧٢٢ - ٧٠٤
- خلقت عبادي حنفاء كلهم - فاجتالهم الشياطين ..... ٣٤
- خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء ..... ٢٦٥
- خيار أئمتكم الذين تحبونهم ومحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم ..... ٥٥٥ - ٥٤٢

٦٩٤	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .....
٣٣٧	ذاك صريح الإيمان .....
٧٨٣	ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم .....
٧٠٣	رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ .....
٥٨٥	رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة .....
٧١٢	رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة .....
٦١٦	رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به حتى لقد رأيته أخذ قطفاً من الجنة .....
٧٠٣	رأيت كأن دلواً دلي من السماء فجاء أبو بكر .....
٧٢٩	رأيت يد طلحة التي وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد قد شلت .....
٥٢٠	ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .....
٣٧٨	زوجكن - أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات .....
١٩٢	زينوا القرآن بأصواتكم .....
٣٧٥	سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر آية .....
٤٣٩	سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر .....
٢٥٢	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي .....
٦٦٦	السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإننا إن شاء الله بكم لاحقون ..
٥٥٠	السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ (عمر) .....
٢٩٠	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي .....
٦٣٥	صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب .....
٥٢٩	صلوا خلف كل بر وفاجر .....
٥٣١	صلوا خلف من قال لا إله إلا الله وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله .....
١٢٨	صلة الرحم تزيد في العمر .....
٣٥٧	صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية .....
٥٣٠	الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم بر أو فاجر وإن عمل بالكبائر .....
٦١١	الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان .....
٣٩٧	عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها .....
٧٣١	عشرة في الجنة، النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة .....
٥٤٠	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره .....
٤٥	على مثلها فاشهد... وأشار إلى الشمس .....
٦٠٧	علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك .....

- عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة . . . . . ١٤١
- عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين . . . . . ٤٥٠
- العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع . . . . . ٤٧٣
- الغنى والفقر مطيتان لا أبالي أيهما ركبت (عمر بن الخطاب) . . . . . ٥١٠
- فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم . . . . . ١٥٧
- فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه . . . . . ٧٨٦
- فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون . . . . . ٢٩٣
- قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها . . . . . ٥٦١
- قالت الملائكة ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبوه . . . . . ٥٦١
- قبض أرواحكم وردّها عليكم . . . . . ٥٦٦
- قد أردت منك ما هو أهون من ذلك . . . . . ٣١١
- قد خيأت لك خبأ . . . . . ١٤٢
- القدر سرّ الله فلا تكشفه (علي) . . . . . ٣١٩
- قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض
- بخمسين ألف سنة . . . . . ١١٣-١٢٧-٣٤٥
- قد سألت الله لأجل مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة . . . . . ١٢٧
- قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد، فعمّر . . . . . ٧١٢
- قل: آمنت بالله ثم استقم . . . . . ٧٨٨
- قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت . . . . . ٦٦٣
- قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين . . . . . ٦٦٦
- القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر (ابن عباس) . . . . . ٣٥٨
- القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم . . . . . ٣٥٦-٧٩٧
- كأنّ بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق ألياًتهن مشركات . . . . . ٣٢٢
- كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر . . . . . ٤٣٦
- كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . . . . . ٢٥٢
- كان ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر تارة بسورتي الإخلاص . . . . . ٥١٢
- كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان . . . . . ٧٣٤
- كان الله ولم يكن شيء قبله . . . . . ١١٢
- كان لأبي بكر غلام يأكل من خراجة، فجاء يوماً بشيء [عائشة] . . . . . ٧٦٢
- كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بداراً والحديبية . . . . . ٧٣٤

- كلاكما محسن، لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ..... ٤٢٨ - ٧٧٨
- كلّا والله، لا يخزيك الله (خديجة) ..... ١٤٤
- كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم وفيه يركب ..... ٥٩٨
- كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع ..... ٢٨١
- كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..... ٣٣
- كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان ..... ٦١١
- كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده: أبو بكر ..... ٧٢٨
- الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى (ابن عباس) ..... ٣٦٩
- لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين ..... ٧٣١
- لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ..... ٧٢٥
- ليبك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك ..... ٦٤٧
- لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع ..... ٣٣٩
- لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ..... ٨٠٠
- لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ..... ٣١
- لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (أبو سفيان) ..... ١٥٠
- لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات ..... ٣٧٨
- لقد قف شعري بما قلت ... من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب (عائشة) ..... ٢٢٢
- لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام ... ..... ٦١٩
- لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر ..... ٣٥٧
- لكل نبي، حوارى، وحوارى الزبير ..... ٧٣٠
- لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ..... ٥٨٦
- لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة ..... ٣٠٦
- لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال ..... ٦١٨
- لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ..... ٣٧٦ - ٦٢٨
- لن يدخل أحد الجنة بعمله ..... ٦٤١
- لن ينجي أحداً منكم عمله ... ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل ..... ٦٦٣
- لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ..... ٦٦١
- لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أباً بكر خليلاً ..... ١٦٤
- لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت
- يخرجون فيه (عمر) ..... ٦٢٨

- لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع . . . ٣٢٩
- ليأتين علي أمتي ما أتى علي بني إسرائيل حذو النعل بالنعل . . . ٥٨١
- ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرمني الليلة . . . ٣٣٩
- ليردن علي أناس من أصحابي الخوض حتى إذا عرفتهم . . . ٧٢٨
- ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك . . . ٢٧٨
- ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتعني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال . . . ٦٠١
- (الحسن البصري) . . . ٤٧٣
- ليس المخبر كالمعائن . . . ٤٦٧
- ليسوا بشيء . . . تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني . . . ٧٥٩
- ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر . . . ٧٨٨
- ما تذكرون . . . إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات . . . ٧٥٥
- ما تعدون المقلص فيكم؟ . . . ٤٤٣
- ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ (عبدالله بن سلام) . . . ٤١٧
- ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل . . . ٢٣٤
- ما السماوات السبع والأرضون السبع . . . إلا كخردلة في يد أحدكم
- (ابن عباس) . . . ٣٧٤
- ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة . . . ٣٧٠
- ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه . . . ٥٦٨
- ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم . . . ٣٣٨
- ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر . . . ٧٣٢
- ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي الله «حديث باطل» . . . ٥٠٨
- ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم . . . ٦٨٢
- ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الدجال . . . ٧٥٦
- ما منكم من أحد - ما من نفس منقوسة - إلا وقد كتب الله مكانها . . . ٣١٧
- ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . . . ٥٥٩
- ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة . . . ٤٥٣
- مثلي ومثل الأنبياء كمثلي قصر أحسن بناؤه، وترك منه موضع لبنة . . . ١٥٦
- مروا أبا بكر فليصل بالناس . . . ٧٠٠
- مم تضحكون . . . والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد . . . ٦١١

- من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد . . . ٤٤١
- من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد . . . . . ٧٥٩
- من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة . . . . . ٧٥٩
- من أحب الله وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان . . . . ٤٧٦
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . . . . . ٧٦٨
- من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس . . . . . ٣٥٠
- من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله . . . . . ٥٤٠
- من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه . . . . . ٧٧٣
- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . . . . . ٣٤٢
- من حلف بغير الله فقد أشرك - كفر - . . . . . ٢٩٧ - ٤٤١
- من حمل علينا السلاح فليس منا . . . . . ٤٨٣
- من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر . . . . . ٥٤١
- من رأى منكم رؤياً . . . خلافة نبوة . . . . . ٧٠٢
- من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه . . . . . ٤٧٦
- من سرتة حسنته وساءتة سيئته فهو مؤمن . . . . . ٥٦٩
- من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم . . . . . ٤٢٦
- من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي . . . . . ٥٠٩ - ٧٥٢
- من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد . . . . . ٧٦٧
- من غشنا فليس منا، من حمل علينا السلاح فليس منا . . . . . ٤٨٣
- من قال إني خير من يونس بن متى، فقد كذب . . . . . ١٦٣
- من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة . . . . . ٦١٩
- من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار . . . . . ٢١٨
- من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار . . . . . ٢١٨
- من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كل ليلة كفتاه . . . . . ٤٠٤
- من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . . . . . ٢٣
- من كانت عنده لأخيه مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم . . . . . ٤٤٣
- من كان منكم مستناً، فليستن بمن قد مات (عبد الله بن مسعود) . . . . . ٥٤٦
- من لم يسأل الله يغضب عليه . . . . . ٦٧٧
- من مات وعليه صيام صام عنه وليه . . . . . ٦٦٧
- من يأتي بني قريظة فيأتيني بخيرهم . . . . . ٧٣٠

- ٦٢٤ ..... من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت
- ٢٣٠ ..... مهلاً يا قوم بهذا أهلكم الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم
- ٤٢١ ..... المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير
- ٢٦٩ ..... نزل إلى سماء الدنيا
- ٥٦٧ ..... نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة
- ٦٦٨ ..... نعم حجتي عنها، أرايت لو كان على أمك دين أكننت قاضيته
- ٥٤١ ..... نعم، نعم وفيه دخن
- ٦٦٦ ..... نعم [إن أمني افلئت نفسيها، ولم توص]
- ٦٦٧ ..... نعم [إن أمني توفيت وأنا غائب]
- ٥٠١ ..... نهى عن بيع الولاء وهبته
- ١٣٠ ..... نهى عن النذر
- ٢٢٤ ..... نور أنى أراه
- ٤٨٧ ..... هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم
- ٨٠٠ ..... هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً
- ١٤٦ ..... هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى
- ٧٢٠ ..... هذه يد عثمان
- ٣٦٥ ..... هل تدررون كم بين السماء والأرض.. بينها مسيرة خمسمائة سنة
- ٢٧٩ ..... هل تدررون ما الكوثر
- ٢١٦ ..... هل تضارون في القمر ليلة البدر
- ٦٤٨ ..... هل ظلمتكم من حقكم شيئاً.. فذلك فضلي أوتيته من أشاء
- ٢٣٧ ..... هلك المتطعون
- ٣٦٠ ..... هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر (ابن مسعود)
- ٦٠٥ ..... هم في الظلمة دون الجسر
- ٦٠٥ ..... هو نهر وعدنيه ربي
- ٤٥٣ ..... وأتبع السيئة الحسنة تمحها
- ٥١٧ ..... والخير كله بيدك، والشر ليس إليك
- ١٤٩ ..... والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له
- ٥٤٥ ..... وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
- ٦٠٦ ..... والذي نفسي بيده لا يبلج النار أحد بايع تحت الشجرة
- ٧٥٦ ..... والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً



- وَأَنَا أَشْهَدُ ..... ٣٧٦
- وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ..... ٤٤٠
- وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ ..... ٣١٩
- وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أَمْتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلَّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ..... ١٥٧
- وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ..... ٤٩٦
- وَاللَّهُ أَنِي لِأَحَبِّكَ ..... ٣٩٧
- وَأَيُّمُ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُمْ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلاً وَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ... ٦١٧
- وَجِبَتْ ... هَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا ... ٥٣٨
- وَجِهَتْ وَجْهِي ..... ١٦٢
- وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ..... ١٦٢
- وَعَظَّمَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرْعَظَةً بَلِيغَةً ..... ٧٢٦
- وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ ... ذَلِكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ ..... ٣٧٧
- وَلِشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقُّرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيَّ بِوَحْيِي يَتْلَى ..... ١٨٨
- وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ..... ١٦٤
- وَلِيْلَقِينَ اللَّهَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ ..... ٢١٧
- وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ..... ٥٤٧
- وَمَا تَعَجَّبُونَ مِنْ هَذَا، انْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَمَلُ فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُمْ الْأَجْرَ [عَائِشَةُ] ..... ٦٩٣
- وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاقِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السَّيْتِهِمْ ..... ٢٠٢
- وَيَحْكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ ... إِنَّهُ لَا يَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ..... ٣٧٧
- وَيَلُ لِلْأَعْقَابِ وَيَطُونُ الْأَقْدَامُ مِنَ النَّارِ ..... ٥٥١
- وَيَلُكَ أَتَدْرِي مِنْ هَذِهِ! هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ..... ٣٧٩
- (عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ..... ٣٦٤
- لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ..... ٣٠١
- لَا أَلْفَيْنِ أَحَدَكُمْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رِغَاءٌ ..... ٤٨٠
- لَا: الْإِيمَانُ مَكْمَلٌ فِي الْقَلْبِ زِيَادَتُهُ الْكُفْرُ، وَنَقْصَانُهُ الْكُفْرُ «بَاطِلٌ» ..... ٧٦٥
- لَا بَأْسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شُرْكَاً ..... ٣١٨ - ٣٤٦
- لَا بَلْ فِيمَا جَفَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ..... ٤٨٣
- لَا تَوَافُوا حَتَّى تَحَابُّوا ..... ٣٥٧
- لَا تَحَابُّوا أَهْلَ الْقَدْرِ وَلَا تَفَاتَحُوا ..... ٣٥٧

- لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ..... ٤٣٩
- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ..... ١٢
- لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ..... ٦٩١
- لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدكم ساعة خير من عمل ..... ٦٩٣
- لا تشددوا فيشدد الله عليكم ..... ٥٦
- لا تفضلوا بين الأنبياء ..... ١٦٠
- لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها ..... ٧٥٨
- لا تلعه إنه يحب الله ورسوله ..... ٤٣٨
- لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ..... ٥٠١
- لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ..... ٥١٠
- لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ..... ٥٢١
- لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ..... ٤٨١
- لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله
- إلا بإحدى ثلاث ..... ٥٣٩
- لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ..... ٦٩٥ - ٧٣٤
- لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله ..... ٤٦٤
- لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ..... ١٢٩
- لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ..... ٧٣٦
- لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً ..... ٧٣٦
- لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة ..... ٧٣٦
- لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..... ٤٨٣-٤٦٨-٤٤١
- لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ..... ١٧٠
- لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد ..... ٦٦٥
- لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ..... ٤٤٩
- لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه ..... ٤٥٨
- لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى ..... ١٦١
- لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ..... ١٦١
- يا أبا بكر ألسنت تنصب، ألسنت تحزن، ألسنت يصيبك اللأواء ..... ٤٥٤
- يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم ..... ٥٠٩
- يا ابن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس ..... ٥٣٢

- يا أهل الجنة خلود فلا موت «حديث ذبح الموت» ..... ٩٣ - ٦٢٤
- يا بني عبدمناف لا أملك لكم من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ..... ٣٠١
- يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكُم إياها ..... ٦٠٠
- يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ..... ٩٢ - ٦٥٩
- يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب ..... ٩٢
- يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ..... ٣٤٧
- يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ..... ٧٨٤
- يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ..... ٢٩٤
- يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ..... ٤٨١
- يا ولي الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه ..... ٥٢٩
- يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر ..... ٦٩٩
- يأتيني صادق وكاذب (ابن صياد) ..... ١٤٢
- يؤتى بآدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان ..... ٦١٢
- يؤتى بالموت كبشاً أغبر فيوقف بين الجنة والنار ..... ٦١٢
- يبعث من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة ..... ٤١٦
- يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ..... ٣٨١ - ٥٥٨
- يجمع الله الناس يوم القيامة .. فيعطون نورهم على قدر أعمالهم ..... ٦٠٥
- يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ..... ٥٠١
- يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ..... ٥٠٣ - ٥٢٤
- يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم ..... ٢٨٩
- يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء ثم الشهداء ..... ٢٩٣
- يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم ..... ٥٣١
- يظللان صاحبهما كأنهما غمامتان (سورة البقرة وآل عمران) ..... ٩٥
- يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير ..... ٦٠٤
- يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ..... ٣٨١
- يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض  
من شيء ..... ٣٠٦
- يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ..... ٤٢٢
- يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ..... ٥٠٩
- يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء ..... ٤٥٧

- ينادي مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ..... ٦٢٤  
 ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة ..... ٦١٦  
 ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ..... ٢٦٩ — ٢٨١  
 اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ..... ٨٠٠

\* \* \*

- حديث محاجة آدم وموسى ..... ١٣٥  
 حديث قصة هرقل مع أبي سفيان وسؤاله عن النبي ﷺ ..... ١٤٦  
 حديث الإسراء ..... ١٣٩ — ٢٧٤ — ٦١٥  
 حديث الشفاعة ..... ٩٦ — ١٥٨ — ٢٦٥ — ٢٨٣ — ٢٨٧ — ٢٩١  
 حديث البطاقة ..... ٦٠٩

\* \* \*

( ٣ )

## فهرس الشعر

٣٣٥	مني ففعلي كله طاعات	أصبحت متفعلاً لما تختاره
٤٦	تدلُّ على أنه واحد	وفي كل شيء له آية
	إذ كل من وحده جاحد	ما وحد الواحد من واحد
	عارية أبطلها الواحد	توحيد من ينطق عن نعته
٥٥	ونعت من ينعته لاحد	توحيده إياه توحيده
	كتب التناظر لا المغني ولا العمد	لولا التنافس في الدنيا لما وضعت
٢٣٩	وبالذي وضعوه زادت العقد	يحللون بزعم منهم عقداً
٥٥٣	فلسنا بالجمال ولا الحديد	معاوي إنا بشر فأسجح
١٢٢	ل تغشاهم مُسبل منهمر	وقتل كمثل - مذوع النخيل
٢٥٦	وما علي إذا لم تفهم البقر	علي نحت القوافي من مقاطعها
	ربنا في السماء أمسى كبيراً	مجدوا الله فهو للمجد أهل
	س وسوى فوق السماء سريراً	بالبنا العالي الذي بهر النا
٣٦٧	من ترى الملائك حوله صوراً	شرجعاً لا يناله بصر العبد
١٢٢	ما إن كمثلهم في الناس من بشر	سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم
	حار أمري وانقضى عمري	فيك يا أغلوطة الفكر
	ربحت إلا أذى السفر	سافرت فيك العقول فما
	أنك المعروف بالنظر	فلحى الله الألى زعموا
٢٤٦	خارج عن قوة البشر	كذبوا، إن الذي ذكروا
	ر ثواباً عجت من كبره	لو قد رأيت الصغير من عمل الخيل
٤٥٨	ر جزاء أشفقت من حذره	أو قد رأيت الحقيق من عمل الش

- ما للعباد عليه حق واجب  
 إن عذبوا فبعده، أو نعيموا  
 وطارت الصحف في الأيدي منشرة  
 فكيف سهوك والأنباء واقعة  
 أفني الجنان وفوز لا انقطاع له  
 تهوي ساكنها طوراً وترفعهم  
 طال البكاء فلم يُرحم تضرعهم  
 لينفع العلم قبل الموت بعالمه  
 ألا كل شيء ما خلا الله باطل  
 نهاية إقدام العقول عقال  
 وأرواحنا في وحشة من جسوننا  
 ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا  
 فكم قد رأينا من رجال ودولة  
 وكم من جبال قد علت شرفاتها  
 هم معشر حلوا النظام وخرقوا الـ  
 مجانين إلا أن سر جنونهم  
 شهدت بإذن الله أن محمداً  
 وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما  
 وأن الذي عادى اليهود ابن مريم  
 إن الكلام لفي الفؤاد وأنما  
 قد تخللت مسلك الروح مني  
 قفا نبيك من ذكرى حبيب ومنزل  
 أيها المغتدي ليطلب علماً  
 تطلب الفرع كي تصح أصلاً  
 لعمرى لقد طفت المعاهد كلها  
 فلم أر إلا واضعاً كف حائر  
 من يهن يسهل الهوان عليه
- كلاً ولا سعي لديه ضائع  
 ٢٩٦ فبفضله، وهو الكريم الواسع  
 فيها السرائر والأخبار تطلع  
 عما قليل ولا تدري بما يقع؟  
 أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع؟  
 إذا رجوا مخرجاً من غمها فمعو  
 فيها ولا رقة تغني ولا جزع  
 ٦٠٤ قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا  
 ١٩١ وكل نعيم لا محالة زائل  
 وغاية سعي العالمين ضلال  
 وحاصل دنيانا أذى ووبال  
 سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا  
 فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا  
 ٢٤٤ رجال، فزالوا والجبال جبال  
 سبيح فلا فرض لديهم ولا نفل  
 ٧٧٢ عزيز على أبوابه يسجد العقل  
 رسول الذي فوق السماوات من عل  
 له عمل من ربه متقبّل  
 ٣٧٥ رسول أتى من عند ذي العرش مرسل  
 ١٩٩ جعل اللسان على الفؤاد دليلاً  
 ٣٩٦ ولذا سمي الخليل خليلاً  
 ١٨٤ بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
 كل علم عبد لعلم الرسول  
 ١٨ كيف أغفلت علم أصل الأصول؟  
 وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
 ٢٤٥ على ذقن أو قارعا سن نادم  
 ٣٦١ ما لجرح بميت إيلام

٢٥٦	وَأَفْتَهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ	وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا
١٢٢		وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفِينِ
٤٨٥	فَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنَا	فَقَدَمْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ
	وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ	شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
	وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ	وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ
٣٦٧	مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مَسْؤُمِينَ	وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ شِدَادٍ
	مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا	وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
٤٦١	لَوَجَدْتَنِي مِمِّحًا بِذَلِكَ مَيِّنَا	لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسْبِيَةٍ
٦٩	لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا	لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدُوٍّ
	وَقَدْ يَوْرَثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا	رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تَمِيتُ الْقُلُوبَ
	وَخَيْرَ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا	وَتَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ
٢٣٥	وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرَهْبَانُهَا	وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ
	إِلَّا الْحَدِيثَ وَالْأَلْفَقَةَ فِي الدِّينِ	كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مُشْغَلَةٌ
١٨	وَمَا سِوَى ذَلِكَ وَسِوَاكَ الشَّيَاطِينِ	الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ: قَالَ حَدَّثَنَا
٣٥٣	وَالشَّقِيُّ الْجَهْلُ مَنْ لَمْ يَلَمْ حَالَهُ	مَا قَضَى اللَّهُ كَائِنًا لَا مُحَالَةَ
	فَلَيْسَ يَنْسَى رَبُّنَا نَمْلَةً	اِقْنَعْ بِمَا تُرْزَقُ يَا ذَا الْفَتَى
٣٥٣	وَإِنْ تَوَلَّى مَدْبِرًا نَمَّ لَهُ	إِنْ أَقْبَلَ الدَّهْرُ فَقَمَّ قَائِمًا
٧٤٣	فُوقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ	مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ

\*\*\*





## ( ٤ ) فهرس الأعلام

عبيد.	( أ )
ابن أبي شيبة = عبدالله بن محمد بن إبراهيم.	آدم عليه السلام: ١٣٦، ١٣٥، ٦٤، ٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣٤٨، ٣٩٩، ٤١٦، ٤١٨، ٥٩٠
ابن إسحاق = محمد بن إسحاق.	إبراهيم عليه السلام: ٥٤، ٥٣، ٧، ١٥١، ١٦٣، ١٦٤، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٢٤، ٤٦٧، ٥٩٠، ٦٤٤، ٧٦٥، ٧٩٤
ابن الأثير = المبارك بن محمد.	إبراهيم بن السري بن سهل.
ابن الأنباري = محمد بن عبد الكريم.	إبراهيم النخعي: ٦٩٥
ابن بطة = عبيد الله بن محمد بن محمد.	إبليس: ٣٢٨، ٢٦٥، ١٨٦، ١٣٦، ٣٣٥، ٤١٨، ٤١٤، ٤٦١، ٥٨٣، ٤٩٥
ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز.	ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن أبي حاتم.
ابن حبان = محمد بن حبان.	ابن أبي الحديد = عبد الحميد بن هبة الله.
ابن حزم: علي بن أحمد.	ابن أبي الدنيا = عبدالله بن محمد بن
ابن راهويه = إسحاق بن راهويه.	
ابن رشد (الحفيد) = محمد بن أحمد بن رشد.	
ابن سيرين = محمد بن سيرين.	
ابن سينا = الحسين بن عبدالله بن الحسن.	
ابن الصياد: ١٤٢	
ابن عبد البر = يوسف بن عبدالله بن محمد.	
ابن عدي = عبدالله بن عدي بن عبيد الله.	
ابن عربي: محمد بن علي بن محمد	

### الطائي .

ابن العربي = محمد بن عبدالله بن محمد .

ابن عطية = عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن المحاربي .

ابن عقيل = علي بن عقيل بن محمد .  
ابن قتيبة = عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .

ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب .

ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير .  
ابن كلاب = عبدالله بن سعيد كلاب .  
ابن كيسان = محمد بن أحمد بن كيسان .  
ابن مالك = محمد بن عبدالله بن مالك الطائي .

ابن المخرم = يزيد بن سفيان .  
ابن مردويه = أحمد بن موسى .  
ابن وهب = عبدالله بن وهب .

أبو إسماعيل الأنصاري = عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري .

أبو أمامة الباهلي = صدي بن عجلان .  
أبو أوفى = علقمة بن خالد بن الحارث .  
أبو البركات = هبة الله بن ملكا .

أبو بكر الصديق = عبدالله بن عثمان .  
أبو بكر بن أبي خيثمة = أحمد بن أبي خيثمة .

أبو بكر بن أبي الدنيا: عبدالله بن محمد بن عبيد .

أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد: ٦٠٨  
أبو بكر بن الطيب = محمد بن الطيب

### الباقلاني .

أبو بكرة = نفع بن الحارث .  
أبو جعفر الهمداني = أحمد بن محمد بن الضحاك .

أبو حاتم الرازي = محمد بن إدريس بن المنذر .

أبو حاتم محمد بن حبان = محمد بن حبان البستي .

أبو حازم = سلمة بن دينار .  
أبو حامد الغزالي = محمد بن محمد بن محمد .

أبو الحجاج المزي = يوسف بن عبدالرحمن .

أبو الحسن الأشعري = علي بن إسماعيل .

أبو الحسن العنبري: ٢٦٤  
أبو الحسن القاسبي = علي بن محمد بن خلف .

أبو الحسين البصري = محمد بن علي بن الطيب .

أبو الحسين الصالحى = ٤٦٠  
أبو حنيفة = النعمان بن ثابت .  
أبو خليفة = حجاج بن عتاب العبدي البصري .

أبو داود = سليمان بن الأشعث السجستاني .

أبو داود الطيالسي = سليمان بن داود بن الجارود .

أبو الدرداء = عويم بن عامر .

أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة.  
 أبو رزین = لقيط بن عامر بن صبرة بن  
 عبدالله.  
 أبو الزبير = محمد بن مسلم بن تدرس  
 المكّي.  
 أبو الزناد = عبدالله بن ذكوان.  
 أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن  
 سنان.  
 أبو سفيان = صخر بن حرب.  
 أبو سليمان الداراني = عبدالرحمن بن أحمد  
 العنسي.  
 أبو شامة = عبدالرحمن بن إسماعيل.  
 أبو صالح = باذام.  
 أبو صالح = عبدالله بن صالح.  
 أبو طالب بن عبدالمطلب = عبد مناف بن  
 عبدالمطلب.  
 أبو طالب المكّي = محمد بن علي بن  
 عطية.  
 أبو عبدالرحمن = عبدالله بن حبيب بن  
 ربيعة الكوفي.  
 أبو عبدالرحمن السلمي = محمد بن  
 الحسين بن موسى.  
 أبو عبيدة بن الجراح = عامر بن عبدالله.  
 أبو عثمان النيسابوري = إسماعيل بن  
 عبدالرحمن.  
 أبو عثمان النهدي = عبدالرحمن بن  
 مَل بن عمرو بن عدي بن وهب.  
 أبو عصام القسطلاني: ٣٢٣  
 أبو العلاء الهمداني = الحسن بن أحمد بن

الحسن العطار.  
 أبو علي الجوزجاني: ٧٤٧  
 أبو علي الروذباري = محمد بن أحمد بن  
 القاسم.  
 أبو عمرو بن العلاء = زبان بن العلاء.  
 أبو عوانة الأسفرايني = الوضّاح بن  
 عبدالله.  
 أبو القاسم الساباذي: ٤٧٩  
 أبو القاسم القشيري = عبدالكريم بن  
 هوازن.  
 أبو قتادة = الحارث بن ربيعي بن  
 يلدمة بن خناس.  
 أبو لهب = عبدالعزيز بن عبدالمطلب.  
 أبو الليث السمرقندي: نصر بن  
 محمد بن إبراهيم.  
 أبو مالك الأشعري: ٦١١ - ٧٦١  
 أبو مسعود = عقبة بن عمرو.  
 أبو مطيع البلخي = الحكم بن عبدالله.  
 أبو المعالي الجويني = عبدالملك بن  
 عبدالله.  
 أبو معاوية = محمد بن خازم (الضرير).  
 أبو المعين النسفي = ميمون بن محمد.  
 أبو منصور بن حمّاذ = محمد بن  
 عبدالرحمن بن حمّاذ.  
 أبو منصور الماتريدي = محمد بن  
 محمد بن محمود.  
 أبو المهزم = يزيد بن سفيان.  
 أبو موسى الأشعري = عبدالله بن قيس.  
 أبو نصر الوائلي = عبدالله بن سعيد بن  
 حاتم.

أحمد بن موسى بن مردويه: ٢٠٩  
الأخطل = غياث بن غوث.  
الأخفش = علي بن سليمان بن الفضل.  
إدريس عليه السلام: ٢٧٤  
أرسطو: ١٥٢  
أسامة بن زيد: ٣٩٧  
إسحاق بن إبراهيم: ٤٨٥  
أسلم مولى عمر: ٤٣٨  
إسحق بن إبراهيم: ٤٨٥  
إسحاق بن راهويه: ٨٥، ٤٥٩  
إسرافيل عليه السلام: ٢٤٨، ٤٠٨  
إسماعيل عليه السلام: ٣١٥، ٣٩٧  
إسماعيل بن حماد الجوهري: ٤٢٠  
إسماعيل بن عبدالرحمن السدي:  
٣٠٨، ٣٧٠  
إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني:  
٢٦٩، ٧٤٢  
إسماعيل بن عمر بن كثير: ٢٧٧،  
٤٨٠، ٦٠٣  
إسماعيل بن يحيى المزني: ٢١٢  
آسية امرأة فرعون: ٦١٩  
أشج عبدالقيس: ٦٥١  
الأشعث بن قيس: ٧٠٢  
الأصم: عتبة بن عبدالله.  
الأعرج = حميد الأعرج.  
أفلاطون: ١٥٢  
أم حبيبة رضي الله عنها = رملة بنت  
أبي سفيان.  
أم سلمة رضي الله عنها = هند بنت  
أبي أمية بن المغيرة.

أبو الهذيل العلاف = محمد بن الهذيل بن  
عبدالله بن مكحول العبدي.  
أبو هريرة = عبدالرحمن بن صخر.  
أبو الهياج الأسدي = حيان بن حصين.  
أبو يعلى الموصلي = أحمد بن علي.  
أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم  
الحميري.  
أبي بن كعب: ٣٤٨  
أحمد بن أبي دؤاد الإيادي: ١٢١  
أحمد بن الحسين البيهقي: ١٥٣،  
٢٨٣، ٦١٢، ٤٨٢  
أحمد بن أبي خيثمة: ٧٣٢  
أحمد بن شعيب النسائي: ٤٨٠  
أحمد بن علي (أبو يعلى): ٢٨٨، ٢٩٣  
أحمد بن عمرو بن عبدخالق: ٦٩٢  
أحمد بن محمد بن إبراهيم (الثعلبي):  
٣٠٩  
أحمد بن محمد بن حنبل (الإمام): ٧،  
١٣١، ٢٢٩، ٢٣٦، ٣٠٤،  
٣٠٦، ٣٣٨، ٣٦٥، ٣٨٦،  
٣٨٧، ٤٥٩، ٤٨٠، ٥٣٤،  
٥٥٩، ٥٧٦، ٥٨٢، ٥٨٦،  
٦٠٤، ٦٠٩، ٦١١، ٦١٢،  
٦٦٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٧٦١،  
٧٦٤، ٧٩٦  
أحمد بن محمد (الخلال).  
أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي:  
١٣، ٤٩، ١٦٠، ١٧٢، ١٨٦،  
١٩٤، ١٩٥، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٩٤  
أحمد بن محمد بن الضحاك: ٣٩٠

امرؤ القيس : ١٨٤

الأمدي = علي بن أبي علي بن محمد.

الأموي = يحيى بن سعيد بن أبان.

أمية بن أبي الصلت : ٣٦٧

أنس بن عياض : ٢٢٩

أنس بن مالك : ٢١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٨ ،

٢٧٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٣٠٦ ، ٣١١ ، ٤٢٢ ، ٤٥٦ ،

٤٨٧ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ،

٥٧٦ ، ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ،

٦١٧ ، ٧٣٠ ، ٧٥٦

الأنصاري : ٤١٧

الأوزاعي = عبدالرحمن بن عمرو بن

يحمد.

أوس بن حجر : ١٢٢

أيوب بن أبي تيممة السخيتاني : ٧٢٨

(ب)

بازام : ٢١٠

البخاري = محمد بن إسماعيل بن

إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة.

البراء بن عازب : ٥٧٣ ، ٥٨٢ ، ٦١٦ ،

بريدة بن الحصيب : ٦٦٥

البزار = أحمد بن عمرو بن عبد الخالق.

بشر بن غياث المريسي : ١٧ ، ١٢٥ ،

١٨٠ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣

بطليموس : ١٥٢

البغوي = الحسين بن مسعود.

بقراط : ١٥١ ، ٥٠٣

بقية بن الوليد : ٣٢٢

بلال بن رباح : ٥٦٦

بلعام بن باعوراء : ٧٤٧

بليقيس : ١٨١

بولص : ٧٣٩

اليهقي : أحمد بن الحسين.

(ت)

تاج الدين الفزاري = عبدالرحمن بن

إبراهيم بن ضياء.

الترمذي = محمد بن عيسى بن سورة بن

موسى بن الضحاك.

(ث)

ثابت بن أسلم البتاني : ٢٩١

الثعلبي = أحمد بن محمد بن إبراهيم.

ثوبان بن بجدد : ١٢٩ ، ١٥٧

(ج)

جابر بن سمرة : ٧٣٦

جابر بن عبدالله : ٥٨ ، ١٧٧ ، ٣١٨ ،

٣٤٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٤٤١ ،

٤٥٧ ، ٦١٩ ، ٦٧١ ، ٦٩٣ ،

٦٩٥ ، ٧٠٣ ، ٧٣٠ ، ٧٣٣

جالينوس : ١٥١ ، ٥٠٣

جيريل عليه السلام : ١٨٣ ، ١٩٥ ،

٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٨ ، ٢٧٣ ،

٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ٣٥٠ ،

٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٨ ،

٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٦٣ ،

٤٨٧ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ،

الحسن بن علي بن أبي طالب: ٧٢٢،  
٧٣٥

الحسن بن علي العسكري: ٧٣٦  
الحسن بن يسار البصري: ٢١٠، ٢٧١،  
٢٩٢، ٣٦٢، ٤٤٩، ٤٧٣، ٦٠٤،  
٧٩٢، ٧٨٧، ٦٩٨، ٦٩٧

الحسين بن عبدالله بن الحسن: ٧٩٨  
الحسين بن علي بن أبي طالب: ٢٠٩،  
٧٣٧، ٧٣٢  
الحسين بن مسعود (البغوي): ١١٤،  
٣٠٩، ٤٢٤، ٧٥٧

حطام المجاشعي.  
حفصة أم المؤمنين: ٦٠٦، ٧١٦  
الحكم بن عبدالله بن سلمة: ٢٦٨،  
٣٨٧، ٤٨٠  
حماد بن زيد: ٢٩٠، ٤٩٤، ٥٥٠  
حماد بن سلمة: ٢٦٢، ٤٨٠  
حمزة بن حبيب الزيات.  
حميد الأعرج: ٧٨٣  
حميد بن عبدالرحمن: ٧١٨  
الحميدي = عبدالله بن الزبير الحميدي.  
حيان بن حصين الأسدي: ٣٠

(خ)  
خالد بن عبدالله القسري: ٣٩٥،  
٧٩٤

خالد بن الوليد: ٦٩١، ٦٩٢  
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:  
١٤٤، ١٤٥

٥٣٥، ٥٦٨، ٦١٨، ٦٨٧  
جبير بن محمد: ٣٧٧

جبير بن مطعم: ٣٧٧، ٦٩٧  
جرير بن عبدالله البجلي: ٢١٦  
الجد بن درهم: ٣٩٤، ٣٩٥، ٧٩٠،  
٧٩٥

جعفر بن محمد الصادق: ٧٣٥  
جندب بن عبدالله البجلي: ٢٧٩  
جندب بن جنادة: ٩٢، ٢٢٤، ٣٧١،  
٤٨٦، ٥٠٩، ٥٤٠، ٦٠٠  
جهم بن صفوان: ٢٤، ١٠٥، ١٢١،  
٣٩٢، ٣٩٥، ٤٦٠، ٤٦١،  
٤٦٢، ٦٢١، ٦٢٥، ٦٣٩  
٦٨٧، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧

الجوهري = إسماعيل بن حماد.  
الجويني = عبدالملك بن عبدالله.

(ح)

حاطب بن أبي بلتعة: ٧٣٤  
الحاكم النيسابوري = محمد بن عبدالله.  
حباب بن المنذر: ٧٠٩  
حجاج بن عتاب العبد البصري: ٢٩٢  
الحجاج بن يوسف الثقفي: ٥٣١،  
٥٣٢

حذيفة بن أسيد: ٧٥٥  
حذيفة بن اليمان: ٢١١، ٣٥٧،  
٤٢٩، ٥٣٦، ٥٤١، ٦٩٩،  
٧١٣، ٧٣٠

حسان بن ثابت: ١٤٠، ٣٧٥  
الحسن بن أحمد بن الحسن العطار:  
٣٤٥

الزغشري = محمود بن عمر.  
 زكريا عليه السلام: ٥٦٣  
 الزهري = محمد بن مسلم بن شهاب.  
 زهير بن حرب بن شداد: ٣١٨  
 زيد بن أرقم: ٧٣٧  
 زيد بن ثابت: ٥٨١، ٦٦١  
 زيد بن حارثة: ٣٩٧  
 زيد بن خالد: ٧٦١  
 زينب بنت جحش رضي الله عنها:  
 ٣٧٨

(س)

سالم مولى أبي حذيفة: ٧٨٩  
 السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن.  
 سراقه بن مالك بن جعشم: ٣١٨،  
 ٣٤٦  
 سعد بن أبي وقاص: ٧١١، ٧٢٥،  
 ٧٢٨  
 سعد بن عباد: ٦٦٧، ٧٠٧، ٧٠٨،  
 ٧٠٩  
 سعد بن مالك بن سنان: ٢١٦،  
 ٢٨٠، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٩٦،  
 ٥٤٢، ٦٢٧، ٦٨٨، ٦٩١،  
 ٦٩٧، ٧٣١، ٧٥٢

سعد بن معاذ: ٣٧٨

سعيد بن أبي صدقة: ٥٥١

سعيد بن أبي عروبة: ٥٧٦

سعيد بن جهان: ٧٠٤

سعيد بن زيد: ٧٢٨، ٧٣١، ٧٣٢

الخسرو شاهي = عبد الحميد بن عيسى.

الخضر عليه السلام: ٤١٦، ٦٣٥،

٧٧٤

الخلال: أحمد بن محمد بن هارون بن  
 يزيد.

الخليل بن أحمد: ٥٠٣

خولة بنت ثعلبة: ٣٧٩

الخونجي = محمد بن ناسور بن  
 عبد الملك.

(د)

الدارقطني = علي بن عمر.

الدارمي = عثمان بن سعيد الدارمي.

داود بن أبي هند: ٣٣٨

داود الجواربي: ٢٦١، ٧٨٧

الدجال: ٧٥٤، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨

دلف بن جحدر الشبلي: ٤٢٧

(ر)

الرازي = محمد بن عمر بن حسين.

الربيع بن سليمان: ٢١٢

ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ٦٦

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها:

١٢٧، ١٢٩

الروح الأمين = جبريل عليه السلام.

(ز)

الزاهدي = مختار بن محمود الغزميني.

زبان بن العلاء: ١٧٧

الزبير بن العوام: ٧١٦، ٧١٧،

٧١٨، ٧١٩، ٧٢٣، ٧٢٨،

٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢

الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل.

(ص)

صالح عليه السلام: ٣٢، ٣٣٥،  
صخر بن حرب: ١٤٦، ١٥٠، ٦٩٢  
صفية بنت أبي عبيد: ٧٥٩  
صهيب بن سنان: ٢١٧

(ض)

الضحاك بن عبدالرحمن بن عرزب:  
٣٠٨  
الضحاك بن مزاحم: ١٦٨، ٦٩٧

(ط)

الطبراني = سليمان بن أحمد.  
الطبري = محمد بن جرير الطبري.  
الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة.  
طلحة بن عبيدالله: ٧١٦، ٧١٧،  
٧٢٣، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١،  
٧٣٢

(ع)

عائشة رضي الله عنها: ٣١، ١٨٨،  
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٥٢،  
٢٧١، ٢٧٦، ٣٣٨، ٣٥٠،  
٣٩٧، ٤٤٨، ٦٠٥، ٦١٦،  
٦٢٩، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٩٣،  
٦٩٩، ٧٠٥، ٧٠٨، ٧٠٩،  
٧١٥، ٧٢٠، ٧٢٨، ٧٥٩،  
٧٦٢، ٧٧٧، ٧٨٨

سعيد بن المسيب: ٧٩٤

سفيان بن عيينة: ٢٣٦، ٢٦٢، ٥٠٢  
سفينة مولى رسول الله ﷺ: ٧٠٤  
سقراط: ١٥٢

سلم بن أحوز: ٣٩٥، ٧٩٥

سلمة بن دينار: ٢٢٩، ٢٨٠

سليمان عليه السلام: ٤١٦، ٧٨٠

سليمان بن أحمد (الطبراني): ٢٨٨،

٣٤٤، ٤١٧

سليمان بن الأشعث: ٤٨٠

سليمان بن حرب: ٢٩٠

سليمان بن داود بن الجارود: ٢٦٢

سمرة بن جندب: ٧٠٣

السهروردي = عمر بن محمد بن  
عبدالله.

سهل بن سعد: ٢٨٠، ٣١٨

سهل بن عبدالله التستري: ٢٦٤

سيويه = عمرو بن عثمان.

(ش)

الشبلي = دلف بن جحدر، أبوبكر  
الشبلي البغدادي.

شريك بن عبدالله: ٢٦٢

شعبة بن الحجاج: ٢٦٢، ٤٨٠

شعيب عليه السلام: ٢١، ٣٣٥

شعيب بن عبدالله بن عمرو: ٣٣٨

الشهرستاني = محمد بن عبدالكريم.

الشيخ الطحاوي أحمد بن محمد =

(أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي).



عبد الرحمن بن عمرو بن محمد: ٣٢٢،

٤٥٩

عبد الرحمن بن عوف: ٦٩١، ٧١٣،

٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧،

٧٢٧، ٧٢٩، ٧٣٠

عبد الرحمن بن مل بن عمرو: ٧٢٩

عبد السلام بن حرب: ٤٨٥

عبد العزيز بن عبد المطلب: ٦٥٣

عبد العزيز بن أبي حازم: ٧٩٧

عبد العزيز بن يحيى الكتاني المكي:

١٢٥، ١٨٠، ١٨١

عبد الكريم بن هوازن القشيري: ٢٦٣

عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل:

٤١٧

عبد الله بن أحمد بن محمود: ٢٠٤

عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي:

٤٥٤

عبد الله بن ذكوان: ٧٨٣

عبد الله بن رباح الأنصاري: ٧٨٤

عبد الله بن رواحة: ٣٦٧

عبد الله بن الزبير الحميدي: ١١٤،

٥٠٠

عبد الله بن سبأ: ٧٣٨

عبد الله بن سعيد بن كلاب: ١٠٣،

١٧٣، ١٩٩، ٦٨٧

عبد الله بن سلام: ٤١٧

عبد الله بن صالح.

عبد الله بن عثمان (أبو بكر): ٢١١،

٢١٩، ٣٩٧، ٤٥٤، ٤٦٣،

٥٥٠، ٥٥١، ٦٦٣، ٦٩٣،

عامر = محمد بن الفضل السدوسي.

عامر بن عبد الله بن الجراح: ٧٠٩،

٧٢٨، ٧٣١، ٧٣٢

عبادة بن الصامت: ٣٤٤، ٦٦١

العباس بن عبد المطلب: ٣٦٥، ٧٠٧،

٧١٤

عبد بن حميد: ٦٢٧

عبد الجبار بن أحمد الهذلي: ٨٦

عبد الحق بن غالب: ٣١٤

عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي:

٢٤٥

عبد الحميد بن هبة الله: ٢٤٦

عبد الرحمن بن أحمد: ٧٥

عبد الرحمن بن أبي بكر: ٧٠٠

عبد الرحمن بن أبي حاتم: ٣٦٨،

٣٨٧

عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء: ٤١٣

عبد الرحمن بن إسماعيل: ٣٦٢

عبد الرحمن الحلي: ٦٠٩

عبد الرحمن بن صخر: ٢١٦، ٢٢٣،

٢٨٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠،

٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٧٦،

٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٣٧،

٤٨٠، ٥٠١، ٥٠٩، ٥٣٠،

٥٣٥، ٥٣٧، ٥٧٧، ٦٠٧،

٦١٠، ٦١٢، ٦١٨، ٦٢٦،

٦٢٨، ٦٧٧، ٧٠١، ٧١١،

٧٣٢، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨،

٧٨٣، ٧٨٦، ٧٥٩

عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي: ٤٨٥

عبدالله بن محمد بن إسماعيل: ٣٦،  
٥٢٩، ٣٨٦، ٥٥

عبدالله بن محمد بن أبي شيبه: ٣٦٩،  
٣٧١

عبدالله بن محمد بن عبيد: ٦٠٤،  
٦٠٩

عبدالله بن مسعود: ١٢٧، ٢٢٣،  
٢٧٦، ٣١٩، ٣٣٧، ٣٦٠

٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٩، ٤٨٢،  
٥٣٢، ٥٤٦، ٥٥٤، ٥٨٦

٦١١، ٦١٩، ٦٢٦، ٦٩٦،  
٧٨٥، ٧٩٥

عبدالله بن مسلم بن قتيبة: ٥٦٣

عبدالله بن مغفل: ٦٩٧

عبدالله بن هارون الرشيد (المأمون):  
١٢١، ١٢٥، ١٨٠، ٣٩٦، ٧٩٦

عبدالله بن وهب: ٧١٢

عبدالله بن يزيد القرشي: ٤٨٥

عبيدالله بن سعيد الوائلي: ٦٠٧

عبدالمالك بن عبدالعزيز: ٧٨٩

عبدالمالك بن عبدالله الجويني: ١٠٨،  
١٧٤، ٢٤٥، ٣٩٠

عبدمناف بن عبدالمطلب: ٤٦١

عبدالمالك بن مروان: ٧٣٦

عبد الوهاب بن أحمد بن عرب شاه.

عبيدالله بن محمد بن محمد: ٦٩٣، ٧٠٧

عثمان بن حنيف: ٧١٣

عثمان بن سعيد الدارمي: ١٠٧، ٢٢٤

عثمان بن عفان: ٢٠٨، ٢٩٣، ٤٢٩

٥٣٢، ٥٥٤، ٦٦٥، ٧٠٢، ٧٠٣

٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠

٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤

٧٠٦، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨

٧٠٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٧

٧٢٦، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٨

٧٣٩، ٧٥١، ٧٦٢، ٧٦٣

عبدالله بن عدي بن عبدالله: ٤٨٠

عبدالله بن العباس: ٧، ٢٩، ١٦٥

١٦٨، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٣

٢٥٤، ٢٥٥، ٣٠٣، ٣٠٨

٣١٠، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٥٧

٣٥٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤

٣٧٩، ٤٢٤، ٤٦٩، ٥١٦

٥٤١، ٥٥٩، ٥٧٦، ٥٨٦

٦١٦، ٦٦١، ٦٦٥، ٦٦٦

٦٦٧، ٦٩٣، ٧١١، ٧١٣، ٧١٤

عبدالله بن عمر بن الخطاب: ٢٠٩

٣٠٨، ٣٥٦، ٣٥٨، ٤٤٠

٥٠١، ٥٣٠، ٦١٥، ٦٧٦

٦٧٧، ٧٠٤، ٧١٥، ٧١٦

٧١٧، ٧٢٨، ٧٥٦، ٧٦٤، ٧٩٦

عبدالله بن عمرو بن العاص: ١٢٦

٣١٠، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٥

٤١٧، ٤٤٠، ٦٠٩، ٧٥٨

٧٨٤

عبدالله بن قيس: ٢١١، ٢١٧

٢٢٤، ٦٠٤

عبدالله بن المبارك: ٢٣٥، ٢٦٣

٥٠٢، ٦٠٤، ٧٩٥

- ٥٨٣  
علي بن أحمد الواحدي : ٣٠٩  
عمر بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة :  
٢٥٦  
علي بن إسماعيل (الأشعري) : ١٠٣، ٧٠،  
١٧٣، ١٩٩، ٦٥٣  
علي بن الحسين زين العابدي : ٧٣٥  
علي بن سليمان بن الفضل .  
علي بن عقيل بن محمد : ٦٧٨  
علي بن عمر (الدارقطني) : ٤٨٠، ٥٣٠،  
٥٣١  
علي بن محمد بن خلف القابسي : ٢٨٢  
علي بن محمد الهادي : ٧٣٦  
علي بن موسى الرضى : ٧٣٥  
عمار بن ياسر : ٥٩، ١٢٩، ٤٨٢  
عمران بن حصين : ١١٢، ٦٣٤، ٦٩٤  
عمر بن الخطاب : ١٣٥، ٢٩٨، ٣٠٤،  
٣١٠، ٣٥٧، ٣٧٩، ٤٣٨، ٤٤٧،  
٤٤٨، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٠١، ٥١٠،  
٥٣٤، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٥٠،  
٥٥١، ٦٢٨، ٦٩٣، ٦٩٧، ٦٩٩،  
٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦،  
٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١،  
٧١٣، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨،  
٧١٩، ٧٢٤، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣١،  
٧٣٩، ٧٥١، ٧٦٢، ٧٦٤، ٧٧٧  
عمر بن عبدالعزيز : ٧٠٧، ٧٣٧  
عمر بن محمد بن عبدالله .
- ٧٠٤، ٧١٢، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨،  
٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣،  
٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٩، ٧٦٤،  
٧٧٧، ٧٩٧، ٧٩٨  
عثمان بن مظعون : ٧٨٩  
عدي بن حاتم : ٢١٧  
عدي بن زيد .  
العرباض بن سارية : ٥٤٥، ٧٢٦  
عرب شاه = عبد الوهاب بن أحمد .  
عروة بن رُويم : ٤١٧  
عطاء بن أبي رباح : ٢٢٣  
العقيلي = محمد بن عمرو بن موسى بن  
حماد .  
عقبة بن عبدالله الأصم : ٢١٢  
عقبة بن عمرو : ٤٠٤  
عكاشة بن محصن : ٢٨٩  
عكرمة بن عبدالله (مولى ابن عباس) :  
٣٧٩، ٥٥٩، ٧٨٥  
العلاء بن الحجاج : ٣٢٢  
علقمة بن خالد بن الحارث : ٣٩٩  
علي بن أبي طالب : ٧، ٣٠، ١٦٢،  
٢١٠، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٤٤٧،  
٧٠٢، ٧٠٤، ٧٠٧، ٧١١، ٧١٦،  
٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١،  
٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٨،  
٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٤، ٧٣٨، ٧٣٩،  
٧٨٩، ٧٩٧، ٧٩٩  
علي بن أبي علي بن محمد الأمدي : ٢٤٣  
علي بن أحمد (ابن حزم) : ٣٠٧، ٥٧٩،

(ق)

القاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر: ٤٨٥  
قتادة بن دعامة السدوسي: ٤١، ٤٢٤،  
٧٩٢، ٥٧٦  
قدامة بن مظعون: ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨  
القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر.  
القفال: محمد بن علي بن إسماعيل  
الشاشي.  
قيس بن أبي حازم: ٧٢٩  
قيس بن عمرو بن مالك.  
قيصر: ١٧٠

(ك)

كسرى: ١٧٠  
كعب الأحبار: ٥٨٣  
كعب بن مالك: ٥٨٧، ٦١٧

(ل)

اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور.  
ليبد بن الأعصم: ٧٩٥  
ليبد بن ربيعة: ١٩١  
لقيط بن عامر بن صبرة: ٣٧٤  
لوط عليه السلام: ٣٣٥، ٣٩٩  
ليث بن سعد: ٤٦٩، ٦١٠، ٧٦٩

(م)

المأمون (الخليفة): عبدالله بن هارون.  
مالك بن أنس: ٨٦، ٩٦، ٢٣٦، ٣٧٢،  
٣٨٧، ٤٥٩، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦،  
٦٦٤، ٦٧٥، ٦٨٥، ٧٦٤، ٧٧٧

عمر بن إسماعيل بن حماد.

عمرو بن شعيب: ٢٢٩، ٣٣٨، ٧٨٤  
عمرو بن العاص: ٣٩٧، ٧٠٨، ٧٨٤  
عمرو بن عبيد: ٣٢٣، ٣٩٦، ٧٩١،  
٧٩٢

عمرو بن عثمان: ٧٣، ٥٠٣  
عمرو بن علي الفلاس: ٤٨٠  
عمرو بن ميمون: ٧١٠  
عمرو بن الهيثم: ٣٢٢  
عوف بن مالك: ٥٤٢، ٥٥٥، ٧٥٤  
عويمر بن عامر: ٤٨١، ٧٠٨  
عياض بن موسى بن عياض: ٢٢٢،  
٢٢٤، ٢٢٩، ٧٦١  
عيسى عليه السلام: ٥٣، ١٣٩، ٢٠٠،  
٢٧٣، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١،  
٢٩٤، ٤٢١، ٤٢٤، ٥٩٠، ٦٩٦،  
٧٥٦، ٧٧٤، ٧٩١

(غ)

الغزالي: محمد بن محمد بن محمد.  
غياث بن غوث: ١٩٩

(ف)

فارس بن مردويه: ٤٨٠  
فاطمة بنت النبي ﷺ.  
الفرّاء: يحيى بن زياد.  
فرعون: ٢٦، ١٥١، ١٥٢، ١٨٣،  
١٨٦، ٣٨٥، ٣٩٩، ٤٦٠، ٥٨٢،  
٥٨٩، ٥٩٠، ٦١٩، ٧٤٣

مالك خازن النار (عليه السلام).  
 مالك بن دينار: ٥٤٣  
 المبارك بن محمد (ابن الأثير): ١١٤  
 مجاهد بن جبر: ١٦٨، ٢٥٥، ٣٠٨، ٤٦٩  
 محمد بن أبي بكر بن أيوب: ٢٧٢، ٦٠٣  
 محمد بن أبي الفضل المرسي: ٧٣  
 محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي):  
 ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٠٩، ٣١٠  
 ٣٤١، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٤  
 محمد بن أحمد بن رشد: ٢٤٣  
 محمد بن أحمد بن القاسم: ٤٥٦  
 محمد بن أحمد بن كيسان: ٤٥  
 محمد بن إدريس الرازي: ٣٠٤، ٣٠٥، ٤٨٠  
 محمد بن إدريس الشافعي: ١٧، ٧٧، ٨٦، ١٢٥، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٦، ٢٤٧، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٨٧، ٤٥٩، ٥٠٠، ٥٣٤، ٥٣٦، ٦٦٤، ٧٦٤، ٧٦٩  
 محمد بن إسحاق: ٢٧٠  
 محمد بن إسماعيل البخاري: ٥٩، ١١٢، ١١٩، ٤٨٠، ٥٠٠  
 محمد بن جبر: ٣٧٧  
 محمد بن جرير الطبري: ٤١، ١٦٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٥٣، ٢٨٧، ٣٠٤، ٣٧٠، ٤٣٠  
 محمد بن حبان البستي: ٤٨٠  
 محمد بن الحسن: ٧٣٦  
 محمد بن الحسن الشيباني: ١٣، ٢٠٦، ٢٥٦، ٢٩٧، ٦٦٤، ٦٧٥

محمد بن الحسن العسكري: ٥٥٦  
 محمد بن الحسين بن موسى الأزدي  
 السلمي: ٢٦٤  
 محمد ابن الحنفية: ٧١٠  
 محمد بن خازم: ٣٣٨  
 محمد بن خزيمه: ٤٢٢  
 محمد بن الزبير الحنظلي: ٧٠٧  
 محمد بن سيرين: ٥٥١  
 محمد بن هشاب الزهري: ٢٣١، ٧٧٦  
 محمد بن طاهر المقدسي: ٣٩٠  
 محمد بن الطيب الباقلائي: ٧٣٩  
 محمد بن عبدالرحمن بن حمشاذ: ٢٦٩  
 محمد بن عبدالكريم الشهرستاني: ٢٤٤  
 محمد بن عبدالله بن جحش: ٥٨٥  
 محمد بن عبدالله الإشبيلي: ٣٤٢  
 محمد بن عبدالله بن مالك: ١٧١، ٢١٤  
 محمد بن عبدالله النيسابوري: ٩، ١٢٩، ٢١٢، ٣٠٤، ٣١٠، ٣٦٩، ٤٤١، ٥٧٦، ٦٦١  
 محمد بن عبيد المكي: ٣٢٢  
 محمد بن علي الباقر: ٧٣٥  
 محمد بن علي الجواد: ٧٣٥  
 محمد بن علي بن الطيب: ٦٤٤  
 محمد بن علي بن عطية: ٤٠٥  
 محمد بن علي بن محمد الطائي: ١٧٩، ٦٢٤، ٧٤٣، ٧٤٤  
 محمد بن عمر بن حسين الرازي: ١٧٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٣٠٩، ٦٤٣

المسور بن مخزوم: ٧١٨  
 المسيح عليه السلام: عيسى عليه  
 السلام.  
 مطرف بن عبدالله الشخير: ٦٨١  
 معاذ بن جبل: ٢٠٢، ٢٩٤، ٣٩٧،  
 ٧٧٦، ٤٨٢  
 معاوية بن أبي سفيان: ٣٧١، ٣٤٠،  
 ٣٥٠، ٧٢٢، ٧٢٣  
 معاوية بن صالح: ٥٣٠  
 معبد بن هلال العتري: ٢٩٠  
 المعتصم: محمد بن هارون الرشيد.  
 معلى بن منصور الرازي: ٧٤٥  
 المغيرة بن شعبة: ٧١٤  
 مقاتل بن حيان: ١٦٨  
 المقداد بن الأسود: ٧٨٩  
 مقوقس: ١٧٠  
 مكحول بن شهراب: ٥٢٩، ٥٣٠  
 الملائي: عبدالله بن حرب النهدي.  
 منصور بن عبدالله: ٢٦٤  
 منكر ونكير: ٥٨١  
 موسى عليه السلام: ٢٦، ٥٣، ٨٢،  
 ١٣٥، ١٣٦، ١٥١، ١٥٩،  
 ١٦٢، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٧،  
 ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٨،  
 ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٤،  
 ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٣،  
 ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٤،  
 ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٥، ٣٩٦،  
 ٣٩٨، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٦٧،  
 ٥٩٠، ٥٩١، ٦٠٣، ٦٣٥

محمد بن عمرو العقيلي: ٤٨٠  
 محمد بن عيسى الترمذي: ٧٦  
 محمد بن الفضل: ٤٧٩  
 محمد بن الفضل السدوسي: ٥٥٠  
 محمد بن الفضل بن العابد: ٤٨٠  
 محمد بن محمد بن محمد الغزالي:  
 ٢٨٢، ٢٤٣، ٢٣٦  
 محمد بن محمد بن محمود الماتريدي:  
 ١٧٤، ١٨٧، ٣٠٤، ٤٦٠، ٤٦٢  
 محمد بن مسلم بن تدرس: ٣١٨،  
 ٦١٩  
 محمد بن مسلم بن شهاب: ٥٨٤  
 محمد بن تامار الخونجي: ٢٤٦  
 محمد بن نصر المروزي: ٤٨٥، ٥٦٣  
 محمد بن هارون الرشيد: ٧٩٦  
 محمد بن الهذيل العلاف: ١٠٥،  
 ٦٢١، ٧٩٢  
 محمد بن حسن الوراق: ٤٥٨.  
 محمود بن عمر الزخشي: ٨٦،  
 ٣٠٩، ٤٩٧  
 مختار بن محمود الغزيني: ٦٧٣  
 المزني: إسماعيل بن يحيى بن  
 إسماعيل بن عمرو بن إسحاق  
 المزني.  
 مسروق بن الأجدع: ٢٢٢، ٦٦٠  
 المسعودي: عبدالرحمن بن عبدالله بن  
 عتبة.  
 مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري  
 النيسابوري: ٩٢  
 سلم بن أحوز: ٧٩٥

(أ)

هارون عليه السلام: ٢٧٤، ٧٢٥  
هارون بن محمد بن منصور: ٥٣٥،  
٧٩٢

هبة الله بن الحسن: ٣٢٢  
هبة الله بن ملكا: ١٧٣  
هبة الله = عبد الوهاب بن أحمد بن عرب  
شاه.

هرقل ملك الروم: ١٤٦  
هند بنت أبي أمية رضي الله عنها:  
٣٧٣، ٦٨٥  
هود عليه السلام: ٢١، ٥٠، ٣٣٥

(ج)

وائل بن الأسقع: ١٥٨  
الواحد = علي بن أحمد بن محمد  
واصل بن عطاء: ٧٩١، ٧٩٢

ورقة بن نوفل: ١٤٦  
الوضاح بن عبدالله: ٢٦٢  
وكيع بن الجراح: ٦٩٤  
الوليد بن عقبة بن أبي معيط: ٥٣٢  
وهب بن منبه: ١٣٧

(ي)

ياجوج وماجوج: ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨  
يحيى بن زكريا عليه السلام: ٢٧٣  
يحيى بن زياد: ٤٢٠  
يحيى بن سعيد بن أبان: ٣٧٨

٧٩٤، ٧٧٤، ٧٢٥، ٦٩٦

موسى بن جعفر الكاظم: ٧٣٥  
ميكائيل: ٢٤٨، ٤٠٨، ٤٦٣  
ميمون بن محمد النسفي: ٤٦٢، ٤٧٧

(ن)

النجاشي: ١٤٥، ١٧٠، ٤٦٦  
النسائي = أحمد بن شعيب بن علي بن  
بحر.

النسفي: عبدالله بن أحمد بن محمود.  
نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي:  
٤٧٩، ٤٨٠

نصير بن يحيى البلخي: ٢٥٦  
النعمان بن أبي عياش: ٢٨٠  
النعمان بن ثابت (أبو حنيفة): ٥،  
١٣، ٣٥، ٨٥، ٨٧، ١٨٦،  
١٩٠، ٢٠٤، ٢٦٤، ٢٦٨،  
٢٦٩، ٢٩٧، ٣٨٧، ٤١١،  
٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٥،  
٤٦٠، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧١،  
٤٩٤، ٥١٥، ٥٣٤، ٦٦٤، ٦٦٧،  
٦٧٥، ٦٩٧، ٧٢٧، ٧٤٥، ٧٤٤،  
٧٩٦

نعيم بن حماد الخزاعي: ٨٥، ١١٩  
نفيح بن الحارث: ٧٠٠  
نوح عليه السلام: ٥٣، ١٣٦، ١٥١،  
١٥٢، ٢١٣، ٢٨٣، ٢٨٦،  
٢٨٧، ٢٩٤، ٣٣٥، ٣٩٩،  
٤٢٤، ٥٩٠، ٧٣١، ٧٤٦

يعلي بن أمية: ٦٠٨  
يوسف عليه السلام: ٢٧٣ ، ٣١٥ ،  
٤١٤ ، ٤١٨ ، ٤٧١  
يوسف بن أسباط: ٧٩٥  
يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف: ٦٠٣  
يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر:  
٢٧٢ ، ٣١٩ ، ٣٤١ ، ٣٦٨ ،  
٥٨١ ، ٥٨٤  
يونس عليه السلام: ١٦١ ، ١٦٢  
يونس بن عبدالأعلى الصدفي: ٧٦٩

يحيى بن عيسى: ٤٨  
يحيى بن معين: ٤٨٠  
يزيد بن أبي سفيان: ٦٩٢  
يزيد بن سفيان: ٤٨٠  
يزيد بن معاوية: ٧٣٦  
يعقوب عليه السلام: ٣١٥ ، ٤١٤ ،  
٦٥٨  
يعقوب بن إبراهيم الحميري: ١٣ ،  
١٧ ، ٢٠٦ ، ٢٤٧ ، ٢٩٧ ، ٤٣٥ ،  
٥٣٥ ، ٥٣٦

\*\*\*



( ٥ )

## فهرس الملل والتحل

٧٩٩ ، ٧٩٦ ، ٧٩٥ ، ٧٩٢ ، ٧٩١	الاتحادية : ٨٨ ، ١٧٩ ، ٦٢٥ ، ٧٤٥
الحرورية : ٧٣٩	٨٠١
الحلولية : ٨٨	الأشعرية : ٤١٠ ، ٦٩٧
الحنبلية : ٥٣٥	الإمامية : ٦٩٩
الحنفية : ١٨٩ ، ٥٣٥	أهل السنة : ٧١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٥
الخوارج : ٥٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٨٦	٨٦ ، ١١٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٠
٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤	٢٦٣ ، ٢٩٤ ، ٣١٠ ، ٣١٩
٤٣٥ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٨	٣٢١ ، ٣٣٤ ، ٣٦٢ ، ٤٠٤
٥٢٤ ، ٦٢٤ ، ٧٢٣ ، ٧٣٩	٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤
٧٩٩ ، ٧٩٧	٤٦٣ ، ٥٠٠ ، ٥٠٧ ، ٥٦٣
الرافضة (الروافض) : ٨٦ ، ١٣٢	٦١٤ ، ٦١٨ ، ٦٢٦ ، ٦٣٣
٢٠٩ ، ٤٩٨ ، ٤٠٤ ، ٥٥١	٦٣٦ ، ٦٤٠ ، ٦٤٣ ، ٦٦٢
٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٦٨٩ ، ٦٩٧	٦٦٣ ، ٦٨٥ ، ٦٩٧ ، ٦٩٩
٧٣٥ ، ٧٣٤	٧٢٧ ، ٧٣٣ ، ٧٧٥ ، ٧٧٩
الزنادقة : ٧٤٥	الباطنية : ٧٤٠
السمنية : ٧٩٥	الثنوية : ٢٧ ، ٣٨
الشافعية : ٨٦ ، ٥٣٥	الجبرية : ٧٩ ، ١١٠ ، ٣٢٤ ، ٣٣٤
الشيعة : ١٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٣٨ ، ٦٩٧	٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٥٩
٧٩٩ ، ٧٣٩	٦٦١ ، ٧٩١ ، ٧٩٧
الصائون : ٣٥٨ ، ٣٩٦	الجهمية : ٤٨ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١٠٤
الصابئة الفلاسفة : ١٧٣ ، ٧٩٥	١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢٦٥
الصوفية (المصوفة) : ٣٧ ، ٥٥	٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٣٨ ، ٤٩٨

المرجئة: ٣٥٧، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤٤،

٧٩٩، ٧٩٧

المشبهة: ٦٤، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٢٦١،

٧٩١، ٦٤٠

المعتزلة: ٤٨، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٨،

٨٦، ١٠٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٨،

١٣٧، ١٣٨، ١٣٣، ١٧٤،

١٧٥، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧،

١٩٥، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٧،

٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٥،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٦، ٢٨٨،

٢٩٠، ٢٩٤، ٣٠٩، ٣٢١،

٣٥٣، ٣٨٧، ٣٩٦، ٤٠٣،

٤١٠، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٢،

٤٤٤، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٨،

٤٩٨، ٥٢٤، ٦١٥، ٦٢١،

٦٢٤، ٦٣٣، ٦٣٩، ٦٤٣،

٦٤٤، ٦٥٩، ٦٩٩، ٧٥٢،

٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٥، ٨٠١

المعطلة: ٤٨، ٧١، ٨٥، ١١٨، ٤٩٨،

النفاء المعطلة: ٦٤، ٨٨، ٢٦٤، ٣٧٢،

النواصب: ٦٨٩

اليهود: ٢٠٨، ٤٣٣، ٦٢٤، ٦٤٩،

٦٩٦، ٧٩٥، ٨٠٠، ٨٠١

٦٧٨، ٧٤٢، ٨٠١

الفلاسفة (المتفلسفة): ٨٦، ٨٧،

١٧٣، ٢٤٤، ٣٥٨، ٤٠٢، ٥٨٩،

٦٧٨

القدرية: ٣٨، ٧٨، ٧٩، ٨٢، ١١٠،

١٣٢، ١٣٦، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣٤،

٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤٣٨، ٤٦٠،

٥١٦، ٦١٥، ٦٣٣، ٦٣٦، ٦٣٧،

٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٥٩، ٦٦٢،

٧٩١، ٧٩٧، ٧٩٩

القرامطة: ٨٦

النصارى: ٥٦، ٥٧، ٨٨، ١٧٠،

٢٠٠، ٢٠٨، ٢٩٣، ٤٣٣،

٦٤٩، ٦٩٦، ٧٣٩، ٧٩١،

٨٠١، ٨٠٢

الكرامية: ١٧٣، ٤٦٠، ٤٦٢،

الكلاية: ١٩٩، ٤٩٥،

المالكية: ٨٦، ٥٣٥،

المانوية: ٢٧

المجسمة.

المجوس: ٢٧، ٦٤٠، ٧٩٧

\*\*\*

## ( ٦ ) فهرس الأماكن

سامراء: ٥٥٦	بئر برهوت: ٥٨٣
سقيفة بني ساعدة.	بئر زمزم: ٥٨٣
السنح: ٧٠٨ ، ٧٠٧	برهوت: ٥٨٣
الشام: ١٤٦ ، ٧٢٣	البصرة: ٢٩١
صفين: ٢٠٨ ، ٧٢٣	بصرى: ٢٨٥
طرسوس: ٧٩٦	بغداد: ٧٩٦
العراق: ٢٤٦ ، ٣٩٥ ، ٧١٣ ، ٧٢٢	بقيع الغرقد.
عرفات: ٦٧٢	البيت الحرام: ٢٩٧
فرقيسياء: ٧٣٩	بيت لحم: ٢٧٣
الكعبة المشرفة: ٤١٤ ، ٤٢٦ ، ٥٠٢ ، ٧٧٤	بيت المقدس: ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٤٤٨
الكوفة: ٧٣٩	تبوك: ٥٣٦
ماء خم: ٧٣٧	الجابية: ٥٨٣
المدينة المنورة: ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧٢٣ ، ٧٣٧	الحديبية: ٦٩٢ ، ٧٦١ ، ٧٧٤
مسجد قباء: ٥٠١	حراء: ٧٣٢
المسجد الأقصى: ٢٧٣	حران: ٧٩٥
مكة المكرمة: ٢٧٢ ، ٢٨٥ ، ٦٩٢ ، ٧٣٧ ، ٧٢٠	الجرة: ٢٠٩
نيسابور: ٢٤٥	حضر موت: ٥٨٣
واسط: ٣٩٥	خراسان: ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦
الهند: ٢٩	خيبر: ٧٢٣
	دمشق: ٥٨٣

( ٧ )  
فهرس الكتب

٢٠١	١٩٩	١٧٨	١٦٩	إحياء علوم الدين: ٢٣٦
٢٣١	٢٢١	٢١٧	٢١٦	الاختيار: ٦٧٣
٢٧٥	٢٥٤	٢٤٤	٢٣٤	الإرشاد: ١٠٨
٢٨٣	٢٨٠	٢٧٩	٢٧٨	الإشارة في البشارة: ٤١٣
٢٩٤	٢٩٠	٢٨٩	٢٨٥	الإنجيل: ١٩٠، ٢٠٨، ٤٢٤
٣١١	٣٠٧	٣٠١	٣٠٠	البداية والنهاية: ٢٧٨
٣٣٩	٣٢٥	٣١٩	٣١٨	تبصرة الأدلة: ٤٦٢
٣٧٦	٣٦٦	٣٦٤	٣٥٠	التبصرة: ٢٥٦
٤٣٨	٤٢٢	٤٠٤	٣٧٨	التذكرة: ٢٨٢، ٢٨٩، ٦٠٨، ٣٠٩
٤٥٥	٤٤٣	٤٤٠	٤٣٩	٦١٤
٥٠٩	٤٨٦	٤٨٢	٤٧٣	تفسير أبي الليث السمرقندي: ٤٧٩
٥٣٢	٥٣١	٥٣٠	٥٢٠	تفسير الطبري: ٤١، ١٦٨، ٢١٠
٥٤٠	٥٣٩	٥٣٨	٥٣٥	٢١١، ٢١٢، ٢٥٣، ٢٨٧
٥٩٨	٥٧٦	٥٦١	٥٤٧	٣٠٤، ٣٠٥، ٣٧٠، ٤٣٠
٦١١	٦١٠	٦٠١	٥٩٩	تفسير ابن حيد: ٦٢٨
٦١٦	٦١٥	٦١٤	٦١٣	التمهيد: ٣٢٠
٦٩٤	٦٨٨	٦٦٧	٦٦٦	تهافت التهافت: ٢٤٣
٧٠٨	٧٠٢	٧٠١	٦٩٩	التوحيد: ٤٢٢
٧٢١	٧١٢	٧١١	٧٠٩	التوراة: ١٨٩، ١٩٠، ٢٠٨، ٤٢٤
٧٣٠	٧٢٩	٧٢٨	٧٢٥	الجامع الصحيح (البخاري): ٢٩
٧٥٦	٧٥٥	٧٣٨	٧٣٦	٣٠، ٣١، ٥٩، ١١٢، ١٣٠
٧٦٠	٧٥٩	٧٥٨		١٤١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠

٧٨٤ ، ٧٨٣ ، ٧٧٦ ، ٧٦١

٨٠٠ ، ٧٩٧ ، ٧٨٩ ، ٧٨٨ ، ٧٨٦

الحوادث والبدع: ٣٦٢

الخيدة: ١٢٥ ، ١٨١

الرسالة للقشيري: ٢٦٤

ري الظمان: ٧٣

الزبور: ١٩٠ ، ٤٢٤

سنن ابن ماجه: ١٧٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠

٣٦٥ ، ٣٧٦ ، ٥٣٧ ، ٥٧٦

٦١٠ ، ٦٧٧ ، ٧٣١ ، ٧٥٥

سنن أبي داود: ٣٠٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨

٣٧٧ ، ٤٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٧٦

٥٨٦ ، ٦٣٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٥ ، ٦٧١

٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٣١ ، ٧٥٥

٧٩٧

سنن البيهقي: ٢٨٨ ، ٦٠٥

سنن الترمذي: ٩ ، ١٥٨ ، ١٦٥

٢٣٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٤٠

٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ ، ٣٦٥

٤٤٨ ، ٤٧٦ ، ٥٤٥ ، ٦٠٤

٦١٠ ، ٦١٩ ، ٦٧١ ، ٦٩٩ ، ٧٢٦

٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٥٢

سنن الدارقطني: ٥٣٠ ، ٥٣١

سنن النسائي: ٥٩ ، ٣٠٤ ، ٣١٥

٥٧٦ ، ٦٣٠ ، ٦٦٥

السنن: ٢٠٢ ، ٢١٥ ، ٣٥٦ ، ٥١٠

٥٤٥ ، ٥٥٨ ، ٦١٧ ، ٦١٨

٦٩٩ ، ٧٢٦ ، ٧٨٤ ، ٧٩٧

٧٦٢ ، ٧٧٦ ، ٧٨٣ ، ٧٨٦

٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨

٨٠٠

الجامع الصحيح (مسلم): ٣٠ ، ٣١

٩٢ ، ١١٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠

١٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧

١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٩

١٧٠ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١١

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤

٢٣٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

٣٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٨ ، ٣١٩

٣٢٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠

٣٥٦ ، ٣٦٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨

٣٩٦ ، ٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٢

٤٢٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١

٤٤٣ ، ٤٥٥ ، ٤٥٧ ، ٤٧٣

٤٧٦ ، ٤٨٦ ، ٥٣٠ ، ٥٣٨

٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٥٥

٥٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٧٦ ، ٥٨٦

٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٦ ، ٦١١

٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٨

٦٣٠ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٨٢ ، ٦٨٨

٦٩١ ، ٦٩٣ ، ٧٩٤ ، ٦٩٥

٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩

٧١١ ، ٧١٢ ، ٧٢٠ ، ٧٢٤

٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠

٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٥٦

٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠

مآل الفتاوى: ٤١١  
مسند أبي يعلى: ٢٨٨، ٢٩٢  
مسند الإمام أحمد: ٢٧٩، ٢٨٥،  
٢٩٠، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٤،  
٣٠٦، ٣٢٥، ٣٣٨، ٣٦٥،  
٣٨٦، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٨٧،  
٥٥٩، ٥٧٣، ٥٨٢، ٥٨٥،  
٥٨٦، ٦٠٤، ٦٠٩، ٦١١،  
٦١٢، ٦١٨، ٦٧١، ٧٣٢،  
٧٥٦، ٧٥٩، ٧٦١  
المطالب العالية: ١٧٣  
المعتبر: ١٧٣  
المغني: ٢٣٩  
معجم الطبراني: ٢٨٨، ٣٤٣، ٤١٧،  
٤٥٠، ٧٥٥  
المغازي للأُموي: ٣٧٨  
المنار: ٢٠٤  
منازل السائرين: ٣٦، ٤٥٧  
المنتخب: ٧٣  
الموطأ: ٥٨٧، ٦١٧

شرح التأويلات: ٣١٤  
شرح معاني الآثار: ١٦٠  
الشفاء: ٢٢٢  
صحيح أبي عوانة الإسفرائيني: ٥٧٦  
صحيح ابن حبان: ٣٠٥، ٥٧٦،  
٥٧٧  
صحيح الحاكم المستدرک: ٩،  
١٢٩، ٢١٢، ٣٠٤، ٣١٠،  
٣٦٩، ٤٤١، ٥٧٦، ٦٦١  
الصحاح: ٨٤، ٤٢٠  
صفة العرش: ٣٦٩  
العمد: ٢٣٩  
عوارف المعارف: ٧٤٧  
الفاروق: ٣٨٦، ٥٢٩  
الفتاوى الظهيرية: ١٨  
فصوص الحكم: ٧٤٤  
الققه الأكبر: ٥، ٨٥، ١٨٦، ١٩١،  
٢٦٤  
القنية لتسميم الغنية: ٦٧٣  
كتاب السنة: ٤١٧  
كشف علم الآخرة: ٢٨٢

\*\*\*

( ٨ )

## فهرس الموضوعات

٣٤٤	الإيمانُ باللوح المحفوظ والقلم
٣٤٥	اختلافُ العلماء في القلم والعرش أَيْهَمَا خُلِقَ أولاً؟
٣٤٦	جَفَّ القلمُ بما هو كائن إلى يَوْمِ القيامة
٣٤٨	الأقلامُ أربعة
٣٤٩	الواجبُ لإفراد الله بالمخشية والتقوى
٣٥١	تعاطي الأسباب لا يُنافي التوكل
٣٥٣	سبقُ علم الله بالكائنات قَبْلَ خلقها
٣٥٦	أحاديثُ في ذَمِّ القدرية
٣٥٨	تَضَمَّنُ القدرُ لأصول عظيمة
٣٦٠	حياةُ القلب ومرضه وشفائه
٣٦٣	أنفعُ الأغذية الإيمان، وأنفعُ الأدوية القرآن
٣٦٤	العرشُ والكرسي
٣٧٢	الله سبحانه مستغنٍ عن العرش محيطٌ بكل شيء وفوقه
٣٧٥	بحثُ الفوقية
٣٨١	النصوص الواردة المتنوعة في إثبات العلو
٣٨٦	كلامُ السلف في إثبات صفة العلو
٣٨٩	ثبوتُ علو الله سبحانه بالعقل من وجوه
٣٩٢	خطأ من ظن أن السماء قبلَ الدعاء
٣٩٤	اتخذ الله إبراهيم خليلاً وكَلَّمَ موسى تكليماً
٣٩٦	محبةُ الله وخلته كما يليق به سبحانه

- ٣٩٧ الخُلة أخصُّ من المحبة
- ٣٩٨ الجوابُ عما في الصلاة الإبراهيمية من إشكال متوهم
- ٤٠٠ ما خصَّ الله به بيتَ إبراهيم من الخصائص
- ٤٠١ وجوبُ الإيمان بالملائكة والكتب المنزلَّة والمرسلين
- ٤٠٢ إنكارُ الفلاسفة لحقيقة الإيمان بالله وكتبه ورسله
- ٤٠٣ أصولُ المعتزلة الخمسة
- ٤٠٤ أصولُ أهل السنة تابعة لما جاء به الرسولُ
- ٤٠٥ أصنافُ الملائكة وتنوع أعمالهم التي كُلِّفوا بها
- ٤٠٧ المَلَكُ رسولٌ منفذٌ لأمرِ مُرسِلِهِ
- ٤٠٩ آياتٌ كثيرةٌ وردت في ذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم
- ٤١٠ مذاهبُ الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحِي البشر
- ٤٢٣ وجوبُ الإيمان بمن سَمى الله في كتابه من رسله وأنبيائه
- ٤٢٤ أولو العزم من الرسل
- ٤٢٤ الإيمانُ بما سَمى اللهُ من الكتب المنزلَّة
- ٤٢٦ أهلُ القبلة مسلمون مؤمنون
- ٤٢٨ النهي عن الجدالِ في القرآن
- ٤٣٢ لا يجوزُ تكفيرُ المسلم بدينٍ لم يَسْتَحِلْهُ
- ٤٣٦ مِن أعظمِ البغي أن يُشهدَ على معيَّن أن الله لا يُغْفِرُ له
- ٤٣٩ أهلُ البدع يُكفرُ بعضهم بعضاً، وأهلُ السنَّة والجماعة يُخطئون ولا يُكفرون
- ٤٤٢ الاتفاقُ على أن مرتكبَ الكبيرة لا يخرجُ من الإيمان والإسلام
- ٤٤٤ الكفرُ نوعان: اعتقادي وعملي
- ٤٤٨ ما ينبغي على المؤمن أن يعتقده في حق نفسه وحق غيره
- ٤٤٩ من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً
- ٤٥١ سقوطُ العقوبة عن المسيء بأحد عشر سبباً
- ٤٥٦ الجمعُ بينَ الخوف والرجاء
- ٤٥٩ الاختلافُ فيما يقع عليه اسم الإيمان



## الاختلاف بين أبي حنيفة وسائر الأئمة فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلاف

- ٤٦٢ صوري
- ٤٦٦ الكلام في زيادة الإيمان إجمالاً وتفصيلاً
- ٤٧٠ النزاع في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه لفظي لا محذور فيه
- ٤٧١ أدلة أصحاب أبي حنيفة
- ٤٧٤ الأحاديث الدالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان
- ٤٧٩ أدلة الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه
- ٤٨١ نقول عن الصحابة في زيادة الإيمان ونقصانه
- ٤٨٧ الدين ينتظم الإيمان والإسلام والإحسان
- ٤٨٨ أقوال أهل العلم في مسمى الإسلام
- ٤٩٠ حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة أفراد أحدهما عن الآخر
- ٤٩٤ أقوال في الاستثناء في الإيمان
- ٥٠٠ أهل السنة لا يعدلون عن النص الصحيح
- ٥٠١ خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول يُفيد العلم اليقيني
- ٥٠٤ السنة نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله في كتابه
- ٥٠٥ المؤمنون كلهم أولياء الرحمن
- ٥٠٦ تفسير معنى الولاية
- ٥٠٨ أولياء الله الكاملون
- ٥١٠ أكرم المؤمنين عند الله
- ٥١١ أركان الإيمان
- ٥١٣ لا يثبت حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق
- ٥١٥ الإيمان بالقدر خيره وشره
- ٥١٧ لا يخلق الله شراً محضاً
- ٥١٩ أنفع الدعاء دعاء الفاتحة
- ٥٢١ تحقيق توحيد الربوبية والإلهية
- ٥٢٣ الإيمان بجميع الرسل

- ٥٢٤ العصاة من أهل الكباثر لا يخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون
- ٥٢٥ اختلاف العلماء في تحديد الكبيرة
- ٥٢٩ الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة
- ٥٣١ الصلاة خلف مستور الحال
- ٥٣٢ الصلاة خلف المبتدع والفاسق
- ٥٣٤ المطاعون في مواضع الاجتهاد
- ٥٣٧ لا يقطع لأحد معين من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا بنص
- ٥٣٩ لا نشهد على أحد من أهل القبلة بالكفر ما لم يظهر منه ذلك
- ٥٤٠ وجوب طاعة ولي الأمر إلا في معصية
- ٥٤٤ الأمر باتباع السنة والجماعة
- ٥٤٦ حب أهل العدل من كمال الإيمان
- ٥٤٨ ما اشتبه علينا علمه نكّله إلى الله
- ٥٥١ المسح على الخفين في السفر والحضر
- ٥٥٥ الحج والجهاد ماضيان إلى قيام الساعة
- ٥٥٧ الإيمان بالملائكة الكرام الكاتبين
- ٥٦١ الإيمان بملك الموت
- ٥٦٢ حقيقة النفس والروح
- ٥٦٢ الروح محدثة مخلوقة
- ٥٦٣ المضاف إلى الله تعالى نوعان:
- ٥٦٤ ماهية الروح
- ٥٦٥ الأدلة على أن النفس جسم مخالف بالماهية للجسم المحسوس
- ٥٦٧ الاختلاف في مسمى النفس والروح
- ٥٦٩ النفس واحدة ولها صفات
- ٥٧٠ الاختلاف في موت الروح
- ٥٧٢ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه
- ٥٧٨ تعلقات الروح بالبدن

٥٧٩	السؤال في القبر للروح والجسم
٥٨٠	الدور ثلاثة ولكل دار أحكام
٥٨١	سؤال منكرو نكير
٥٨٢	عذاب القبر نوعان
٥٨٢	الاختلاف في مستقر الأرواح بعد الموت
٥٨٤	تفاوت منازل الأرواح في البرزخ
٥٨٩	الإيمان بالبعث والجزاء
٦٠٠	العرض والحساب
٦٠٦	معنى الوجود في قوله تعالى : ( وإن منكم إلا واردة )
٦٠٨	الإيمان بالميزان وحقيقته
٦١٤	الجنة والنار مخلوقتان وهما موجودتان الآن ولا تفنيان أبداً
٦٢٤	الأقوال في أبدية النار
٦٣٣	الاستطاعة تكون مع الفعل وقبّله
٦٣٩	أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد
٦٤٠	الرد على الجبرية والمعتزلة في مسألة أفعال العباد
٦٤٣	لا يدخل في عموم « كل » إلا المخلوقات
٦٥٠	العبد فاعل لفعله حقيقة ، ولكنه مخلوق لله
٦٥١	لا يُوصف الله بالإجبار
٦٥٣	التكليف بحسب الطاقة
٦٥٥	الفرق بين القضاء الشرعي والقضاء الكوني
٦٥٨	كتب الله على نفسه الرحمة
٦٦٤	انتفاع الأموات من سعي الأحياء
٦٦٩	معنى قوله تعالى : ( وأن ليس للإنسان إلا ما سعى )
٦٧٢	الاستئجار على تلاوة القرآن وإهدائه للميت
٦٧٣	قراءة القرآن وإهداؤها للميت بغير أجر
٦٧٥	اختلاف العلماء في حكم قراءة القرآن عند القبور

٦٧٦	استجابة الله دعاء عباده
٦٧٨	الرد على من يزعم عدم فائدة الدعاء
٦٨١	بيان الحكمة في أن الداعي قد لا يُعطى شيئاً
٦٨٤	غضبُ الله ورضاه
٦٨٩	حبُّ الصحابة إيمان، وبُغضهم جحد
٦٨٩	ما ورد من الآيات في الثناء على الصحابة
٦٩٧	لا يجوزُ التبرؤ من أحدٍ من الصحابة
٦٩٨	ثبوتُ الخلافة لأبي بكر بالنص
٧١٠	خلافة عمر الفاروق
٧١٢	خلافة عثمان
٧٢٠	ثبوت الخلافة لأمير المؤمنين علي
٧٢٦	الخلفاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون
٧٢٨	العشرة المبشرون بالجنة
٧٣٣	الاتفاق على تعظيم هؤلاء العشرة
٧٣٥	الأئمة الاثنا عشر عند الإمامية
٧٣٧	البراءة من النفاق لمن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه وذرياته
٧٤٠	وجوب موالاته المؤمنين وبخاصة أهل العلم
٧٤٢	لا يفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء
٧٤٦	ثبوتُ كرامات الأولياء
٧٤٧	المحمودُ من الخوارق والمذموم والمباح
٧٤٩	كلمات الله نوعان: كونية ودينية
٧٥١	الخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له
٧٥٣	أنواع الفراسة
٧٥٤	الإيمان بأشراط الساعة
٧٥٦	كذب الكاهن والعرفاء

٧٦٤	التنازعُ في حقيقة السحر وأنواعه
٧٦٩	اعتقادُ الولاية في بعض البله بدعة وضلال
٧٧١	خلال من يُصعق عند سماع الأنغام الحسنة
٧٧٥	الجماعة حق، والفرقة زيغ
٧٧٧	وجوب ردّ المسائل المتنازع فيها إلى الله ورسوله
٧٧٨	الاختلافُ نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد
٧٨٣	الاختلاف في الكتاب على نوعين
٧٨٦	الإسلامُ هو دين الله وهو واحد في الأرض والسماء
٧٨٧	سهولة تعلم الإسلام
٧٨٨	دينُ الإسلام بين الغلو والتقصير
٧٩٠	وهو بين التشبيه والتعطيل
٧٩٠	وهو بين الجبر والقدر
٧٩٠	وهو بين الأمن واليأس
٧٩١	البراءة من الفرق الضالة
٧٩٢	أصولُ المعتزلة الخمسة
٧٩٤	الجهمية وأصل مذهبهم
٧٩٧	الجبرية وأصل قولهم
٧٩٩	سبب الضلال العدول عن الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه
٨٠١	لفرق الضلال طريقتان في الوحي
٨٠٥	الفهارس

\* \* \*















